أساطير إغريقية

أساطير البشر

د. عبد المعطى شعراوى



الجزء الأول

الطبعة الثالثة
(منقحة ومزيدة)

مكتبة الأنجلو المصرية

مكتبة المهتدين الإسلامية

Bibliotheca Alexandrina
0650942
0119900000024288
اساطير اغريقية (ج١)
ج.م
30.00
Barcod Team
www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

ساطير غر

الجزء الأول

(أساطير البشر)

تأليف

د. . المعطى شعراوى

الطبعة الثالثة

(منقّحة ومزيّدة)

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد – القاهرة

al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين
http://www.al-maktabeh.com

أسم الكتـــاب: **أساطير اغريقية**
أسم المؤلف: **د/ عبد المعطي شعراوي**
أسم الناشر: **مكتبة الانجلو المصرية**
أسم الطـــابع: **مطبعة محمد عبد الكريم حسان**
رقـــم الايـــداع:17933 لسنة 2003
الترقيم الدولي: I-S-B-N 977-05-1997-9

مكتبة المهتدين الإسلامية

إهـــــــــداء

إلـى نـبْـع حـنـانٍ لا يـنْـضـب
إلى مَـسـعين حُبٌ لا يغــيض
إلى رمْــزِ وفــاءٍ لا يفنى
إلى أمل غــدٍ لا يخْــبـو
إلــى مَــنْ أُحــبُ أبــداً

عبد المعطى شعراوى

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

مة الطبعة الثالثة

عشرون عاماً مضت منذ صدور الطبعة الأولى لهذا المجلد . فلقد صدرت الطبعة الأولى فى عام ١٩٨٢ . وصدرت الطبعة الثانية دون مراجعة أو تنقيح فى عام ١٩٩٢ . وها هى الطبعة الثالثة ماثلة بين يدى القارئ الكريم .

عالم الأساطير عالم ملئ بالإثارة والتشويق . يغرى دارسيه على البحث عن كل ما هو جديد . فصياغة الأساطير لم تعد - وما كانت فى عصر من العصور - فناً روائياً خالصاً ، بل كانت ومازالت أكثر من ذلك بكثير . إن دراسة الأساطير لم تعد فناً ، لكنها أصبحت علماً . والمجال العلمى دائم التغيّر والتطوّر . لذا كان لابد من مراجعة مادة هذا المجلد الذى صدرت طبعته الأولى منذ عشرين عاماً . فخلال تلك الأعوام العشرين صدرت أبحاث متعددة متنوعة ، وأخرجت المطابع كتباً لا حصر لها . وظهرت نظريات وآراء تتعرض لتفسير الأسطورة . لهذه الأسباب وغيرها كان لابد من مراجعة مادة المجلد قبل إعادة طبعه للمرة الثالثة .

سوف يلاحظ القارئ الكريم أنه قد تمت مراجعة النص داخل متن الكتاب . وسوف يلاحظ أيضا أن أساطير جديدة قد أضيفت إلى مجموعة الأساطير التى يحتويها . كما سوف يلاحظ أيضا أن مراجع عديدة قد أضيفت إلى قائمة المراجع . كما سوف يلاحظ أيضا إضافة بعض اللوحات الفنية والصور التى تربط بين أحداث الأسطورة وتوضح بعض تفاصيلها . هذا بالإضافة إلى صياغة الثبت العام صياغة جديدة ، إذ تحول إلى كشاف يحتوى على أسماء الأماكن والأعلام مع وضع أرقام الصفحات التى ورد فيها كل اسم لسهولة استخدام المجلد .

ولعل القارئ الكريم يتخيل الجهد المبذول لإخراج الطبعة الثالثة ، فإن حاز الشكل الجديد رضاءه فالفضل لله وحده وللزملاء والأصدقاء الذين أبدوا ملاحظاتهم القيمة والتى كان لها أثر كبير فيما حققه المؤلف من تغييرات وتطويرات ، وإذا لم يحقق المجلد فى طبعته الثالثة رضاء القارئ الكريم فالمسئولية تقع على عاتق المؤلف وحده .

والله الموفق

دكتور عبد المعطى شعراوى

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

تمهيد

تراث ضخم خالد خلفه الإغريق : أدب وفن وعلم وثقافة وفكر . والأسطورة كان لها أهمية خاصة بين ثنايا ذلك التراث الضخم الرائع . وحتى عصرنا هذا فإن القارئ – أى قارئ ، والدارس ، أى دارس – لا يكاد يلتقى بجزء من ذلك التراث إلا ووجد نفسه وجهاً لوجه مع الأساطير الإغريقية . فالأساطير الإغريقية عديدة ، وتفاصيلها متعددة ، ومضامينها مختلفة . ومن أجل فهم التراث الإغريقى أو دراسته أو تذوقه يجب الإلمام بالأساطير . إذاً ، فالهدف من هذا الكتاب هو مساعدة قارئ الإغريقيات فيما يقرأ ، ومعاونة الدارس فيما يدرس .

بالإضافة إلى ماللأساطير من فائدة بالنسبة لدارسى الإغريقيات ، فإن لها قيمة فنية ضخمة . فالأساطير الإغريقية ذاخرة بعنصر الخيال الذى يستطيع بما يحويه من ثراء وجمال أن يمارس تأثيره على المشاعر الإنسانية فى كل عصر وأوان . بل إنها قادرة أيضا على تقديم العون لدارسى الآداب والفنون الإغريقية . فلقد تأثر الكتاب والفنانون على مدى الأجيال بالأساطير الإغريقية ، ولا نكاد نجد عملا أدبياً أو فنياً واحداً يخلو من تأثيرها . وقد لا تستطيع ترجمة الأعمال الأدبية الإغريقية والرومانية أن تحقق نفس الهدف وتحدث نفس التأثير . فالترجمة – مهما كانت دقيقة وجيدة – ليست وسيلة قوية وناجعة – إذا ما قورنت بالأسطورة – لتصوير تلك الثروة الأدبية والخيالية التى امتاز بها عصر ذهبى مثل العصر الإغريقى . بالطبع ، لا يستطيع أحد أن ينكر ما لهذه الترجمة من فوائد جمة وخاصة فى مجال نقل الأفكار والأحاسيس الإغريقية إلى جمهور كبير من غير الملمين بلغة الإغريق . ومع ذلك ، فإن فهم هذه الترجمات وتذوقها يتطلب معرفة تامة بالأساطير الإغريقية ، تلك المعرفة التى لا يمكن الحصول عليها عن طريق جمع فتات الأساطير المتناثرة هنا وهناك فيما كتبه شعراء الإغريق وكتابها .

الهدف من هذا الكتاب – إذن – هو : أولا ، عرض التفاصيل الرئيسية للأسطورة فى صورة بسيطة تدخل البهجة فى نفس القارئ الذى لا يرغب سوى أن يعرف بعض المعلومات العامة عن الأساطير الإغريقية ، أو أن يقرأ كتاباً مسلياً ذاخراً

http://www.al-maktabeh.com

بالقصص الخيالية . ثانياً ، تقديم دليل عملى لمن يريد أن يدرس الأساطير الإغريقية دراسة أدبية وفنية دقيقة تساعده على ارتياد الميادين الفنية والأدبية وفهم الأعمال الأدبية والفنية التى ظهرت منذ العصور الإغريقية حتى عصرنا الحاضر . ثالثا ، تقديم دراسة وافية كاملة للمتخصص الأكاديمى من خلال مقدمة علمية وحواش توضيحية وقائمة مراجع مختارة .

ولكى يتحقق الهدف المرجو من هذا الكتاب ، فقد حاول المؤلف فى صياغته للأساطير أن يعرضها فى أسلوب أدبى جذاب ، وأن يمنحها صيغة درامية ، وأن يهتم كذلك بعنصر التشويق والإثارة ، وبذلك يتحقق الجانب الأول من جوانب هدف الكتاب. كما حاول المؤلف أيضا أن يربط بين كل أسطورة والأعمال الفنية والأدبية التى تأثرت بها فيما بعد ، وأن يبرز مدى تأثر الأدباء والفنانين القدماء والمحدثين بتلك الأساطير، وبذلك يتحقق الجانب الثانى من جوانب هدف الكتاب . ويواصل المؤلف محاولاته فيقدم لهذا الكتاب بمقدمة مسهبة يستعرض فيها العلاقة بين الأسطورة الإغريقية والشعائر التى كان يمارسها الإغريق ، وبين الأسطورة الإغريقية والديانة الإغريقية ، كما يستعرض مصادر الأساطير الإغريقية والنظريات المختلفة التى نشأت حول تفسيرها ودراستها ، مشيراً فى حواشى المقدمة إلى أغلب تلك المصادر وإلى الأعمال التى تحتوى على تلك النظريات . ولا يفوت المؤلف أيضا أن يذيل كل أسطورة بحواش توضيحية شاملة ، كما يختتم الكتاب بقائمة من المراجع العلمية التى قد يحتاج الدارس المتخصص إلى الرجوع إليها لمواصلة البحث والحصول على مزيد من المعلومات ، كما لم يفت المؤلف أيضا أن يختتم كل جزء من أجزاء الكتاب بثبت بأسماء الشخصيات الأسطورية وأسماء الأماكن والأشخاص حتى يسهل متابعة موضوعات الكتاب المتعددة . وبذلك يتحقق الجانب الثالث من جوانب هدف الكتاب .

لقد قضى المؤلف أكثر من عشرين عاماً هائما فى عالم الإغريقيات ، سابحاً فى محيط الأدب الإغريقى ، سابراً أغوار فكر الإغريق والرومان ومن تأثروا بهم . ولقد نشأت لديه فكرة تأليف هذا الكتاب منذ عشرين عاماً ، لكنه لم يجرؤ على تنفيذ هذه الفكرة على الفور . فالفكرة جريئة ، والتنفيذ صعب ، والهدف بعيد . مجال الأساطير الإغريقية شائك ؛ ومصادرها متعددة ، ومادتها غزيرة ، والمراجع العلمية فى هذا المجال صعبة المنال ، والآراء التى نشأت حول أساطير الإغريق متعارضة

مكتبة المهتدين الإسلامية

متناقضة متشابكة . لكن الرغبة الجامحة انتصرت على التردد والحرص . وأدى ذلك الانتصار إلى ظهور هذا الكتاب . ونظراً لضخامة الموضوع ، وتحقيقا للهدف المرجو من هذه الدراسة ، فقد رئى تقسيم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء . يضم الجزء الأول أساطير البشر ، والثانى أساطير الأبطال والآلهة الصغرى ، والثالث والأخير الآلهة الكبرى . ولعل ذلك التقسيم يثير بعض التساؤلات ، إذ قد يقول قائل إن الآلهة الكبرى أجدر بالجزء الأول ، أو قد يسأل سائل عن الفرق بين البشر والأبطال ، أو عن الفرق بين الآلهة الصغرى والآلهة الكبرى ، إلى غير ذلك من تلك الأقوال والتساؤلات التى قد يثيرها القارئ الذكى حول عمل علمي ضخم . لكن المرجو من القارئ الكريم أن يقبل هذا التقسيم على علاّته فى بادئ الأمر ، على أمل أنه قد يقتنع بصحة ذلك التقسيم وضرورته عندما يفرغ من قراءة الأجزاء الثلاثة ، وخاصة خاتمة الجزء الثالث .

عالم الأساطير عالم غامض ، والأسطورة كتلة من التفاصيل المتشابكة والمتناقضة فى أغلب الأحيان . كما أن الأسطورة الإغريقية بوجه خاص غالباً ما تشمل أسرة بأكملها ، أو مجتمعاً بأكمله ، وقد تشمل أيضا الكون كله . لذلك فإن منْ يتعرض للأساطير الإغريقية يجد نفسه أمام أحد أمرين : إما أن يتناول الأسطورة كاملة ، أو يتناول كل شخصية أسطورية على حدة . ولقد أثبتت التجارب أن المنهج الثانى أكثر فائدة وأقل تعقيداً . فلو ذكرنا – على سبيل المثال – قصة ولدىْ أتريوس فسوف نجدها تبدأ بالإله زيوس ، ثم ابنه تانتالوس ، ثم ابنه پلوپس وشقيقته نيوبى ، ثم أتريوس وصراعه مع شقيقه ثويستيس ، ثم أجاممنون وزوجته كلوتمنسترا ، ثم كلوتمنسترا وولدها أورستيس ، ثم أورستيس وأخته الكترا ، ثم الكترا وأورستيس واختهما إيفيجينيا ، ثم هناك أيضا منيلاووس شقيق أجاممِنون وزوجته هيلينى . هذا بالإضافة إلى شخصيات أخرى لا حصر لعددها . وإن منْ يريد أن يتعرض لأسطورة ولدىْ أتريوس ككل ، عليه أن يروى كل أساطير الإغريق تقريباً . إذ عليه أن يتناول – بالإضافة إلى كل ما سبق ذكره – الحروب الطروادية وموقف كل إله من آلهة الأولومپوس من تلك الحروب الطاحنة والأسباب التى دفعت كل إله إلى اتخاذ موقف معين .... وهكذا . ولقد أدرك معظم الكتّاب الإغريق والرومان هذه الحقيقة ، لذا حاول كل منهم أن يكتفى بتناول جزء من الأسطورة أو شخصية أسطورية . ولقد فضل المؤلف المنهج الأخير فتناول كل شخصية أسطورية على حدة – كما يظهر فى

http://www.al-maktabeh.com

الجزء الأول من الكتاب – أو يتناول كل جزء من أجزاء الأسطورة على حدة – كما يظهر في الجزءين الثاني والثالث .

أما فيما يتعلق بمصادر الأساطير الإغريقية ومدى التزام المؤلف بما ورد فيها من تفاصيل ، فلقد حاول المؤلف أن يلتزم – إلى أقصى حدود الإلتزام – بالتفاصيل الدقيقة للأسطورة . وعندما توجد روايات مختلفة – وما أكثر وجودها – فلقد حاول المؤلف أن يجمع بين تلك الروايات المختلفة أو يؤلف بينها أو يتحاشى ذكر بعضها في متن الأسطورة مع الإشارة في الحواشي إلى ما تحاشى ذكره . وزيادة على ذلك فقد حاول المؤلف أن يصوغ الأساطير صياغة أدبية ، وأن يهيئ للقارئ العربي الجو الأسطوري الإغريقي ، وإن ظهرت – رغم كل ذلك – شخصية المؤلف وأسلوبه الخاص أثناء العرض .

وإن المؤلف إذ يمهد لتقديم «أساطير إغريقية» لا يفوته أن ينبه إلى أن الأساطير العشرين التي يحتويها الجزء الأول من هذا الكتاب قد سبق نشرها في صورة مبسطة– دون حواش أو مقدمات – في اثنين وعشرين عدداً من مجلة «الجديد» التي تصدر عن الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – في الفترة من يناير ١٩٧٣ إلى يناير ١٩٧٦ .

ولإن وُفِّق المؤلف في كل محاولاته أو بعضها فالفضل لله سبحانه وتعالى ولأساتذته وزملائه وتلاميذه . وإن لم يحالفه التوفيق فالتبعة عليه وحده ، والله ولي التوفيق .

د. عبد المعطي شعراوي

مكتبة المهتدين الإسلامية

مقدمة

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

مصادر الأسطورة الإغريقية

لا يكاد يخلو عمل من أعمال الكتاب الإغريق والرومان من إشارات مباشرة أو غير مباشرة إلى الأساطير الإغريقية . لذا فإن مصادر الأسطورة عند الإغريق متعددة ومتباينة . لكن هناك بعض الأعمال التى يشير فيها مؤلفوها إشارات عابرة أو يذكرون تفاصيل مبتورة لإحدى الأساطير ؛ لذا ، فإنه من العبث محاولة ذكر كل تلك المصادر، بل من الضرورى الاكتفاء بالتعرض للأعمال التى تعتبر المصادر الرئيسية للأساطير الإغريقية (١) .

هوميروس :

أول هذه المصادر وأقدمها وأهمها الإلياذة والأوديسيا ، هاتان الملحمتان الرائعتان اللتان تنسبان إلى شاعر إغريقى أعمى يدعى هوميروس . لقد ظلت هذه الفكرة سائدة حتى بداية عصر المسيحية . ثم ظهرت آراء متناقضة حول شخصية مؤلف هاتين الملحمتين (٢) . أنكرت فئة من الدارسين وجود شاعر يعرف باسم هوميروس . اعترفت فئة أخرى بوجود هوميروس تاريخياً ، لكنها اختلفت حول العلاقة بينه وبين هاتين الملحمتين . فمن قائل أن هوميروس لم ينظم الإلياذة والأوديسيا ، بل جمع أناشيد غيره ، إذ كان يقوم بإنشادها فى حضرة الملوك والنبلاء. ثم نسق بين فقراتها وربط بين أجزائها ، وبذلك ظهرت ملحمتان رائعتان هما الإلياذة والأوديسيا . هناك أيضا من يقول إن هوميروس لم ينظم سوى الإلياذة فقط، بينما نظم الأوديسيا شخص آخر حاول أن يسير على نهج هوميروس (٣) . مهما اختلفت الآراء

(١) Hamilton, Mythology, pp. 21 - 23 .

(٢) Murray, Rise of Greek Epic, pp. 240 sqq.

(٣) راجع كتاب Butler, The Authoress of the Odyssey, Passim

يري المؤلف (Butler) : أ- أن الإلياذة والأوديسيا ليستا من نظم شاعر واحد .

ب- إن تاريخ نظم الأوديسيا يرجع إلي عام ١٠٥٠ ق. م . وأنه يجئ بعد تاريخ نظم الإلياذة بحوالي مائة عام .

جـ- أن هوميروس لم ينظم الأوديسيا بل نظمتها امرأة شابة من صقلية عاشت في تراباني Trapani . انظر مقدمة المرجع المذكور ، ص ٧ .

http://www.al-maktabeh.com

حول ناظم الإلياذة والأوديسيا ، فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً . فالإلياذة والأوديسيا هما – دون شك – أقدم الأعمال الأدبية التى وصلتنا من التراث الإغريقى . ومن المحتمل أنهما قد ظهرتا فى الوجود أثناء القرن العاشر قبل الميلاد . ولسنا هنا بصدد الحديث عن روعة هاتين الملحمتين وجمالهما (٤) . إن الإلياذة والأوديسيا مليئتان بالأساطير الإغريقية ، فهما كنز لا يفنى ومعين لا ينضب ، نهل منه الشعراء والكتاب الإغريق فيما بعد . وربما يقصد ذلك المعنى المؤرخ الإغريقى هيرودوتوس حين يقول إن هوميروس وهيسيودوس هما اللذان أثبتا لليونانيين أنساب الآلهة وأطلقا عليها ألقابها وفصّلا عباداتها واختصاصاتها وبيّنا أشكالها (٥) . إن هذه النقطة بالذات هى التى تهمنا فى هذا الصدد . فلقد أصبحت الإلياذة والأوديسيا فيما بعد دستوراً للإغريق ، وهادياً لهم ، ومركزاً للمعلومات التى يحتاجون إليها فى مجال علاقاتهم بالآلهة (٦) . فالآلهة والبشر يختلطون اختلاطاً تاماً ويشكلون عالماً واحداً فى الإلياذة والأوديسيا .

نحن نعلم أن الآلهة فى عصر هوميروس كانت لها شخصيات محددة وصور ناسوتية . لكن هذه الصورة الناسوتية لم تكن قد استطاعت بعد أن تطمس تماماً تلك الصور اللاناسوتية التى تشير إلى أصل تلك الآلهة ونشأتها (٧) . إن الأساطير الإغريقية – كما صورها هوميروس فى ملحمتيه الإلياذة والأوديسيا– هى وحدها التى تظهر فى صورة أقل بدائية وخشونة عن الأساطير التى يرويها هيسيودوس عن الآلهة(٨) . فالإله زيوس والربة هيرا والإله أبوللون والربة أرتميس ، وكل هؤلاء الآلهة التى تحددت سماتهم التقليدية فى كل العصور التالية لعصر هوميروس قد صوّرهم شاعر الإلياذة والأوديسيا فى صورة نبيلة فاضلة (٩) – إذا ما استثنينا بعض الصفات

(٤) انظر كتابتنا «هوميروس» حيث توجد دراسة لكل من الإلياذة والأوديسيا .

(٥) Herod. II, 53 .

(٦) Earp, The Way of the Greeks, p. 134.

(٧) Spence, An Introduction to Mythology, pp. 257 - 9 .

(٨) Earp. Op. Cit., pp. 143 - 5.

(٩) بالرغم من ذلك فقد اعترض بعض الكتاب الإغريق علي طريقة كل من هوميروس وهيسيودوس في حديثهما عن الآلهة . إذ يقول كسينوفانيس (شذرة رقم ١) :

«إن البشر العاقلين ينشدون عن الآلهة أشعاراً وقصصاً ذات فأل حسن وكلمات نقية ... ولا

مكتبة المهتدين الإسلامية

اللاناسوتية أو الشريرة التى كانت توصف الآلهة بها فى بعض الأحيان والتى تعتبر فى حد ذاتها بقايا العنصر البربرى للاعقلانية التى هى مظهر من مظاهر الأسطورة فى مراحلها البدائية (١٠) .

إن زيوس عند هوميروس هو السلطان الذى يحكم مجتمع الآلهة ، وقد صوره هوميروس إلهاً عادلا رحيما ، والداً لشعبه ، منتقما للضعفاء . يتجمع من حوله بقية الآلهة والربات تماماً مثلما تفعل الطائفات الناسوتية العقلانية . تشكل هذه الحكومة المقدسة دولة ذات حكم فردى ، وهى صورة مأخوذة من نظام الحكم الإغريقى فى ذلك الوقت (١١) . يسود كلا من البشر والآلهة مسحة من الصداقة والثقة المتبادلة التى تمنح العقيدة الإغريقية – كما صورها هوميروس – طابعاً سائغاً تلقائياً قد لا يظهر عادة بوضوح فى العصور التالية لهوميروس . لقد كانت الإلياذة والأوديسيا – وما زالتا حتى الآن – السجل الرسمى لعقيدة الإغريق والمرجع الأساسى لدارسى أساطيرهم (١٢) . ولعل من بين ما منح هاتين الملحمتين أهمية فائقة هو أن هوميروس قد صور فى ملحمتيه مرحلة التحول من العصر الأسطورى الهمجى أو شبه الهمجى إلى العصر الكلاسيكى المزدهر بالمدنية والتقدم .

هيسيودوس :

لم تصلنا معلومات كافية عن شخصية هوميروس ، ولا نستطيع أن نسد هذا النقص عن طريق دراسة أعماله التى وصلتنا . إذ أن طبيعة الملحمة بوجه عام لا تجعل من السهل التعرف – عن طريق دراستها – على شخصية ناظمها . لكن من

= يتحدثون عن معارك التياتن والعمالقة والقناطير التي هي من نسج خيال القدماء» . كما يقول أيضا (شذرة رقم ١١) : «لقد نسب هوميروس وهيسيودوس إلي الآلهة كل ما يجلب العار علي البشر : السرقة والفحشاء والخداع . انظر أيضا بنداروس مجموعة القصائد الاولومبية ، القصيدة الأولي ، سطور ٣٠ – ٣٥ .

(١٠) قارن : Rose, Greek Mythology, p. 176 - 7 حيث يعتقد مؤلفه أن الإغريق تخيلوا آلهتهم في صور ناسوتية منذ فجر حياتهم .

(١١) Earp. Op. Cit., p. 140.

(١٢) Bowra, The Greek Experience, p. 119.

http://www.al-maktabeh.com

المعروف أن هوميروس قد صور في ملحمتيه عصر الملكية المستبدة . يلي هوميروس– كمصدر من مصادر الأساطير الإغريقية – الشاعر التعليمي (١٣) هيسيودوس ، الذى يصور عصر حكم الأرستقراطية فى بلاد الإغريق . ولقد أمدتنا الأشعار التى نظمها هيسيودوس ببعض المعلومات الضئيلة عن نسبه وأصله وشخصيته(١٤) . كان والده يدعى ديوس (١٥) ، وهو مواطن من كوس فى إيوليس ، كان يعمل بالتجارة وربما أيضا بالزراعة . دفعه الفقر إلى الهجرة إلى أسكرا الواقعة بالقرب من ثسپياى Thespiae فى إقليم بيوتيا (١٦) . وكان له شقيق يدعى پرسيس ، كان عاطلا مسرفاً . حاول پرسيس – بعد موت والده – أن يستأثر بما ترك الوالد من ثروة ضئيلة . ولما رفع هيسيودوس الأمر للقضاء ، وقف «السادة الفاسدون» فى صف پرسيسٍ بعد أن تقاضوا منه رشوة (١٧) . أنفق شقيقه كل ما ورثه على ملذاته وبدأ يذوق مرّ السؤال . كتم هيسيودوس غضبه وبدأ حياته من جديد مزارعاً بسيطاً حتى قابلته الموسيات (١٨) فوق جبل هيليكون حيث كان يرعى أغنامه «ولقنته أنشودة رائعة» (١٩) . كما نعلم أيضا أن هيسيودوس انتصر على الشاعر أمفيداماس فى مدينة كولخيس التابعة لإقليم يوبويا فى مباراة فى الشعر ،وأنه وهب الجائزة التى فاز بها إلى الموسيات (٢٠) .

(١٣) Idem, Landmarks In Greek Literature, p. 60. يقول هيراكليتوس (شذرة رقم ٥٧) متهكما : διδ'ασκαλος δ'ε πλεῖστων Ἥσιοδος .

(١٤) يثير بعض مؤرخي الأدب غبار الشك حول صحة ما جاء في أعمال هيسيودوس عن أصله ونسبه وحياته الشخصية . إذ يرون أن هيسيودوس إنما ابتكر قصة الصراع بين الأخوين ليخلق مجالا مناسبا لمناقشة فكرة العدالة وعلاقة البشر بالآلهة . راجع : Evelyn - White, Hesiod, pp. xiv - xv; Murray, Ancient Greek Literature, pp. 53 - 54 . أنظر الحاشية التالية .

(١٥) يذكر هيسيودوس في السطر ٢٩٩ من قصيدة الأعمال والأيام اسم شقيقه پرسيس περσης ووالدهما ديوس (πέρση, Δίου γένος) .

(١٦) نفس القصيدة ، سطر ٦٣٦ وما بعده .

(١٧) نفس القصيدة ، سطر ٢٤ وما بعده .

(١٨) عن الموسيات Μοῦσαι انظر حاشية رقم ٦٨أدناه وانظر الجزء الثاني ص ٦٦٧ وما بعدها .

(١٩) أنساب الآلهة ، سطر ٢٢ – ٢٣ .

(٢٠) الأعمال والأيام ، سطر ٦٥١ – ٦٥٩ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

كل ما يهمنا أن نستخلصه من ذلك العرض السريع للمعلومات الضئيلة التى نعرفها عن حياة هيسيودوس هو أنه قد ذاق مُرَّ الفاقة وقاسى من الظلم والفساد ، وأنه بكفاحه وصبره أصبح جديراً بأن تمنحه الموسيات القدرة على كتابة الشعر . يظهر أثر ذلك فى قصيدتيه «الأعمال والأيام» «وأنساب الآلهة» (٢١) . فالقصيدتان ذاخرتان بالأساطير ، حتى أنهما أصبحتا من أهم مصادر الأساطير الإغريقية فى العالم القديم والحديث .

تتكون قصيدة الأعمال والأيام Εργα και ημεραι من أربعة أجزاء : فى الجزء الأول يشير هيسيودوس من خلال قصص مجازية إلى الصراعات والخصومات، ثم يشرح كيف نشأ بين البشر الشر والحاجة إلى العمل وذلك من خلال أسطورة پاندورا (٢٢) ، ثم يستطرد إلى وصف العصور الخمسة التى مر بها العالم (٢٣) وكيف ظل الشر يتزايد على وجه الأرض حتى أصبح العالم فى عصره يقاسى من سوء الأحوال وأصبح الصراع من أجل الحياة شيئا لا مفر منه . ثم يدين سياسة العنف والظلم وذلك من خلال أسطورة الصقر والعندليب ، ثم يستطرد إلى تبيان الثواب الذى تناله الأمة التى يتصف أهلها بالعدل ، والعقاب الذى تفرضه السماء على الأمة التى يمارس أفرادها العنف ، ثم يختتم هذا الجزء بمجموعة من الملاحظات عن الصناعة والسلوك القويم بوجه عام . وفى الجزء الثانى يشرح هيسيودوس كيف يستطيع المرء أن يتقى شر الفاقة والعوز عن طريق الاهتمام بالصناعة ومباشرة الزراعة والتجارة فى البحر . ويبدو واضحاً أن الشاعر لم يوفِّ هذا الجزء حقه من الدراسة . يتضمن الجزء الثالث ملاحظات حول بعض الأعمال المنزلية والأعمال العامة والسلوك بوجه

(٢١) هناك أعمال أخرى تنسب إلى هيسيودوس: ,Ἀστρονομία, Καταλογοι Δάκτυλοι, Ιδαιοι, Αιγίμιος, Κηυκος, Γάγος, Μελαμποδεια, χειρωνος υποθικαι, Μεγάλαι ηοια, Ορνιθομαντια وغيرها . وكلها ذاخرة بالأساطير .

Evelyn - White, Op. Cit., pp. xix - xx; pp. xxi - xxiii.

هناك أيضا من يعتقد أن قصيدة الأعمال والأيام ليست من نظم هيسيودوس بل نظمت بعد أن نظم هيسيودوس قصيدة أنساب الآلهة بمائة عام . انظر حاشية رقم ٢٤ أدناه .

(٢٢) راجع ص ٦١ أدناه .

(٢٣) Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 22.

http://www.al-maktabeh.com

عام . ويبدو واضحاً أن ما جاء فى هذا الجزء غير متناسق أو مترابط . وفى الجزء الرابع والأخير يتحدث هيسيودوس عن أيام الشهر من كل عام ويحدد ما يراه ملائما للزراعة أو الأعمال الأخرى . وقد اكتسبت القصيدة عنوانها مما جاء فى الجزء الثانى «الأعمال» والجزء الرابع «الأيام» ، والقصيدة فى مجموعها ليست سوى مجموعة متباينة من الأساطير والملاحظات الأخلاقية والنصائح الفنية والأمثال الشعبية (٢٤) .

أما قصيدة أنساب الآلهة Θεογονια – كما يبدو من عنوانها – فهى عرض مفصل للمراحل التى مر بها العالم من آلهة وبشر ، ففيها يتناول هيسيودوس البدايات الأولى للكون وبداية تكوين العائلة المقدسة ثم يتتبع سلالات الآلهة على اختلاف درجاتها حتى يصل إلى مجموعة عائلات الأبطال . وينقص هذه القصيدة أيضا الوحدة وترابط الموضوع ، وإن كان من الممكن ملاحظة الآلهة والربات حسب الترتيب الزمنى . فحالما ينتهى الشاعر من حديثه عن جيل من الآلهة يبدأ مباشرة فى الحديث عن الجيل الذى يليه – وإن كان يخرج أحيانا عن هذه القاعدة (٢٥) . يبدأ هيسيودوس قصيدته بثلاث مقدمات بسيطة ، ثم يقدم لنا ثلاثة آلهة أزلية متناهية فى القدم : خاؤوس ، الأرض ، الحب . تنجب الأرض السماء الذى (٢٦) ينجب منها بدوره التياتن والكوكلوبيس والمسوخ ذوات المائة يد (٢٧) . وعندما يشعر التياتن بظلم والدهم واستبداده يثورون ضده بتحريض من والدتهم الأرض وتحت قيادة كرونوس . ونتيجة لهذه الثورة تنفصل الأرض عن السماء ، ويصبح كرونوس (الزمن) حاكما للكون . ويعلم كرونوس أن نهايته سوف تكون على يد واحد من أبنائه ، لذلك يبتلع كل طفل تنجبه له زوجته ما عدا الطفل زيوس الذى تنقذه والدته ريا . وعندما يكبر يقهر والده

(٢٤) لعل ذلك قد دفع بعض النقاد نحو الاعتقاد أن هذه القصيدة ليست من نظم شاعرواحد بل هي مجموعة من الأشعار المتفرقة جمعها شخص قد يكون هيسيودوس أو غيره . راجع : - Evelyn White, Op. Cit., pp. xviii-xix; p. xxvi.

(٢٥) كما يظهر في تناوله لأسطورة أبناء يابيتوس : انظر القصيدة سطر ٥٠٧ – ٦١٦ .

(٢٦) أي السماء ، إذ أن السماء ذكر في الأساطير الإغريقية .

(٢٧) راجع ص ١٢٢ أدناه .

مكتبة المهتدين الإسلامية

كرونوس ويقصيه عن العرش (٢٨) . ويضطر كرونوس إلى أن يتقيأ أطفاله الذين ابتلعهم من قبل ، ويتقاسمون العالم مع زيوس ، كما يحدث تماماً بين البشر . ثم يروى هيسيودوس حادثين كان لهما كبير الأثر فى تثبيت ملك زيوس : معركة التياتن (٢٩) والقضاء على التيفويس (٣٠) . ومادام زيوس هو الحاكم الحالى ، فإن الشاعر يستطرد إلى ذكر قائمة من الآلهة أنجبها زيوس من مجموعة من الربات . ثم أخيراً يودع هيسيودوس آلهة الكون وآلهة أولومپوس ويعدد أسماء أبناء أنجبتهم ربات «لرجال من بين أفراد البشر» . ثم يختتم الشاعر قصيدته بدعاء إلى الموسيات لتنشدن عن «عشيرة النسوة» (٣١) .

هكذا قدم لنا القروى الإغريقى البسيط هيسيودوس فى القرن التاسع قبل الميلاد(٣٢) تساؤلات وملاحظات حول كيفية حدوث كل شيء وحاول أن يصل إلى تفسير لكل ظاهرة أو عادة أو شعيرة أو تقليد . ولعله أول إغريقى يفعل ذلك ، إذ أن هوميروس لم يفعل فى الإلياذة والأوديسيا مثلما فعل هيسيودوس فى قصائده . ومن هنا جاءت أهمية هيسيودوس «كصانع» للأساطير الإغريقية .

الأناشيد الهوميرية :

بالإضافة إلى أعمال كل من هوميروس وهيسيودوس ، هناك مجموعة من القصائد مجهولة المؤلف والزمان والمكان . لكن مؤرخى الأدب قد درجوا على وضعها ضمن أشعار الملاحم ، كما اعتادت أغلب المصادر تسميتها «بالأناشيد

(٢٨) راجع ص ١٢٥ أدناه .

(٢٩) راجع ص ١٢٦ أدناه .

(٣٠) Graves, Greek Myths, I. pp. 133 - 4.

(٣١) دفعت هذه الخاتمة إلي الاعتقاد في أن هيسيودوس قد ألحق بهذه القصيدة قصيدة أخري لم يصلنا منها سوي بعض شذرات قليلة – أسماها κατάλογοι كتالوج النساء . قيل إن هيسيودوس ارجع أصل الإغريق جميعا إلي جد واحد . ولقد فضل هيسيودوس أن يكون ذلك عن طريق ذكر الأمهات لا عن طريق ذكر الآباء لسببين : أولهما أن أغلب القبائل والعشائر تدعي أنها تنتمي إلي إله ، لذلك من الأسلم أن يتتبع أصل كل عشيرة أو قبيلة عن طريق امرأة من البشر أحبها ذلك الإله الذي تدعي القبيلة أو العشيرة الانتماء إليه . وثانيهما أن المجتمعات الواقعة في شمال بلاد الإغريق كانت مجتمعات تعترف بأن الأم – وليس الأب – هي مصدر النسب وأن آثار هذه العادات كانت ومازالت قائمة في الأزمنة التاريخية : راجع
Evelyn- White, Op. Cit; pp. xxi - xxii.

(٣٢) Bowra, Landmarks In Greek Literature, pp. 61 - 62.

http://www.al-maktabeh.com

الهوميرية، (٣٣) . إنها مجموعة من الأناشيد تضم ثلاثة وثلاثين نشيداً ، أقدمها قد يرجع تاريخ نظمه إلى أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن السابع ق. م . وأحدثها قد يرجع تاريخه إلى القرن الخامس أو الرابع ق. م (٣٤) . تعتبر هذه المجموعة من القصائد مصدراً مهماً من مصادر الأساطير الإغريقية . ويبدو أن بعض هذه الأناشيد قد نظمت لتنشد بمثابة مقدمة قبل أن يبدأ المنشد فى إنشاد أجزاء من الإلياذة والأوديسيا (٣٥) . كما أنه من الممكن أيضا أن يكون البعض الآخر قد نظم لينشد أثناء احتفالات دينية خاصة بآلهة معينة (٣٦) . إن كل نشيد من هذه الأناشيد موجه إلى إله أو ربة . فمثلا ، نشيد ديميتر ، نشيد أبوللون ، نشيد هرميس ، نشيد ديونوسوس ... وهكذا . فى أغلب هذه الأناشيد يروى المنشد أسطورة الإله الذى نظم النشيد لينشد تكريما له . ففى نشيد ديميتر – على سبيل المثال – يذكر المؤلف كيف اختطف هاديس پرسيفونى ، وكيف حزنت والدتها ديميتر من أجل فراقها ، ثم كيف اعتكفت الربة الأم فى قرية إليوسيس وانتقمت من الآلهة والبشر بأن نشرت القحط وقضت على الزرع . وفى النهاية اضطر زيوس إلى إعادة الابنة المخطوفة إلى والدتها . لكن الابنة لم تعد فانية بعد ، فقد تجرعت كأس الخلود . أصبحت ربة من ربات العالم السفلى لفترة معينة من كل عام – وذلك بعد محاولات متكررة من الإله هاديس(٣٧) . وفى ذكرى ا ختطاف پرسيفونى تحيى الربة ديميتر فى كل عام أعياد إليوسيس الصوفية . ومن هنا يتضح أهمية هذه المجموعة من الأناشيد كمصدر من مصادر الأساطير الإغريقية . بالإضافة إلى هذه المجموعة فإن لدينا مجموعة أخرى من القصائد مجهولة المؤلف والزمان والمكان سار ناظموها على نهج هوميروس وحشدوا تلك القصائد بأساطير الآلهة والأبطال (٣٨) .

(٣٣) Lesky, History of Greek Literature, p. 84.

(٣٤) Evelyn - White, Op. Cit., pp. xxiv sqq; Hamilton, Mythology, p. 22 .

(٣٥) يشير ثوكوديديس (الكتاب الثالث ، فصل ١٠٤) إلي أحد هذه الأناشيد – نشيد أبوللون – بلفظ Προοίμιον أي المقدمة التي تسبق إنشاد الملاحم . مما يعضد هذا الرأي ما نجده في نهايات بعض هذه الأناشيد : في أنشودة هيليوس (الشمس) يختم الشاعر النشيد قائلا «سطور ١٧ – ١٩» : وداعاً أيها السيد ، امنحني بلا حدود ما يدخل البهجة علي القلب . لقد بدأت بمديحك . والآن سوف انتقل إلي تكريم جماعة من البشر هم أنصاف آلهة أظهرت الموسيات مآثرهم لأفراد البشر» .

(٣٦) Evelyn - White, Op. Cit, pp. xxxiv.

(٣٧) انظر الشكل رقم ١ .

(٣٨) Sinclair, History of Classical Literature, pp. 61.

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (١) :

هاديس يختطف پرسيفونى ابنة ديميتر .

http://www.al-maktabeh.com

پنداروس :

وإذ نواصل جولتنا بين مصادر الأساطير الإغريقية نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع واحد من أشهر الكتاب الإغريق الذين قاموا بتسجيل تلك الأساطير . إنه پنداروس Pindaros، أشهر شعراء الشعر الغنائي عند الاغريق. ولد پنداروس في كينوسكفالاي الواقعة غرب مدينة طيبة ولا تبعد عنها بأكثر من نصف ميل . وبذلك فهو مواطن من إقليم بيوتيا . ولد پنداروس في الفترة ما بين عامي ٥٢٢ و ٥١٨ ق.م.(٣٩) عاش حوالي ثمانين عاما ، وتوفي بين عامي ٤٤٢ و ٤٣٨ ق.م . تنسب إليه المصادر القديمة مجموعات ضخمة من القصائد ملأت سبعة عشر مجلداً في عصر الإسكندرية. لم يصلنا من أعماله سوى الأربعة كتب الأخيرة كاملة (٤٠) . كما وصلنا أيضا أجزاء لا بأس بها من بقية كتبه على شكل شذرات مختلفة الحجم . قيل إنه في بداية حياته الأدبية تجاهل استخدام الأساطير في أشعاره ، مما دعا شاعرة بيوتية معاصرة له أن تلفت نظره إلى ذلك (٤١) . عندئذ اندفع پنداروس نحو الأساطير اندفاعاً منقطع النظير ، وبدأ في استخدامها بشكل لافت للنظر حتى انتقده أحد النقاد قائلا : «على من يبذر الحبَّ أن يبذره بيده لا بالكيس كله» (٤٢) . ظل پنداروس يملأ قصائده بالأساطير حتى أصبحت مصدراً من أهم مصادرها . كان پنداروس مغرماً برواية الأساطير أو الإشارة إليها . كان يشعر بالسعادة وهو يتحدث عن أساطير الآلهة وخاصة أپوللون والتوأم پوللوكس Pollux وكاستور Castor وهيراكليس وآل أياكوس . يقول پنداروس في إحدى قصائده : إن قلبي لا يستطيع أن يتذوق قصيدة لا تروي قصة آل أياكوس (٤٣) . الكتب الأربعة التي وصلتنا كاملة من أعمال پنداروس هي

(٣٩) Sandys, Pindar, pp. vii- viii; p. xv.

(٤٠) المجلد الأول أناشيد للآلهة Υμνοι ، الثاني أناشيد للإله أپوللون Παίανα ، الثالث والرابع ديثورامبيات διθύραμβοι ، الخامس والسادس أغاني موكبية Προσόδεια، السابع والثامن والتاسع أغاني العذاري Παρθένεια، العاشر والحادي عشر أغاني راقصة Υπορχήματα، الثاني عشر Εγκώμια ، الثالث عشر مراثي راقصة Θρῆνοι ، ومن الرابع عشر إلي السابع عشر أناشيد النصر Επινίκια . لكن الشاعر الروماني هوراتيوس يذكر أعمال پنداروس ويرتبها ترتيباً مختلفاً (Horace. Carmina, iv, 2) . انظر: ;Sinclair, Op. Cit., pp. 134 - 5; Sandys, Op. Cit., p, 510 .

(٤١) الشاعرة كورينا Corinna .

(٤٢) Plutarch, De Gloria Atheniensium, 4 .

(٤٣) مجموعة القصائد الإسثمية ، القصيدة الخامسة ، سطر ٢٠ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أربع مجموعات من القصائد تعرف باسم أناشيد النصر Επινικια . إنها قصائد كان ينظمها الشاعر تكريما واحتفالا بالأبطال الفائزين فى الألعاب القومية الإغريقية . اعتاد الإغريق إقامة أربعة احتفالات كبرى للألعاب كانت تعرف باسم : الألعاب الأولمپية ، الألعاب البوثية ، الألعاب النيميية ، والألعاب الإسثمية . لذا ، لدينا الآن أربع مجموعات من القصائد تضم كل مجموعة عدداً من القصائد التى نظمها پنداروس تكريماً للأبطال الفائزين فى كل من الاحتفالات الأربعة . سميت كل مجموعة من القصائد باسم الألعاب التى يحتفل الشاعر بفوز أبطالها ، فجاءت كما يلى: مجموعة القصائد الأولمپية ، مجموعة القصائد البوثية ، مجموعة القصائد النيميية ، ومجموعة القصائد الإسثمية (٤٤) .

ابتكر پنداروس بناء خاصاً لقصائد مجموعاته الأربع المعروفة بأناشيد النصر.(٤٥) فلنذكر – على سبيل المثال – القصيدة الأولى من مجموعة القصائد النيميية : نظمت القصيدة لتكريم خروميوس الذى فاز فى سباق العربات ، وموطنه أيتنا Aetna . تبدأ القصيدة بمدح سيراكوز – إذ أن ملك سيراكوز هو الذى أسس مدينة أيتنا – ثم بمدح خروميوس . ثم بإشارة أسطورية إلى جزيرة صقلية – حيث توجد المدينتان سيراكوز وأيتنا – التى منحها زيوس إلى پرسيفونى ووعد أن يجعل أرضها دائما خصبة ، وأن يجعلها دائما موطن الرجال الشجعان . ثم يعود پنداروس مرة أخرى إلى مدح خروميوس ، فيعدد صفاته الحميدة حتى يصل إلى الصفة πολυπονων «الذى يتحمل المتاعب» (٤٦) فينتقل فجأة إلى أسطورة هيراكليس . ويستمر پنداروس فى رواية أسطورة هيراكليس فيتعرض لمولده ، وكيف أرسلت إليه هيرا حيتين لتهاجماه فى مهده ، وكيف قضى عليهما بيديه القويتين ، وكيف استشار والداه العراف تيرسياس فأخبرهما عن مستقبل الطفل الباهر ووصوله إلى مرتبة الخلود(٤٧).

(٤٤) Lesky, History of Greek Literature, pp. 198 - 199 .

(٤٥) Bowra, Landmarks In Greek Literature, p. 109; Rose, Greek Literature, pp. 119 - 120 .

(٤٦) سطر ٣٣ من القصيدة .

(٤٧) راجع ص ٢٩٦ وما بعدها.

http://www.al-maktabeh.com

لقد ملأ بنداروس قصائده بمثل هذه الأساطير (٤٨) . قد تكون الأسطورة فى بعض الأحيان مناسبة لموضوع قصيدته . لكن هناك بعض القصائد التى يظهر فيها بنداروس وقد أقحم الأسطورة على موضوع القصيدة . بل قد تناقض الأسطورة التى يذكرها ما جاء فى بقية القصيدة . ففى القصيدة العاشرة من مجموعة القصائد البوثية– على سبيل المثال – يذكر بنداروس أنه لا يمكن لأى شخص أن يصل إلى أرض الهوبربريوى Hyperboreioi . لكنه يواصل قصيدته قائلا إن البطل برسيوس قد وصل إلى تلك الأرض ، ثم يصف العجائب التى شاهدها برسيوس أثناء وجوده هناك. وفى القصيدة الثانية من مجموعة القصائد الأولومبية يروى بنداروس أسطورة ثم يتحول فى بقية القصيدة إلى موضوع يختلف كل الاختلاف عن الموضوع الذى تهدف إليه تلك الأسطورة (٤٩) .

إن بنداروس ليس إلا واحدا من مجموعة ضخمة من ناظمى الشعر الغنائى الإغريقى . ولقد دأب الشعراء الغنائيون الإغريق على استخدام الأساطير وروايتها والإشارة إليها والاستشهاد بها (٥٠) . لكننا أسهبنا فى الإشارة إلى بنداروس لأن أشعاره التى وصلتنا أكثر من الأشعار التى وصلتنا لأى شاعر غنائى آخر . ولأن بنداروس كان أعظم وأفضل هؤلاء الشعراء جميعاً (٥١) .

شعراء التراچيديا :

علمنا أن بنداروس قد ولد فى الربع الأخير من القرن السادس، وتوفى بعد منتصف القرن الخامس . بذلك يكون بنداروس قد عاصر نشأة التراچيديا الإغريقية وشاهدها وهى فى طريقها نحو الازدهار على يد أيسخولوس وسوفوكليس . من المعروف أن التراچيديا الإغريقية قد ارتبطت منذ نشأتها بعبادة الإله ديونوسوس . فقد

(٤٨) Bowra, Greek Experience, pp. 129 - 30 .

(٤٩) انظر مزيداً من الأمثلة التي تشرح العلاقة بين موضوع القصيدة والأسطورة التي تحتويها القصيدة في . Idem, Landmarks In Greek Literature, pp. 111 - 12

(٥٠) من أشهر الشعراء الغنائيين الذين تناولوا الأساطير : باخيليديس ، أرخيلوخوس، ألكايوس وغيرهم .

(٥١) امتدحه النقاد القدامي والمحدثون . راجع علي سبيل المثال :

Horace Carmina, iv, 2; Quintilian, x, i, 61; Dionysius Halicarnassus, De Compositione Verborum, 22; Sinclair, Op. Cit., p. 139.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تطورت التراچيديا من رقصات الديثورامبوس التى كانت تقدم تكريماً لذلك الإله . وظلت العروض المسرحية منذ نشأتها تقام فى معبد الإله وأثناء احتفالاته السنوية (٥٢). ولقد أثرت هذه النشأة فى موضوع التراچيديا . تناول الكتاب المسرحيون الإغريق قصة الإله ديونوسوس موضوعاً لتراچيدياتهم . بعد ذلك تناولوا قصص الآلهة الأخرى ثم اتجهوا إلى قصص الأبطال . وظل موضوع التراچيديا الإغريقية مستمداً من الأساطير سواء أثناء مراحلها الأولى أو أثناء فترة إزدهارها فى القرن الخامس قبل الميلاد على يد كل من أيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس (٥٣) . وقد سجل لنا التاريخ عناوين أكثر من أربعماية تراچيديا إغريقية تتناول كلها الأساطير كموضوعات لها . كما وصلتنا حوالى اثنتين وثلاثين تراچيديا كاملة كلها تستمد موضوعاتها من الأساطير الإغريقية(٥٤) .

لذا كان من الطبيعى أن يمثل ما كتبه الشعراء التراچيديون الإغريق الثلاثة الكبار – أيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس – مصدراً هاماً من مصادر الأساطير الإغريقية (٥٥) . ولا يتسع المجال لحصر الأساطير التى تناولها هؤلاء الشعراء

(٥٢) انظر كتابنا «المأساة اليونانية» ، ص ٢٣ وما بعدها ، وانظر أيضا :
Lesky, Greek Tragedy, pp. 30 - 39 .

(٥٣) عاش أيسخولوس في الفترة من ٥٢٥ – ٤٥٦ ق.م ، سوفوكليس ٤٩٦ – ٤٠٦ ، يوريبيديس ٤٨٥ – ٤٠٦ .

(٥٤) من بين كل ذلك العدد الضخم من التراجيديات الإغريقية لا نعرف سوي ثلاث تراچيديات فقط استمدت موضوعاتها من أحداث تاريخية معاصرة . الأولي «سقوط ميليتوس» والثانية «الفرس» أو «الفينيقيات» لفرونيخوس ، والثالثة «الفرس» لأيسخولوس . ولم يصلنا منها سوي الثالثة فقط كاملة . انظر كتابنا «النص الكامل لتراجيديا الفرس» ، ص ص ٢٧ – ٣٠ ، انظر Baldry, Ancient Culture And Society, p. 75 .

(٥٥) كتب أيسخولوس حوالي تسعين مسرحية ، وصلنا منها سبع تراچيديات فقط : الفرس . المستجيرات ، سبعة ضد طيبة ، پروميثيوس مغلولا ، أجاممنون ، حاملات القرابين ، ربات الرحمة .

– كتب سوفوكليس حوالي ١٢٠ مسرحية ، وصلنا منها سبع تراچيديات فقط : أياس ، أنتجوني، نساء تراخيس ، أوديب ملكاً ، الكترا ، فيلوكتيتيس ، أوديب في كولونوس .

– كتب يوريبيديس أكثر من ٩٠ مسرحية ، وصلنا منها ثمان عشرة هي : ألكستيس ، ميديا ، هيپولوتوس ، هيكابي ، أندروماخي ، أطفال هيراكليس ، المستجيرات ، الطرواديات ، جنون هيراكليس ، إيفجينيا بين التارويين ، إيون ، هيليني ، الكترا ، الفينيقيات ، أورستيس ، إيفيجينيا في أوليس ، عابدات باخوس ، كوكلوپس .

http://www.al-maktabeh.com

التراجيديون أو كيفية تناولها عند كل منهم . فلقد تعرض هؤلاء الشعراء لجميع الأساطير الإغريقية تقريباً . وإن اختلف كل منهم عن الآخر فى طريقة روايتها (٥٦) . وإن دراسة مفصلة للتراچيديات الإغريقية لتظهر بوضوح مدى تطور الفكر الإغريقى أثناء القرن الخامس قبل الميلاد وموقف الرجل الإغريقى من أساطير قومه التى سبق أن تعرض لها كل من هوميروس وهيسيودوس والشعراء الغنائيين وكتّاب التاريخ والفلاسفة الأوائل (٥٧) .

شعراء الكوميديا :

بالإضافة إلى شعراء التراچيديا الإغريقية . فإن كتّاب الكوميديا أيضا قد استخدموا فى كوميدياتهم الأساطير الإغريقية . بين هؤلاء الشعراء الكوميديين يقف أريستوفانيس عملاقاً ، إذ أنه يعتبر الممثل الوحيد للكوميديا الإغريقية أثناء مرحلتها الأولى . إن أريستوفانيس هو الشاعر الكوميدى الإغريقى الوحيد الذى وصلنا من أعماله عدد لا بأس به من المسرحيات (٥٨) .

عاصر أريستوفانيس كلا من سوفوكليس ويوريبيديس ، كما أنه درس تراچيديات أيسخولوس . عاصر أيضا الفيلسوف سقراط وجماعة السوفسطائيين . كان على اتصال وثيق بالأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية المعاصرة . لم تعد الكوميديا فى عصره تعتمد فى موضوعها اعتماداً كلياً على الأساطير ، بل كانت تعالج الأحداث المعاصرة وتناقش الأفكار السائدة (٥٩) . مع ذلك ، لم تكن الأحداث المعاصرة لأريستوفانيس أو الأفكار السائدة فى عصره قادرة على أن تبعده كثيراً عن الأساطير . لذا نجد كوميدياته مليئة بالأساطير زاخرة بالإشارات والتلميحات الأسطورية . ففى كوميديا الضفادع – على سبيل المثال – يتعرض أريستوفانيس لتسعة من الآلهة الأولمپية الاثنى عشر : زيوس ، بوسيدون ، ديميتر ، أپوللون ،

---

(٥٦) انظر كتابنا «المأساة اليونانية» ، ص ص ٤٧ – ٥٧ ، وانظر أيضاً : Baldry, Op. cit, pp. 77 - 81 .

(٥٧) Bowra Greek Experience, pp. 128 - 9 .

(٥٨) عاش أريستوفانيس في الفترة من ٤٤٥ – ٣٨٥ ق. م . كتب أربعا وأربعين كوميديا لم يصلنا منها سوي إحدي عشرة هي : أهل أخارناي ، الفرسان ، الزنابير ، السحب ، السلام ، الطيور ، ليسيستراتي ، النساء في عيد الثسموفوريا ، الضفادع ، برلمان النساء ، پلوتوس .

(٥٩) Norwood, Greek Comedy, pp. 23 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أرتميس ، هرميس ، أفروديتى ، آريس ، وديونوسوس (٦٠) ، كما يتعرض ايضا لأربعة آلهة صغرى : پان ، پرسيفونى ، پلوتو ، وهيراكليس (٦١) . كما يتعرض أيضا للعبادات الصوفية التى كان يمارسها الإغريق : أسرار إليوسيس ، وأسرار أورفيوس (٦٢). وإن جولة سريعة فى كوميدياته الإحدى عشر التى وصلتنا تؤكد أننا لا نتردد فى اعتبارها مصدراً من مصادر الأساطير الإغريقية .

المؤرخون :

إن كان الشعر الإغريقى – كما رأينا – يشكل مصدراً رئيسياً من مصادر الأساطير الإغريقية ، فإن النثر أيضا يشكل مصدراً لا يقل فى أهميته عن مثيله الشعر. هنا يبرز كاتب رائد من كتاب النثر الإغريقى ، هيرودوتوس ، الذى أطلق عليه لقب والد التاريخ (٦٣) ، ولد هيرودوتوس فى مدينة هاليكارناسوس فى إقليم كاريا الواقع فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى (٦٤) . لكنه اضطر للهجرة من وطنه لأسباب سياسية إلى جزيرة ساموس . حيث أتقن هناك اللهجة الأيونية . ثم تغيرت الظروف السياسية فى هاليكارناسوس فعاد إليها . لكنه ما لبث أن هجرها مرة أخرى إلى مدينة ثوريوى وتوفى هناك (٦٥) . زار هيرودوتوس أماكن كثيرة فى العالم القديم. وعندما وصل إلى أثينا أحبه أهلها . وربما منحوه حق المواطنة . أصبح من الشخصيات المعروفة هناك . قيل إنه كان صديقا للشاعر التراچيدى سوفوكليس (٦٦) .

(٦٠) Stanford, Aristopanes, The Frogs, pp. xviii - xx .

(٦١) اختلف الكتاب والمعلقون حول هيراكليس هل كان بطلا أم إلهاً . راجع حاشية رقم ١٣٢ ص ٤٣٠ أدناه .

(٦٢) راجع نشيد الكورس ، سطر ٣٢٤ وما بعده في كوميديا الضفادع .

(٦٣) أول من أسماه والد التاريخ هو الكاتب والخطيب والسياسي الروماني شيشرون Cicero, de legg., i, 5. وإن كان بعض النقاد والمحدثين ينكر عليه ذلك . راجع Toynbee, Greek Historical Thought, p. xix; Bowra, Landmarks In Greek Literature, p. 163.

(٦٤) لا نعرف تاريخ مولده ، إذ اختلفت المصادر القديمة اختلافاً بيناً حول هذه النقطة . فمثلا يروي أوليوس جيليوس (Aul. Gel., Noctes Atticae, xv, 23, 2) أنه ولد عام ٤٨٤ ق. م. لكن هذه الرواية لم تثبت صحتها، وإن كان من المحتمل أن يكون قد توفي عام ٤٢٥ ق. م . راجع Godly, Herodotus, vol. I, pp. viii sqq. Selincourt, Herodotus, The Histories, p. 7 sqq.

(٦٥) Rose, Greek Literature, p. 299 .

(٦٦) Plutarch, An Seni Respublica Gerenda sit., 785 b.

http://www.al-maktabeh.com

قيل أيضا إن أريستوفانيس قد أشار فى كوميدياته إلى ما كتبه هيرودوتوس (٦٧) . كتب هيردوتوس تاريخ الحروب الفارسية . وعندما قامت حركة النشر فى عصر الإسكندر الأكبر قسم علماء الإسكندرية أعماله إلى تسعة كتب جعلوا عنوان كل كتاب اسم واحدة من الموسيات التسع (٦٨) . أقام هيرودوتوس فى أثينا . اكتسب خبرة واسعة وعلما ودراية بالأساطير الإغريقية وبالتاريخ الإغريقى (٦٩) ، كما أقام فترة فى أيونيا . هذا بالإضافة إلى أن مسقط رأسه هاليكارناسوس كان مركزا للتأثيرات الفارسية . فإذا تذكرنا كل ذلك ، وأضفنا إليه أنه زار مصر وبلاداً أخرى ، نستطيع أن نتخيل مدى الخبرة الواسعة والمعلومات الغزيرة التى كانت لدى هيرودوتوس .

الغرض من كتابة هيرودوتوس لتاريخه هو التأريخ للحروب الفارسية التى قامت بين الفرس وبلاد الإغريق (٧٠) . لكنه لم يسرد الأحداث ويصف المعارك والحروب فقط ، بل حاول فى كل كتاب من كتبه التسعة أن يتتبع نشأة الشعوب التى اشتركت في الحرب وأن يتناول آلهتها وعاداتها ومظاهر مجتمعاتها ووسائل معيشتها . لذا ، جاء تاريخ هيرودوتوس مليئاً بالأساطير ذاخراً بقصص الآلهة والأبطال والملوك . فالكتاب الأول – على سبيل المثال – يتناول العصور المبكرة لتاريخ الفرس . لذلك فهو يتتبع العلاقة بين الفرس والإغريق منذ العصور الأسطورية . يشرح لناهيرودوتوس كيف أن مجموعة من الفينيقيين اختطفوا إيو IO من أرجوس ، فما كان من الإغريق إلا أن اختطفوا يوروپى من صور ، ثم اختطفوا ميديا من كولخيس ؛ عندئذ اختطف باريس هيلينى زوجة منيلاووس . عندئذ نهب الإغريق كل ما استطاعوا أن ينهبوه من آسيا إنتقاما لاختطاف هيلينى . ومن هنا نشأت الكراهية وازداد العداء بين الإغريق والآسيويين . ثم ينتقل بعد ذلك إلى قصة الملك كرويسوس ، ويخلط أثناء

(٦٧) د. وهيب كامل ، هيرودوت في مصر . ص ٧ .

(٦٨) الموسيات هن ربات الفنون والآداب التسع . وهن كما يلي : يوتربي . ثاليا ، ملپوميني ، ترسيخوري ، إراتو ، پولومنيا ، أورانيا ، كاالليوپي ، (هيسيودوس، أنساب الآلهة ، سطر ٧٥ وما بعده) . انظر أيضا : .Zimmerman, Dictionary of Mythology, s. v. Musae

(٦٩) كما أنه شاهد أيضا عروض المسرح التراچيدي وأطلع علي الأشعار الملحمية : راجع . Bowra Op. Cit., pp. 168 - 9 .

(٧٠) Herodot., I, 1.

مكتبة المهتدين الإسلامية

روايته للقصة بين العنصر التاريخي والعنصر الأسطوري ، ثم يواصل روايته فيصف عادات أهل بابل ، ويستطرد في وصفه استطراداً فيأتي وصفاً تفصيلياً رائعاً يدل على سعة أفق الكاتب (٧١) .

ينتقل هيرودتوس إلى الكتاب الثاني فيجد القارئ نفسه فوق أرض الفراعنة ، بناة الأهرام ، على ضفاف النيل الخالد . ويستغرق وصف هيرودوتوس للعادات والتقاليد والآلهة والديانات المصرية أكثر من نصف الكتاب الثاني (٧٢) . ثم يعود مرة أخرى ليصف عهد مينا وخلفائه (٧٣) ، لكننا نجده فجأة يبدأ في رواية جزء من أسطورة هيليني ، وتستمر رواية هذا الجزء من الأسطورة تسعة فصول كاملة من الكتاب . (٧٤) ثم ينتقل إلى قصة رامپسينيتوس (٧٥) . ثم يتحدث عن بناة الأهرام ، ثم عن وضع الأحباش بالنسبة للمصريين ، ثم يتناول عهد الآلهة ، ثم يواصل روايته فيتناول الآلهة الاثنى عشر ، ثم يتحدث عن أسرة بسماتيك ، ثم يعود كعادته – للأساطير فيتعرض لأسطورة أوزوريس ووصف قبره ، ثم يتناول في خاتمة الكتاب قصة أمازيس . هكذا يمتلئ تاريخ هيرودوتوس بالأساطير الإغريقية ، ويجد القارئ نفسه عاجزاً عن التمييز بين التاريخ والأسطورة . وغالباً ما دخلت – بمثل هذه الطريقة– أساطير كثيرة من أبواب التاريخ ، ودخلت الأحداث التاريخية من أبواب الأساطير .

بينما كان هيرودوتوس يسجل خواطره وملاحظاته ويدون التراث الأسطوري والتاريخي في أثينا ، كان هناك كاتب آخر يصغره بحوالي ربع قرن من الزمان يجمع مادة تاريخية استعداداً لكتابة نوع آخر من أنواع التاريخ . إنه الكاتب المؤرخ ثوكوديديس ، الذي اشتهر منهجه في كتابة التاريخ في العصور القديمة والحديثة ، والذي أثر تأثيرا واضحا في علم كتابة التاريخ منذ العصور المسيحية حتى عصر

(٧١) Sinclair, History of Classical Literature, pp. 166 - 175 .

(٧٢) يستمر هذا الجزء حتي الفصل التاسع والتسعين بينما يتكون الكتاب من مائة واثنين وثمانين فصلا .

(٧٣) الفصول ٩٩ – ١١١ .

(٧٤) الفصول ١١٢ – ١٢٠ .

(٧٥) الفصول ١٢١ – ١٢٢ .

http://www.al-maktabeh.com

تويـنـبـى Toynbee (٧٦) . ولد ثوكـوديديس ابن أولوروس من أسرة أثينيـة نبيلة فى حـوالى عـام ٤٦٠ ق. م . (٧٧) تولى بعض المناصب حتى أصبح واحداً من القادة المسئولين أثناء حروب البلوبونيس . لكنه لم يوفق فى الدفاع عن مدينة أمفيبوليس ، فكان جزاؤه النفى إلى ثراقيا حيث مكث هناك حتى انتهت الحرب . عاد بعد ذلك إلى أثينا حيث توفى عام ٤٠٠ ق. م . ودفن فى ترابها (٧٨) . وبالرغم من الفرق البسيط بين عمرى كل من هيرودوتوس وثوكوديديس إلا أن من يقرأ تاريخ كل منهما يشعر بفرق شاسع بينهما فاللهجة التى استخدمها كل منهما فى كتابة تاريخه مختلفة (٧٩) . كما أن منهج كل منهما يختلف عن الآخر (٨٠) . وبينما تناول هيرودوتوس الحروب الفارسية فقط تناول رفيقه الأصغر ثوكوديديس الحروب البلوبونيسية . وبالرغم من هذه الاختلافات واختلافات أخرى لا يتسع المجال لذكرها فهناك صفة مشتركة بينهما ، وهى وجود الأساطير الإغريقية بين ثنايا التاريخ. ففى الكتاب الأول - مثلاً - يتعرض ثوكوديديس لنشأة القومية الأتيكية ويتتبع الهجرات المتعددة ، ويتعرض للحروب الطروادية ، وذلك ليصل إلى أسباب الصراع الحقيقية بين أثينا وجيرانها .

الفلاسفة :

لاحظنا أن ما كتبه شعراء الإغريق ومؤرخوهم ذاخر بالأساطير . فإذا ما تركنا الشعر والتاريخ واتجهنا إلى الفلسفة فسوف نجد أنفسنا فى مجال شاسع ، وطريق متعرج ، ملئ بالمتاهات ، وذاخر بالأفكار والتأملات . لكن مهمتنا هنا تجعلنا نعبر بسرعة فائقة ذلك المجال الفلسفى . وبالرغم من ذلك نجد أنفسنا فى نفس الوقت مضطرين إلى وقفة قصيرة عند مؤلفات واحد من أشهر المفكرين الإغريق ، الذى يعتبر واحداً من أعظم رواد الفكر فى الشرق والغرب . لا نستطيع أن نعدد مؤلفات

---

(٧٦) Bowra, Landmarks In Greek Literature, pp. 188 - 9 .

(٧٧) Rose, Greek Literature, p. 302 .

(٧٨) اختلفت الروايات حول مكان وفاته . قيل إنه مات في إيطاليا أو ثراقيا ، أو أثينا . انظر Rose, Op. Cit., p. 303 n. 165 .

(٧٩) استخدم هيرودوتوس اللهجة الأيونية بينما استخدم ثوكوديديس اللهجة الأتيكية القديمة التي تشبه لغة التراجيديا وإن ظهرت بعض التراكيب الأيونية في أجزاء متفرقة وقليلة من تاريخه .

(٨٠) لعل من أدخل ما يعرف الآن باسم «فلسفة التاريخ» هو المؤرخ ثوكوديدس ، بينما نهج هيرودوتوس في كتابته لتاريخه منهج كتاب «القصة التاريخية» .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أفلاطون ، فإن مؤلفاته تفوق الحصر . ولا نستطيع عرض جميع الموضوعات التى تناولها فى مؤلفاته . فقد كتب فى كل فروع المعرفة تقريبا . كتب أفلاطون فى السياسة والدين والاجتماع والأدب والفن والنقد والعلوم والخطابة ، ولم يترك فرعاً من فروع المعرفة دون أن يتعرض له . لذلك جاءت محاوراته موسوعة فكرية (٨١) . وبالطبع لم تخل هذه الموسوعة من الأساطير الإغريقية .

ضمّن أفلاطون عدداً ضخما من الأساطير الإغريقية فى محاوراته الشهيرة(٨٢). فمثلا ، يلتقى سقراط وفايدروس فيروى الأول لمحدثه أسطورة الجنادب(٨٣) . عندما وجدت الموسيات وظهر الشعر لأول مرة استولى حب الشعر على بعض أفراد البشر ، فظلوا يغنون وينشدون طول الوقت غير عابئين بالجوع أو العطش . وذبل عودهم ، فماتوا . عندئذ ، حولتهم الموسيات من بشر إلى جنادب . ومنذ ذلك الوقت أصبح الجندب يقضى حياته مغنيا ، لايشعر بالجوع أو العطش . وعندما يموت أحد الجنادب فإنه يذهب إلى الموسيات فى السماء ويخبرهن بأسماء من يبجلونهن على وجه الأرض . فى محاورة أخرى (٨٤) يستشهد أفلاطون بإحدى أساطير الخلق : كيف طلب كبير الآلهة من بروميثيوس وأخيه إبيميثيوس أن يخلقا البشر على وجه الأرض وأن يمنحاهم صفات بشرية مناسبة (٨٥) . ثم يشير إلى نفس الأسطورة فى محاورة أخرى عندما يروى كيف كان الموتى يحاسبون وهم يرتدون ملابسهم بينما كان القضاة الذين يحاسبونهم أيضا يرتدون ملابسهم . ثم يشرح كيف جعل زيوس – بناء على طلب من إله العالم السفلى پلوتو – الموتى والقضاة يتجردون من ملابسهم أثناء الحساب ، وكيف عين زيوس ثلاثة من أبنائه قضاة يحاسبون الموتى : مينوس من كريت ، ورادامانثوس من آسيا وأياكوس من أوروبا (٨٦) . ثم يذكر فى محاورة

(٨١) ولنفس السبب اختلف النقاد والدارسون حول تواريخ أعماله المتعددة ، بل تطرق الشك أيضا حول نسبة أغلبها إلي أفلاطون . راجع علي سبيل المثال : Taylor, Plato, The Man and His Work, pp. 10 - 22 .

(٨٢) Bowra, Greek Experience, p. 132 .

(٨٣) الجنادب : جمع جندب وهونوع من الحشرات يشبه الجراد يعيش بين المزارع الخضراء . راجع أفلاطون ، محاورة فايدروس ، ٢٥٩ .

(٨٤) محاورة بروتاجوراس ، ٣٢٠ وما بعده .

(٨٥) راجع ص ٦٤ أثناه .

(٨٦) محاورة جورجياس ، ٥٢٣ وما بعده .

http://www.al-maktabeh.com

ثالثة(87) قصة البطل إر Er بن أرمينيوس البامفيلي ، الذى استشهد أثناء القتال ثم عاد مرة أخرى إلى الحياة . ووصف البطل لرفاقه ما رآه فى العالم الآخر ، كيف يعيش أورفيوس ، ثاموراس ، أياس ، أجاممنون ، أودوسيوس وغيرهم . والأمثلة متعددة تفوق الحصر ، لكن المجال لا يسمح بذكر أكثر من ذلك .

أدباء الإسكندرية :

بعد ما ساد الجيش المقدونى بقية بلاد الإغريق ، اتجه جنوباً نحو الشاطئ الشمالى لإفريقيا . استولى القائد المقدونى الشاب الإسكندر على مصر . وقع اختياره على مكان مطل على البحر المتوسط . هناك أسس مدينة سميت من بعده بالإسكندرية . إننا لا نعلم إن كان الإسكندر قد أراد – أو لم يرد – أن تكون المدينة الجديدة عاصمة لحكمه . لكنها سرعان ما أصبحت ذات أهمية كبيرة فى عهده ، وظلت أهميتها تزداد حتى أصبحت عاصمة حكم البطالمة – بدلا من ممفيس – فى عهد بطلميوس الأول . واصلت مدينة الإسكندرية ازدهارها حتى أصبحت مركزا للعلم والأدب والثقافة فى عهد بطلميوس الثانى وبطلميوس الثالث . انتزعت الإسكندرية الزعامة الأدبية من كل مدن بلاد الإغريق . أصبح كل عمل أدبى ظهر أثناء فترة ازدهارها ينسب إليها حتى لو كان صاحبه لا يعيش فيها ولا ينتمى إليها . هنا ظهر ما يعرف بالعصر السكندرى للأدب . عاش فى العصر السكندرى أدباء وشعراء نالوا شهرة واسعة .

ولد أپوللونيوس الرودسي Appollonius Rhodius عام ٢٩٥ ق . م . تقريبا ، وعاش فى مدينة الاسكندرية أو فى مدينة ناوكراتيس . لكنه سمى بالرودسى لأنه أعتكف فى جزيرة رودوس Rhodus بعض الوقت لكى يتفرغ لنظم قصيدته الملحمية الخالدة رحلة السفينة أرجو Argonautica . ثم عاد مرة ثانية إلى رودوس وبقى بها حتى نهاية عمره(88) . وصف أپولونيوس تلك الرحلة الشاقة التى قطعتها السفينة أرجو إلى كولخيس ، بحثاً عن الفروة الذهبية ، مارة ببحر مرمرة Propontis والبحر الأسود (الكتاب الأول والثانى) ثم الحصول على الفروة الذهبية بمساعدة ميديا (الكتاب الثالث) ، ثم العودة من كولخيس مارة بنهر الدانوب ، ثم نهر الپو ، ثم نهر الرون ، ثم البحر المتوسط، ثم شمال أفريقيا (الكتاب الرابع) . تعرض أپوللونيوس

(٨٧) محاورة الجمهورية ، ٦١٧ وما بعده .

(٨٨) Rose, Op. Cit., pp. 323 - 326 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالتفصيل فى ذلك القصيد الملحمى لقصة البحث عن الفروة الذهبية ، والعقبات التى اعترضت طريق ركاب السفينة أرجو ، والمحاولات اليائسة التى بذلها ياسون من أجل تحقيق الهدف من البعثة ، وكيف وقعت ميديا فى حب البطل ياسون ، ومساعدته للحصول على الفروة الذهبية ، والفرار من كولخيس . بالإضافة إلى ذلك ، فقد تعرض أبوللونيوس أثناء روايته لأسطورة ميديا لأساطير إغريقية متعددة ، مما يجعل قصيدته مصدراً رئيسيا من مصادر الأساطير الإغريقية .

إلى أعمال أبوللونيوس الرودسى يمكن أن نضيف أيضاً أعمال ثلاثة شعراء آخرين من عصر الإسكندرية : ثيوكريتوس Theocritos ، بيون Bion ، موسخوس Moschos .

ثيوكريتوس السيراكوزى هو الذى بعث فن كتابة الميمية (٨٩) فى صورة جديدة ، والذى يعتبر أفضل من نظم الأشعار الرعوية والمليحمات (٩٠) . بدأ ثيوكريتوس نظم الشعر فى مسقط رأسه سيراكوز ، لكنه لم يجد تشجيعا هناك . هاجر إلى شرق البحر المتوسط . عاش فترة فى جزيرة كوس Kos ثم زار الإسكندرية حيث قامت بينه وبين أهلها صداقة ومودة . بالرغم من أن ثيوكريتوس كان يكتب فى موضوعات متعددة ، إلا أن أعمـاله مليئـة بالأساطيـر والإشـارات الأسطورية . تناول فى اثنتين من مليحماته- مثلا - حادثين من الأحداث التى ذكرها أبوللونيوس الرودسى فى الأرجوناوتيكا : فقدان هولاس Hylas ، والقتال مع أموكوس Amykos (٩١) . كما نظم أيضا مليحمة ، وصف فيها زواج هيلينى ، وأخرى تعرض فيها لطفولة هيراكليس، وثالثة وصف فيها صراع هيراكليس مع أسد نيميا (٩٢) . وهناك ميمية -

(٨٩) الميـمـيـة μιμos ، نوع من الأشعار التمثيلية الغنائية الراقصة ، التي كانت تنظم في هيئة حوار.

(٩٠) المليحمة επυλλιον (وهي تصغير لكلمة ملحمة επos) أي الملحمة الصغيرة . هي قصيدة روائية ظلت نوعاً معروفا من أنواع الأدب منذ عصر الشاعر السكندري ثيوكريتوس حتي عصر الشاعر الروماني أوڤيديوس . يتراوح طول القصيدة بين مائة وستمائة بيت . كان موضوعها في العادة مستمداً من حياة شخصية أسطورية وغالباً ما كان الحب هو الفكرة التي يدور حولها موضوع القصيدة .

(٩١) Epyllion no. xiii and no. xxii respectively.

(٩٢) Epyllion no. xviii; xxiv; no. xxv respectively.

هناك شك حول صحة نسب الثالثة إلي شاعرنا ثيوكريتوس ، كما أنها وصلتنا غير كاملة .

http://www.al-maktabeh.com

على سبيل المثال – يصور فيها ثيوكريتوس كيف تحدى دافنيس الربة أفروديتى وكان مصيره الموت (٩٣) ، وأخرى يصور فيها الكوكلوپس پولوفيموس وقد وقع فى حب حورية الماء جالاتيا (٩٤) . ونختتم هذه الأمثلة القليلة بميمية أخرى تشير إلى أسطورة أدونيس وأفروديتى (٩٥) .

لم تصلنا أغلب أعمال الشاعر السكندرى موسخوس ، لكن القدر الضئيل الذى وصلنا يؤكد أن موسخوس قد عالج الأساطير إلى حد ليس بقليل . ففى إحدى مليحماته- بعنوان يوروپى Europe – يروى كيف أحب زيوس الفتاة يوروپى ، وكيف صمم على اغتصابها وكيف أنه – من أجل تحقيق غرضه – اتخذ هيئة ثور جميل ، وظل يقترب منها شيئا فشيئا . عندئذ ، أعجبت يوروپى بالثور ، وركبت فوق ظهره فانطلق الثور بالفتاة حتى وصل كريت ، وهناك اغتصبها . ويصور فى مليحمة أخرى حوارا بين ميجارا – زوجة هيراكليس – وألكمينى – والدته . ويصف ، عن طريق ذلك الحوار ، الآلام التى قاساها كل من ميجارا وألكمينى وهيراكليس وقلق المرأتين على مستقبل هيراكليس وشقيقه إيفيكليس .

وصلنا أيضا قدر ضئيل من أشعار الشاعر الثالث بيون . من أهم ما وصلنا قصيدة عن أدونيس (٩٦) ، وأخرى عن أخيليوس . هذا بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الشذرات والقصائد القصيرة لشعراء آخرين ينتمون إلى عصر الإسكندرية مثل كاليماخوس ولوكوفرون وأراتوس .

أثناء جولتنا يستوقفنا كاتب سكندرى ولد عام ١٨٠ ق.م . تقريبا . لكنه ترك الإسكندرية وهو فى الثلاثينيات إلى پرجاموم ، ثم إلى أثينا ، حيث قضى بقية حياته . ذلك الشاعر هو أپوللودوروس Apollodorus . من بين مؤلفاته (٩٧) يبرز كتاب بعنوان «المكتبة Bibliotheca» كمصدر هام من مصادر الأساطير الإغريقية . فالكتاب بأكمله دراسة للأساطير الإغريقية . كما يبرز أيضا كتاب بعنوان «عن الآلهة» حيث يقوم أپوللودوروس بدراسة مستفيضة لعقيدة الإغريق .

(٩٣) Mime no. i.

(٩٤) mime no. xi .

(٩٥) mime no. xv .

(٩٦) راجع ص ١٠٩ أدناه .

(٩٧) من أعمال أپوللودوروس : الترتيب الزمني χρονικη συνταξις ، المكتبة βιβλιοθηκη، عن الآلهة Περι θεων ، عن الأرض Περι γης .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم يستوقفنا أيضا فى القرن الثانى الميلادى كاتب إغريقى يحتمل أنه من مواليد منطقة لوديا ، وهو پاوسانياس Pausanias . كان پاوسانياس رحالة مهتما بالجغرافيا ، فخلف وراءه مؤلفاً ضخما بعنوان «وصف بلاد الإغريق»(٩٨) تناول فيه بالدراسة مناطق أتيكا وميجارا وأرجوليس ولاكونيا وميسينيا وإليس وأولومپيا وأخايا وأركاديا وبيوتيا وفوكيس ودلفى وغيرها . يستعرض پاوسانياس فى كتابه تاريخ كل منطقة وجغرافيتها والمناطق المجاورة ، ثم يتناول العبادات والعادات والأساطير التابعة للمنطقة . لقد كان پاوسانياس مغرماً بوصف الأطلال التاريخية والدينية مما جعل كتابه مصدراً رئيسياً من مصادر الأساطير الإغريقية .

تستمر جولتنا بين أهم مصادر الأساطير الإغريقية أثناء القرن الثانى الميلادى حيث نقابل كاتباً ليس إغريقى المولد ، لكنه أتقن اللغة اليونانية ، ودرس الفكر الإغريقى ، وعاش فترة فى بلاد الإغريق ، كما زار مصر وبلدان أخرى . لذا نجده قد استخدم لغة الإغريق فى كتاباته . إنه لوكيانوس الساموساتى Lucianus الذى تأثر تفكيره بالفكر الإغريقى (٩٩) . كتب لوكيانوس فى موضوعات متعددة : بلاغية وفلسفية وتاريخية ، كما حاول كتابة الشعر والتراچيديا . استخدم لوكيانوس فى أعماله المتباينة أساطير إغريقية متعددة كما أشار إشارات سريعة إلى أساطير أخرى .

لا نستطيع أثناء جولتنا بين مصادر الأساطير الإغريقية أن نتجاهل ذكر روائى عاش فى القرن الثانى الميلادى وصاغ أفكاره باللغة اللاتينية ، إنه المؤلف الأفريقى أپوليوس Apuleius . ولد فى مدينة مادورا ، وهى مستعمرة رومانية كانت واقعة داخل حدود مراكش (١٠٠) . درس أپوليوس فى كورنثا وأثينا وروما ، كما طلب العلم فى مناطق متعددة مثل آسيا الصغرى ومصر . اشتهر أپوليوس بروايته التى كتبها بعنوان «التغييرات» أو «الحمار الذهبى» (١٠١) . استخدم أپوليوس فى هذه الرواية

(٩٨) وصف بلاد الإغريق περιήγησις τῆς Ἑλλάδος .

(٩٩) عاش في الفترة من ١٢٠ إلي ١٨٠ م تقريبا ، ويحتمل أنه كان من أصل أسيوي ، أو سوري علي وجه التحديد : . Rose, Greek Literature, pp. 417 - 18 .

(١٠٠) Robert Graves, Apuleius, The Golden Ass, p. 15 .

(١٠١) انظر مقالنا عن هذه الرواية في العدد ١٥١ من مجلة «المجلة» الصادر في أول يوليو ١٩٦٩ ، ص ص ٥٢ – ٦٤ ، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر) .

http://www.al-maktabeh.com

أساطير إغريقية متعددة ، كما ضمنها قصة كيوپيد وسايكى ، وهى أسطورة شهيرة يعتبر أپوليوس المصدر الوحيد الذى رواها بالتفصيل (١٠٢) .

الأدباء الرومان :

هناك مجموعة أخرى من الأعمال الأدبية التى صاغها مؤلفوها الرومان باللغة اللاتينية ، والتى لا غنى عنها أيضا كمصدر من مصادر الأساطير الإغريقية . فالفكر الرومانى يقوم إلى حد كبير جداً على الفكر الإغريقى . ولعلنا لا ننسى فى هذا المجال الشاعر الرومانى هوراتيوس حين يعترف صراحة أن الرومان هزموا الإغريق عسكريا فى الوقت الذى هزم الإغريق الرومان فكرياً وأدبياً (١٠٣) .

على رأس قائمة الشعراء الرومان يقف الشاعر الرومانى ڤرجيليوس بأعماله الخالدة ومقدرته الفائقة . ولد ڤرجيليوس عام ٧٠ ق.م . فى إحدى قرى إقليم مانتوا(١٠٤) . تلقى دراسته فى مدارس كريمونا وميلانو ، ثم انتقل فى صدر شبابه إلى روما . فى عام ٣٧ ق.م نشر ڤرجيليوس مجموعة قصائده الأولى تحت عنوان الرعـويات Bucolica . فى عام ٢٩ ق.م . نشر مجموعته الثانية تحت عنوان الزراعيات Georgica . ثم اعتكف ڤرجيليوس عن الحياة الاجتماعية وبدأ فى نظم أروع أعماله ، بل أروع عمل أدبى خلفه الإغريق والرومان بعد الإلياذة والأوديسيا . ذلك العمل الضخم هو ملحمة الأينيدة التى ظل يعمل فيها مدة إحدى عشر سنة(١٠٥)، ثم توفى عام ١٩ ق.م . قبل أن يراجعها (١٠٦) . يقول الشاعر الرومانى پروپرتيوس – بعد أن قرأ بعض فقرات من الأينيدة قبل أن ترى النور – : إنه (ڤرجيليوس) الآن يبعث الحياة فى قوات آينياس الطروادية ، وفى أسوار المدن التى أقامها على شواطئ لاڤينيوم . فلتستسلموا أيها الكتاب الرومان ، ولتستسلموا أيها الكتّاب الإغريق ، فإن شيئا أضخم من الإلياذة على وشك أن يولد (١٠٧) . إن أعمال ڤرجيليوس – وخاصة الأينيدة

(١٠٢) انظر مقالنا عن هذه القصة في العدد ١٥ من مجلة «الجديد» الصادر في ١٥ أغسطس ١٩٧١، ص ص ٨ – ١١ القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

(١٠٣) Horace, Carmina, II, 3. 136 .

(١٠٤) انظر مقدمتنا للإنيادة ، الجزء الأول ، ص ٢٤ وما بعدها .

(١٠٥) Donatus, Vita Vergili, 25 : Aenida XI perfecit annis.

(١٠٦) انظر مقدمتنا للأنيادة ، الجزء الأول ، ص ٣١ .

(١٠٧) Propertius, II, 34, 63 - 6 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

– ذاخرة بالأساطير الإغريقية . فلقد جمع ڤرجيليوس فى هذه الملحمة بين ما جاء فى كل من الإلياذة والأوديسيا . يروى فيها أساطير إغريقية متعددة عن الحروب الطروادية وآلهة الإغريق والربات والحوريات والأبطال والبطلات . كما أنه قدم فيها عرضاً مفصلا للعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية حتى كادت تضارع الإلياذة والأوديسيا كمصدر من مصادر الأساطير الإغريقية .

إن ما كتبه الشاعر الرومانى أوڤيديوس (١٠٨) لا يقل أهمية عن ما كتبه معاصره ڤرجيليوس فيما يتعلق بموضوع الأساطير الإغريقية (١٠٩) . ولد أوڤيديوس فى بلدة سولمو Sulmo ، وتلقى تعليمه فى روما ، ثم أكمله فى أثينا . نظم مجموعات كثيرة من قصائد متعددة الأغراض (١١٠) كل مجموعات أوفيديوس زاخرة بالأساطير الإغريقية (١١١) ، بل إن أغلبها يقوم فيه الموضوع الرئيسى على الأسطورة . فمجموعة قصائد البطلات Heriodes – على سبيل المثال – هى مجموعة رسائل بعثت بها مجموعة من النساء أغلبهن يعشن فى عصر الأساطير . ومجموعة قصائد فن الحب Ars Amatoria تحتوى على عدد كبير من الإشارات الأسطورية (١١٢) . ومجموعة قصائد التغييرات Metamorphoses (١١٣) ليست سوى مجموعة من الأساطير الإغريقية – وبينها بعض قصص رومانية – تروى التغير الذى طرأ على هيئة عدد من الكائنات . ينقل أوڤيديوس الأساطير التى وردت فى هذه المجموعة عن الشعراء وكتاب التراجيديا الإغريق وعن ڤرجيليوس (فيما يختص بالجزء الأخير من المجموعة) . ومجموعة التقاويم Fasti ذاخرة أيضا بالأساطير وخاصة الجزء الثانى وهو الجزء التاريخى والثالث وهو الجزء الدينى .

(١٠٨) عاش في الفترة من ٤٣ ق. م إلي ١٧ م .

(١٠٩) لم يكن أوڤيديوس معاصراً لڤرجيليوس بالمعني الحرفي للكلمة ، إذ أن الأول كان يصغر الثاني بحوالي سبعة وعشرين عاماً . لكن أوڤيديوس يقول (Tristia, 4, 10, 51) إنه رأي ڤرجيليوس .

(١١٠) من أعمال أوڤيديوس : faciei femineae, Heroides, Amores. Remedia Amoris, Ars Amatoria , Medicamina, Ibis. Epistulae ex ponto, Tristia, fasti, Metamorphoses Nux, Halieutica وغيرها من قصائد لم تصلنا .

(١١١) نقل أغلب الكتّاب والشعراء الأوربيون (شكسبير ، شيلي ، تنيسون وغيرهم) الأساطير الإغريقية عن أوڤيديوس .

(١١٢) ظهرت لهذه المجموعة ترجمة عربية تحت عنوان «*فن الهوي*» ترجمة د. ثروت عكاشة .

(١١٣) ظهرت لهذه المجموعة ترجمة عربية تحت عنوان «مسخ الكائنات» ترجمة د. ثروت عكاشة .

http://www.al-maktabeh.com

تستمر جولتنا بين المصادر الرومانية للأساطير الإغريقية فنلتقى بشاعرين : هوراتيـوس (١١٤) Horatius الذى ولد عـام ٦٥ ق. م. فى أپوليا ، وكـاتوللوس (١١٥) Catullus الذى ولد عـام ٨٤ ق. م . فى ڤيرونا . لقد استـخـدم كـلاهمـا الأسـاطيـر الإغريقية ، ووردت فى أعمالهم إشارات أسطورية كبيرة العدد ، وإن كانت أعمالهما كمصدر من مصادر الأساطير الإغريقية لا تصل فى أهميتها إلى ما تصل إليه أعمال كل من ڤرجيليوس وأوڤيديوس .

لقـد طالت جـولتنا بين مـصـادر الأساطيـر الإغـريقيـة ، ومع ذلك لم يكن من الممكن أن نطوف بكل المصادر . فلقد وصلتنا أيضا مجموعة هائلة مما كتبه المعلقون وكتاب الموسوعات والناشرون والمحققون القدامى فى العصور الإغريقية والرومانية . كما وصلتنا أيضا مجموعة من الأعمال الفنية من نقوش وتماثيل وفسيفساء يمكن عن طريقها الحصول على تفاصيل ذات فائدة عظيمة فى مجال الأساطير . لذا ، مـهمـا طالت جولتنا ، فلن نستطيع – فى هذا المجال – أن نطوف بجميع مصادر الأساطير الإغريقية .

* * * * *

(١١٤) من أهم أعـمـال هـوراتيـوس : Satirae, Carmina (Odes) Iambi (Epodes), Carmen Saeculare, Ars Poetica (Epistula ad Pisones), Epistulae.

(١١٥) أهم أعماله مجموعة من قصائد في الحب وإبجرامات وقصائد غنائية يبلغ ما وصلت منها حوالي ١١٦ قصيدة . انظر : Cornish, Catullus, passim; Havelock, Lyric Genius of Catullus, passim .

مكتبة المهتدين الإسلامية

النظريات المختلفة حول تفسير الأسطورة الإغريقية

تعرضت الأسطورة الإغريقية للنقد والدراسة منذ فجر الحضارة الإغريقية . أنبرى من بين الكتاب الإغريق مَنْ حاول دراسة الأسطورة : ما هى ؟ ما أصلها؟ ماذا تعنى ؟ تعددت الآراء واختلفت النظريات وتباينت التفسيرات . ولعلنا الآن نبدأ جولة أخرى بين مَنْ حاولوا تفسير الأساطير الإغريقية (١١٦) بعد أن انتهينا من جولتنا بين من سجلوا تلك الأساطير .

العصور الإغريقية :

مع بداية جولتنا نلتقى بأول ناقد إغريقى للأساطير وهو كسينوفانيس الكولوفونى Xenophanes (٥٧٠ – ٤٧٩ ق. م.) الذى ينتمى إلى أيونيا ، والذى قضى حياته منفياً فى صقلية ثم فى إيليا الواقعة فى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية . نظم كسينوفانيس مجموعة من القصائد لم يصلنا منها سوى بضع شذرات . هاجم فى أشعاره ظاهرة تعدد الآلهة التى سادت الأساطير الإغريقية ، كما أنه لم يرض عن ناسوتية الآلهة الإغريقية (١١٧) . يقول كسينوفانيس : هناك إله واحد ، عظيم بين الآلهة والبشر ، لا يشبه البشر فى هيئته أو تفكيره ... ومع ذلك فإن البشر يتخيلون أن الآلهة قد ولدت ذات ملابس بشرية وأصوات بشرية وأجساد بشرية . وهكذا ، فلو كان للثيران أو للأسود أو للخيول أياد يرسمون بها لرسموا آلهتهم فى صور تشبه صورهم وصوروها ذات أجساد تشبه أجسادهم (١١٨) . هكذا لا يرضى كسينوفانيس عن الهيئة الناسوتية التى ينسبها الإغريق لآلهتهم .

هناك أيضا ثياجينيس الريجى Theagenes الذى يعتبر صانع نظرية هامة من النظريات التى نشأت حول تفسير الأساطير . نادى ثياجينيس بضرورة معالجة

(١١٦) Spence, Introduction to Mythology. pp. 40 sqq.

(١١٧) Bowra, Landmarks In Greek Literature, pp. 160 - 61 .

(١١٨) Xenophanes, frag. 24 . انظر الشكل رقم ٢ .

http://www.al-maktabeh.com



شكل رقم (٢) :

الفرق بين آلهة الإغريق والآلهة المصرية القديمة من ناحية الشكل.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأسطورة كقصة مجازية لا كرواية أدبية . يرى ثياجينيس – مثلا – أن المعارك التى دارت بين الآلهة من أجل اكتمال خلق الكون ليست إلا تصويرا مجازياً للصراع الدائر بين العناصر المختلفة التى يتكون منها الكون . فالإله هيفايستوس وأپوللون – مثلا – فى نظر ثياجينيس – يمثلان عنصر النار ، وهيرا زوجة زيوس تمثل عنصر الهواء ، وپوسيدون إله البحر يمثل عنصر الماء ، وأرتميس تمثل القمر . كما حاول ثياجينيس أيضا إثبات أن بعض الآلهة الإغريقية تمثل قيما أخلاقية أو عقلانية وذلك عن طريق دراسة لغوية لأسماء تلك الآلهة .

هناك أيضا فريكوديس السورى (١١٩) Pherekydes (القرن السادس ق. م.) الذى خلط بين الأسطورة والقصة المجازية والعلم حين كتب عن الطبيعة والآلهة . يرى فريكوديس أن عناصر النار والهواء والماء نشأت من كرونوس Cronos وهو الزمن ، ثم نشأت الآلهة فيما بعد من تلك العناصر الثلاثة . هكذا نرى أن الزمن – فى رأى فريكوديس – هو أصل العناصر التي منها اكتسب الآلهة وجودهم ، وهى فكرة جريئة إذا ما قورنت بالأفكار التى كانت سائدة بين إغريق القرن السادس قبل الميلاد(١٢٠) .

نقابل أثناء جولتنا مجموعة أخرى من مفسرى الأساطير . هيكاتايوس الميليتى Hecataeus (٥٥٠ – ٤٧٦ ق. م . تقريبا) الذى قد يعتبر أول من ميَّز بين الأسطورة والحقيقة التاريخية (١٢١) . الفيلسوف سقراط (٤٧١ – ٣٩٩ ق. م. تقريباً) الذى حاول أن يوضح كيف يمكن التوصل إلى كنه طبيعة الكائنات المقدسة عن طريق تحليل أسمائها . السوفسطائى پروديكوس Prodicus (ولد عام ٤٦٥ ق. م. تقريباً) الذى يرى أن فى البداية ظهرت القوى العظيمة ذات النفع العظيم للجنس البشرى – كالنيل مثلا – ثم ظهر بعد ذلك الأشخاص المقدسون الذين أسدوا خدمات جليلة للجنس البشرى . فريكوديس الليرى Pherekydes (منتصف القرن الخامس ق. م.) الذى

(١١٩) نسبة إلي جزيرة سورس Σύρος (سورا Σύρα الحديثة) وهي إحدي جزر الكوكلاديس .

(١٢٠) Spence, Op. Cit., pp. 41 - 2 .

(١٢١) Bowra Op. Cit., pp. 162 - 3 .

http://www.al-maktabeh.com

حوّر بعض الأساطير الإغريقية كي تتلاءم مع المعتقدات الشعبية عند الإغريق (١٢٢) .
إفوروس Ephoros (٤٠٠ – ٣٣٠ ق. م.) الذى تناول الأساطير كأحداث تاريخية .

لكننا نجد أنفسنا مضطرين إلى وقفة أطول عند واحد من أهم من فسروا الأساطير فى العصور الإغريقية ؛ إنه يوهيميروس Euhemeros الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد أثناء حكم الملك المقدونى كاساندر Cassander . إنه يشبه – إلى حد ما – إفوروس فى اعتقاده أن الأسطورة ليست إلا تاريخاً مقنعاً . فالآلهة كانت فى بادئ الأمر رجالا ، ومع مرور الزمن وبعد فترات من التمادى فى الخيال اكتسب هؤلاء الرجال عظمة وجلالا وتغيرت أشكالهم حتى تحولوا إلى أرواح مقدسة (١٢٣). هكذا كانت الآلهة شخصيات عظيمة بين أفراد جيلهم ثم قدسهم أفراد الأجيال التالية . ولقد اعتنق عدد ضخم من الكتاب والدارسين مذهب يوهيميروس ، ونالت نظريته شهرة واسعة . روّج لهذه النظرية بين الرومان الكاتب المعروف إنيوس Ennius (٢٣٩ – ١٦٩ ق. م.) فأصبحت على درجة كبيرة من الشهرة (١٢٤) .

ألقى الفلاسفة الرواقيون والأفلوطينيون بدلوهم أيضا(١٢٥) . فلقد حاول بلوتارخوس (٤٦ – ١٢٠ م) جاهداً أن يجعل الأساطير تبدو فى صورة أكثر وضوحاً وجلاء وذلك عن طريق تفسيرها «ذرائعياً» (١٢٦) . كما رأى بلوتارخوس أيضا أن آلهة الإغريق كانت فى بادئ الأمر ملوكا أو رجالا عاديين . حاول البعض الآخر من هؤلاء الفلاسفة تفسير الأساطير تفسيرا سيكولوچيا (أى نفسيا) ، إذ اعتقدوا أن الأسطورة تمثل المراحل المختلفة التى يجب أن تمر بها النفس البشرية . رأت فئة ثالثة من الفلاسفة الرواقيين فى الأساطير إشارات إلى الظواهر الطبيعية . على ذلك يمكن القول أن المجموعة الأولى من الفلاسفة (الذين يتبعون المذهب الذرائعى) تجد فى

(١٢٢) لذلك يمكن استبعاده من قائمة الكتاب الذين فسروا الأساطير الإغريقية . انظر Spence, Op. Cit., p. 42 .

(١٢٣) Highet, The Cassical Tradition, p. 520.

(١٢٤) Rose, Latin Literature. p. 39 .

(١٢٥) Idem, Greek Literature, pp. 407 - 8 .

(١٢٦) أي طبقاً للمذهب «الذرائعي» Pragmatism . وهو مذهب فلسفي أمريكي يتخذ من النتائج العملية مقياساً لتحديد قيمة الفكرة الفلسفية وصدقها . ولقد استخدمنا هذا الاصطلاح الحديث إذ وجدناه أقرب لفظ يمكن أن يعبر عن طريقة بلوتارخوس في تفسير الأساطير . .

مكتبة المهتدين الإسلامية

شخص الربة أثينة – مثلا – شخصية معظمة لملكة من ملكات البشر ، بينما يعتقد أفراد المجموعة الثانية (الذين يتبعون مذهب التفسير النفسى) أن أثينة تمثل «الفهم» بينما يرى أفراد المجموعة الثالثة (الذين يتبعون مذهب التفسير الطبيعى) أن أثينة تمثل الطبقة الهوائية السميكة الواقعة بين الأرض والقمر (١٢٧) .

العصور الأوربية الأولى :

إنتهت العصور الإغريقية ، إنتشرت المسيحية وعمت أرجاء العالم الإغريقى والرومانى . وعندما ضاقت دائرة المسيحية حول البقية الباقية ممن كانوا يؤمنون بما جاء فى الأساطير الإغريقية حاول هؤلاء الخروج من مأزقهم عن طريق المناداة بضرورة تفسير الأساطير تفسيراً مجازياً (١٢٨) . لذا ، روّج الآباء المسيحيون الأوائل – وعلى رأسهم القديس أوجسطين St. Augustin (٣٥٤ – ٤٣٠م) – نظرية يوهيميروس التى رأوا فيها تخليص الأساطير من الصفات الكريهة على يد مفكر وثنى مثل يوهيميروس ، كما رأى پورفيرى Porphyry (٢٣٣ – ٣٠٤م) أن الأسطورة تحتوى على معنى أخلاقى ، بينما اعتقد غيرهما أنها تحتوى على قدر ضئيل من صدق عقائدى . بعد ذلك ، نعبر بسرعة مايسمى بالعصور الأوربية المظلمة فنصل أثناء جولتنا بين مفسرى الأساطير الإغريقية إلى العصور الوسطى الأوربية . هنا لا تستوقفنا آراء مهمة أو تفسيرات لافتة للنظر . لكننا نلاحظ بوجه عام أن الاعتقاد السائد حينذاك هو أن الآلهة والربات الإغريقية تنتمى إلى أصل شيطانى أو أنها على الأقل ليست سوى مجموعة من الأوثان التى ألقى بها فى غياهب الجحيم فور ظهور المسيحية (١٢٩) . ثم نبدأ بعد ذلك جولتنا فى عصر النهضة الأوربية : فى القرن السادس عشر ثم السابع عشر ثم الثامن عشر حيث يصل العقل البشرى إلى مرحلة من الرقى والازدهار تفوق بكثير ما وصله أثناء القرون السابقة .

أثناء تلك القرون الثلاثة ظهرت مجموعة من الأعمال حاول مؤلفوها تقديم دراسة جادة – إلى حد كبير – للأساطير الإغريقية . ففى القرن السادس عشر حاول فرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦) أن يفسر الأساطير تفسيراً

(١٢٧) Spence, Op. Cit., p. 43.

(١٢٨) Highet. Op. Cit., p. 701, n 2.

(١٢٩) Ibid., p. 150; p. 521 .

http://www.al-maktabeh.com

مجازياً: نركسوس – مثلا – هو حب النفس (١٣٠) ، ديونوسوس هو المعاناة ، أبو الهول هو العلم (١٣١). أما نتاليس كوم Natalis Comes (مات عام ١٥٨٢) فإنه يرى فى الأساطير جوانب مجازية لفلسفة طبيعية وأخلاقية . فى القرن الثامن عشر نلاحظ أن دى بروس De Brosses (١٧٠٩ – ١٧٧٧) هو أول من اقترب نحو الواقع العلمى فى تفسير الأساطير إذ أشار إلى أن عبادة الحيوانات عند قدماء المصريين هى بقايا عادات قديمة مثل تلك العادات التى تمارسها الشعوب البدائية حتى الآن (١٣٢) . كما أشار لافيتو Lafitau أيضا فى عام ١٧٢٤ إلى أن عنصر الشراسة الذى ظل باقياً فى الأساطير الإغريقية قد لوحظ وجوده بين بعض القبائل الهندية فى أمريكا الشمالية حين كان لافيتو عضواً فى البعثة اليسوعية هناك . بعد ذلك بسنوات قليلة حاول القديس بانيه Abbé Banier أن يتتبع الأصول التاريخية للأساطير ظنا منه أن كل أسطورة لابد أن تكون قد استمدت أصلها من واقع تاريخى (١٣٣) . بعد ذلك بأربعين عاماً تقريباً أعلن بريان Bryant أن الأساطير إنما استمدت أصولها من الكتاب المقدس أو القصص المتعلقة به (١٣٤) . أما توماس تايلور Thomas Taylor الذى عاش فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٧٥٨ – ١٨٣٥) فقد عبر عن اعتقاده فى أن كل الأساطير ليست سوى روايات مجازية (١٣٥) . كما أن معاصره فريدريش شيلنج Friedrich Schelling (١٧٧٥ – ١٨٥٤) هو أول من اعتقد فى وجود علاقة بين تشكيل الأسطورة والتطور القومى . هناك أيضا العالم الألمانى كروزر Creuzer الذى اهتم بالجانب الدينى فى الأسطورة (١٣٦) . يعتقد كروزر أن الأسطورة نوع من أنواع التعاليم الدينية ، نشأت نتيجة وحى دينى أصيل ، ثم تم نقلها إلى الأجيال التالية

(١٣٠) راجع ص ١٠٤ أدناه .

(١٣١) راجع ص ٣٦٥ أدناه .

(١٣٢) من أهم مؤلفات دي بروس De Brosses كتاب بعنوان ...De Culte de (انظر قائمة المراجع) صدر في باريس عام ١٧٦٠ . ويعتبر هذا الكتاب أول دراسة علمية جادة للأساطير .

(١٣٣) صدر كتاب القديس بانيه Abbé Banier في باريس عام ١٧٣٨ (انظر قائمة المراجع) .

(١٣٤) صدر كتاب بريان Bryant (١٧١٥ – ١٨٠٤) في بريطانيا عام ١٧٧٤ (انظر قائمة المراجع).

(١٣٥) صدر كتاب توماس تايلور Thomas Taylor (١٧٥٨– ١٨٣٥) في بريطانيا عام ١٨٠٥ وهو ترجمة لپاوسانياس .

(١٣٦) صدر كتاب كروزر Creuzer في ليبزج عام ١٨١٠ – ١٨١٢ (انظر قائمة المراجع) . قوبل الكتاب فور صدوره بعاصفة شديدة من الاحتجاج والهجوم الشديد من علماء ألمانيا انظر : Highet, Op. Cit., p. 701 n. 6 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

فى صورة رمزية بواسطة جماعة من رجال الدين . كما يعتقد كروزر أيضا أن هذه الحكمة الخافية قد انتقلت من الشرق إلى بلاد اليونان وأصبحت نواة لجميع ا لأساطير التى كانت تتضمن حكمة الأجيال السحيقة فى صورة مجازية (١٣٧) . ومن أجل فك رموز تلك الأساطير يجب الاستعانة بمتخصص فى الأساطير، فهو الوحيد الذى يقدر على ذلك بطريقة إيحائية . وبالتالى فإن المتخصص فى تفسير الأساطير – كما يعتقد كروزر – يشبه الشاعر ، فكلاهما يولد موهوباً وإذا لم يولد موهوباً فلن تنفعه الصنعة(١٣٨) .

العصور الحديثة والمعاصرة :

فى أوائل القرن التاسع عشر أيضا ظهرت أول دراسة علمية حقيقية للأساطير . قام بهذه الدراسة الواعية العالم الألمانى ك . أ . موللر K. O. Müller (١٣٩) . اكتشف موللر أن الأسباب الحقيقية التى أدت إلى انتشار الفوضى بين علماء الأساطير يمكن القضاء عليها بعدة طرق لا بطريقة واحدة . رأى موللر أن شرح الأسطورة يجب أن يسبقه شرح لأصلها ، وأن معرفة الحياة والعادات الشعبية فى العصور السحيقة شيء ضرورى للغاية . كما نادى أيضا بضرورة التمييز بين الأسطورة الحقيقية الأصلية والأسطورة التى حرفها الشعراء والفلاسفة . ورأى موللر أيضا أن المادة الأسطورية يجب تحليلها إلى عناصرها الأصلية . بذلك يكون موللر أول من توصل إلى منهج علمى فى دراسة الأساطير . ولا يكاد ينتصف القرن التاسع عشر حتى يظهر عالم آخر من علماء الأساطير وهو ماكس موللر Max Müller (١٤٠) . رحل ماكس موللر – وهو فى الثالثة والعشرين – من ألمانيا إلى بريطانيا لترجمة الكتب الدينية الهندية القديمة . قضى وقتاً طويلاً فى الدراسات اللغوية المقارنة وتوصل إلى نتائج رائعة . طبق ماكس موللر النتائج التى توصل إليها على الأساطير . لقد اعتبر ماكس موللر اللغة شرطاً ضرورياً للتفكير وليست مجرد وسيلة جبرية للتعبير عنه ، وبذلك رأى أن الكلمات

(١٣٧) Highet, Op. Cit., p. 322 .

(١٣٨) Spence , Op. Cit., pp. 45 - 48 .

(١٣٩) صدر كتاب موللر O. K. Müller (١٧٩٧ – ١٨٤٠) في ألمانيا عام ١٨٢٥ (انظر قائمة المراجع)، وقام بترجمته إلي الإنجليزية لايتس Leitch في بريطانيا عام ١٨٤٤ .

(١٤٠) صدر كتابان لماكس موللر Max Müller (١٨٢٣ – ١٩٠٠) في بريطانيا (انظر قائمة المراجع).

http://www.al-maktabeh.com

تحتوى على مفتاح (أى رموز) للأفكار (١٤١) . وإن كانت اللغة تتحدد بالأفكار فإن الأفكار أيضاً تتحدد باللغة . الأساطير إذن – فى رأى ماكس موللر – ما هى إلا صورة من صور الفكر تحددت تحديداً جوهرياً بواسطة اللغة لدرجة أنه من الممكن أن تسمى الأسطورة علّة اللغة a disease of language . وهكذا فإن المصطلحات الأسطورية سابقة لتفكيرٍ أسطورى ، كما أن خصوصيات اللغة التى تؤدى إلى تشكيل أسطورة هى جنس الكلمات المستخدمة (أى كون الكلمة مؤنثة أو مذكرة أو جماد) واستخدام كلمة تحمل معانى مختلفة (polyonymy) واستخدام كلمات مختلفة تحمل جميعها معنى واحداً (Synonymy) والاستعارة الشعرية وغير ذلك من خصوصيات اللغة . لكن منهج ماكس موللر لم يقتصر على ذلك فقط . فالأسطورة – فى رأى ماكس موللر – يجب أن تفهم من خلال اللغة قبل كل شيء آخر ، لكن يجب أن لا تفهم من خلال اللغة وحدها . إذ من خلال اللغة يمكن فهم معظم الظواهر الأسطورية وليس جميعها(١٤٢) .

يعتبر ماكس موللر مؤسس المدرسة اللغوية فى تفسير الأساطير . لكنه لم يكن أول من حاول ذلك . فلقد ظهر قبله آخرون مثل ج . هرمان G. Herman الذى حاول تفسير الأساطير عن طريق الإتيمولوجيا (أى دراسة أصل اللغات وتاريخها) . ظهر أيضا فرانز بوب Franz Bopp(١٤٣) الذى وضع أصول الدراسات اللغوية المقارنة. لقد اعتمد ماكس موللر اعتمادا ملحوظاً على النتائج التى توصل إليها هؤلاء. انقسم تلاميذ موللر من بعده إلى فريقين . يطلق على آراء الفريق الأول المذهب الشمسى Solar ، إذ أنهم يرون أن جميع الأساطير تحتوى على آلهة لها علاقة بالشمس (١٤٤) يطلق على آراء الفريق الثانى المذهب الأرصادى Meteorological ، إذ أنهم يرون أن جميع الأساطير تحتوى على آلهة لها علاقة بالرعد والبرق (١٤٥) .

(١٤١) Highet, Op. Cit., p. 522 .

(١٤٢) Spence , Op. Cit., pp. 46 - 9.

(١٤٣) صدرت ترجمة إنجليزية لكتاب فرانز بوب Franz Bopp (١٧٩١ – ١٨٦٧) في بريطانيا بعنوان Comparative Grammer قام بها Eastwick الطبعة الثالثة في عام ١٨٦٢ .

(١٤٤) صاحب المذهب الأول هو ماكس موللر نفسه يسانده جورج وليام كوكس Sir George William Cox (١٨٢٧ – ١٩٠٢) الذي نشر أفكاره في كتابين (انظر قائمة المراجع) .

(١٤٥) صاحب المذهب الثاني هو كون Kuhn(١٨١٢ – ١٨٨١) يسانده دارمشتير Darmesteter ، ويمكن أيضا أن يضاف إليهما لايسترين Laestrin الذي صدر له كتابان (انظر قائمة المراجع) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

لكن لم يكتب النجاح لنظرية ماكس موللر لفترة طويلة ، إذ نرى واحداً من أخلص أنصارها – مانهارت – يقول : أما فيما يتعلق بنظرية ماكس موللر فإننى استطيع فقط أن أقول إنها ذات قيمة محدودة ، ذلك إن كانت لها أية قيمة على الإطلاق (١٤٦) .

تستمر جولتنا بين مفسرى الأساطير الإغريقية أثناء القرن التاسع عشر فنجد أنفسنا أمام مؤسس مدرسة ضخمة من مدارس تفسير الأساطير ودراستها ، إنه إ. ب. تايلور (١٤٧) ، صاحب مدرسة التفسير الانثروبولوچى (١٤٨) . يرى أتباع هذه المدرسة أن وجود عنصر الشراسة والتفاهة فى الأسطورة يعنى أن هذه الأسطورة قد نشأت بين شعب بدائى شرس تافه ؛ وعندما يوجد هذا العنصر فى أسطورة انتشرت بين شعوب متحضرة ومثقفة فإن ذلك يعنى أن عنصر الشراسة والتفاهة ليس إلا بقية من بقايا ماض شرس تافه انتشر فيه معتقد شرس تافه . اعتمد أتباع هذه المدرسة فى دراساتهم على دراسة تاريخ الإنسان وأصله وعاداته الاجتماعية ومعتقداته الدينية . إنبرى أتباع هذه المدرسة للهجوم على أتباع المدرسة اللغوية وتفنيد آرائهم – وإن كانوا فى نفس الوقت قد استخدموا بعض النتائج التى توصل إليها أتباع المدرسة اللغوية واعترفوا بصحة بعض آرائهم . نالت مدرسة التفسير الانثروبولوچى شهرة واسعة وانضم تحت لوائها عدد ضخم من علماء العالم ، وبقيت آراؤها ومازالت باقية حتى الآن .

عبر إ. ب. تايلور فى مؤلفيْه اللذين صدرا فى عامى ١٨٦٥ و١٨٧١ عن موقف مدرسة التفسير الانثروبولوچى بدقة ووضوح . يرى تايلور ضرورة تجميع الأساطير المتشابهة فى مجموعات ، وكلما زاد عدد تلك المجموعات أصبح من السهل الحصول على برهان يساهم فى تكوين علم حقيقى للأساطير . إن جمع أساطير متشابهة من مناطق متباينة ، وتصنيفها فى مجموعات ، والمقارنة بين تلك المجموعات ، كل ذلك يساعد على تتبع فعالية عملية خيالية تتكرر بتناسق واضح مع قانون فكرى ؛ وبالتالى فبعد أن كانت قصة معينة تبدو معزولة غريبة صعبة التفسير

(١٤٦) Mannhardt, Antike Wald-und Feldkulte, p. 20. (Apud Spence; Op. Cit., p. 53).
يعترف مانهارت في كتابه سالف الذكر والذي صدر في عام ١٨٧٧ بقصور نظرية ماكس موللر ، كما يعترف أيضا بقصور آرائه (أي آراء مانهارت نفسه) التي سبق أن نشرها في مؤلفاته السابقة مثل كتاب German Myths (انظر قائمة المراجع) .

(١٤٧) صدر كتابان لتايلور في هذا الموضوع (انظر قائمة المراجع) .

(١٤٨) Spence , Op. Cit., p. 551 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

فإنها بعد تجميعها مع قصص أخرى فى مجموعة واحدة - تصبح قادرة على أن تأخذ مكانها بين تركيبات العقل البشرى المحددة المتناغمة . إن الحصول على مثل ذلك البرهان سوف يدفعنا تدريجيا إلى ترديد العبارة الآتية : «وكما أن الحقيقة أغرب من الخيال ، فكذلك الأسطورة أكثر اتساقاً من التاريخ» (١٤٩) . يشترط إ. ب. تايلور عند دراسة الأساطير أن يبدأ الدارس بدراسة المجتمعات المتخلفة ، ثم المجتمعات أقل تخلفاً، ثم المجتمعات المتحضرة ، وبذلك يمكن تفسير كل أنواع الأساطير بما فيها تلك التى تتصف بالخيال الشاعرى الرائع والذى يمكن أن نسميه بأساطير الطبيعة Nature Myths (١٥٠) . لا ينكر تايلور فائدة اللغة بالنسبة لتفسير الأساطير ، لكنه يرى فى الوقت نفسه أن المادة الأسطورية لها الفضل الأول فى تشكيل الأسطورة ثم تليها فى الأهمية الأسطورة الفعلية (١٥١) . كما يرى أيضا أن دارس الأساطير قد لا يستغنى عن اللجوء إلى التفسيرات المجازية فى بعض الأحيان وخاصة عند تناول أساطير الطبيعة(١٥٢) ، أو الأساطير الخيالية مثل أسطورة پاندورا كما ترد عند هيسيودوس أو قصة اختيار هيراكليس بين طريقىْ المتعة والفضيلة . يؤدى كل ذلك فى النهاية إلى إمكان تناول الأسطورة كنتاج عضوى للجنس البشرى عامة حيث تتلو الاختلافات الفردية والقومية والعنصرية من ناحية الأهمية الخصائص العامة للعقل البشرى (١٥٣) . بالإضافة إلى ذلك فإن إ. ب. تايلور لا يرفض النظرية الأرواحية Animistic theory التى ترى أن الروح هى المبدأ الحيوى المنظم للكون وأن كل شىء فى الكون له روح .

يعتبر هربرت سپنسر Herbert Spencer (١٥٤) من أكبر مؤيدى المدرسة الانثروبولوچية . يحاول هربرت سپنسر أن يلقى مزيداً من الضوء فيقول إن أساطير الطبيعة هى نوع من عبادة الأسلاف نشأت نتيجة لما نسميه «سوء الفهم» . ويضرب

---

(١٤٩) Taylor, Primitive Culture, p. 282 .

(١٥٠) Ibid., p. 284.

(١٥١) Ibid., p. 320 .

(١٥٢) Ibid. p. 408 .

(١٥٣) Spence , Op. Cit., pp. 57 - 58 .

(١٥٤) صدر كتاب هربرت سپنسر Herbert Spencer (١٨٢٠ - ١٩٠٣) في لندن عام ١٨٩٨ (انظر قائمة المراجع) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

مثلين لذلك . هناك بعض القبائل التى تسمى أفرادها أسماء مأخوذة من الطبيعة مثل فجر وشمس وقمر ونور ... إلخ . فلو أن هناك أسطورة تتناول قبيلة من تلك القبائل ، فإن أفراد القبيلة – بمرور الزمن – سوف يخلطون بين الشخص الحقيقى والظاهرة الطبيعية ، وبذلك تكتسب الظاهرة الطبيعية روحاً وتصبح شخصاً : كالقمر أو الشمس مثلا . هناك بعض الأفراد يهاجرون إلى قبائل مجاورة ، فيقال عن أحدهم إنه جاء «من عند الشمس الحارقة » أو «من ضفة النهر سريع الجريان» . وبمرور الزمن يعتقد أحفاد الشخص الأول أن جدهم قد انحدر من الشمس وأحفاد الثانى أن جدهم قد انحدر من النهر . مع مرور الزمن أيضاً تكتسب كل من الشمس والنهر – فى نظر القبيلة– روحاً وتصبح شخصاً . أما عن الأساطير التى تتناول الحيوانات فإن هربرت سپنسر لا يعجز أيضاً عن إيجاد تفسير لأصلها متبعاً نفس المنهج . هناك قبائل تسمى أفرادها أسماء حيوانات مثل فهد ونمر ... إلخ . وبمرور الزمن ينسى أفراد القبيلة الحقيقة أو يسيئون فهمها فيعتقد الأحفاد أن جدهم الأكبر كان فهداً أو نمراً (١٥٥) .

مؤيد آخر للنظرية الأنثروبولوچية هو وليام روبرتسون سميث William Robertson Smith (١٥٦) . يعتقد سميث أن الأسطورة تحتل مكان التعاليم فى جميع النظم الدينية القديمة ، لكنها غير ذات وازع مقدس أو قوة ملزمة للعابدين . بالتالى فالأسطورة ليست جزءاً جوهريا من أجزاء الديانة . فالعابد ملزم بأداء الشعيرة، لكنه غير ملزم بتصديق ما جاء فى الأسطورة . الشعيرة ثابتة ، والأسطورة متغيرة . لذا ، فإن الدارس الواعي للأساطير عليه بدراسة الشعائر كى يصل إلى تفسيرات للأساطير. فالشعيرة ظهرت أولا ، ثم تلاها فى الظهور الأسطورة . ينضم أيضاً إلى نفس المدرسة

(١٥٥) Spence , Op. Cit., p. 60 .

(١٥٦) ويليام روبرتسون سميث William Robertson Smith (١٨٤٦ – ١٨٩٤) هو واحد من أشهر العلماء في القرن التاسع عشر . كان استاذاً للدراسات العبرية في جامعة أبردين – بريطانيا . حوكم من أجل مقال كتبه في موضوع الدين العبري ، وظهرت براءته . ثم طرد بعد ذلك من وظيفته بسبب مقال آخر كتبه في الموسوعة البريطانية عام ١٨٨٠ . لكنه أصبح (في عام ١٨٨١) مساعدا لرئيس تحرير الموسوعة ، ثم أصبح رئيساً للتحرير (عام ١٨٨٧) ، ومن ناحية أخري كان قد عين أستاذاً للغة العبرية (عام ١٨٨٣) في جامعة كمبردج . بالرغم من أنه اهتم بدراسة الأديان المقارنة إلا أن آراءه عن الأساطير لا يمكن تجاهلها (انظر قائمة المراجع) .

http://www.al-maktabeh.com

بروفسور كورنيليوس پتروس تيل Cornelius Petrus Tiele (١٥٧) الذى يعلن صراحة فى مقدمة كتابه الشهير : إننى حليف ، أكثر من أن أكون خصما ، للمدرسة الجديدة سواء سميت بالمدرسة الأثنولوجية أو الأنثروبولوجية (١٥٨) . يوضح تيل سبب تأييده لمنهج تلك المدرسة حين يقول : إن هذا المنهج وحده يكشف عن سبب كل تلك التغييرات التى تطرأ على صور الآلهة فيتحولون إلى حيوانات أو نباتات أو حتى أحجار ... (١٥٩) . لكن تيل يرى فى نفس الوقت أن المنهج الأنثروبولوچى لا يستطيع أن يجيب عن كل التساؤلات التى يثيرها علم الأساطير أو يناقشها على الأقل .

يأتى الآن دور عالم بريطانى معروف منح تأييده للمدرسة الأنثروبولوچية فازدادت قوة واكتسبت شهرة أوسع . إنه أندرو لانج Andrew Lang ، عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كما شهد أوائل عشرينيات القرن العشرين (١٦٠) . يلاحظ لانج وجود اختلاف بين الأسطورة والديانة ، بل إنه يعتقد فى وجود صراع بينهما . وجود مثل ذلك الصراع شىء عادى فى جميع الأديان . ففى المسيحية مثلا توجد الصلوات والترانيم «والضوء الخافت» فى الكنائس من ناحية ، كما يوجد التهريج المنتشر فى مسرحيات المعجزات والادعاءات الفظة التى تملأ القصص الشعبية من ناحية أخرى . وبالمثل كانت الشعوب البدائية تفرق بين ديانتها وأساطيرها . على ذلك ، فإن عنصر الشراسة فى الأسطورة ليس إلا بقية من بقايا العصور البدائية (١٦١) . ويهتم لانج اهتماماً بالغاً بتبيان الفروق بين الأسطورة والديانة . فالمفهوم الدينى – فى رأيه – ينشأ نتيجة لمرور الإدراك البشرى بحالة معينة وهى حالة خضوع وتأمل روحى جاد بينما تنشأ الأفكار الأسطورية نتيجة لمرور الإدراك البشرى بحالة مختلفة وهى حالة خيال عابث شارد ، لكن لانج يعترف بأن الأسطورة قديمة جداً ، معقدة جداً ، ذاخرة بالعناصر المتباينة لدرجة تجعل من العبث محاولة إيجاد سبب لكل

(١٥٧) بروفسور كورنيليوس پتروس تيل Cornelius Petrus Tiele (١٨٣٠ – ١٩٠٢) ، أستاذ تاريخ الأديان بجامعة ليدن Leyden ، صدر له كتاب معروف (انظر قائمة المراجع) في عام ١٨٧٦ ثم صدرت له ترجمة إنجليزية في لندن عام ١٨٧٨ .

(١٥٨) انظر مقدمة كتاب تيل (الترجمة الإنجليزية) ، ص ١٢ .

(١٥٩) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(١٦٠) أندرولانج Andrew Lang (١٨٤٤ – ١٩١٣) صدر له أربعة مجلدات (انظر قائمة المراجع) كان وما زال لها أثر كبير في مجال الأساطير والعقائد .

(١٦١) Lang, Myth, Ritual . and Religion, Vol. I, p. 5.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ظاهرة في الأسطورة (١٦٢) . يرى لانج أن كل التفسيرات التي توصل إليها سابقوه ومعاصروه قد تمت صياغتها تبعاً للأفكار السائدة في عصر مفسر الأسطورة (١٦٣) . وعندما يتعرض لعنصر الشراسة في الأسطورة فإنه يشير إلى أن المعتقدات البدائية الشرسة – رغم كونها خاطئة ، ورغم كونها قائمة بفعل الخداع والخيال – تعتمد على أساس من ملاحظة واقعية لظاهرة حقيقية . يعتقد لانج أيضا أن فكرة الإله بين الشعوب البدائية لم تكن أرواحية ولم تتطور من فكرة وجود الروح بل نشأت أولا طبقاً لفكرة النشوء وبالتالي فقد كانت فكرة «الرجل اللاطبيعي المعظم» . فلقد وجد ذلك «الرجل اللاطبيعي المعظم» – في رأى لانج – قبل أن يأتي الموت على وجه الأرض وظل حياً حتى بعد وصول الموت (١٦٤) . بالإضافة إلى ذلك، يرى لانج أن مثل هذه العبادات تتضمن أفكاراً خلقية ومعنوية لانكتشف وجودها عادة في الديانات الأرواحية.

تستمر جولتنا بين مفسري الأساطير الإغريقية أثناء أوائل القرن العشرين فنقابل واحداً من أعظم وأشهر علماء الديانات البدائية – السير چيمس چورج فريزر Sir James George Frazer (١٦٥) . اعتمد فريزر إلى حد ما – على ما توصل إليه مانهارت من مبادئ ، ربط في دراساته ربطاً تاماً بين علم الأساطير ودورة النباتات والآلهة المرتبطة بها . رأى فريزر آلهة النباتات في كل مكان ، تماماً كما سبق أن رأى ماكس موللر آلهة الشمس في كل مكان (١٦٦) . يروى ڤرچيليوس أن آينياس – عندما أراد الهبوط إلى عالم الموتى لمقابلة والده أنخيسيس – نصحته العرافة أن يذهب إلى أجمة مقدسة ؛ هناك ، وراء شجرة كثيفة الظلال ، يختفى الغصن الذهبي ، بجذعه اللّدن وأوراقه . إنه – كما يقولون – مقدس لدى مليكة العالم الآخر ، تغطيه كل الأحراش ، وتخفيه الظلمات في وديان سحيقة ... وعندما ينتزع هذا الغصن ، ينبت مكانه غصن آخر مثله تماماً – ذهبي وله ذؤابات ذهبية – ومن ثم إقتف أثر هذا

(١٦٢) Ibid., p. 8 .

(١٦٣) Ibid.; p. 22 .

(١٦٤) Lang, The Making of Religion, p. 106 .

(١٦٥) صدر للسير جيمس جورج فريزر Sir James George Frazer مؤلفات ضخمة متعددة كانت ومازالت من أخصب المصادر العلمية (انظر قائمة المراجع) .

(١٦٦) Highet, The Classical Tradition p. 523 .

http://www.al-maktabeh.com

الغصن بناظريك ، فإن عثرت عليه ، فاقطعه بيديك ...» (١٦٧) . يذهب أينياس إلى هناك حيث يرى الغصن الذهبى «وعلى الفور يختطف آينياس الغصن الذهبى ، ينتزعه انتزاعاً فى شغف ، ويحمله هدية إلى معبد العرافة سيبولا» (١٦٨) . هناك رواية أخرى تروى قصة «الكاهن الشبح» . اعتادت بعض الشعوب البدائية أن تتبع طقوساً معينة عند ... كاهن جديد لمعبد من المعابد . كان الكاهن القديم يظل فى خدمة المعبد حتى يأتى شخص آخر فينتزع غصناً من أغصان شجرة واقعة بالقرب من المعبد . ثم يهاجم ذلك الشخص – وهو يحمل الغصن – الكاهن القديم فيقتله . عندئذ يتولى خدمة المعبد بدلا منه . ويظل فى منصبه حتى يأتى من يخلفه متبعاً نفس الطريقة . من هنا نشأت العبارة المعروفة «الكاهن الشبح» أو «الكاهن القاتل» . بعد ڤرجيليوس بحوالى أربعة قرون علق سرڤيوس على قصة الغصن الذهبى(١٦٩) كما جاءت عند ڤرجيليوس فربط بينها وبين قصة «الكاهن الشبح» وروى أن مكان الشجرة التى انتزع منها آينياس الغصن الذهبى هو أجمة أريكيا Aricia حيث كان يوجد معبد الربة ديانا (١٧٠) ، الذى كان يقوم على خدمته الكاهن الشبح . اتخذ فريزر الروايتين السابقتين والتعليق الذى يربط بينهما أساساً لنظريته . يرى فريزر فى «الكاهن الشبح» شخصية مقدسة ، ويخلص إلى أن عبادة أجمة أريكيا كانت من الناحية الجوهرية عبادة «الشجرة – الروح tree - spirit» أو «الإله الأجمى» Sylvan deity . لكن فحص العادات الشعبية الأوربية قد أثبت أن شخصا حيا غالباً ما كان يمثل الشجرة – الروح ، إذ كان ذلك الشخص الحى تجسيداً للشجرة – الروح وله قدراتها الإخصابية(١٧١) . ولقد لاحظ فريزر أن شعوباً بدائية كثيرة كانت تنتهج نفس العادة . كما لاحظ أيضاً أن الشخص الذى كان تجسيداً للشجرة – الروح كان يلقب غالباً بالملك ، وإنه كان يقتل بنفس الطريقة التى كان يقتل بها الكاهن الشبح فى أريكيا . هنا يخلص فريزر إلى أن حياة ذلك الكاهن أو الملك والشخصية المقدسة كانت فى سلام وأمان طالما أن غصن الشجرة لم يمسه سوء ، وبالتالى فإن حياته كانت مرتبطة بحياة

---

(١٦٧) ڤرجيليوس ، الإنيادة ، الكتاب السادس ، سطر ١٣٦ وما بعده ، الترجمة العربية د. عبد المعطي شعراوي (وآخرون) ، الجزء الأول ، ص ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(١٦٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ (سطر ٢٠٨ وما بعده) .

(١٦٩) Servius on Vergil's Aeneid; VI, 136 .

(١٧٠) ديانا Diana الاسم الروماني للربه الإغريقية Ἄρτεμις (Artemis) .

(١٧١) Frazer, The Golden Bough, Vol. I. p. 231 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الشجرة . هكذا حاول فريزر أن يطبق نظريته على كل ما جاء فى الأساطير الإغريقية فربط كل شخصياتها بدورة النبات [١٧٢] .

بالرغم من غزارة المادة العلمية وبراعة المناقشة والإصرار فى الدفاع عن نظريته فقد تعرض فريزر لعديد من النقد . من بين من هاجمه هجوماً لاذعاً أندرو لانج [١٧٣] ولويس سبنس [١٧٤] وفارنل [١٧٥] وجين هاريسون [١٧٦] ، وإن كان كل منهم قد اعترف بفضل فريزر فى مجال دراسة الأديان القديمة والأساطير وأخذ ببعض آرائه فى معظم الأحيان .

قد لا يسمح المجال بإطالة جولتنا بين مفسرى الأساطير أثناء الربع الأول من القرن العشرين ، لكننا لا نستطيع أيضاً أن نتجاهل بعضها منهم . ففى هذه الفترة القصيرة ظهر عدد غفير من الدارسين الذين اهتموا بدراسة الديانات القديمة وعلم الأجناس وتاريخ الديانات والآثار . بالطبع ألقت كل هذه الدراسات مزيداً من الضوء على علم الأساطير ، وإن كانت فى نفس الوقت سبباً فى ظهوره الآن فى تلك الصورة الغامضة المحيرة التى تدفع بالدارس الحديث إلى متاهات لا حصر لها وطرق متعرجة ضيقة مظلمة أغلبها مسدود أو مؤد إلى طرق متعرجة ضيقة مظلمة أخرى . ولعلنا الآن نكتفى بالإشارة العابرة إلى مجموعة من أصحاب الآراء التى ظهرت أثناء الربع الأول من القرن العشرين . سالومون ريناش Salmon Reinach الذى نشر فى فرنسا آراء المدرسة الأنثروبولوجية الإنجليزية ، والذى اتهم مواطنيه الفرنسيين بالجهل فى ميدان تاريخ الأديان والأساطير [١٧٧] . دكتور ف. ب. چيفونس Dr. F. B.

(١٧٢) Highet, Op. Cit., p. 523 .

(١٧٣) راجع حاشية رقم ١٦٠ أعلاه .

(١٧٤) لويس سبنس Lewis Spence هو صاحب عدد ضخم من الكتب التي تناولت الأساطير بوجه عام (انظر قائمة المراجع) .

(١٧٥) نقد فارنل Farnell آراء فريزر كما جاءت في كتابه The Golden Bough في مقال نشر في Quarterly Review (April 1915) التي كانت تصدر في بريطانيا . وللدكتور فارنل مجموعة من المؤلفات تركت أثراً كبيراً بين الدارسين (انظر قائمة المراجع) .

(١٧٦) جين هاريسون Jane E. Harrison هي إحدى الدارسات للديانات القديمة ولها مؤلفات كثيرة في ذلك المجال و في مجال علم الانثروبولوجيا (انظر قائمة المراجع) .

(١٧٧) سالمون ريناش Salomon Reinach الذي صدر له كتابان هامان في باريس (انظر قائمة المراجع) .

http://www.al-maktabeh.com

Jevons الذى يعلن أنه يعضد آراء لانج فيما يتعلق بالأساطير ، ويؤكد ضرورة عدم الفصل بين علم الأساطير وعلم تاريخ الأديان (١٧٨) . لكنه يؤكد أيضا أن الرأى القائل بأن علم الأساطير هو علم الأديان إنما نشأ عن عادة خاطئة مضللة هى رؤية أفكار معاصرة فى أديان قديمة (١٧٩) . وبالرغم من ذلك فإنه يؤكد أيضا أن الدين لا يمكن وجوده دون وجود شروح لشخصية الآلهة وطبيعتهم وموقفهم بالنسبة للبشر والجو الإلهى المحيط بهم ، مثل هذه الشروح هى الأساطير . دكتور ماريت Dr. R. R. Marret الذى ميَّز بين الأرواحية والأشكال الدينية التى سبقتها (١٨٠) ، وهو أيضا يؤيد الآراء التى تعتقد فى وجود أساطير سببية aetiological myths ، إذ أنه يرى أن «الشعيرة هى التى تخلق الأسطورة ، وليست الأسطورة هى التى تخلق الشعيرة» (١٨١). بروفسور أ. ب. كوك A. B. Cook الذى يعتقد أن كل شعوب أوروبا كانت تعبد الإله- السماء Sky - god ، ومن أجل إثبات ذلك جمع أساطير العالم المتناقضة وحاول أن يؤلف بينها فى براعة فائقة (١٨٢) . ولا يفوتنا أن نشير أيضاً إلى آراء بعض العلماء الذين لم يقوموا بدراسات متخصصة فى الأساطير لكنهم تناولوها بطريقة غير مباشرة مثل جاكوب لودفيج كارل جريم Jacob Ludwig Karl Grimm (١٧٨٥ – ١٨٦٣) وشقيقه ويلهلم كارل جريم Wihelm Karl Grimm (١٧٨٦ – ١٨٥٩) ، السير چورج لورانس جوم Sir George Laurance Gomme ، دكتور رندل هاريس Dr. Rendel Harris ، البروفسور إيليوت سميت Professor Elliot Smith (١٨٣) .

قبل أن نختتم جولتنا بين مفسرى الأساطير يجدر بنا أن نتوقف قليلا عند مجموعة من المفسرين أطلق على آرائهم مذهب «التحليل النفسى» Psychological Analysis . يرى أغلب علماء الأساطير أن أصحاب ذلك المذهب قد تمادوا فى تفسيراتهم التى لا تعتمد على أى أساس من الصحة . يقول لويس سبنس فى مقدمة

(١٧٨) ف. ب. چيفونس Dr. F. B. Jevons صدر له في لندن كتاب هام في موضوع تاريخ الأديان Introdction to the History of Religion

(١٧٩) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(١٨٠) ماريت Dr. R. R. Marret هو صاحب كتاب The Threshold of Religion (انظر قائمة المراجع) .

(١٨١) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(١٨٢) أ. ب. كوك A. B. Cook صاحب الكتاب المعروف بعنوان .... ,Zeus (انظر قائمة المراجع).

(١٨٣) راجع آراء هؤلاء في Spence, Indroduetion to Mythology, pp. 89 ؛ 100 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أحد مؤلفاته : «إن نظريات فرويد وزملائه حول الدين وأصل الأساطير قد استُبْعِدت ، إذ أنها – فى نظر المؤلف – لا يجب أن تؤخذ مأخذ الجد» (١٨٤) . ويقول روز أثناء عرضه للنظريات المختلفة فى تفسير الأساطير : أما بالنسبة لمذهب التحليل النفسى «فإننى لا أجد فى كتاباته تفسيراً واحداً لأى أسطورة ، أو أى تفصيل لأى أسطورة يمكن أن يبدو ممكنا أو قادراً – ولو بدرجة ضئيلة جداً – على تفسير تطور القصة كما وصلت إلينا . لذلك فإننى اكتفى بمجرد الإشارة إلى المذهب دون أن أتناوله بالشرح»(١٨٥) . بالرغم من أننى مؤيد لرأى كل من سبنس وروز والآراء المماثلة لرأيهما ، فقد وجدت من الأفضل أن نقف وقفة قصيرة لمناقشة هذا المذهب حتى تصبح لدى القارئ فكرة سريعة حول هذه النقطة .

يرى علماء النفس أن الأسطورة تعبير عن ميول وقوى نفسية دائمة غير معترف بها . أول من توصل إلى هذا التفسير هو سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٦) . أشار فرويد إلى وجود أوجه شبه متعددة بين أساطير معروفة ورموز تظهر فى الأحلام لتمثل دوافع غريزية قوية . لذا ، أطلق على هذه الدوافع أسماء شخصيات أسطورية إغريقية . بدأ فرويد بأقوى دافع غريزى فى الإنسان وهو عشق الابن لأمه وغيرته من أبيه ، فسماه عقدة أوديب (إذ أن أوديب قتل والده وتزوج والدته) (١٨٧) . ثم انتقل إلى دافع مواز للدافع الأول وهو عشق الابنة لأبيها وغيرتها من أمها ، فسماه عقدة الكترا (إذ أن الكترا ساعدت أخاها فى اغتيال أمهما كلوتمنسترا انتقاماً لوالدها الذى سبق أن قتلته كلوتمنسترا) (١٨٨) . ثم انتقل إلى دافع ثالث وهو الغرور أو الافتتان بالنفس وهو أن الغرور يتملك المرء فيعجب بجماله ورشاقته ويعشق طلعته البهية فيكون مصيره الموت مثل نركسوس ، ولقد سمى ذلك الدافع عقدة النرجسية (نسبة إلى نرجس – نركسوس) (١٨٩) .

(١٨٤) Spence, Op. Cit., p. 7 .

(١٨٥) Rose, Greek Mythology, p. 10 .

(١٨٦) سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ – ١٩٣٩) . لمناقشة آرائه راجع كتابه A General Introductuion to Psychoanalysis (الترجمة الإنجليزية) (انظر قائمة المراجع) وخاصة المقال العاشر بعنوان Symbolism in Dreams .

(١٨٧) راجع ص ٢٥٩ أدناه .

(١٨٨) راجع ص ٣١٦ أدناه .

(١٨٩) راجع ص ٩٣ أدناه .

http://www.al-maktabeh.com

وجـدت تفسيرات فرويد النفسية قبولا لدى مجموعة من الدارسين ، فواصلوا دراساتهم النفسية المتطرفة ، فتناولوا العلاقة بين الأسطورة والشعيرة والرمزية النفسية (١٩٠) . لكن أبرز أتباع فرويد هو العالم النفسي يونج C. G. Jung (١٩١) . مضمون رأى يونج هو أن الأساطير ترمز إلى الرغبات والانفعالات التى يشعر بها كل فرد من أفراد البشر على وجه الأرض والتى لا يعترف بها . فالفتاة تتمنى أن تكون على أكبر درجة من الجمال وأن تتزوج من أثرى وأنبل وأوسم رجل فى العالم ، وأنه سوف يعثر عليها بالرغم من إهمال أسرتها وعداوتها لها وبالرغم من عدم وجود وفاق بينها وبين الظروف المحيطة بها . هنا تتخيل الفتاة أنها قادرة على التخلص من متاعب تلك الرغبة قائلة إن ذلك من الممكن أن يحدث فعلا كما حدث لسندريلا . عندئذ تبدأ الفتاة فى رواية قصة ساندريلا أو فى قراءتها . وبالمثل ، فإن الصبى يريد أن لا ينافسه أحد فى حب والدته ويتمنى القضاء على منافسيه فى حبها – ومن بينهم والده – لذا فإنه يشعر بالسعادة عندما يقرأ قصة أوديب ، ذلك الشاب المغامر الذى قتل رجلا عجوزاً ثم اكتشف بعد ذلك أنه والده وتزوج امرأة حسناء ثم اكتشف أنها والدته. إن أوديب ، ساندريلا ، الكترا ، نركسوس ، هيلينى ، أودوسيوس ، هيراكليس ، كل هؤلاء ليسوا شخصيات تاريخية بقدر ما هم صور لرغبات وانفعالات وآمال يشعر بها كل فرد من أفراد البشر على وجه الأرض . إن الأساطير العظيمة ، بل حتى الرموز العظيمة – مثل الزهرة التى يعترى الغموض شكلها ، والأرقام الغامضة مثل رقم ثلاثة ورقم سبعة ورقم اثنى عشر – دائماً وأبداً واردة عبر تاريخ البشر وآدابه فى جميع أنحاء العالم . قد تبرز أحياناً كخرافات أو كأسس لعقائد عظيمة ، أو كنماذج عامة للفن أو للشعيرة . يسمى يونج تلك الأساطير أو الرموز «النماذج الأصلية للاشعور الجماعى». وبسبب هذه الشمولية فإن الأساطير أو الروايات العظيمة – كما يعتقد يونج– لايمكن بأية حال من الأحوال نسبتها إلى مؤلف معين ، كما يمكن أن يعاد

(١٩٠) ظهرت هذه الدراسات في دورية بعنوان Imago أصدرها أتباع فرويد وتلاميذه وخاصة ساكس Sachs ورانك Rank . كما اصدر تيودور رايك Theodor Reik عدداً من المؤلفات الجريئة ناقش فيها الأساطير والشعائر انظر .Highet, The Classical Tradition, p. 702 n. 9.

(١٩١) ولد يونج C. G. Jung في عام ١٨٧٥ وله مجموعة ضخمة من المؤلفات ترجم أغلبها إلي الإنجليزية (انظر قائمة المراجع) كما نشر آراءه في دورية بعنوان Eranos كان يشرف عليها ويساهم في ميزانيتها انظر : . Highet, Op. Cit., p. 523

مكتبة المهتدين الإسلامية

كتابتها مرة بعد أخرى دون أن تفقد قدرتها على التأثير أو رونقها وجمالها . إن العمل الذى يقوم به كاتبو هذه الأساطير أو المستمعون إليهاأو القارئون لها على مدى الأجيال المتتالية هو عمل «جماعى» حقاً . إنها تصور أعمق أفكار الجنس البشرى وأحاسيسه ، لذلك فإنها- حسب المقاييس البشرية - خالدة (١٩٢) .

لم يكن يسمح المجال بأن نقابل أثناء جولتنا بين مفسرى الأساطير الإغريقية أكثر ممن قابلنا ، ولم يكن يسمح أيضا بأن تطول وقفتنا أكثر مما وقفنا . ذلك بالرغم من أن هذه الجولة - لو أريد لها أن تكون جولة كاملة - لأصبحنا فى حاجة إلى عشرات من المجلدات الضخمة . لذا علينا الآن أن ننهى جولتنا ونحن مازلنا راغبين فى مواصلتها (١٩٣) .

* * * * *

بعد نهاية الجولة ، يجدر بنا أن نجمل فى إيجاز شديد أهم مناهج تفسير الأساطير . هناك ثلاثة مبادئ رئيسية تتبع فى هذا الشأن .

الأول : أن نقول إن الأساطير تصف حقائق تاريخية فذة .

الثانى : أن نعتبرها رموزاً لحقائق فلسفية دائمة .

الثـالث : أن نتناولها كانعكاسات لعملية طبيعية تحدث مرة بعد أخرى وإلى الأبد.

(١٩٢) Highet, Op. Cit., pp. 523 - 4 .

(١٩٣) من الملاحظ أننا لم نتناول آراء كل من حاول تفسير الأساطير الإغريقية ، كما أنه من الملاحظ أيضا أننا توقفنا في جولتنا عند منتصف القرن العشرين تقريبا . فيما يتعلق بالملحوظة الثانية فقد ظهر عدد لا حصر له من المفسرين المعاصرين لكن لم يحاول واحد منهم أن يخرج بنظرية كاملة ، بل يتبني كل منهم جانبا معيناً من نظرية سبق أن توصل إليها غيره من قبل (راجع علي سبيل المثال قائمة المراجع تحت أسماء : Lewis Spence , Hamilton, Graves , Rose ، أما فيما يتعلق بالملاحظة الأولي فيمكن للقارئ أن يعود إلي المراجع التالية :

Gruppe, Geschichte der klassischen Mythologie und Religion geschichte.

Nilsson, Geschichte der Griechischen Religion, Vol. 1.

Lang, Myth, Ritual and Religion, Vol. 1.

Spence, Introdction to Mythology, pp. 40 - 100 .

Rose, Greek Mythology, pp. 1 - 14 .

http://www.al-maktabeh.com

لكن هذه المبادئ الثلاثة يمكن أن تؤدى إلى فروع أو مناهج فرعية :

المنهج المجازى : الأسطورة هى قصة مجازية ، الهدف منها إخفاء معنى عميق ملىء بالثقافة ، أخفاه الحكماء القدامى فى هذه الصورة حتى يمنعوا تسرب حقائق عظيمة إلى أيدى أفراد جاهلين أو عاقين فيسيئون استخدامها أو لكى يجذبوا بهذه القصص الأفراد الذين قد لا ينصتون إلى مناقشة جافة ومنهجية .

المنهج الرمزى : الأسطورة هى قصة رمزية تعبر عن فلسفة كاملة وجدت فى عصور متناهية فى القدم . لذا من الواجب دراسة تلك العصور المتناهية فى القدم ومحاولة فك رموز القصة فى ضوء هذه الدراسة .

المنهج العقلى : الأسطورة هى قصة نشأت نتيجة سوء فهم أو خطأ مجموعة من الأفراد لحادثة أو رواية أخذت مكانها بين جيل من الأجيال السابقة .

المنهج اليوهيميرى : الأسطورة هى قصة فرد من أفراد البشر قام بأعمال مجيدة فاستحق أن يتحول إلى إله .

المنهج الطبيعى : الأسطورة هى قصة تتناول إحدى الظواهر الطبيعية ثم تحولت هذه الظاهرة الطبيعية بعد ذلك إلى شخصية مقدسة ثم إلى إله أو ربة .

منهج التحليل النفسى : الأسطورة هى رمز للرغبات الغريزية والانفعالات النفسية التى يشعر بها الفرد ولا يعترف بها .

هكذا يبدو واضحاً أن علماء الأساطير المعاصرين قد وصلوا الآن إلى طريق شبه مسدود . فكل منهج من تلك المناهج له إيجابياته وسلبياته . كما أن هذه المناهج يبدو أنها قد استنفذت أغلب الاحتمالات الممكنة . لذلك لم تظهر مناهج جديدة منذ أوائل القرن الحالى . لكن لا بأس إذا وجدنا أن أسلم الطرق وأحسنها هو أن يتتبع مفسر الأسطورة فى العصر الحديث عدة خطوات هى (١٩٤) .

الخطوة الأولى : فحص مصدر الأسطورة ومحاولة تحديد تاريخها . فى هذه الخطوة يجب ملاحظة أنه ليس من السهل تحقيق ذلك . إذ قد يرد نص الأسطورة عند كاتب من كتاب القرن الخامس قبل الميلاد ونص آخر لنفس الأسطورة عند كاتب من

(١٩٤) Rose, Op. Cit., pp. 9 - 10 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

كتاب القرن الثانى الميلادى . وبعد الفحص الدقيق قد نكتشف أن الكاتب الثانى قد التزم بنص الأسطورة الأصلية بينما أضاف الكاتب الأول تفاصيل أخرى من عنده . أول من نادى بذلك هو ك. أ. لوبك C. A. Lobek (١٩٥) .

الخطوة الثانية : تحديد المكان الذى نشأت فيه الأسطورة الأصلية : هل نشأت فى إحدى المناطق الإغريقية ، أو نشأت بين شعوب إغريقية خارج بلاد الإغريق ، أو ظهرت قبل عصر الإغريق ، أو ظهرت بين شعوب غير إغريقية ثم وصلت فى عصور متأخرة إلى بلاد الإغريق . أول من حاول ذلك هو ك. أ. موللر K. O. Muller (١٩٦) .

الخطوة الثالثة : تحديد النوع الذى تنتمى إليه الأسطورة : هل هى أسطورة خالصة ، أو رواية تاريخية ، أو قصة خيالية . أشهر من لاحظ ضرورة هذه الخطوة هما الشقيقان جاكوب جريم وويلهلم جريم (١٩٧) .

الخطوة الرابعة : مقارنة الأسطورة بأساطير أخرى نشأت بين شعوب أخرى . وقد أشار بذلك كل من مانهارت (١٩٨) وأندرو لانج (١٩٩) .

*****

(١٩٥) ك. أ. لوبك C. A. Lobeck. و(١٧٨١ - ١٨٦٠) أهم مؤلفاته : Aglaophamus الذي صدر في ليبزج عام ١٨٢٩ .

(١٩٦) راجع حاشية رقم ١٣٩ أعلاه .

(١٩٧) راجع ص ٥٤ أعلاه .

(١٩٨) راجع حاشية رقم ١٤٦ أعلاه .

(١٩٩) راجع حاشية رقم ١٦٠ أعلاه .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

پـــانـــــدورا

نَهَرَ پاندورا . وجَّه إليها أقذع العبارات . ثارت پاندورا. أحست بالغضب . شعرت بالتعب . تشاجرت معه . أراد أن يضربها . وقفت أمامه متحدية . صفعها على وجهها . علا صراخها . تجمع أفراد البشر حولهما . انقسم الجمع بين مؤيد ومعارض . دبَّ الشقاق بين الإخوة . فرَّق الطمع بين الأُشقاء. انتشرت الأمراض والعلل . أتت الشيخوخة على الرجال . لم يكن يحدث شيء من ذلك على الأرض قبل أن تفتح پاندورا الصندوق .. ليتها لم [illegible] !!

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

باندورا

زيوس . رب الأرباب . ملك الملوك . حاكم الأرض والسماء وما بينهما. صانع أقدار الآلهة والبشر . لم يصل زيوس إلى هذه المكانة دون عناء أو نصب . أضطر إلى خوض معركة ضارية ضد والده الذى أنجبه . حارب جماعات المسوخ والمردة والتياتن والكوكلوبيس . إنتصر عليهم جميعا . بفضل قوته وجبروته ، وبفضل مساعدة بروميثيوس (١) .

بروميثيوس (٢) . تيتن معروف بالمكر والدهاء . صانع ماهر . مفكر بارع . سريع البديهة . واسع الحيلة . بعيد النظر . عرف باسم بروميثيوس ومعناه المتروى(٣) . أدرك بذكائه الثاقب أن النصر سوف يكون حليفا لزيوس فى صراعه ضد التياتن . إنشق عن صفوف زملائه التياتن . وقف فى صف زيوس . قدم له كل مساعدة ومعونة . أصبح ساعد زيوس القوى . وعقله المفكر . منحه زيوس ثقته . جعله الأقرب إليه . أحب بروميثيوس أخاه إبيميثيوس .

* * *

إبيميثيوس تيتن معروف بإخلاصه الشديد وولائه الكامل لشقيقه الأكبر بروميثيوس . لكنه لا يشبهه فى شىء . ساذج . بسيط . مشتت الفكر . لا يعرف المكر

(١) بروميثيوس Prometheus ابن التيتن يابيتوس Iapetus من الحورية كلوميني Clymene . (Hisiod, Theogony, 510)

(٢) فيما يتعلق بشخصية بروميثيوس راجع تراجيديا بروميثيوس مغلولا للشاعر الإغريقي إيسخولوس، وخاصة سطور : ٢١٨، ٢٢٨- ٢٣٦، ٢٥٢، ٤٤٥ وما بعده ، ٤٧٨ وما بعده .

(٣) لفظ بروميثيوس προμηθευς مشتق من الاسم προμηθια وبالتالي فهو يعني «ما قبل المعرفة» أو «الذي يعرف كل شيء . قبل أوانه» ولقد فضلنا هنا أن نستخدم لفظ المتروي لما قد يقدمه لنا هذا اللفظ من دلالة بالنسبة لشخصية بروميثيوس . وبالقياس فإن لفظ Επιμηθεύs يعني «ما بعد المعرفة» ولقد استخدمنا هنا لفظ المتسرع . من ناحية أخري يري بعض الدارسين أن كلمة بروميثيوس يمكن ارجاعها إلي الأصل السنسكريتي Pramantha وبذلك يربط هؤلاء الدارسون بين اسم التيتن وبين سرقته للنار . راجع :.Rose, Greek Mythology, p. 72 n. 53

http://www.al-maktabeh.com

أو الخداع . يطلق الكلمات سريعة من فمه . ثم يفكر فيما قال . يتحمس للقيام بعمل فيعمله . ثم يفكر فى نتيجة ذلك العمل . وغالبا ما يندم على ما فعل . عرف باسم إپيميثيوس ومعناه المتسرع . اختار جانب زيوس وحارب ضد زملائه التياتن . لأن أخاه پروميثيوس أشار عليه بذلك . أولاه زيوس ثقته . لكنه لم يعتمد عليه اعتمادا كاملا(٤) .

استولى زيوس على العرش . طهّر الكون من شرور المسوخ والمردة والتياتن . وضع حدودا للماء . حدد معالم اليابسة . نظم حياة الآلهة فوق قمة الأولومپوس . خصص مكانا للجحيم . وآخر للنعيم . أسند إلى كل إله وظيفة تليق بمكانته وقدرته . لم يبق حينئذ سوى خلق البشر وما يتبعهم من مخلوقات وكائنات على وجه الأرض . فكر فيمن يستطيع أن ينوب عنه فى القيام بهذه المهمة . لم يجد أفضل من پروميثيوس . وشقيقه إپيميثيوس (٥) .

* * *

فرح إپيميثيوس . بما أسند إليه من قبل زيوس . طلب من أخيه پروميثيوس أن يعتمد عليه فى إنجاز تلك المهمة . بدأ أولا فى خلق الحيوانات والطيور (٦) . منحهم أطيب المزايا وأفضل الصفات والكفاءات . منحهم قوة الجسم . سرعة الحركة . الشجاعة والدهاء . الفراء والرياش . الأجنحة والأصداف . وغير ذلك من المزايا والصفات التى تتميز بها الكائنات الحية على اختلاف أنواعها . ثم جاء دور خلق الرجل (٧) . لم يجد إپيميثيوس شيئا يمنحه له كى يميزه عن بقية الكائنات الحية . عندئذ أدركه شقيقه پروميثيوس – لكن بعد فوات الأوان . لم يجد پروميثيوس أمامه سوى صفات الآلهة (٨) .

خلط پروميثيوس التراب بالماء (٩) . شكّل منه مخلوقا لا يختلف فى صورته

(٤) Oxford Classical Dictionary. s.v. Prometheus.

(٥) Graves, Op. Cit., Vol. I; p. 144 - 45.

(٦) Genest, Myths of Ancient Greece And Rome. pp. 170 - 72.

(٧) Rose Op. Cit., p. 54.

(٨) Hamilton, Mythology. pp. 68 - 9.

(٩) قيل إن پروميثوس خلق البشر من الطين (Pausanias, X, 4, 4) وقيل أيضاً إنه خلط الطين بأجزاء من الحيوانات . (Horace, Carmina, I, 16; 13 sqq) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

عن الإله في شيء . جعله يسير قائما على اثنتين . منحه بشرة ملساء غير ذات فراء أو ريش. منحه القدرة على الكلام . بل كان على وشك أن يمنحه الخلود – لولا تدخل زيوس في اللحظة الأخيرة (١٠) . أنهى زيوس مهمة پروميثيوس . لذا نجد في الميثولوجيا أن لا فرق بين الإنسان الإغريقي وآلهته في الشكل ، والمظهر ، والسلوك والتصرفات . لا فرق بينهما سوى أن الإله خالد لا يموت والإنسان زائل ذائق الموت . لذلك أيضا نجد الصراع دائما أبدا بين الرجل الإغريقي وآلهته . فالإله يريد أن يفرض سلطانه على الإنسان ويصنع له قدره . والإنسان يريد أن يتحرر من سيطرة الإله ويصنع قدره بنفسه .

* * *

عاش الرجل الإغريقي على الأرض في سلام . عاش في مجتمع من الرجال . حيث لا فساد ولا ظلم . لا ألم ولا مرض . لا نزاع ولا وقيعة . وعاشت الآلهة فوق قمة الأولومپوس الشاهقة . ترقب سعادة الرجل وهناءه . فالسماء ترسل إليه أمطارها . والهواء النقي يملأ صدره . والأرض تجود عليه بكل خيراتها . والبحر يحتويه ويرحب به فتكمل سعادته ... وپروميثيوس .. لم يكن يسمح له بالحياة بين الآلهة فوق قمة الأولومپوس . إذ لم يكن إلها مثلهم . لم يكن يستطيع الحياة بين البشر على وجه الأرض . إذ لم يكن بشرا مثلهم . هو نصف إله – مثله في ذلك مثل شقيقه إبيميثيوس– يعيش متنقلا بين مملكة الآلهة ومملكة البشر . تخشاه الآلهة . لما امتاز به من تفكير سليم ودهاء شديد . يحبه أفراد البشر ويعتبرونه مدافعا عنهم ومعلما لهم .

* * *

رغب أفراد البشر ذات يوم أن يعبروا عن إخلاصهم لرب الأرباب . أرادوا أن يؤكدوا ولاءهم لزيوس حاكم الأرض والسماء . قرروا إقامة وليمة وتقديم هدية لحاكمهم الأعظم . أحضروا ثوراً ثمينا . قوي البنية . شديد البأس . تكاتفوا من حوله وكتفوه . أجهزوا عليه بأسلحتهم البدائية . تجمعوا في شكل دائرة حول الثور المذبوح . رددوا في صوت واحد دعاء خالصا إلى ملك الملوك . إنشرح صدر الحاكم الأعظم لنداء عباده المخلصين . لبى دعاءهم على الفور . نزل إليهم من عليائه . انتهت مرحلة الدعاء وتبادل عبارات المديح والثناء . جاء دور الأكل والشراب . اختلف الحاكم الأعظم

(١٠) Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 14 - 15 .

http://www.al-maktabeh.com

وأفراد البشر على تقسيم الذبيحة . رأى أفراد البشر أن الهدف من إقامة الوليمة هومشاركة الإله لهم . فلا بأس من أن يكون نصيبه من الذبيحة مثل كل منهم . رأى زيوس أن الذبيحة هدية له وقربان إليه . فلا شك أنها من نصيبه وحده . أخيرا . إتفق الطرفان على أن يحكما فيما بينهما التيتن پروميثيوس (١١) .

أصدر پروميثيوس حكمه على الفور (١٢) . زيوس يمثل طرفا . وأفراد البشر يمثلون طرفا آخر . والهدف من الوليمة هو المشاركة . فلا بأس من تقسيم الذبيحة بالتساوى بين الطرفين . رضى زيوس بحكم پروميثيوس . ولم يكن أمام أفراد البشر سوى الخضوع والرضا . وبدأ القاضى فى تنفيذ الحكم . سلخ الذبيحة بمهارة بارعة . وقطعها فى سرعة فائقة . فصل العظام عن اللحم ووضعها على شكل كومة على يمينه . جاء بالأمعاء وبقية الأجزاء الداخلية الرديئة ولفها – فى غفلة من زيوس – حول اللحم الخالص . ووضعها على شكل كومة على يساره . ثم أتى بشرائح من اللحم ولفها – فى غفلة أيضا من زيوس – حول العظام . نظر زيوس أمامه فوجد كومتين . إحداهما أكبر من الأخرى . صاح قائلا :

پروميثيوس . لقد رضيت بحكمك فكن إذن عادلا فى التقسيم .

رد پروميثيوس فى دهاء ومكر – قائلا : ملك الملوك . ياحاكم الأرض والسماء لك الخيار . فأنت صاحب الأمر . فرح زيوس . اختار الكومة الأكبر . حملها معه إلى قمة الأولمپوس . هناك فقط اكتشف خداع پروميثيوس (١٣) . اكتشف أن الكومة الأكبر ليست سوى العظام مع قليل من شرائح الشحم . لذا نجد فى الميثولوجيا أن الإغريقى اعتاد أن يأكل الأجزاء الطيبة من الذبيحة ويترك العظام والشحوم فى المعبد قربانا للإله (١٤) .

---

(١١) Hamilton, Op. Cit., p. 70 .

(١٢) Hesiod, Theogony, 521 - 64: Lucian; Dialogues of the gods, I; Idem, Prometheus On Caucasus, 3 .

(١٣) Rose, Op. Cit., p. 55 .

(١٤) ربما تكون هذه الرواية من ابتكار هيسيودوس ، إذ أنها قصة طريفة مضحكة لتبرير عقاب زيوس لپروميثيوس (Graves, Op. Cit., p. 149) . وقد تكون أيضا أسطورة من الأساطير السببية aetiological (راجع المقدمة ص ٥٤ أعلاه)إذ أنها تفسر السبب في تقديم الجزء الردئ من الذبيحة قرباناً للآلهة : Bowra, Greek Experience, pp. 116 - 7 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

لم يجرؤ زيوس على أن يرد الكومة أو يطلب استبدالها . لقد اختارها بنفسه . ترك له پروميثيوس حرية الاختيار . كان زيوس يعرف مكر پروميثيوس ودهاءه . كان يعلم أنه يدافع دائما عن البشر ويقف فى جانبهم . لم يستطع زيوس أن يكتم غضبه . طلّ على البشر من عليائه . رآهم يستعدون لإشعال النار ، كى ينضجوا لحم الذبيحة الطرى اللذيذ . ثارت ثورته . نفرت عروقه من شدة الغيظ . كشر عن أنيابه ناصعة البياض . سرت فى جسده رعشة قوية وهو يصرخ ويقول :

لن يهنأ واحد منكم بذلك اللحم الطرى . لن تنجحوا فى إشعال النار . تناولوا اللحم الطرى نيئا إن أردتم . تحملوا البرد القارص إن استطعتم (١٥) .

حاول أفراد البشر إشعال النار . فشلوا فشلا ذريعا . حاولوا مرات عديدة أن يقدحوا الصخور أو عيدان النباتات الجافة بعضها ببعض . لم تنطلق الشرارة أبدا . أنهوا الوليمة دون أن يتناولوا اللحم الطرى . باتوا ليلتهم فى البرد القارص . إختفت النار من مجتمع الرجال . أصبح الدفء حلما لذيذا بعيد المنال . لا أحد ينكر فائدة النار للبشر . لا أحد يستطيع أن يتخيل إنسانا يعيش بلا نار . عدم وجود النار معناه عذاب فى الليل وحسرة فى النهار .

لم يرض پروميثيوس أن يترك البشر يقاسون ذلك العذاب الأليم . هو الذى خلقهم ومنحهم صفة العناد . هو الذى تسبب فى غضب زيوس منهم . عليه أن يدافع عنهم . ويقف بجانبهم . ويعوضهم بحنانه وحبه ما يلاقونه من عذاب على يد زيوس. فكر پروميثيوس ولم يطل تفكيره كان سريع البديهة ، واسع الحيلة . شجاعا لايعرف الخوف . صعد خلسة إلى السماء (١٦) . انتهز فرصة انشغال زيوس فى تصريف شئون مملكته الإلهية . حمل قبسا من اللهب (١٧) . هبط به فى خفة إلى

(١٥) أراد زيوس بذلك تحطيم الجنس البشري نهائياً Aeschylus, Prometheus Vinctus, 233 sqq.

(١٦) Guerber, Op. Cit., p. 16 .

(١٧) سرق پروميثيوس النارمن السماء .(Hesiod, Opera et Dies, 50 sqq) أو سرقها من إله الشمس .(Servius, Scholia to the Bucolics, VI, 42) أو سرقها من دكان الحدادة الخاص بالإله هفايستوس (Aesch., Prom. Vinct., 7) فيما يتعلق بهذه النقطة بصفة عامة راجع Hyginus, fabula 31, 54; 142 and 144; Apollodorus, I, 45; II, 85; III, 169 .

http://www.al-maktabeh.com

عالم البشر [١٨] . أشعل أفراد البشر جذوع الأشجار . انتشر الدفء على وجه الأرض. عادت السعادة إلى الجميع . لم ينس أفراد البشر فضل پروميثيوس عليهم . لم يشاءوا أن يفقدوا عطف زيوس إلى الأبد . أقاموا المحاريب تكريما لرب الأرباب . قدموا الأضاحى على المذابح المقدسة . أشعلوا النيران المقدسة فى معابد أقاموها تكريما له . ظلوا على عنادهم يأكلون اللحم الطرى من الذبيحة ثم يتركون للآلهة عظاما وشحما .

إستولى الغضب على زيوس كلما رأى سعادة الرجل على وجه الأرض. أكلت نار الحقد قلبه كلما شاهد ألسنة النيران ترتفع عالية نحو السماء تتحدى سلطانه وجبروته وتشهد بانتصار پروميثيوس . لم يندفع ثائرا فى هذه المرة كعادته . بل فكر فى طريقة ينتقم بها من پروميثيوس اللعين ومخلوقه العنيد . قرر أن يصب على البشر فى هذه المرة جام غضبه . أن يصيبهم بكارثة أبدية لا يستطيع واحد منهم أن يتخلص من شرها أبدا [١٩] .

إستدعى زيوس ابنه هيفايستوس الإله القمىء الأعرج الفظ ، مَنْ اعتاد أن يصنع للآلهة الدروع والحراب والأسلحة المدمرة المهلكة .. أصدر إليه أوامره . نفذ الابن على الفور أوامر والده . خلط حفنة من التراب بقليل من الماء . شكَّلها فى صورة إنسان . نفخ فى صدرها فتنفست . وضع الكلمات فى حلقها فنطقت . مرَّ بكفه على وجهها فظهرت ملامح وجه نسائى مشرق جذاب . ثم جمع زيوس مجلس الآلهة– آلهة الأولومپوس – طلب من كل إله أن يمنح مخلوقة هيفايستوس صفة من صفاته . طلب من كل ربة أن تنعم على مخلوقة الإله القمىء بنعمة من نعمها [٢٠]. لم تكن تعرف الآلهة والربات حقيقة مقصد زيوس . ظنوا أنه يريد أن يرسل إلى الرجل على الأرض نصفه الآخر كى تكتمل سعادته . سارعوا إلى تحقيق إرادة زيوس[٢١] .

(١٨) Servuis on Vergil's Eclogues; VI, 42 .

(١٩) انظر قصة پاندورا كاملة عند هيسيودوس : الأعمال والأيام ، سطور ٤٢ – ١٠٥ . أنساب الآلهة ، سطور ٥٦٥ – ٦١٦ . يعتقد روبرت جريڤس (Graves; Greek Myths, Vol. I, p. 148) أن قصة پروميثيوس وإبيميثيوس وپاندورا ليس من التراث الأسطوري الأصيل بل قصة من القصص التي يرويها واحد من أعداء المرأة وربما يكون هيسيودوس هو مبتكرها .

(٢٠) Rose, Op. Cit., p. 55 .

(٢١) Hamilton, Op. Cit., pp. 70 - 72 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

تقدمت الربة أثينة . ذات العينين البراقتين. ألبست مخلوقة الإله القميء أحسن الثياب . ألبستها ثيابا مطرزة بخيوط من الذهب والفضة الخالصة . تقدمت الربة أفروديتي . ربة الجمال والرغبة . لمست مخلوقة الإله القميء .. فبعثت في جسدها أنوثة صارخة . وجعلت الدفء صفة مميزة من صفاتها . تقدمت ربات البهجة والسرور . أحطْن بمخلوقة الإله القميء . بعثن بأنفاسهن اللذيذة في وجهها (٢٢) ، فاكتسبت ظلا خفيفا وروحا مرحة ظلت جزءا من طبيعتها عبر الأجيال والعصور . تقدمت ربات النعيم ذوات الجدائل الذهبية . وضعن فوق رأس مخلوقة الإله القميء إكليلا من الزهور اليانعة . تقدم كل إله . تقدمت كل ربة . منحها كل منهم صفة من صفاته أو جانبا من طبيعته . حتى جاء دور هرميس ، رسول الآلهة الماكر اللبق . تقدم هرميس . فمنح مخلوقة الإله القميء الكذب اللذيذ ، والخداع الحلو ، والصوت العذب .

لم يكتف الحاكم الأعظم بكل تلك الصفات والطباع التي منحها لمخلوقة الإله القميء . أعد صندوقا فاخرا مزخرفا بالعاج والذهب الخالص ، مرصعا باللآلىء والجواهر . محفورا على جدرانه بأجمل المناظر . قاعدته من الفضة الخالصة . غطاؤه مغلف بصفائح من الذهب اللامع (٢٣) . ملأ زيوس الصندوق بالهدايا – هدايا زيوس– سلّمه إلى هرميس رسول الآلهة . أمره أن يصطحب مخلوقة الإله القميء مع هرميس. ومنذ تلك اللحظة عرفت هذه المخلوقة باسم باندورا ، ومعناه هدية الجميع . فهي هدية من جميع آلهة السماء إلى جميع رجال الأرض (٢٤) .

علم بروميثيوس بأمر باندورا . لم يكن يخفى عنه شيء في الأرض أو في السماء . أرسل في طلب شقيقه إبيميثيوس على الفور . نصحه بعدم قبول هدايا من زيوس . كان بروميثيوس بعيد النظر . حريصا متيقظا أبدا . إخترق هرميس الهواء في سرعة فائقة متجها نحو الأرض . نحو مجتمع الرجال حيث لا فساد ولا ظلم . لا ألم ولا مرض . لا نزاع ولا وقيعة . لم يشأ زيوس أن يقدم باندورا إلى بروميثيوس . كان

(٢٢) Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s. v. Pandora.

(٢٣) Guerber, Op. Cit., pp. 17 - 21 .

(٢٤) من هنا جاءت التسمية باندورا ، أي جميع الهدايا وهي مركبة من كلمتين πάν بمعني كل وδῶρον بمعني هدية . أي أنها تمثل هدية من كل إله أو ربة .

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٣):
باندورا وبين يديها الصندوق .

مكتبة المهتدين الإسلامية

يعرف تماما حرصه الشديد . أمر هرميس أن يقدمها إلى إبيميثيوس . كان واثقا من سذاجته وبساطة تفكيره .

وصل هرميس إلى عالم البشر حيث قابل إبيميثيوس . كانت باندورا بصحبته . وقع نظر إبيميثيوس على باندورا . مادت به الأرض من شدة الإعجاب . توقف لسانه عن الحركة وانعقد عن الكلام . لم يستطع أن يقاوم سحرها وفتنتها . أخذ يدور حولها. يحملق في قوامها . يتفرس فيها الفتنة والأنوثة. اقترب منها . ملأ صدره بعبيرها العبق . فرح هرميس . هنأ نفسه بنجاح مهمته . سوف يقبل إبيميثيوس على الفور هدية زيوس . لكن – ما أن علم إبيميثيوس أنها هدية من زيوس حتى ثاب على الفور إلى رشده . تذكر نصيحة أخيه . رفض الهدية في أدب جم واحترام شديد . ثار زيوس ثورة عارمة . ازداد غضبه واحتد . لم يكن يتوقع أن تفشل خطته. وتضيع ثمرة تدبيره . هدد وتوعد . لكن إبيميثيوس كانٍ يطيع أخاه فأصر على رفض الهدية ، عندئذ قرر زيوس الانتقام من بروميثيوس ، أُس الفساد والفتنة على وجه الأرض .

قُبض على بروميثيوس . صُلب على صخرة في منطقة نائية جرداء [٢٥] . سلّط عليه عقاب ينتزع كبده في الصباح ، حتى إذا ما أدركه صباح اليوم التالي نما في صدره كبد آخر فينتزعه العقاب من جديد [٢٦] وهكذا . أشفق إبيميثيوس على شقيقه . لم يحتمل رؤيته وهو يتعذب من أجل البشر ذلك العذاب الأليم . كان يحب أخاه . قرر أن يقبل الهدية [٢٧] استقبل إبيميثيوس باندورا في منزله . أوصلها إليه هرميس . سلمها صندوق الهدايا الذي أعطاه زيوس إياه . وقبل أن يتركهما هرميس قدم إليهما نصيحة عابرة :

إن أردتما أن تعيشا في سعادة وسلام لا تحاولا فتح هذا الصندوق أو معرفة محتوياته .

عاشت باندورا في مجتمع الرجال حيث لا فساد ولا ظلم . لا ألم ولا مرض، لا

(٢٥) يري أيسخولوس أن سبب عقاب زيوس لبروميثيوس هو سرقة النار (أيسخولوس ، بروميثيوس مغلولا ، سطر ٧ وما بعده) بينما يري هيسيودوس أن السبب هو خداع بروميثيوس لزيوس وتقديمه له الأجزاء الرديئة من الذبيحة (هيسيودوس ، أنساب الآلهة ، سطر ٥٣٤ وما بعده) .

(٢٦) Hamilton, Op. Cit., pp. 72 - 3 .

(٢٧) Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 20 - 23 .

http://www.al-maktabeh.com

نزاع ولا وقيعة . عاشت زوجة مخلصة لإيبيميثيوس . نشرت البهجة من حولها . أشاعت السرور والمرح على وجه الأرض . لم يندم إيبيميثيوس فى هذه المرة على ما فعل . لم يندم على قبول هدية زيوس . بل توجه إليه بالشكر والثناء . لم يكن على وجه الأرض من هو أسعد منه . وجد نصفه الآخر . نصفه الحلو . نسى كل شيء فى حياته قبل أن يعرف پاندورا – حتى صندوق الهدايا الذى سلمه هرميس إلى پاندورا – لم يكن لپاندورا ماض لتنساه . لم يكن يشغل بالها شيء سوى سعادة إيبيميثيوس . لكنها كانت تفكر دائما فى صندوق الهدايا . تسأل إيبيميثيوس – أحيانا – لِمَ نصحهما هرميس بعدم فتح الصندوق . كان يرد عليها إيبيميثيوس فى بساطة قائلاً إنه يفضل السعادة على فتح الصندوق ومعرفة محتوياته . كانت پاندورا تسأل نفسها – دائما – نفس السؤال . لم تكن تجد لنفسها إجابة عليه . كثيرا ما حاولت أن تفتح الصندوق . وكثيرا ما اكتشف إيبيميثيوس أمرها فأفسد محاولاتها المتكررة .

لم تستطع پاندورا أن تصمد وتقاوم أكثر من ذلك . كان حب الاستطلاع يؤرقها فى الليل ويقلقها فى النهار . كانت تتسلل إلى ذلك المكان القصى – الذى أخفى فيه إيبيميثيوس الصندوق – وتقف أمام هدية زيوس ساعات طويلة . حتى كانت لحظة لم تستطع أن تتغلب على غريزة حب الاستطلاع . فلقد أراد زيوس أن يكون حب الاستطلاع من مقومات شخصية پاندورا . استولى عليها الفضول . سحقتها رغبة جارفة لمعرفة محتويات الصندوق . اقتربت منه . مدت ذراعيها نحوه . حملته بين يديها . وضعته بين قدميها . [illegible] فى تردد . ثم فجأة انحنت إلى الأمام . أمسكت غطاء الصندوق بيديها . رفعت الغطاء بكل قوتها انفتح الصندوق.. لكن إيبيميثيوس كان فى تلك اللحظة قد وصل إلى مكان الصندوق . كان يعرف رغبة پاندورا . وكثيرا ما أفسد محاولات من ذلك النوع.

أسرع إيبيميثيوس بإغلاق الصندوق . أحس بالغضب . أحس بضيق شديد شعر بالنصب . نهر پاندورا .وجه إليها أقذع العبارات . ثارت پاندورا . أحستِ بالغضب . شعرب بالتعب . تشاجرت معه . أراد أن يضربها . وقفت أمامه متحدِّية . صفعها على وجهها . علا صراخها . تجمع أفراد البشر حولهما . انقسم الجمع بين مؤيد ومعارض . دبَّ شقاق بين الإخوة . فرَّق الطمع بين الأشقاء . انتشرت الأمراض والعلل . أتت الشيخوخة على الرجال . لم يكن يحدث شيء من ذلك على الأرض قبل أن تفتح پاندورا الصندوق . ليتها لم تفتحه !!!

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (٤):

باندورا تفتح الصندوق .

http://www.al-maktabeh.com

حاول إبيميثيوس أن يعرف سبب انتشار ذلك البلاء على وجه الأرض . عرف السبب . بطل عجبه . عرف أن زيوس كان قد سجن فى الصندوق الفاخر جميع الشرور والأوبئة والمتاعب – جميع الأرواح الشريرة المؤذية . فإذا فتحت پاندورا الصندوق انطلقت تلك الأرواح تعيث فسادا على وجه الأرض (٢٨) . ترتع بين البشر . تلهب بسياطها قلوبهم . وتقضى بشرورها عليهم . كان زيوس واثقا من أن پاندورا سوف تفتح الصندوق . لكنه الحاكم الأعظم . ملك الملوك رب الأرباب . حاكم الأرض والسماء وما بينهما . حقا أراد زيوس أن ينتقم من عباده الظالمين . لكنه كان رؤوفا رحيما . أضاف إلى محتويات الصندوق فى آخر لحظة روحا خيِّرة واحدة . لكنه كان يعلم أنها قادرة على القضاء على جميع الشرور . سجن زيوس روح الأمل مع الأرواح الشريرة فى الصندوق . عندما فتحت پاندورا الصندوق انطلقت الأرواح الشريرة . وعندما أغلقه إبيميثيوس بسرعة سجن الأمل داخل الصندوق . أصبح البشر يحسون العذاب ولا يعرفون الأمل .

عاد إبيميثيوس إلى پاندورا . وجد اليأس قد تسرب إلى نفسها . وجدها تحاول الانتحار . تريد أن تتخلص من الحياة . فلم تعد تتحمل الحياة بعد . أسرع إبيميثيوس نحو الصندوق ، رفع الغطاء . انفتح الصندوق . انطلق الأمل بين البشر على وجه الأرض . عادت البسمة إلى الوجوه . دبَّ الأمل فى النفوس . أصبح أفراد البشر قادرين على احتمال متاعب الحياة .

هذه هى أسطورة پاندورا (٢٩) . أول امرأة على وجه الأرض . هذه قصة ظهور النصف الحلو لأول مرة على وجه الأرض . قد يبدو فى هذه الأسطورة – شأنها فى ذلك شأن بقية الأساطير الإغريقية – أن الإغريق كانوا يسخرون من آلهتهم . ويحطّون من قدرهم .. ولا يكنون لهم الاحترام . لكن . إذا اعتقدنا فى ذلك ضاعت قيمة الأسطورة الإغريقية وجمالها . كان الرجل الإغريقى يؤمن بنظرية التطور – حتى بالنسبة للآلهة . حتى زيوس تطور . كان فى أول عهده قاسيا . مندفعا . جشعا . أنانيا . ثم حنكته التجارب . وصقلته الأجيال . وعلمته الحوادث . وظل يتطور ويتطور

(٢٨) Hesiod, Theogony, 570 sqq; Opera et Dies, 50 sqq .

(٢٩) أحدثت أسطورة پاندورا تأثيراً علي أدباء أوروپا في العصور الوسطي . ارتبطت هذه الأسطورة بشخصيتي پروميثيوس وإبيميثيوس . راجع علي سبيل المثال :
Highet, The Classical Tradition, p. 703 n. 121 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

حـــتى أصـــبح جـــديرا بلقب رب الأرباب . فنحن نعلم أن أسطورة الصــراع بين بروميثـيوس وزيوس قد انتهت بالصلح بينهما . عفا زيوس عن بروميثيوس وعاد بروميثـيوس إلى إخلاصه وولائه لزيوس . أما عن حادثة تقسيم الذبيحة وإرسال باندورا فقد وردتا لأول مرة عند الشاعر الإغريقي هيسيودوس . ويحتمل أنها من بنات أفكاره . ابتكر الأولى ليبرر عادة تقديم عظام الذبيحة قربانا للإله . وابتكر الثانية ليهاجم المرأة ويتهكم من تصرفات بعض الزوجات .

مهما يكن الأمر . لا يستطيع الإنسان أن يستمتع بالحياة إلا إذا تمسك بالأمل .

* * * * *

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

ديوكاليون

إنتهى ديوكاليون من تجهيز صندوقه الخشبي العجيب . لم يكن يعبأ بتساؤلات الناس . لم يبحْ بالسر الذى اؤتمن عليه. جلس فى صندوقه الخشبى العجيب . جلست بجواره زوجته . ظلاً داخل الصندوق العجيب لا يفارقانه أبداً . بدا مظهرهما مثيرا للدهشة والتساؤل . طالت فترة جلوسهما داخل الصندوق. بدا مظهرهما يثير السخرية والضحك . أصبح ديوكاليون وزوجته بورًا مثار ضحك الجميع وسخريتهم . بدأ الشك يتسرب إلى نفس بورا . بدأت هى الأخرى تتساءل . لكن ديوكاليون لم يبح بالسر الرهيب حتى لزوجته . ثم كان الطوفان . تفرقت الجماعات . تشتت القبائل . انهارت القصور . تهدّمت الأكواخ . تقابلت السيول المائية الآتية من أعلى ومن أسفل . انزلق الصندوق الخشبى العجيب . بدأ يطفو فوق سطح الماء . ظلت تتقاذفه الأمواج . حتى رآه زيوس من بعيد فأصدر أوامره أن يحتفظ الصندوق بتوازنه .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

ديوكاليون

منذ بدء الخليقة ، لم يكن الشر قد وجد على وجه الأرض بعد . عاش الإنسان الأول حياة هادئة . لم يعرف العمل أو التعب . كانت الأرض غاية فى الكرم . قدمت لأفراد البشر كل ما احتاجوا إليه . قدمت لهم الفواكه والخضروات والبقول والحبوب . أمدتهم الحيوانات باللحوم والألبان . جادت عليهم البحار والأنهار بالأسماك . لم يكن الإنسان يحمل هم قوت غده .

لم يكن يفكر إلا فى يومه . أما مستقبله فكان مضمونا. لم يعرف الإنسان الثروة أو حيازة الأرض . لم يعرف النزاع أو الشجار . لم تكن له أطماع أو تطلعات . لم ير إلا الوجه الطيب الحلو للحياة . لذا عاش الإنسان هادئا . وديعا . قرير العين . منشرح الصدر . لم تكن للإنسان وظيفة سوى اللهو والإنجاب .

ظل الإنسان يلهو وينجب . ازداد عدد أفراد البشر . زاد استهلاكهم لخيرات الأرض . أحس بعضهم بالحاجة . بينما كان لدى البعض الآخر فائض . شعر البعض بالتخمة . بينما شعر البعض الآخر بالجوع . أصبح العالم فى حاجة إلى إعادة توزيع خيرات الأرض وثرواتها . ظهر على وجه الأرض لأول مرة القوى والضعيف . الغنى والفقير . الظالم والمظلوم . الحاكم والمحكوم . الجانى والمجنى عليه . الخاضع والمتمرد . الكافر والورع . اختلفت الرؤية . وتضاربت الآراء . ساءت معاملة الإنسان لأخيه الإنسان . توترت العلاقات بين أفراد البشر والآلهة . كان كبير الآلهة زيوس يرقب كل ذلك من بعيد . أحس بالمرارة . استولى عليه الغضب . أخذ يهدد أفراد البشر فردا فردا . أنزل عقابه بالفرد تلو الفرد . لكنه سئم الانتقام والعقاب . فلقد انتشرت الجريمة انتشارا واسعا . وأصبح الشر علامة مميزة على طريق البشرية وأخذت شعوب بأكملها تتمادى فى ارتكاب الجرائم (١) .

قرر زيوس أن ينتقم من الجنس البشرى كله . فلقد يئس من تعليم أفراد البشر وتثقيفهم . قرر أن يقضى على جميع الناس . أن يمحو كل الملامح البشرية . بذلك

(١) Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 22 - 24 .

http://www.al-maktabeh.com

يكون قد قضى على الشر والفساد . ثم قرر أن يخلق أناسا آخرين لم يعرفوا الشر والفساد بعد . بذلك يصبح من السهل تلقينهم مبادىء الفضيلة والخير (٢) . لكن زيوس خشى أن يكون جائرا فى حكمه ظالما فى قراره . فلقد كان كبير الآلهة زيوس – فى أغلب المواقف – يكره الجور ويمقت الظلم . دعى زيوس آلهة الأولومپوس . عقد جلسة ربانية عصيبة . إنبرى من فوق عرشه يشرح لأعضاء المجلس كيف ضل الجنس البشرى طريقه . وكيف تمرد على من خلقه . ثم عرض عليهم قراره . عقَّب أعضاء المجلس على حديث كبيرهم الموقَّر . أخبروه أنهم يلاحظون فى صمت فساد الجنس البشرى وضلاله . أيدوه فى قراره العادل . دارت المناقشة بينهم .عرض كل منهم رأيه . ليس هناك طريقة واحدة تكفل الأمان المطلق لمملكة الأولومپوس وتضمن سلامتها . فجأة . طرأت فى ذهن زيوس فكرة رأى فيها السلامة والأمان . هلل وصرخ بأعلى صوته : الطوفان .. الطوفان .. تهلل وجه أعضاء مجلس الآلهة . باركوا الفكرة بلا تردد . بدأ زيوس فى تنفيذها على الفور .

صدرت الأوامر الربانية إلى الرياح والعواصف . انطلقت الرياح من معاقلها . اندفعت تسابق بعضها البعض . تقابلت ريح الشمال مع ريح الجنوب . اندفعت الرياح من ناحية الغرب لتتقابل مع الرياح الآتية من ناحية الشرق (٣) . انتشرت العواصف فى كل اتجاه . تجمعت السحب المثقلة ببخار الماء فوق سطح الأرض . حجبت أشعة الشمس عن سكان المعمورة . إصطدمت السحب الداكنة بالرياح الشمالية الباردة . انهمرت الأمطار غزيرة فى كل مكان . فى الوقت نفسه صدرت الأوامر الربانية إلى المحيطات والبحار . إلى الأنهار والبحيرات . إلى جميع المجارى المائية الكائنة على وجه الأرض . أسرعت الرياح المندفعة تضرب سطوح المياه . ارتفعت الأمواج عالية تضرب الشواطئ والضفاف . فاضت المياه فى جميع الاتجاهات . غمرت الشواطئ والأراضى المتاخمة . اندفعت فى سرعة رهيبة نحو المناطق المجاورة والمحيطات . تقابلت مياه الأمطار الغزيرة المندفعة من أعلى مع مياه المحيطات والبحار والأنهار والبحيرات والمجارى المائية الفياضة . لم يعد هناك شبر من الأرض بعيدا عن الفيضانات . لم تعد هناك قمة جبلية واحدة لم تدركها المياه .

(٢) . Hamilton, Mythology, p. 74 .

(٣) . Warner, Men And Gods, pp. 51 - 2 .

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (٥) :

مملكة الآلهة فوق جبال الاولومبوس .

http://www.al-maktabeh.com

صحا أفراد البشر من غفوتهم . تنبهوا إلى ما يحيط بهم من أخطار . حاصرتهم المياه من كل جانب . اندفعت السيول نحوهم من كل اتجاه . اقتحمت المياه القصور الشاهقة والمعابد الضخمة . غمرت الأراضى الزراعية والمراعى والمنازل والأكواخ . أتت على جميع ممتلكات البشر . تدفق أفراد البشر جماعات خارج القصور والمنازل والأكواخ . تركوا ممتلكاتهم التى حصلوا عليها بعد جهد ومشقة . غادروا قصورهم التى شيدوها بعرق جباههم وقوة سواعدهم . نسوا أبناءهم وبناتهم . تركوا وراءهم صغارهم . لم يعد كل فرد يفكر إلا فى نفسه . لم ير كل منهم سوى الموت أمامه وخلفه . سيطر الرعب والفزع على جميع النفوس . أغرقت المياه أعدادا لا تحصى من الأجساد . توقف نبض الحياة فى شرايين الأرض . أصبح البشر فى خبر كان .

كان زيوس يرقب فى عليائه ما يدور على وجه الأرض . ظل يحث الرياح والعواصف كى تواصل اندفاعها الرهيب . ظل يصدر أوامره للسحب الداكنة أن تلقى بأحمالها وأثقالها . استمر فى توجيه تعليماته إلى المحيطات والبحار والبحيرات والمجارى المائية . امتزجت قهقهات زيوس بهدير المياه . بصفير الرياح . بصرير العواصف . بصيحات أفراد البشر اليائسة . دوّت فى الفضاء جلبة صاخبة أشبه بسيمفونية حزينة . ظل كبير الآلهة يجول بنظراته الثاقبة فوق السهول والوديان والمرتفعات . لم يعد يرى سهولا أو وديانا أو مرتفعات . رأى بركة هائلة بلا ضفاف أو حدود . رأى تلالا من الأمواج الهادرة تندفع بشدة من مكان إلى مكان . وجد أشلاءً وجثثا وحطام أكواخ وقصوراً تتقاذفها الأمواج . لم يعد يعرف القوى من الضعيف . الغنى من الفقير . الظالم من المظلوم . الحاكم من المحكوم . الجانى من المجنى عليه . الخاضع من المتمرد . الكافر من الورع . أصبح جميع البشر سواء . أصبحوا جثثا وأشلاء . ظل زيوس يقهقه . انطلقت قهقهاته تدوى فى الأفق البعيد . ثم استولى على عرشه المهيب . وأصدر أوامره الربانية أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه . لقد أتى الطوفان على الإنسان . أتى على الخير والشر معا . خلا وجه الأرض من كل شيء حى . عندئذ بدأ زيوس يفكر – وهو يتأمل وجه الأرض من عليائه – كيف يخلق جيلا آخر من البشر لا يعرف الشر .

فجأة بدا أمام ناظرىْ زيوس شيء لفت نظره . رأى بين الحطام الطافية فوق الماء كتلة ضخمة . داكنة اللون . تتقاذفها الأمواج . لاحظ أن الكتلة الداكنة ذات شكل خاص . لم يكن شكلها مألوفا لدى كبير الآلهة زيوس . أخذ يدقق النظر . يبعث

مكتبة المهتدين الإسلامية

بنظراته الثاقبة . يحملق ويحملق . فلقد غلبه حب الاستطلاع . ولم يعد قادرا على الانتظار حتى تقترب منه تلك الكتلة الضخمة . بدأت الكتلة الغريبة تقترب نحو كبير الآلهة شيئا فشيئا . بدأ ذهوله يزداد ويعظم شيئا فشيئا . كانت الكتلة أشبه بصندوق خشبى ضخم . مجوف . يحوى بداخله أشياء لم يتبينها كبير الآلهة من بعيد . لم يستطع زيوس أن يحتفظ بهدوئه ووقاره لفترة أطول . تحرك فى عليائه . اتجه نحو الكتلة الغريبة . ازدادت دهشته . واشتد ذهوله . لمح فى داخل الصندوق الخشبى أشباحا تتحرك . رأى رجلا وامرأة يكافحان من أجل الاحتفاظ بتوازنهما فى داخل صندوق . حاول أن يتعرف عليهما ، لكن الأمواج العالية والأمطار الغزيرة لم تمكنه من ذلك . أصدر أوامر مشددة للرياح أن تهدأ . وللأمطار أن تتوقف وللصندوق أن يحتفظ بتوازنه . عندئذ . أخذ يتفرس ملامح الشبحين . وبصعوبة بالغة تعرف عليهما: إنهما ديوكاليْون وزوجته بوراً .

تساءل زيوس . كيف استطاع ديوكاليْون أن يظل حيا وسط ذلك الطوفان الشامل !!! كيف استطاع أن يصنع ذلك الصندوق الخشبى الهائل !!! كيف علم بأمر الطوفان قبل حدوثه فتحاشى الغرق !!! كيف استطاع أن يجمع فى صندوقه الخشبى كل الضروريات التى ساعدته على الحياة داخل الصندوق !!! لم يستطع زيوس أن يكتم تساؤلاته . انطلق يصيح بأعلى صوته . يسأل ديوكاليْون . وسرعان ما وجد زيوس إجابات سريعة لجميع تساؤلاته .

ديوكاليون هو ابن بروميثيوس (٤) . التيتن المتمرد العنيد . كان لبروميثيوس مواقفه البطولية المعروفة لدى الآلهة والبشر . قدم للبشر خدمات جليلة . لم يعبأ بغضب كبير الآلهة . بل تمرد على سلطانه . عاقبه زيوس عقابا أبديا . ما زال بروميثيوس مقيدا فى الأغلال . مشدودا إلى صخرة جرداء . فى منطقة قاحلة فوق جبل كاوكاسوس . كان بروميثيوس قادرا على معرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل . ذلك هو السبب فى عناده وثقته الزائدة فى نفسه . كان يعلم مصير الآلهة والبشر . يرى بوضوح الأحداث قبل وقوعها . يعلم مصير كبير الآلهة نفسه . يقرأ أفكاره . يعرف مشروعاته المقبلة . لذا . كان من الطبيعى أن يعلم بالطوفان قبل حدوثه . ولم تكن زوجة ديوكاليون سوى بوراً ابنة إبيميثيوس . كان إبيميثيوس الشقيق الأصغر

(٤) فيما يتعلق بالتيتن بروميثيوس وشقيقه إبيميثيوس انظر أعلاه ص٦٣ وما بعدها .

http://www.al-maktabeh.com

لبروميثيوس . ولكنه كان على نقيض منه . كان مسالما . مطيعا . لا يعرف العنف . أرسلت إليه الآلهة هدية - امرأة جميلة - رقيقة . مطيعة مثله . عرفت باسم پاندورا. تزوج إپيميثيوس پاندورا . فأنجبت له بورا . لم يكن ديوكاليون - إذن - سوى ابن بروميثيوس . ولم تكن زوجته بورا سوى ابنة أخيه إپيميثيوس (٥) . لذا . كان من الطبيعى أن يهتم پروميثيوس بأمر ولده ديوكاليون (٦) . كان من الطبيعى أن يحرص على مستقبله . بل كان من الواجب عليه أن يحذره . وأن يحيطه علما بالطوفان الشامل قبل حدوثه (٧) .

علم ديوكاليون أن زيوس سوف يغرق العالم . سوف يمحو الجنس البشرى من على وجه الأرض . انزعج ديوكاليون . سيطر عليه الحزن والفزع . اشتدت به الحيرة. أصبح لا يدرى ماذا يفعل . لم يستطع أن يخبر أحدا بأمر الطوفان المنتظر . تلك كانت أوامر پروميثيوس له . لذا . كان عليه أن يلجأ إلى پروميثيوس نفسه . يسأله العون . ويطلب منه المشورة . نصحه پروميثيوس . عمل على الفور بنصيحته . ذهب إلى أعلى قمة فى بلاد الإغريق . قمة جبل پارناسوس . أخذ يجمع جذوع الأشجار وسيقان النباتات . بدأ يشق الجذوع ويحولها إلى ألواح خشبية سميكة . جمع الألواح الخشبية . وضعها جنبا إلى جنب . صنع منها صندوقا ضخما . نصحه پروميثيوس أن يصنع صندوقا ذا شكل خاص . أطاع ديوكاليون والده . صنع صندوقا متوازى الجانبين إنسيابى المقدمة والمؤخرة . فرش الصندوق من الداخل بسيقان النباتات والقش الجاف . كدس فيه أكواما من المواد الغذائية . جمع فيه كل صنف من أصناف الأطعمة . وضع فيه كل ما يؤنس وحدته أو يمده بالغذاء اللازم . جهز أردية وملابس تقيه وزوجته البرد القارص وتحميهما من حرارة الشمس الحارقة . شاهد الناس ديوكاليون وهو يفعل ذلك . استولت عليهم الدهشة . سألوه . رفض أن يجيبهم (٨) .

انتهى ديوكاليون من تجهيز صندوقه الخشبى العجيب . لم يكن يعبأ بتساؤلات الناس . لم يبح بالسر الذى اؤتمن عليه . جلس فى صندوقه الخشبى العجيب . جلست بجواره زوجته . ظلا داخل الصندوق العجيب لا يفارقانه أبدا . بدا مظهرهما يثير

(٥) Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s. v. Pondora.

(٦) Rose, Greek Mythology, p. 257 .

(٧) Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 139 .

(٨) ديوكاليون - كما يقول Zimmerman, (Op. Cit., s. v. Deucalion) هو «نوح» في الأساطير.

مكتبة المهتدين الإسلامية

السخرية والشك . أصبح ديوكاليون وزوجته بورا مثار ضحك الجميع وسخريتهم . بدأ الشك يتسرب إلى نفس بورا . بدأت هى الأخرى تتساءل . لكن ديوكاليون لم يبح بالسر الرهيب حتى لزوجته . ثم كان الطوفان . تفرقت الجماعات . تشتتت القبائل . انهارت القصور . تهدمت الأكواخ . تقابلت السيول المائية الآتية من أعلى ومن أسفل . انزلق الصندوق الخشبى العجيب . بدأ يطفو فوق سطح الماء . ظلت تتقاذفه الأمواج حتى رآه زيوس من بعيد . فأصدر أوامره أن يحتفظ الصندوق بتوازنه .

قهقه زيوس . ظلت قهقهاته تدوى فى الأفق البعيد . ضحك كثيرا . لقد أتت الأقدار بما لم يكن فى الحسبان . لم يكن زيوس يقصد انقاذ ديوكاليون وزوجته . لكن ديوكاليون كان ورعا . لم يكن متمردا على سلطان زيوس (٩) . لم يكن يظلم شعبه . كان مثالا للإنسان الطيب الوديع . كذلك كانت زوجته بورا . فكر زيوس فى أمرهما : يستطيع أن يصدر أوامره للرياح والعواصف . يستطيع أن يقلب الصندوق رأسا على عقب . يستطيع القضاء على ديوكاليون وزوجته . لكنه لم يفعل شيئا من ذلك . لقد شاءت الأقدار . ولا مناص من تنفيذ مشيئتها (١٠) .

هدأت العواصف شيئا فشيئا . بدأت الرياح تتباطأ فى سيرها . توقفت الأمطار عن الهطول . إنحسرت مياه المحيطات والبحار . تجمعت فى القاع . بدأت ضفاف الأنهار والمجارى المائية تعلو شيئا فشيئا حتى استوعبت كل المياه المحيطة بمجاريها . بعد تسعة أيام وتسع ليال ، عاد كل شىء إلى ما كان عليه . توقف الطوفان نهائيا . رسى الصندوق الخشبى العجيب على شاطئ البحر فى أمان وسلام . نزل ديوكاليون وزوجته على الشاطئ المهجور (١١) . لقد قام ديوكاليون وزوجته بورا بأول رحلة

(٩) Warner, Op. Cit., p. 53 .

(١٠) Guerber, Op. Cit., pp. 24 - 51 .

(١١) لم يكن ديوكاليون وزوجته فقط هم اللذيْن كتبت لهما النجاة بعد هذا الطوفان . قيل إن ميجاروس Megarus أحد أبناء زيوس صحا من نومه علي صرخات طائر الكركي فلجأ إلي جبل جيرانيا Gerania . قيل أيضا إن كيرامبوس Kerambus من بيليون Pelion قد حولته الحوريات إلي خنفساء سوداء فاستطاع أن يصل سالماً إلي قمة جبل پارناسوس انظر :
Pausanias, I, 40; Ovid, Metamorphoses, VII, 352 - 6 .
نجا أيضا سكان مدينة پارناسوس (وهي مدينة أنشأها أحد أبناء پوسيدون يدعي پارناسوس Parnassus) إذ أيقظهم صياح مجموعة من الذئاب . انظر . Pausanias, X, 6, 1 - 2

http://www.al-maktabeh.com

بحرية فى العالم . أصبح الصندوق الخشبى العجيب – فيما بعد – سفينة يستخدمها أفراد البشر فى رحلاتهم البحرية .

سار ديوكاليون وزوجته بورا على الشاطئ المهجور . لم يكن ذلك الشاطئ سوى قمة جبل بارناسوس . إنحدرا نحو قاعدة الجبل . توغلا فى السهل الممتد الفسيح. قضيا وقتا غير قصير فى عزلة قاتلة . استمر تجوال ديوكاليون وزوجته بورا . وصلا فى النهاية إلى أطلال معبد عريق . معبد دلفى الشهير . لجآ إليه ينشدان المأوى والأمان . تقدم الزوجان الصالحان نحو قدس الأقداس المتهدم . أخذا يدعوان الآلهة أن تعمر الأرض من جديد . الأرض بلا بشر كالبحر بلا ماء . كالحياة بلا هواء . الوحدة قاتلة . لابد من وجود البشر على وجه الأرض . أخذا يناديان الآلهة والربات ويوجهان دعواتهما إلى ساكنى المعبد العتيق :

لإن عُمِرَتْ الأرض من جديد لنقدمَنَّ القرابين والأضاحى . ولنحرقَنَّ البخور ولنحكمن بالعدل . ولنعلمن الناس الحكمة . ولننهينهم عن الشر ولنأمرنهم بالمعروف .

إن عين زيوس لا تغفل ولا تنام . كان كبير الآلهة يراقب كل شىء ويتابع كل حركة . أعجب زيوس بدعوات ديوكاليون وزوجته بورا . أحس بالرضا والسرور . دب فى نفسه الأمل والتفاؤل. يستطيع الآن أن يخلق جيلا آخر يسير على هدى ديوكاليون. يأتمر بأمره . يخضع له . يستطيع الآن أن يخلق جيلا نظيفا ، ويتركه أمانة فى عنق ديوكاليون . سوف يعلمه ديوكاليون الورع والحكمة ، سوف ينمى فيه الخير المطلق وي . . عنه الشر والفساد .

تحرك زيوس فى عليائه . اتجه إلى حيث توجد أطلال معبد دلفى العتيق ، إلى حيث لجأ ديوكاليون وزوجته بورا . وصل إلى قدس الأقداس . ظهر أمام ديوكاليون وزوجته . لبى دعاءهما ، أخبرهما بمقصده . لقد قرر زيوس أن يخلق جيلا نظيفا لا يعرف الشر أو الفساد . قرر أن يعمر الأرض من جديد بشعوب صالحة . أصدر أوامره إليهما .

أىْ ديوكاليون الورع . أُخرج أنت وزوجتك الوقور من المعبد . ضع نقابا على وجهك ونقابا على وجهها . ألقيا بعظام أمكما من فوق ظهريكما وأنتما تسيران الهوينْا. هكذا بمشيئة زيوس سوف تعمر الأرض .

مكتبة المهتدين الإسلامية

سمع ديوكاليون وزوجته كلمات زيوس . سرت رعشة خفيفة فى جسديهما . انطلقت البهجة تغمرهما . شعرا بسرور بالغ . لقد بارك كبير الآلهة نجاتهما . وشمل برعايته وجودهما . جعل منهما خالقَين لأجيال البشر القادمة . قائمَين على أمورها . حارسَين عليها . مثقفين لها . إنه لشرف كبير أسبغه عليهما زيوس . ما أسعدهما ! إنطلقا خارج المعبد على الفور وهما لا يلويان على شىء . انطلقا يبحثان عن عظام أمهما . فجأة . توقف كل منهما فى سيره . استدار كل منهما نحو الآخر . طفق كل منهما يقول لزوجه (١٢) .

– لم تنجبنا أم واحدة .

– إن أمى ليست أمك .

– إذن . مَنْ يقصد زيوس بحديثه ؟

– هل يقصد أمى أم أمك ؟

–ولماذا قال أمكما وهويعلم أننا لم نولد من أم واحدة ؟

تاه الزوجان الصالحان في بحار الشك والحيرة . أخذ يقلب كل منهما مالديه من معلومات . حاول كل منهما أن يدرك مقصد زيوس . إن نبوءات الآلهة لا تخرج إلى البشر صريحة مباشرة . إنها تتحدى دائما الذكاء البشرى . فجأة . هتف ديوكاليون قائلا :

فهمتها . فهمتها .

الأرض هى أمُّنا التى أنجبتنا .

والأحجار الصلبة هى عظام أمنا . فلْنُلْقِ بالأحجار من فوق ظَهْرينا ونحن نسير الهوينا .

عندئذ . دوت فى الأفق البعيد قهقهات زيوس . وانطلقت الكلمات هادرة من فمه .

فهمتما مقصدى .

فلتبدآ عملكما على الفور .

(١٢) Warner, Men And Gods, pp. 54 - 55.

http://www.al-maktabeh.com

تأبط ديوكاليون الورع ذراع زوجته الورعة بورا . بدآ يلتقطان الأحجار من الأرض ، ويلقيان بها من فوق ظهريهما . وحدثت المعجزة . كل حجر يلقيه ديوكاليون يتحول إلى رجل عند ملامسته للأرض (١٣) . كل حجر تلقيه بورا يتحول إلى امرأة عند ملامسته الأرض (١٤) . وطال تجوال ديوكاليون وزوجته بورا وهما يلقيان بالأحجار من فوق ظهريهما (١٥) .

هكذا عمرت الأرض من جديد . هكذا خُلق جيل نظيف لا يعرف الشر أو الفساد . لكنه سرعان ما عرف الشر والفساد . وسرعان ما أصبح الشر والفساد علامة مميزة على طريق البشرية .

تلك هى قصة ديوكاليون والطوفان . تناولها كتاب كثيرون (١٦) . لكنها وردت بشيء من التفصيل عند الكتاب المتأخرين وخاصة أپوللودوروس وأوڤيديوس . يرى أوڤيديوس أن سبب الطوفان هو جريمة ارتكبها لوكاؤون ملك أركاديا (١٧) . إذ فعل ذلك الملك ما فعله تانتالوس ذات مرة (١٨) . ذبح ولده وقدم لحمه طعاما لزيوس فى وليمة أقامها له فى منزله (١٩). اختلفت الروايات حول تسمية الجبل الذى لجأ إليه ديوكاليون:

(١٣) يبدو أن فكرة خلق البشر من الأحجار وصلت إلي بلاد الإغريق من الشرق . انظر Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 142 .

(١٤) من هنا حاول بعض العلماء أن يربطوا بين كلمة λa'os وتعني شعب وكلمة λaâs وتعني حجر . انظر : Graves, Op. Cit., 139 .

(١٥) Apollodorus, I, 7. 2; Ovid, Metamorphoses, I, 260 - 415 .

(١٦) يقول أرسطو (Meteorologica, I, 14) إن فيضان ديوكاليون حدث في منطقة بلاد اليونان القديمة أي في المنطقة الواقعة حول دودونا ونهر أخيلوس .

(١٧) أسس لوكاؤون Lykaon ، مدينة أركاديا Arcadia حيث أدخل عبادة زيوس لوكايوس Lycaeus لكنه أغضب زيوس إذ ذبح صبيا وقدمه قرباناً للإله . لذلك مسخ الإله زيوس الملك لوكاؤون إلي ذئب ، وبعث بصاعقة أحرقت منزله . قيل إن عدد أبناء لوكاؤون كانوا اثنين و عشرين، وقيل أيضا إنهم كانوا خمسين . راجع :
Apollodorus, III, 8, 1; Pausanias, VIII, 2 - 1; Ovid, Metamorphoses, I, 230 sqq.

(١٨) Rose; Op. Cit., p. 208 n. 8 .

(١٩) Apollodorus, Loc. Cit.; Ovid, Loc. Cit.; Pausanias VIII, 3. 1; Tzetzes, Lychophron, 481.

مكتبة المهتدين الإسلامية

جبل پارناسوس . أو أتنا . أو آتوس . أو أوثروس (٢٠) .

تروى الروايات أن ديوكـاليـون أنجب من بورا طفـلا أسـمـاه هيللين (٢١) ، وأن هيللين أصبح – فيما بعد – الجد الأكبر للشعب الهيلليني (أي الإغريقي) (٢٢) . تـروى الأساطير أيضا أنه قد انحدر من هيللين أبناء من بينهم أيولوس ودوروس . ثم أحفاد من بينهم أيون وأخيـوس . من هؤلاء الأبناء والأحـفـاد تكونت الشعوب والأجناس الهيللينية (الإغريقية) المعروفة : الأيونيون والدوريون والأيوليون والآخيون .

يبدو أن أسطورة ديوكـاليـون والطوفـان أسطورة غـير إغـريقـيـة الأصل . ربما وصلت إلى بلاد الإغريق من آسيا . يقال إنها تشير إلى طوفان حدث في بلاد ما بين النهرين أثناء الألف الثالثة قبل الميلاد (٢٣) . ويقال أيضا إن لها علاقة بقصة أعياد العام الجديد عند شعوب بابل وسوريا وفلسطين . وإن كان لنا أن نأخذ ببعض الآراء الحديثة فإن بورا الإغريقية هي عشتار في الأسطورة الشرقية . كما يقال أيضا إن قصة طوفان ديوكـاليون ذات أصل فـينيقي أو عـبري . لكن ، مـهـمـا اختلفت الآراء وتبـاينت الروايات (٢٤) ، فإن ذلك لا يطمس جـمـال الأسطورة أو يبطل تأثيرها في النفوس .

* * * * *

(٢٠) Ovid, Loc Cit.; I, 317; Scholiast on Euripides' Orestes, 1095; Hyginus, fabula 153; Servius on Vergil's Eclogues VI, 41, scholiast on Pindar's Olympian Odes, IX, 42.

(٢١) Guerber, op. Cit., pp. 25 - 26; Graves, Op. Cit., p. 140 .

(٢٢) انظر ص ٢٢٧ أدناه .

(٢٣) انظر تفسيرات مختلفة أخري في : Graves, Op. Cit., p. 141

(٢٤) لا بأس هنا من الإشارة إلي الشاعر فلتشر Fletcher حيث يقول في إحدي قصائده :

Who does not see in drown Deucalion's name,

When Earth her men and sea had lost her shore old Noah !!

انظر : Guerber, Op. Cit., p. 26 .

http://www.al-maktabeh.com

نَرْكِسُوس

ظلت إكو تردد المقاطع الأخيرة من كلمات نَرْكِسوس الغاضب وهى تندفع فى سرعة هائلة نحوه . لكنه ابتعد عن طريقها فجأة فى قسوة وغرور . عندئذ . هوت العاشقة البائسة على الأرض . ارتطم جسدها اللدن بالصخرة التى كان يجلس عليها نركسوس . لمس جبينها الناصع قدمىْ معشوقها القاسى . أحست إكو بطعنة نافذة فى قلبها المفعم بالحب . نهضت العاشقة المجروحة تجمع أشلاء كرامتها المتناثرة . انطلقت تعدو . بلا هدف . بعيدا عنه ...

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

نـَرْكِسـُـوس

بلاد الإغريق . بلاد الطبيعة الغناء والمناظر الخلابة . أراضيها ليست شديدة الخصوبة . تربتها ليست سمراء . لكن أمطارها غزيرة . وشمسها ساطعة . ومناخها ملائم لنمو النبات . بلاد ذات طبيعة جبلية نادرة . مليئة بالقمم والوديان والمجارى المائية . تسقط الأمطار . فتنشر الزرع والنماء . تنتشر الخضرة على شكل مدرجات. تتخللها الزهور البرية الجميلة . فتجذب الأنظار وتخلب الألباب . أنواع كثيرة من الزهور البرية تنتشر هنا وهناك ، تكسب المناطق الجبلية روعة وجمالا . وتزيدها بهجة وبهاء . زهور برية متعددة الألوان تمتد فى خطوط متعرجة وسط المروج الخضراء . تبدو فوق المرتفعات مثل قوس قزح وسط سماء صافية .

اشتهر الرجل الإغريقى بالأفق الواسع والخيال المتدفق . عرف بالسلوك البسيط والتفكير العميق . لاعجب فى ذلك . طبيعة بلاده هى السبب . بدأ الشعب الإغريقى منذ بدائيته فى تفسير الظواهر الطبيعية . بدأت الأساطير الإغريقية منذ عصور سحيقة تأخذ طابعا خاصا . أحس الإغريق أن كل شىء فى الكون لابد وأن يكون مرتبطا بالآلهة . أحسوا أن الخير والشر على السواء من صنع الآلهة . شخصوا كل شىء وكل ظاهرة على وجه الأرض ، وفى البحر ، وفى الفضاء . فالشمس إله . والقمر ربة . والكواكب والجبال والمحيطات والأنهار والبحيرات والأشجار والأزهار كلها آلهة أو أرواح أو حوريات أو أشخاص . لكل ظاهرة أسطورة تفسرها . لكل نبات قصة تشير إلى أصله . حول كل زهرة نسج الخيال الإغريقى قصة تفسر أصلها وطبيعتها (١) .

زهرة النرجس واحدة من الزهور المنتشرة فى بلاد الإغريق منذ أقدم العصور . شدت انتباه الرجل الإغريقى بمنظرها الجميل وطابعها الحزين . نسج حولها قصة ظلت تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل .

* * *

(١) Hamilton, Mythology, p. 86 .

http://www.al-maktabeh.com

نَرْكِسُوس – وهو الاسم الإغريقى لنرجس – هو ابن إله النهر كفيسوس (٢). احتضن نهر كفيسوس بشرايينه المائية المتعرجة حورية إحدى المروج الخضراء تدعى ليريوبى . قذف بمياهه المتدفقه فى جوفها الخصب فخرج إلى عالم الأحياء مولود أسماه والداه نركسوس . وهبت الآلهة نركسوس منذ طفولته حسنا رائعا وجمالا أخاذا . نشأ نركسوس الجميل فى أحضان المياه الجارية والمروج الخضراء . لم يره إنسان أو إله دون أن يعجب بجماله. تخطى نركسوس مرحلة الصبا . أصبح فى ريعان الشباب. كان يزداد جمالا وبهاء كلما تقدم به العمر . أحبه رفاقه وأصدقاؤه . أعجب به الذكور والإناث . كان نركسوس مدركا لجماله وطلعته البهية . كان يعرف أنه جدير بإعجاب الجميع وحبهم . لكنه كان لايتجاوب مع أحد من المعجبين به . كان يصدهم جميعا – ذكورا وإناثا – لم يكن يعرف الحب . لم يكن يقيم للعواطف وزنا . لكنه مع ذلك ظل محط أنظار الجميع ومركز إشعاع للسحر والفتنة .

من بين من أحبوا نركسوس وأعجبوا بجماله حورية تدعى إكو (إيخو) – وإيخو كلمة يونانية معناها الصدى – إكو فتاة رائعة الجمال . فائقة الحسن . متحدثة لبقة . تعرف كيف تدير دفة الحديث . تقدر على التأثير بحديثها على من يستمع إليها . طلقة اللسان . بارعة فى القول . عاشت إكو وسط المروج الخضراء . وعلى ضفاف البحيرات والغدران . كانت مولعة بالتحدث مع الرائح والغادى (٣) .

فى ذات يوم جلست إكو – كعادتها – فوق ربوة فيحاء تتأمل فى الرائح والغادى. رأت من بعيد كبير الآلهة زيوس فى صحبة حورية حسناء . ثم رأت هيرا – الزوجة الشرعية لزيوس – تسعى لاهثة وقد بدت على ملامحها علامات السخط والغضب . استوقفتها إكو . سألتها عن سبب سخطها وغضبها . علمت أنها تبحث عن زوجها زيوس . فقد نما إلى علمها أنه جاء إلى تلك المنطقة لمقابلة إحدى الحوريات . سألتها هيرا عن زيوس . إدعت إكو أنها لم تره فى تلك المنطقة قط . ظلت تتحدث مع هيرا فى صوت مسموع . أخذت تقص عليها قصصا مسلية . وكلما همت هيرا بمغادرة المكان لتبحث عن زيوس استوقفتها إكو وبدأت تروى لها قصة جديدة . كانت إكو حلوة الحديث . بارعة فى القول . قادرة على شد انتباه من يستمع إليها . ذهب

(٢) Sandys, Dictionary of Classical Antiquities, s. v. Narcissus .
(٣) Hamilton Op. Cit., pp. 87 - 8 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

عن هيرا غضبها وسخطها . هدأت نفسها . نسيت ما جاءت من أجله . ظلت هيرا تستمع في شوق إلى أحاديث إكو .

غابت الشمس . أقبل الليل . امتلأت السماء بالنجوم . ومازالت هيرا تنصت إلى أحاديث إكو . فجأة لمحت هيرا زوجها زيوس وهو ينطلق من خلفها هاربا نحو مملكة الأولمبوس . انطلقت هيرا تطارده وقد عاد لهيب الغضب يلهب مشاعرها ونار الغيرة تأكل قلبها . إن هيرا قاسية لا ترحم . عاقبت إكو عقابا شديدا (٤) . حرمتها حلاوة الحديث والقدرة على الكلام . لم تعد إكو قادرة على المبادرة في الحديث . لكنها تستطيع فقط أن تردد بعض المقاطع الأخيرة من العبارات التي ينطق بها المتحدث(٥). وها نحن حتى الآن نلاحظ أن الصدى هو ترديد بعض المقاطع الأخيرة من عبارات المتحدث (٦) .

* * *

ظلت إكو تعيش وسط المروج الخضراء . وعلى ضفاف البحيرات والغدران . ألفت حياة الصمت . اعتادت على عدم المبادرة بالكلام . لكنها كانت تزداد جمالا وحسنا بمرور الأيام . كانت تجلس كعادتها فوق ربوة فيحاء . تتأمل في الرائح والغادي . تردد بعض المقاطع الأخيرة من العبارات التي ينطق بها المتحدثون . لكنها لم تكن تعجب بأحد سوى الشاب الوسيم نركسوس . كانت ترقبه في غدواته وروحاته . تتبعه بنظراتها وهو يلهو ويمرح بين رفاقه وأصدقائه . لم تكن تجرؤ على الاقتراب منه . كانت تعرف أنه شديد الزهو بجماله ووسامته . كانت تعرف أنه لم يجرب نار الحب أو لوعة الهوى . كانت تعلم أنه لا يستجيب لعبارات الغزل . لا يستمع لأحاديث الحب . كيف إذن تظهر أمامه . تطلب وده . تطارحه الغرام . وهي غير قادرة على الكلام !! كيف تعبر عن حبها وغرامها له . وهي معقودة اللسان !! كتمت إكو سر

(٤) هناك رواية أخري تقول إن استسلام إكو ومطاردتها وسلوكها السلبي تجاه نركسوس هو السبب في عقابها وفقدانها حلاوة الحديث : انظر Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 96 .

(٥) Sandys, Op. Cit., s. v. Echo.

(٦) Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 46 - 9 .

http://www.al-maktabeh.com

غرامها اكتفت بمراقبة نركسوس فى غدواته وروحاته . لم تكن تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك (٧) .

فى ذات يوم خرج نركسوس بصحبة رفاقه وأصدقائه. خرجوا للصيد كعادتهم. أخذوا يتجولون وسط المروج الخضراء . بحثا عن فريسة ضالة يرشقون سهامهم القاتلة فى صدرها . ظهرت أمامهم فجأة عدة فرائس . انطلق الرفاق خلفها . تفرقت الفرائس. اتجهت كل فريسة فى طريق . تفرّق الرفاق على الفور . انطلق كل فريق وراء فريسة . اشتدت المطاردة . طالت فترتها . أخذ نركسوس يطارد فريسته فى سرعة هائلة . ظل يطلق سهامه القاتلة نحوها . أصابها فى مكان قاتل . خرّت الفريسة . أصبحت ملك يديه . غمره السرور . أحس بحلاوة النصر . وقف ينتظر رفاقه ليشهدوا ببراعته فى الصيد . لم يحضر أحد. ظل يبحث عنهم على ضفاف البحيرات والغدران. ظل يتجول وسط المروج الخضراء . اكتشف نركسوس أنه ضل الطريق . وأصبح وحيدا بلا رفيق . لم يكن يعلم أن هناك عينا تتابعه بنظراتها . لم يكن يشعر أن هناك قلبا يلهث خلفه . لم يكن يعرف أن هناك روحا ترفرف من حوله أينما حل وحيثما سار . لم يكن يحس بوجود إكو ومتابعتها له طول فترة الصيد (٨) .

طال تجوال نركسوس . تعبت قدماه . جلس يستريح على حافة غدير . جلست إكو فوق ربوة عالية . تشاهد – فى إعجاب – حسنه وبهاءه . تنعم – فى – بجماله ووسامته. شفتاها ترتعشان من شدة الرغبة. قلبها ينتفض فى صدرها . صدرها يعلو ويهبط – كصدر صياد يلهث خلف صيد ثمين . حدثتها نفسها أن تهبط إليه. وترتمى بين أحضانه . لكن شجاعتها خانتها . تذرعت بالصبر . إكتفت بإشباع عينيها. ظلت تلتهمه بنظراتها الجائعة وهو جالس على حافة الغدير .

* * *

طال انتظار نركسوس . لم يحضر أحد من رفاقه . همّ واقفا على قدميه. أخذ ينادى بأعلى صوته ، عسى أن يدركه واحد منهم . نفذ صبر إكو . لم تعد تحتمل أكثر من ذلك ، أخذت تردد المقاطع الأخيرة من نداءاته التى لا تصل إلى آذان رفاقه .

(٧) Graves, Greek Myths, Vol. I. pp. 286 - 88.

(٨) لا تربط معظم المصادر القديمة بين نركسوس وإكو . يبدو أن أول من فعل ذلك هو الشاعر الروماني أوفيديوس Ovid, Metamorphoses, III. 341 . sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

– أنا نركسوس ؟

– نركسوس ؟

– أين أنت ؟

– أين أنت ؟

– أنا هنا بجوار الغدير .

– بجوار الغدير .

– هل تسمعنى ؟

– تسمعنى .

– احضر إلىّ فورا .

– إلىّ فورا .

– أنا محتاج إليك .

– محتاج إليك .

هكذا ظلت إكو تردد نداءات نركسوس . ظن نركسوس أن واحدا من رفاقه يرد عليه . بدت على ملامحه إمارات الفرح والسرور . انفرجت أساريره . إزدادت ملامح وجهه الجميل جمالا . لم تستطع إكو أن تظل فى مكانها بعيدة عنه . بدأت فى الهبوط نحو الغدير . اتجهت نحو نركسوس وهى فاتحة ذراعيها (٩) . انطلقت مسرعة والابتسامة على شفتيها والرغبة ملء عينيها .. وهى لم تزل تردد المقاطع الأخيرة من نداءاته التى لا تصل إلى آذان رفاقه .

– تعال .

– تعال .

– إننى أريد أن أراك .

– أريد أن أراك .

---

(٩) Warner, Men And Gods, pp. 75 - 6 .

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٦) :

نــركســـوس وإكـــو

مكتبة المهتدين الإسلامية

– أنا تائه أتوسل إليك .

– أتوسل إليك .

اقتربت إكو من نركسوس ، وهى فاتحة ذراعيها . تريد أن تقبِّله . تريد أن تحتويه بين أحضانها . قطب نركسوس جبينه . نظر إليها فى كبرياء وزهو وهو يقول:

– لا أريدك .

– أريدك .

– لا أرغب فى تقبيلك .

– أرغب فى تقبيلك .

– أموت قبل أن أشتاق إلى أحضانك .

– أشتاق إلى أحضانك .

هكذا ظلت إكو تردد المقاطع الأخيرة من كلمات نركسوس الغاضب وهى تندفع فى سرعة هائلة نحوه . لكنه ابتعد فجأة عن طريقها فى قسوة وغرور . عندئذ . هوت العاشقة البائسة على الأرض . ارتطم جسمها اللدن بالصخرة التى كان يجلس عليها نركسوس . لمس جبينها الناصع قدمىْ معشوقها القاسى . أحست إكو بطعنة نافذة فى قلبها المفعم بالحب . نهضت العاشقة المجروحة تجمع أشلاء كرامتها المتناثرة . انطلقت تعدو بلا هدف بعيدا عنه .

* * *

عاد نركسوس إلى رفاقه . ظل يلهو ويمرح كعادته . يصيب الفرائس فى أماكن قاتلة . ظل يجهز على فريسة بعد أخرى . ظل يغمره الفرح والسرور ويشعر بحلاوة النصر . لكن جرح إكو لم يندمل . ظلت تجلس – كعادتها – فوق الربوة الفيحاء تراقب نركسوس فى غدواته وروحاته . لكنها لم تتوقف لحظة واحدة عن التفكير فى كرامتها المحطمة . فى قلبها المجروح . فى المهانة التى لحقتها كأنثى . فى العار الذى قضى عليها . لم تتوقف لحظة واحدة عن الحزن والبكاء . لم يفارقها لحظة واحدة الإحساس بالندم . أصبحت مثار غضب الآلهة والربات ، أصبحت مثار سخرية جميع أفراد البشر . لم تعد زميلاتها الحوريات يحضرن لزيارتها أو يرتضين مصاحبتها فى

http://www.al-maktabeh.com

نزهاتهن . ذوى عودها النضر . ذبل جمالها الأخاذ . فنى جسدها اللدن . ذاب هيكلها فى الهواء وتناثرت رفاته بين موجات الأثير . اختفت إكو بجسدها عن الوجود . لم يبق منها سوى الصوت (١٠) : الصوت الذى يسمعه المتحدث مردداً المقاطع الأخير لحديثه (١١) .

إزداد زهو نركسوس مع الأيام . إزداد اعتداده بنفسه . لكن أفروديتى لم تكن تتخلى أبدا عن العاشقين المنبوذين . ولم تكن ترضى أبدا عن المتمردين على الحب . نادت إكو أفروديتى . لبت أفروديتى على الفور النداء . وعدتها بالانتقام من نركسوس وإن انتقام الآلهة لشديد .

* * *

ذات مرة . كان نركسوس يمارس هوايته المفضلة . أخذ يطارد فريسة ضالة(١٢) ، ويقذفها بسهامه القاتلة . قضى فترة طويلة يعدو تحت أشعة الشمس الحارقة . تعبت قدماه . اشتد به الظمأ . فجأة . وقع بصره على منطقة ظليلة يتوسطها غدير . اتجه فى لهفة نحو الماء . كانت الأشجار الباسقة من حوله تغمر المنطقة بالظلال . اقترب من الغدير . أحس بالهواء الرطب يمسح وجهه . وي.. عرقه . ويبعث فى جسده رعشة لذيذة . انبطح نركسوس على الأرض الرطبة . مال بوجهه الجميل نحو صفحة الماء . شرب نركسوس وارتوى . أحس بلذة غير عادية . شعر براحة لم يشعر بمثلها من قبل وهو منبطح علي حافة الغدير . كانت مياه الغدير صافية وصفحتها ساكنة – مثل مرآة لامعة . هم برفع وجهه من فوق سطح الماء . فجأة رأى تحت الماء وجها بشريا رائع الجمال (١٣) . توقف نركسوس عن الحركة .

(١٠) Ovid, Op. Cit., III. 341 - 401 .

(١١) تذكر بعض المصادر القديمة (Longus, III, 23; Theocritus, Syrinx, 5) رواية مختلفة عن إكو : أعجب الإله پان بالفتاة إكو ، لكنها لم تستجب لحبه . لذلك أصاب بعض الرعاة بالجنون وأوحي إليهم بالهجوم علي إكو ، فمزقوا جسدها إرباً إرباً ولم يبق سوي صوتها . هناك أيضا مصادر أخري تروي أن إكو تجاوبت مع پان وأنجب منها طفلا يدعي يونكس Iynx (Scholiast on Lycophron, 310) أو طفلا يدعي يامبي (Etymologicum Magnum, s. v. Iambe) .

(١٢) Kupfer , Op. Cit., pp. 51 - 3 .

(١٣) Guerber, Myths of Greeece And Rome, p. 97 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

تحجرت مقلتاه . ظل يحملق فى العينين الجميلتين تحت الماء. لاحظ أنهما أيضا تحملقان فى عينيه . ارتسمت على شفتيه ابتسامة عذبة رقيقة . ارتسمت على شفتى الوجه الجميل تحت الماء أيضا ابتسامة لا تقل عذوبة ورقة . أحس نركسوس بوخزة بسيطة فى صدره . لم تؤلمه . أحس برعشة خفيفة تسرى فى جسده . لم يحاول أن يعرف سببها. غادر المكان عائدا إلى بيته وهو يحس بشىء لا يعرف كهنه(١٤) .

لم يذق نركسوس طعم النوم فى تلك الليلة . لم يعرف النعاس طريقه إلى مقلتيه. قضى الليل ساهرا . يفكر فى العينين الجميلتين اللتين رآهما تحت الماء . غادر فراشه مبكرا على غير عادته . ذهب إلى الغدير . أطل بوجهه الجميل على صفحة الماء الصافى الساكن . رأى الوجه الجميل تحت الماء يطل عليه . انسحب إلى الوراء قليلا . تراجع الوجه تحت الماء فى نفس الاتجاه . لوَّح بيده الجميلة. رأى تحت الماء يدا تلوح له . حورية مائية وقعت فى حب نركسوس . حورية ليست ككل الحوريات اللاتى قابلهن من قبل . ترك نركسوس الغدير . عاد إلى بيته وهو يحس بشىء لا يعرف كنهه .

أقبل الليل . ساد الكون صمت رهيب . ظل نركسوس ساهرا فى مضجعه لا يفارق الوجه الجميل خياله . أحس برغبة شديدة للذهاب إلى الغدير . ذهب إلى هناك. تسلل فى هدوء حتى لا يزعج صاحبة الوجه الجميل . كان القمر يلقى بضوئه الفضى على صفحة الماء الصافى الساكن . عندما أصبحت جبهة نركسوس وعيناه فوق صفحة الماء ، استولت عليه الدهشة . لاحظ أن صاحبة الوجه الجميل تنظر إليه من تحت الماء . يالها من عاشقة مخلصة . ما زالت ساهرة مثله . تنتظر مجيئه فى سكون الليل . أدرك نركسوس أنه أحب . استعذب الحب . لوح بيده الجميلة لحسنائه . لوحت حسناؤه بيدها الجميلة من تحت الماء .

* * *

ظل نركسوس يتردد على الغدير فى الليل وفى النهار . يلوح بيده لمحبوبته من فوق الماء . تلوح له محبوبته من تحت الماء . يحييها . ترد التحية . يبثها عبارات الغزل الرقيق . تحرك شفتيها فتصل إلى سمعه عبارات غزل مماثلة . يمد يده فى الماء محاولا أن يمسك بحسنائه . لكن صفحة الماء تهتز وتختفى حسناؤه على الفور .

---

(١٤) Warner, Op. Cit., pp. 77 - 8 .

ضاقت به الدنيا ، تملكه اليأس ، سيطر عليه الحزن . إنه يحب حسناءه ويعشقها . لكنها لا تبادله الحب . إنها تهرب منه . إنه عاشق منبوذ .... عاشق منبوذ .

لم يغادر نركسوس حافة الغدير . لم يتوقف لحظة واحدة عن النظر إلى صفحة الماء . قضى ليله ونهاره محاولا أن يمسك بحسنائه . لكنه لم يكن يتمكن من ذلك . ذوى عوده . ذبل جماله . أصبح كسيرا . ذليلا . لا تعرف الابتسامة طريقها إلى شفتيه . قضى عليه الحزن . فارق الحياة وهو يقول :

– وداعا .. وداعا .. يا من أُحب .. وداعا .

فارق الحياة وهو يسمع صوتا نسائيا عذبا يقول :

– .. يامَنْ أُحبُّ وداعا ..

لم يكن الوجه الجميل الذى رآه نركسوس تحت الماء سوى صورة وجهه الجميل تنعكس على صفحة الماء الصافى الساكن . لم يكن الصوت العذب الذى سمعه سوى صوت إكو التى كانت تراقبه وتشهد عذابه وآلامه (١٥) . لم يكن الحب الذى استعذبه نركسوس سوى عقاب أنزلته عليه أفروديتى لم تكن إكو قد تخلصت من حبها لنركسوس لكنها كانت تريد أن تنتقم لكرامتها المحطمة .

ألقت إكو نظرة أخيرة على جسد نركسوس ، الراقد على حافة الغدير ، وسط المروج الخضراء (١٦) . ثم انطلقت بعيدا عن المناطق المزروعة العامرة . عاشت ومازالت تعيش حتى الآن صوتا بلا جسد أو هيكل فى الأماكن الجبلية المقفرة . عاشت ومازالت تعيش وهى تردد المقاطع الأخيرة من عبارات مسافر أو عابر سبيل . أما نركسوس فقد أ[illegible] عليه الآلهة وأعادته إلى الحياة . لكنه لم يعد بشرا كما كان

(١٥) لا تذكر بعض المصادر القديمة أية علاقة بين نركسوس وإكو ، لكنها تذكر أسباباً مختلفة لموت نركسوس : لأنه كان سبباً في موت رفيقه أمينياس (Konon narrat. 24, Jacoby, Ameinias Vol, I, p. 197) ، أنه حزن حزناً شديداً بعد موت شقيقته التوأم التي كانت تشبهه تماماً فظل ينظر إلي وجهه علي صفحة الماء وكأنه يري وجه شقيقته . وهناك تفسيرات أخري في :
Rose, Greek Mythology, pp. 178 - 9 n. 14 .

(١٦) Ovid, Metamorphoses, III, 402 - 510; Pausanias, VIII, 29, 4 and IX, 31, 6 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

من قبل أصبح زهرة جميلة (١٧) . مظهرها يعبر عن الحزن . تنمو على ضفاف البحيرات والغدران . ووسط المروج الخضراء . عاد نركسوس إلى الحياة فى صورة زهرة مازالت حتى الآن تسمى زهرة النرجس (نركسوس) (١٨) .

* * *

تلك هى أسطورة نركسوس . الزهرة الجميلة . التى تنمو بالقرب من المجارى المائية فتمنح المناظر الطبيعية من حولها جمالا وبهاء . تلك هى قصة زهرة النرجس. التى يرى فيها الإنسان – حتى اليوم – تعبيرا عن الحزن . لقد رأى فيها القدماء نهاية كل شيء (١٩) . كانوا يعتبرونها رمزاً للموت والفناء (٢٠) . كانت زهرة موقوفة على عبادة إله العالم السفلى هاديس . كانت الحورية الأرضية پرسيفونى تقطف أزهار النرجس عندما اختطفها هاديس واتخذها زوجة له فى عالم الموتى (٢١) . يروى أحد الأناشيد الهوميرية – نشيد ديميتر – أن زهرة النرجس نبتت لأول مرة من أجل إغراء پرسيفونى كى تقع فى قبضة هاديس (٢٢) .

وردت قصة نركسوس وإكو بشيء من التفصيل عند الشاعر الرومانى أوڤيديوس . ثم اشتهرت القصة وانتشرت انتشارا واسعا بين الأوروبيين منذ القرون الوسطى (٢٣) . تناولها عدد كبير من الأدباء . وعلى رأسهم جويلوم دى لوريس

(١٧) قيل إن إكو – بالرغم من حبها الشديد لنركسوس – طعنت محبوبها بخنجر في صدره ، فسالت قطرات من دمه علي التربة فنبتت زهرة عرفت باسمه فيما بعد . قيل أيضا إن أهل منطقة خايرونيا اعتادوا استخراج دهان من زهرة النرجس كانوا يعالجون به بعض الأمراض . انظر : Pliny, Natural History, XXI, 75 .

(١٨) Guerber, Op. Cit., p. 98 .

(١٩) يري فريزر (Frazer, The Golden Bough, Vol. III, p. 94) أن هذه الأسطورة تفسير للفكرة التي كانت سائدة بين الإغريق وهي أنه كان هناك خطر كبير من التأثير السحري الذي يصيب من يشاهد صورته في المرآة .

(٢٠) كانت پرسيفوني ووالدتها ديميتر تضعان إكليلاً من أزهار النرجس : Sophocles, Oed. Col., 682 - 4 .

(٢١) Hamilton, Op. Cit., p. 87 .

(٢٢) Hymn to Demeter, 5 sqq .

(٢٣) رأي الأوربيون في العصور الوسطي في قصة موت نركسوس رمزاً للفناء . فزهرة النرجس تنمو في الصباح ثم سرعان ما تذبل . إنها رمز لزهو الإنسان الذي سرعان ما يختفي ويذبل مع الأيام . de Boer, Ovid Moralisé III, 1835 sqq. (Apud, Highet, Classical Tradition, p. 62) .

http://www.al-maktabeh.com

Guillaume de Lorris الذى عاش فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى . تناولها جويلوم في بساطة ملحوظة . جعل من الحورية إكو مجرد «إكو» ، «امرأة عظيمة ما» . ولم يذكر أن نركسوس قد تحول بعد موته إلى زهرة (٢٤) .

فى العصور الحديثة اهتم أدباء الرمزية بقصة نركسوس اهتماما كبيرا . نذكر – على سبيل المثال – پول أمبرواز ڤاليرى (١٨٧١ – ١٩٤٥) ، الذى كتب فى وقت متأخر من حياته مجموعة من القصائد الرائعة تعرض فيها لفكرة الموت . من أروع قصائد هذه المجموعة قصيدة بعنوان «شذرات من نركسوس» نظمها ڤاليرى فى عام ١٩٢٢ (٢٥) .

* * *

ازدادت شهرة قصة نركسوس عندما اتخذها واحد من أشهر علماء النفس فى العصور الحديثة موضوعا لإحدى نظرياته فى التحليل النفسى (٢٦) . فلقد اشتهر عالم النفس سيجموند فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩) بدراسة الأساطير الإغريقية . وإعادة تفسيرها . وتحليل شخصياتها تحليلا نفسيا . ثم الخروج بنظريات أحدثت ضجة فى عالم التحليل النفسى . درس فرويد أسطورة أوديب . وخرج بنظرية عقدة أوديب . درس أسطورة بيت أتريوس . وخرج بنظرية عقدة الكترا . ودرس أيضا أسطورة نركسوس (نرجس) وخرج بنظرية النرجسية . لقد لاحظ فرويد أن التمادى فى الاعتزاز بالنفس والاعتداد بها والتمسك بحب الذات والتفانى من أجلها يؤدى إلى إنسلاخ الشخص – رجلا كان أو امرأة – عن المجتمع الذى يعيش فيه والابتعاد عنه . ويكون مصيره – حينئذ – الفناء أو الموت . ولم يجد فرويد مثالا يسوقه لإثبات نظريته سوى قصة الشاب الوسيم نركسوس الذى قضى حتفه بسبب حبه الشديد لذاته

(٢٤) Roman de la Rose, 1349 - 1510 (quoted by Highet. OP. Cit., p. 582 n. 64 and p. 68) .

(٢٥) پول أمبرواز ڤاليري Paul Ambroise Valéry ، من رواد الشعراء الرمزيين المحدثين الذين اتخذوا من الأساطير الإغريقية رموزاً وموضوعات لأعمالهم الأدبية . من أهم أعمال ڤاليري :
.The Young Fate (1917), The Pythian Prophetess (1922), Fragments of Narcissus
راجع تفسير ڤاليري لأسطورة نركسوس في . Highet, Op. Cit., p. 509

(٢٦) راجع المقدمة ص ٥٥ أعلاه وما بعدها .

مكتبة المهتدين الإسلامية

التى ظهرت له على صفحة الماء . لذا عرفت نظرية فرويد بنظرية النرجسية (٢٧) .

لم تقف شهـرة قصة نركسوس عند هذا الحد . ولعلنا لا ننسى فى هذا المجال الإشارة إلى مقال بعنوان أوسكار وايلد . كتبه الأديب الفرنسى المعاصر أندريه چيد (١٨٩١ - ١٩٥١) . فى هذا المقال يعتقد أوسكار وايلد - طبقا لرواية چيد - «أن صفحة الماء قد أحبت نرجس حبا عنيفا لأنها استطاعت أن ترى جمالها وروعتها فى عينى نرجس» (٢٨) .

إن قصة نركسوس تصور نمطا من الأنماط البشرية عاش ومازال يعيش حتى اليوم . إنها تصور الشخص الذى يعجب بنفسه ويعتد بها . ويحب ذاته لدرجة تنسيه إعجاب الآخرين به وتنسيه أيضا إعجابه وحبه للآخرين . إن قصة نركسوس تعلم البشر أن من ينسى الآخرين سوف يأتى عليه يوم ينسى فيه نفسه . فيكون فى ذلك هلاكه المبين .

* * * * *

(٢٧) Highet. Op. Cit., pp. 523 - 525 .

(٢٨) Ibid, pp. 525 - 526 .

http://www.al-maktabeh.com

أُدونِيس

.... مازال أدونيس حتى اليوم . يغادر عالم الموتى مع نهاية الشتاء . يصل إلى عالمنا مع قدوم الربيع . تستقبله الطيور فرحة مسرورة . تحتفل بقدومه الأزهار والورود . تخضر الأشجار على اختلاف أنواعها . تنشر أفروديتى أمامه وحوله الزهور اليانعة والنباتات المثمرة . يسعد العالم بلقاء أدونيس مع ربة الجمال . لكن سعادته لا تطول . سرعان ما ينتهى فصل الصيف ويصبح الشتاء على الأبواب . سرعان ما تذبل الأغصان النضرة . وتتساقط أوراق الأشجار . وتختفى الأزهار . وتموت النباتات . وتجف أغصانها وجذورها ... هكذا نعيش كل عام ننتظر قدوم أدونيس مع بداية الربيع . ونودعه مع بداية الخريف.

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أدُونــــيِس

أدونيس ، ارتبط اسمه منذ أقدم العصور بالزهور البرية والنباتات المثمرة . ارتبط اسمه برية الجمال والفتنة أفروديتي . كان يراه الرجل الإغريقى فى الربيع المقبل . فى الصيف الراحل . فى الزهرة اليانعة . فى الشجرة المثمرة . نسج الإغريق حوله أسطورة ظلت باقية حتى الآن . ربطوا بينه وبين الجمال منذ ولادته حتى وفاته .

والد أدونيس هو كينوراس ملك قبرص (١) – كما تقول إحدى الروايات . كان لكينوراس زوجة رائعة الجمال . أنجبت له ابنة فاقت والدتها جمالا وفتنة . عرفت الأساطير ابنة كينوراس باسم مورا (٢) . أحبت زوجة كينوراس ابنتها حبا جما . كانت تفخر دائما بجمال ابنتها الرائع . أشاعت أن لا نظير لجمالها على الأرض أو فى السماء . قيل لها إن أفروديتى هى أجمل ربات السماء وحوريات الماء .قيل لها إن أفروديتى هى أجمل مَنْ فى الوجود على الإطلاق . لكن زوجة كينوراس ركبت رأسها . أنكرت بشدة أن ابنتها تقل جمالا عن أفروديتى . بل أنكرت بشدة أن أفروديتى تتساوى مع ابنتها فى الجمال . أصرت على أن ابنتها تفوق أفروديتى جمالا وفتنة . أساءت بذلك إلى أفروديتى . إن البشر يعبدون أفروديتى لأنها أجمل نساء الأرض جميعا . إن الآلهة تعجب بأفروديتى لأنها أجمل الربات جميعا . رفعت زوجة كينوراس راية العصيان . رفضت أن تصلى لأفروديتى . وصلت إلى أفروديتى إشاعات زوجة كينوراس . غضبت أفروديتى . احمرت وجنتاها الورديتان . قررت أن تنتقم من زوجة كينوراس وانتقام الآلهة شديد.

---

(١) قيل أيضا . (Hyginus, fabula 58) إن كينوراس كان ملكاً لسوريا ، ربما حدث هذا الخلط بسبب نشأة عبادة أدونيس (عبارة تموز) في سوريا .

(٢) اختلفت الروايات حول اسم الملك : كينوراس Cinyras ملك قبرص أو فوينيكس Phoenix ملك بابل ، أو ثيــاس Theias ملك سوريا . كما اختلفت الروايات أيضا حول اسم ابنته : مورا Myhrra ، أو سمورنا Smyrna . راجع . Graves, Greek Myths, Vol. 1. p. 69

http://www.al-maktabeh.com

إن زوجة كينوراس تحب زوجها وتعشقه . تغار عليه ممن حوله . تفرض عليه سياجا قويا يبعد عنه سحر المعجبات وتأثير العاشقات . لا تحتمل أن ترى أنثى تتحدث إليه . وكينوراس أيضا . يحب زوجته حب العبادة . يعشقها ويذوب فى عشقها . ينشرح صدره عندما يحس أن زوجته تغار عليه . يشعر بالزهو والفخار عندما يلاحظ أن زوجته تطارده فى كل مكان . أدركت أفروديتى أنه ليس من السهل عليها أن تنتقم من زوجة كينوراس . لكن الآلهة إذا أرادت شيئا ، فلابد أن يكون . أخذت أفروديتى تفكر فى كيفية الانتقام . أخيرا هداها تفكيرها إلى خطة مروعة . بدأت فى تنفيذها على الفور (٣) .

* * *

ذات ليلة جاءت أفروديتى إلى مورا ابنة كينورا س. كانت حقا فتاة رائعة الجمال . قذفت أفروديتى بسهامها الدافئة نحو الفتاة . انتشر الدفء على الفور فى جسدها . أحست برغبة جارفة تسيطر على مشاعرها . لم تنم الفتاة فى تلك الليلة . ظلت تفكر فى رجلها المجهول . ثم جاءت أفروديتى إلى الفتاة فى الليلة التالية . قذفت نحوها بسهام أخرى . ازداد جسد الفتاة دفئا عن الليلة الماضية . لم تنم الفتاة فى تلك الليلة أيضا . لكنها أصبحت تفكر فى رجل بعينه . تفكر فى والدها كينوراس !! هكذا أرادت أفروديتى أن تنتقم . أرادت أن تعشق الابنة والدها . وكان لأفروديتى ما أرادت (٤) .

حاولت مورا أن تكبت رغبتها المحرمة، لم تستطع – أو هكذا أرادت أفروديتى. بدأت الفتاة الراغبة تهتدى إلى طريقة لتحقيق رغبتها المحرمة . ساعدتها فى ذلك وصيفة من وصيفاتها . تطوعت الوصيفة لتملأ كؤوس الشراب لسيدها . شرب الملك أكثر من المعتاد . لعب الشراب برأسه . أطفأت الوصيفة الأنوار . تسللت مورا . وارتمت فى أحضان والدها كينوراس . استعذبت العاشقة الملعونة أحضان معشوقها

(٣) أهم المصادر التي تذكر أسطورة أدونيس :

Apollodorus, III, 182 - 5; Hyginus, fabula 58, Ovid, Metamorphoses x, 298 sqq.; Servius on Vergil's Bucolics, X, 18; Servius on Vergil's Aeneid, V. 72, Antoninus Liberalis. 24; Bion, epitaphium adonidis and the anonymous Αδωνιν (Appendix, nos, X and XI in Wilamowitz - Moellendorf's Bucolici Graeci, Bibl, Class Oxon) .

(٤) يروي هذه القصة بالتفصيل الشاعر الروماني أوفيديوس :

Metamorphoses, X, 298 - 559; 708 - 739 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الملعون . فلم يكن لقاؤهما المحرم سوى نتيجة لعنة أنزلتها على الأسرة ربة الجمال والرغبة أفروديتى .تكرر اللقاء المحرم . كان الملك المخمور يعتقد أنه يلتقى بزوجته التى يعشقها . كانت الزوجة المغرورة غير مدركة لما يدور بين الوالد وابنته . أفاق الملك ذات ليلة على صوت زوجته وهى تناديه . اكتشف أنها ليست بين أحضانه . أدرك الحقيقة المروعة . استل سيفه الحاد . أراد أن يقتل ابنته الفاجرة . هربت الفتاة . أخذت تحاوره هنا وهناك . أخذ يطاردها فى كل مكان . كانت أفروديتى تراقب تطورات تلك المطاردة الرهيبة . أدرك الوالد الغاضب ابنته فوق قمة تل . هوى بسيفه بقوة شديدة فوق رأسها . لكن أفروديتى حولتها فى تلك اللحظة إلى شجرة باسقة . كانت ضربة الملك قوية شديدة . شطرت جذع الشجرة نصفين . خرج على الفور مولود كان فى رحم مورا . عرفت الشجرة منذ ذلك الوقت بشجرة المرّ (٥) . عرف المولود باسم أدونيس (٦) .

التقطت أفروديتى ابن الخطيئة أدونيس . نظرت إلى وجهه . أحست نحوه بإعجاب شديد . كان مولودا رائع الجمال . قررت أن تنقذه وتحافظ عليه . وضعته فى صندوق فاخر . ذهبت به إلى پرسيفونى زوجة هاديس إله العالم السفلى . تركته أمانة لديها . طلبت منها ألا تفتح الصندوق . وعدتها پرسيفونى بذلك . لم تستطع أن تفى بوعدها . غلبها حب الاستطلاع . فتحت الصندوق . أعجبت بأدونيس . عطفت عليه. تعهدته بالرعاية والعناية . تخطى أدونيس مرحلة الطفولة . وصل إلى مرحلة الصبا . ثم أصبح شابا يافعا . كان يزداد جمالا كلما مرت به الأعوام . أعجبت به پرسيفونى. عشقته . وجدت فيه ضالتها المنشودة . كانت تحس بالسعادة وهى بين أحضانه (٧) .

علمت أفروديتى بالعلاقة بين أدونيس وپرسيفونى . أكلت نار الغيرة قلبها الرقيق . أرسلت إلى پرسيفونى تطلب منها أن تعيد إليها أدونيس . جاءتها الإجابة بالرفض . ذهبت أفروديتى بنفسها إلى العالم السفلى . قابلت پرسيفونى. سألتها أن تعيد إليها أدونيس . أصرت پرسيفونى على الرفض. ثارت ثائرة أفروديتى . اشتد

(٥) لذا قيل إن المادة اللزجة التي تفرزها شجرة المرّ هي دموع تنهمر من أجل مصير أدونيس المؤلم . Ovid, Op. Cit., X, 500 sqq.

(٦) يروي أپوللودوروس . (Apollodorus, Biblioth., III, 183) أن أدونيس هو ابن ثياس Theias الذي أنجبه من سمورنا Smyrna .

(٧) . Hamilton, Op. Cit,. pp. 90 - 91

http://www.al-maktabeh.com

النزاع بين ربة الفتنة والجمال وربة عالم الموتى . طلبت كل منهما المعونة من كبير الآلهة زيوس . كان يعلم زيوس سبب النزاع بينهما . لم يرض لنفسه أن يفصل فى نزاع من هذا النوع . أحال الأمر إلى هيئة تحكيم برئاسة الحورية كاليوپى . حاولت كاليوپى أن تحكم بالعدل. وجدت أن كلا من الربتين على حق فى مطلبها . أفروديتى هى التى هيأت الظروف لكى يولد أدونيس . پرسيفونى هى التى تعهدته وحافظت عليه. من حق أفروديتى إذن أن تنعم بأدونيس . ومن حق پرسيفونى أيضا أن تنعم بأدونيس . لكن من حق أدونيس أيضا أن ينعم بحياته الخاصة . على ذلك أصدرت كاليوپى حكمها . سوف يقضى أدونيس الثلث الأول من كل عام فى صحبة پرسيفونى والثلث الثانى فى صحبة أفروديتى . أما الثلث الثالث فسوف يقضيه أدونيس كيفما شاء وحيثما يرغب (٨) .

* * *

هكذا عاش أدونيس . يقضى الثلث الأول من كل عام فى عالم الموتى . فى صحبة پرسيفونى . لم يكن يشعر بالسعادة معها . كان ينتظر فى شوق ولهفة موعد مغادرته للعالم السفلى . وعندما يعود إلى العالم الأرضى . تتلقفه أفروديتى . تنثر الزهور من حوله فى كل مكان (٩) . تهيئ له جوا سعيدا . تقدم له الفتنة والجمال. تسقيه كئوس الحب الخالص . تنسيه رفاقه وأصدقاءه . بذلك لم يكن يقضى بصحبتها ثلثا واحداً من كل عام بل ثلثين . وعندما يحل موعد عودته إلى پرسيفونى ، كانت أفروديتى تودعه وداعا حارا . وتواسيه بعبارات حلوة ... عنه وطأة الحزن والاكتئاب .

كان أدونيس شابا وسيما . رشيقا . حلو الملامح . يفيض حيوية ونشاطا (١٠).

(٨) انظر تفاصيل أخري للأسطورة في Rose, Greek Mythology, p. 125 .

(٩) يري بعض المفسرين المعاصرين (Guerber. Myths of Greece And Rome, p. 168) أن أودنيس يرمز للزرع والربيع .

(١٠) اختلفت الروايات حول أطفال أدونيس الذين أنجبهم من أفروديتي : أنجب ولداً يدعي جولجوس Golgos وهو مؤسس مدينة جولجي Golgi في قبرص ، أنجب أيضا ابنة تدعي بيروي Beroë وهي التي أسست مدينة بيرويا Beroea في ثراقيا . كما قيل أيضا أن بريابوس Priapus هو ابن أفروديتي من أدونيس وليس من ديونوسوس . راجع :
Diodorus Siculus, IV, 83; Apollonius Rhodius, IV, 914 - 19; Tzetzes, Lycophron, 831; Scholiast on Theocritus Idylls' XV. 100 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

يهوى الرياضة وارتياد المناطق الخلوية يعشق الصيد وركوب الخيل . يقضى معظم أوقاته يطارد الخنازير البرية الضارية . يرشق سهامه فى صدورها . يرافقه مجموعة من كلاب الصيد الضخمة المدربة . لم تكن أفروديتى راضية عن هواية أدونيس (١١). كانت تشعر بالقلق الشديد عندما يخرج للصيد . ولا يفارقها القلق إلا إذا عاد معشوقها إليها سالما . كانت تحنو عليه . تحوطه بحبها ورعايتها . تدلله وتجيب كل مطالبه . لم يبعده كل ذلك عن ممارسة هوايته المفضلة . لم يثنه عن السعى وراء ذلك النوع العنيف من الرياضة . فى النهاية . رضخت أفروديتى لرغبة معشوقها . لكنها لم تكن تستطيع أن تفارقه . كانت فى أغلب الأحيان تترك عربتها المجنحة التى تنطلق بها عبر الأثير . وترتدى ملابس الصيد . وترافق معشوقها الوسيم فى رحلاته العنيفة ومغامراته الخطرة .كانت تخرج معه إلى الغابات . ترافقه وهو يتجول باحثا عن خنزير برى ضال . كانت تحرسه . وتحافظ عليه وتنقذه بوسائلها الربانية .

***

علمت پرسيفونى بما تفعله أفروديتى بأدونيس . لاحظت أن أدونيس لم يعد مخلصا لها كما كان من قبل . لاحظت أنه يفكر فى أفروديتى أثناء وجوده بجوار پرسيفونى . حاولت أن تستبقيه فى العالم السفلى طول العام. لكنها لم تجد مبررا لذلك. عندئذ هداها تفكيرها إلى تدبير مكيدة . ترغمه بواسطتها على البقاء فى العالم السفلى إلى الأبد . بثت من حوله العيون ، ظلت تراقبه فى تجواله ورحلاته . سعت إلى إله الحرب آريس . كان آريس يعشق أفروديتى . أخبرت پرسيفونى آريس أن أفروديتى قد فضلت عليه بشرا حقيرا . شرحت له أسباب عدم اهتمام أفروديتى به . أوغرت صدره . أشعلت نار الغيرة فى قلبه . جعلته يحقد على أدونيس . أوعزت إليه أن ينتقم من منافسه . وأن يتخلص منه . أدخلت فى روعه أن موت أدونيس معناه عودة أفروديتى إلى عشيقها السابق آريس .

عرف آريس بالعنف والصلابة والبأس الشديد . كان آريس هو الذى يشعل نار الحرب ويدفع البشر إلى القتال . كان الموت جزءا من وظيفته . تأثر آريس بتوسلات پرسيفونى . اقتنع بضرورة القضاء على منافسه أدونيس . بدأ يفكر كيف يتخلص من

---

(١١) انظر Guerber, Op. Cit., pp. 86 -8 حيث لا يذكر علي الإطلاق علاقة الحب التي نشأت بين أدونيس وپرسيفوني ، ولا يتعرض لمولد أدونيس أو نسبه .

http://www.al-maktabeh.com

ذلك الشاب الوسيم الذى استطاع أن يستحوذ على قلب ربة الفتنة والجمال . بدأ هو الآخر يبث العيون حول أدونيس . يراقبه فى جولاته ومغامراته . يتتبعه فى الغابات والمناطق الخلوية . رأى بنفسه كيف تهيم به أفروديتى . كيف تحرسه وتدافع عنه . كيف ترافقه فى الغابات والمناطق الخلوية .

ذات مرة . خرج أدونيس للصيد دون أن ترافقه أفروديتى على غير عادتها . أخذ يتجول فى الغابة بحثا عن فريسة ضالة . طالت فترة تجواله دون جدوى . أدركه التعب من كثرة التجوال . أحس بقدميه غير قادرتين على حمله . شعر بدوار نتيجة الجهد الشاق الذى بذله أثناء رحلته . لم تعد يداه قادرتين على حمل السلاح . اشتد به الظمأ . أتى عليه الجوع . أخذ يبحث عن مكان يستريح فيه . عسى أن يسترد قوته ويلقى عن كاهله أعباء التعب الشديد . كانت ترافقه مجموعة من كلاب الصيد الضخمة المدربة . فجأة هبت كلاب الصيد من حوله . انطلقت مسرعة تنبح نباحا متواصلا . كان أدونيس فى شبه غيبوبة من شدة الإرهاق . أفاق على حركة كلاب الصيد من حوله . عرف بخبرته أن فريسة ضالة قد اقتربت من المكان . إنطلق أدونيس يعدو خلف كلابه . أخذ يعد سلاحه على عجل أثناء عدوه . إستل سهما من جعبة يحملها فوق كتفه . وقع نظره على الحيوان الذى كانت تطارده كلاب الصيد . كان خنزيرا بريا ضخما . ظلت الكلاب تطارده فى براعة فائقة . أحاطت به من جميع الجهات . ضيقت عليه الخناق . أطلق أدونيس سهما من سهامه القاتلة . نفذ السهم فى صدر الخنزير البرى . انطلقت من أعماق الحيوان صرخة عالية دوى صداها فى أعماق الغابة الواسعة . تقدم أدونيس فى ثبات نحو الفريسة . أراد أن يجهز عليها بخنجره . فجأة أدار الخنزير البرى المفترس رأسه إلى الخلف فى ضراوة وعنف. كشر عن أنيابه البيضاء إنقض على أدونيس . نشب الصيد أنيابه فى فخذ الصياد . أخذ يشبعه عضا حتى مزق ملابسه وأصابه بجروح قاتلة (١٢) .

* * *

(١٢) هناك روايات مختلفة حول كيفية موت أدونيس : قتله خنزير بري ، قتله الإله هيفايستوس حقداً عليه وغيرة منه ، قتله الإله آريس متخفياً في صورة خنزير بري (راجع : Oxford Classical Dictionary. s. v. Adonis) أو قتله الإله أبوللون متخفياً في صورة خنزير بري (راجع : Graves. Op. Cit., p. 70) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

هوى أدونيس على أرض الغابة من شدة الإعياء . لم يكن فى حالة تسمح له بالمقاومة . أخذت الدماء تسيل من جروحه . اشتد به الألم . أخذ يتأوه ويئن أنينا مكتوما . سمعته أفروديتى وهى فوق عربتها المجنحة التى تنطلق بها عبر الأثير . أسرعت نحو مصدر الأنين . لمحته طريحا على الأرض مضرجا بدمائه . أخذت تعدو نحوه وهى تذرف الدمع الغزير . إنكفأت فوقه تلثمه وتقبله وتحتويه بين أحضانها فى هلع وفزع . حاولت أن تضمد جروحه لكن دماءه ظلت تسيل . أحست ببرودة شديدة تسرى فى جسده الممدد على الأرض . رأت بشرته الوردية يتحول لونها إلى الاصفرار . أدركت أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة . طبعت قبلة على جبينه البارد الشاحب . نظر إليها فى إعياء . لم يكن يدرى أنها القبلة الأخيرة . لفظ أدونيس آخر أنفاسه وهو بين أحضان أفروديتى . كل قطرة من قطرات دم أدونيس تساقطت على الأرض تحولت على الفور إلى زهرة حمراء . كل دمعة من دموع أفروديتى تساقطت على الأرض تحولت إلى زهرة بيضاء . وهكذا انتشرت الزهور البرية الحمراء والبيضاء على حافة الغابات فى بلاد الإغريق .

مات أدونيس الذى عشقته كل من أفروديتى وپرسيفونى . مات أدونيس الذى تنازعته ربة الحياة وربة الموت (١٣) . انتصرت ربة الموت على الحياة . جاء هرميس ليقود روح أدونيس إلى عالم الموتى . استقبلت پرسيفونى روح أدونيس بالترحيب . لكن الربة المنتصرة لم تكن تشعر بلذة الانتصار . فقدت قلب أدونيس إلى الأبد . ظل أدونيس مكتئبا . يفكر فى أفروديتى . يفكر فى الحياة وهو بين أحضان الموت . ذهبت أفروديتى إلى والدها زيوس كبير الآلهة . طلبت منه أن يعيد أدونيس إلى الحياة . شعر زيوس بالعطف نحوها . رغب فى أن يلبى طلبها . لكن هاديس إله العالم السفلى رفض الإفراج عن أدونيس . أصبح أدونيس من رعايا هاديس . أصبح الأمر حينئذ بين يدى هاديس . استعطفت أفروديتى والدها زيوس . توسلت إلى عمها هاديس . ضاع استعطافها هباء . ذهبت توسلاتها أدراج الرياح . أخيرا هددت أفروديتى

(١٣) يري بعض مفسري الأساطير أن أسطورة أدونيس أسطورة شمسية (انظر المقدمة ص ٤٦) . أدونيس يرمز إلي الشمس التي لا يطول بقاؤها ، يقتل أدونيس الخنزير البري الذي يرمز إلي روح الظلام ، ثم تبكيه وتحزن عليه أفروديتي التي لا تستطيع البقاء بدونه والتي ترمز هنا إلي الفجر الذي لا يستطيع الانفصال عن الشمس . راجع : Guerber, Op. Cit., p. 352 .

http://www.al-maktabeh.com

بالانتحار . هددت بترك العالم الأرضى واللجوء إلى العالم السفلى . أصرت على البقاء بجوار معشوقها أدونيس مهما كلفها الأمر .

* * *

جمع زيوس مجلس آلهة الأولومپوس . تشاوروا فى أمر أفروديتى . كيف يصبح العالم الأرضى لو اختفى منه الجمال . كيف يكون مصير عالم البشر على وجه الأرض وعالم الآلهة فى السماء لو فارقهما الجمال . سوف يصبح كل منهما عالماً كئيبا قميئا لا حياة فيه ولا بهجة . عندئذ أصدر مجلس الآلهة قراره الحكيم . سوف يظل الجمال باقيا على الأرض . سوف تستمر الحياة بين سكانها . سوف لا يفارق الجمال عالم الآلهة أو عالم البشر . سوف يخرج أدونيس إلى عالم البشر ليقضى النصف الأول من كل عام . ثم يعود إلى العالم السفلى ليقضى النصف الآخر .. سوف يقضى الربيع والصيف فى عالم الجمال والحياة . ويقضى الخريف والشتاء فى عالم الكآبة والموت . لكنه سوف لا يخرج إلى عالم البشر فى صورة بشر كما كان . بل سوف يزور الأرض روحا يحس بوجودها كل من يحب الجمال ويعشقه .

مازال أدونيس حتى اليوم يغادر عالم الموتى مع نهاية الشتاء . يصل إلى عالمنا مع قدوم الربيع . تستقبله الطيور فرحة مسرورة . تحتفل بقدومه الأزهار والورود . تخضر الأشجار على اختلاف أنواعها . تختفى البرودة القارصة . ينتشر الدفء اللذيذ. تنشر أفروديتى أمامه وحوله الزهور اليانعة والنباتات المثمرة . تنثر فى أطراف الغابات وعلى ضفاف البحيرات والغدران زهورا برية بيضاء وأخرى حمراء ونوعا ثالثا من الزهور البيضاء المزركشة ببقع حمراء . يسعد العالم بلقاء أدونيس مع ربة الجمال . لكن سعادته لا تطول . سرعان ما ينتهى فصل الصيف ويصبح الشتاء على الأبواب . سرعان ما تذبل الأغصان النضرة . تتساقط أوراق الأشجار . وتختفى الأزهار . وتموت النباتات . وتجف أغصانها وجذوعها . عندئذ تبكى أفروديتى ويبكى معها كل من يحب الجمال ويعشقه . إنها تودع أدونيس بعد أن قضى نصف العام بصحبتها. تودع أدونيس قبل أن يرحل إلى عالم الحزن والكآبة ليقضى هناك مع الموتى فصل الخريف والشتاء . وهكذا

مكتبة المهتدين الإسلامية

يعيش العالم فى كل عام ينتظر قدوم أدونيس فى بداية الربيع ويودعه فى بداية الخريف (١٤) .

أسطورة أدونيس شأنها شأن عدد كبير من الأساطير الإغريقية – ليست إغريقية الأصل طبقا لأغلب الآراء . وصلت أسطورة أدونيس إلى بلاد الإغريق من الشرق . فشخصية أدونيس عند الإغريق تقابل شخصية الإله تموز بين أهل بابل . اسم أدونيس نفسه لا يعدو أن يكون تحريفا بسيطا لكلمة بابلية هى «أدون» وتعنى «السيد» (١٥). ولاعجب فى ذلك . فلقد عرف أدونيس بين أهل فينيقيا باسم أدون بطل الأسطورة(١٦). وهو روح من أرواح الزراعة . إنه يرمز إلى تعاقب الفصول الأربعة . وما يطرأ على النباتات والأزهار من تغيير (١٧) . تجسدت أسطورة أدونيس فى احتفال سنوى كان يعرف بأعياد أدونيس . أقيمت أعياد أدونيس لأول مرة فى سوريا – حيث نشأت عبادته (١٨) . ثم انتقلت تلك الاحتفالات من سوريا إلى بلا الإغريق وآسيا الصغرى عن طريق جزيرة قبرص . ثم وصلت إلى مصر أثناء الحكم البطلمى : ثم إلى روما فى العصر الأمبراطورى (١٩) .

كان بالقرب من مدينة بابل نهر عرف باسم نهر أدونيس . كان ينبع نهر أدونيس من قمم جبال لبنان . وكانت مياهه تجرف أمامها حبات من الصخور وردية اللون (٢٠) . فتتحول مياه النهر إلى لون أحمر قان . عندئذ كان أهل بابل يعتقدون أن

(١٤) انظر تفسير أسطورة أدونيس كما يرويه أحد العلماء المعروفين في مجال تفسير الأساطير علي أنها تصور الدورة الزراعية : أي التفسير الطبيعي للأساطير (انظر المقدمة ص ٤٢ أعلاه) .
Frazer, The Golden Bough, (The one - volume abridged edition). chapters 29 - 33 .

(١٥) Adon أي «السيد» : Rose, Op. Cit., p. 124 .

(١٦) Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 72 .

(١٧) Eusebius, Praeparatio Evanglica, III, 11 - 12 .

(١٨) Sandys, Dictionary of Classical Antiquities, s. v. Adonis.

(١٩) كانت أعياد أدونيس تقام في أثينا أثناء القرن الخامس ق. م. في شهر أبريل من كل عام . أما في مصر أثناء عهد البطالمة فكانت تقام في شهر سبتمبر من كل عام . ثم أصبحت تقام بعد ذلك أثناء عهد الإمبراطورية الرومانية في يوم ١٩ يوليو من كل عام . انظر :
Oxford Classical Dictionary, s. v. Adonis .

(٢٠) Lucian, De Sirya Dea, 6 - 9 .

مكتبة المهتدين al-maktabeh

http://www.al-maktabeh.com

أدونيس قد قُتل بواسطة الخنزير البرى فوق الجبل وأن دماء أدونيس هى التى أكسبت مياه النهر ذلك اللون الأحمر . كانت تخرج النسوة للبحث عن جثة أدونيس . فإذا ما وقع نظرهن على هيكل – سبق إعداده من قبل – حملنه وعاملنه كما لو كان جثة أدونيس . كانت النسوة تنفجرن فى البكاء والعويل ويؤدين شعائر جنائزية معينة (٢١) ثم يزداد بكاؤهن وترتفع صرخاتهن حتى تصل إلى عنان المساء .

فى بلاد الإغريق ، لم تكن أعياد أدونيس تتصف بنفس الأبهة والفخامة ولم تكن تزخر بمشاهد البكاء الشديد والحزن البالغ كما كان يحدث فى الشرق . كان يكتفى الإغريق بحمل أصص فيها بعض أنواع معينة من الزهور. وكانت هذه الأصص يطلق عليها اسم «حدائق أدونيس» (٢٢) . ثم بعد الانتهاء من الاحتفال يلقى الإغريق بحدائق أدونيس إلى الماء . أما فى العصر الهللينسى فكان لأهل مدينة الإسكندرية طريقتهم الخاصة فى الاحتفال بأعياد أدونيس . كانوا يعدون تمثالا رائعا مزينا أحسن زينة . يتركونه قبل الاحتفال بيوم واحد فى العراء فوق نعش فضى. ثم يحملونه يوم الاحتفال حتى يصلوا إلى شاطئ البحر . فيلقونه فى الماء وتجرفه الأمواج. وسواء فى بلاد الشرق أو الغرب فإن أعياد أدونيس كانت تقام فى الصيف حيث حرارة الشمس الحارقة (٢٣) .

* * * * *

(٢١) Theocritus. Idylls, 15 .

(٢٢) حدائق أدونيس Αδ'ωνιδος Κηποι . وصفت مصادر قديمة متعددة أعياد أدونيس منها:
Plutarch, Nikias, 13; Aristophanes, Lysistrata, 388 sqq.; Hesychios, s. v.; Suidas, s. v.; Plato, Phaedrus, 276 B; Theophrastos, Historia Plantarum, VI. 7. 3; Idem, De Causis Plantarum I. 12. 2 .

(٢٣) إذ كان الهدف من أعياد أدونيس البكاء من أجل الصيف المنصرم ؛ انظر :
Highet, Classical Tradition, p. 420 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أطْلَس

.. وانتهت المعركة بهزيمة كرونوس وأنصاره تحت قيادة التَيتَن العنيف أطلس .. انتهت المعركة بانتصار أعداء كرونوس تحت قيادة ابنه الشاب الثائر زيوس . انتهت المعركة ، أصبح زيوس حاكم الأرض والسماء ، قضى على أعدائه جميعا . لم يعد أحد يعرف شيئا عنهم ، لكن أطلس هو الذى بقى اسمه خالدا . أطلس ، هو الذى ظل مثار حديث الجميع . أطلس ، هو الذى أبقى عليه زيوس : إذ عاقبه عقابا يليق بجبروته ومكانته . حكم عليه أن يحمل قبة السماء فوق كتفيه، فمنح اسمه الخلود والبقاء .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أطلس

منذ أزمنة غابرة . منذ عهود سحيقة . منذ عصور بعيدة . ساحقة البعد . حيث لم يكن هناك شيء ، حيث لم يكن قد تكوَّن شيء ، منذ فترة – لا ولم ولن يعرف العقل البشرى مداها – منذ فترة زمنية غير خاضعة للقياس وجد أول كائن : خاؤس . خاؤس هو الهيولى أو اللاتكوُّن [1] . ثم مضت فترة على وجود خاؤس . أنجب بعدها نوكس – الليل الحالك – وأنجب أريبوس – الظلام العميق الدامس [2] ، حيث يسكن الموت . أنجب خاؤس نوكس وأريبوس بطريقة ما لا يستطيع أن يتخيلها خيال بشر.

مضت فترة زمنية أخرى غير خاضعة للقياس . بعدها ارتمت الأنثى نوكس بين أحضان الذكر أريبوس . التقى الذكر بالأنثى . لكن ، كيف حدث ذلك ؟ لا يستطيع خيال بشر أن يتخيله . التقت نوكس بأريبوس : تعددت اللقاءات بينهما . كانت نتيجة هذه اللقاءات بيضة وضعتها الأنثى نوكس . أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ ذلك أيضا شيء لا يستطيع أن يدركه عقل بشر . تعاقبت الفصول . وتوالت الأجيال . حتى آن الأوان . فقست البيضة . خرج منها مخلوق لطيف . ذو جناحين لونهما لون الذهب الخالص . لم يكن ذلك المخلوق اللطيف سوى إروس . إله الحب [3] .

* * *

هكذا وُلد الحب . نتيجة لقاء تمَّ بين نوكس وإريبوس . بين الظلام والموت . لكن الحب – مهما قيل عن مولده – هو الحب .

هكذا وجد الليل والنهار . هكذا وجد الضوء والظلام . هكذا وجد الجمال والنظام . وهكذا يكون الحب وراء كل وجود . عندئذ كان من الطبيعى أن توجد جايا – الأرض – وأورانوس – السماء . وليس هناك ما يدعو للعجب لو قلنا إن عدة لقاءات

(١) Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 12 - 22 .

(٢) Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 2 .

(٣) Hamilton, Mythology, p. 63 .

http://www.al-maktabeh.com

تمت بين جايا وأورانوس . لكن كيف تم ذلك ؟ ! جايا . تلك الرقعة الفسيحة الصلبة السمراء الممتدة هنا وهناك . أورانوس . ذلك الأفق الأزرق العريض الشاهق اللانهائي . كيف يمكن أن تلتقي جايا وأورانوس . كيف يمكن أن تلتقي الأرض بالسماء . لم يسأل الإغريقي في بادئ الأمر كيف حدث ذلك . السبب بسيط . رأى الإغريقي في كل من الأرض والسماء . والليل والنهار . والضوء والظلام – في كل شيء وجد الإغريقي شخصا يسلك سلوكا قد يشبه سلوك أفراد البشر . ويتصف بصفات قد لا تختلف كثيرا عن صفات أفراد البشر . كانت جميع الأشياء – في نظر الإغريق– أشخاصا . ولا عجب في ذلك . فلقد تخيل الإغريقي آلهته وأربابه في هيئة مثل هيئته .

إلتقت الأنثى بالذكر أورانوس . تعددت لقاءاتهما . أنجبا جماعة من المسوخ والكوكلوبيس والتياتن . جايا هي الأرض . الأم الحنون . التي تبسط صدرها ليمرح عليه جميع أبنائها وبناتها . أورانوس هو السماء . الأب المتعالي . الذي يسيء معاملة ذريته . ولا يعدل بين أفرادها . عامل الأب أورانوس بعض أبنائه معاملة سيئة . عامل البعض الآخر معاملة طيبة . ألقى بجماعة من المسوخ – تعرف بجماعة الهيكاتونخيريس – في أعماق الأرض . ثلاثة مسوخ ، لكل منهم مائة يد . وخمسون رأسا . ألقى بهم والدهم أورانوس في أعماق الأرض المظلمة . ثم أصدر أوامره المشددة . وكان له ما أراد . سوف لا يرون الضوء . سوف لا يذوقون طعم الحرية . لكنه ترك أبناءه وبناته الآخرين أحرارا طليقين . يروحون ويغدون . يالهم من محظوظين !! هؤلاء أفراد الجماعات الأخرى . الكوكلوبيس والتياتن (٤) .

لكن جايا . الأم الحنون . مَنْ أفسحت صدرها لكل أبنائها . ضاقت بتصرفات أورانوس . الأب . الذي لم يكن يعرف العدل . ظلت تحرض أبناءها ، تبث العزم في نفوسهم (٥) . لم يستجب لدعائها سوى واحد فقط من أبنائها – كرونوس – وكرونوس هو الزمان . ولا عجب في ذلك . فالزمان وحده هو الذي قد يستطيع أن يتحدى ظلم

(٤) Hamilton, Op. Cit., p. 65 .

(٥) Guerber, Op. Cit., pp. 6 - 7 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

السماء (٦) . ظلت جايا تحرض ابنها كرونوس . ثارت ثائرته . صمم على الانتقام من والده أورانوس . أخذ يرقب حركاته ، يحصى عليه غدواته وروحاته ، حتى كان يوما محسوبا . يوما سعى فيه أورانوس إلى حتفه . كان يسير متبخترا . مزهوا بجلاله وسلطانه . أعد له كرونوس كمينا . خرج كرونوس فجأة من مكمنه . فاجأ أورانوس بطعنة قاتلة بعد أخرى . فاضت دماء أورانوس على الأرض . غزيرة مثل مياه جدول منحدر المجرى . سالت دماؤه على وجه جايا . نفذت إلى جوفها . هكذا تم اللقاء الأخير بين جايا وأورانوس . وأنجبت جايا الجيل الرابع من ذريتها . جماعة المردة(٧).

انتصر كرونوس على أورانوس ، زال حكم السماء على الأرض . الزمان هو الحاكم الأعظم . اتخذ لنفسه زوجا – شقيقته ريا . تعددت اللقاءات بين الحاكم الجديد وزوجته . بين كرونوس وريا . أنجبت له ذرية لا حصر لها .

لم يكن كرونوس أفضل من أورانوس . بل كان أظلم منه وأكثر طغيانا . تنبأت له مصادر النبوءات أن واحدا من أبنائه سوف يقضى عليه. سوف يغتصب عرشه . أراد كرونوس أن يتفادى تحقيق هذه النبوءة المروعة . فكر فى إقامة حصن أمان حوله . يحميه من هجمات أبنائه . لم يستطع التوصل إلى فكرة صائبة . مضمونة العاقبة . أخيرا لجأ إلى حيلة . رآها ناجحة . أكيدة الفائدة . أصدر أوامره إلى زوجته ريا . كان على ريا أن تطيع أوامره . مهما كانت تلك الأوامر . أمرها أن تسلمه كل مولود فور ولادته . سلمت ريا إلى كرونوس كل مولود ولدته . ابتلع كرونوس كل مولود تسلمه من ريا (٨) . اختفى كل مولود فى جوف الزمان . تكرر ذلك الحدث .

---

(٦) اعتقد القدماء أن اسم كورنوس Κρόνος صورة محرفة من χρόνος بمعني الزمان لكن روز (Rose, Greek Mythology, p. 69 n. 1) يري أن الخلط بين حرفي k، x في بداية الكلمة كان مستحيلا . كما يري أيضا أن تسمية إله باسم معنوي أو فلسفي لم يكن شائعا بين الشعوب البدائية . قد يكون اسم كرونوس Κρόνος مشتقا من Κραίνω ومن ثم يعني «المكمل» أو «المنضج» وهو اشتقاق ليس من المستحيل . انظر أيضا Farnell, Cults, of the Greek States, Vol. I, p. 23 . لذلك يعتقد روز (Ibid., p. 43) أن كرونوس إله كان موجودا قبل عهد الإغريق ثم دخلت عبادته فيما بعد إلي بلاد الإغريق .

(٧) Hamilton, Op. Cit., p. 65 .

(٨) Guerber, Op. Cit., pp. 8 - 9.

http://www.al-maktabeh.com

أصبح في جوف الزمان خمسة مواليد . خمسة من أبناء ريا (٩) .

أدرك ريا المخاض للمرة السادسة . أخذت تصرخ وتتألم . لم يكن كرونوس يتألم لألمها . لم يكن يصرخ لصراخها . لكنه كان ينتظر بفارغ الصبر نتيجة آلامها وصراخها . كان ينتظر المولود كي يبتلعه . كي يضيفه إلى المواليد الخمسة التي سبق أن ابتلعها .

وضعت ريا مولودا . جميلا . رقيقا . نظرت إليه . إلى وجهه البرئ . كان يصرخ . وكأنه يعرف مصيره المحتوم . أشفقت ريا على مولودها . أحست بكراهية شديدة نحو كرونوس . صممت على إنقاذ مولودها . قررت أن تخدع زوجها .أتت بحجر ضخم مستطيل (١٠) . ألبسته أردية كانت قد أعدتها لمولودها من قبل . لفت حوله أقمطة خاصة . جعلت الحجر الصلب يبدو كما لو كان مولودا حقيقا (١١) . بعثت به على الفور إلى كرونوس . ابتلعه . أحس بالسعادة . شعر بالاطمئنان . لن يعزله أحد من أبنائه . فأبناؤه في جوفه . لا يرون الضوء . لايستطيعون الحركة(١٢).

نقلت ريا مولودها على الفور إلى كهف جبل مهجور . سلمته إلى حوريات الجبل (١٣) . تعهدنه بالرعاية . إعتنين به . نما الطفل . أصبح شابا يافعا . ظل يراوغ والده ويحاوره . حتى لايدرك وجوده . حتى لايكتشف حقيقة أمره . نصحه رفاقه

(٩) يروي هيسيودوس هذه القصة في قصيدة أنساب الآلهة (سطر ٤٥٣ وما بعده) . يروي أبولودوروس نفس القصة تقريبا(Appollodorus, I; 4 sqq) ، لكنه في مكان آخر (I, 6) يروي أن الربة ميتيس Metis هي التي أرغمت كرونوس علي أن يعيد أطفاله من جوفه . هناك مصدر قديم آخر (Hyginus, fabula 139, 1) يروي قصة مختلفة : إن كرونوس لم يبتلع أطفاله لكنه ألقي ابنه بوسيدون Poseidon في البحر وابنه الآخر هاديس Hades في العالم السفلي Tartarus . لكن يبدو أن هوميروس (Iliad, XIV, 295) لم يكن يعرف رواية ابتلاع كرونوس لأطفاله ، أو أنه قد عرفها وتجاهلها . وهناك مصدر متأخر (Pausanias, VIII, 8 , 2) يروي أن بوسيدون هرب من كرونوس ونجا من الابتلاع إذ ابتلع كرونوس مهراً حديث الولادة بدلا منه .

(١٠) Rose, Greek Mythology, p. 44.

(١١) يقول باوسانياس (Pausanias, X, 24, 5) إن زيوس ذهب بنفسه إلي دلفي ووضع الحجر – الذي ابتلعه كرونوس ظنا منه أنه المولود زيوس– هناك حيث ظل موجوداً حتي عصر باوسانياس، وكان الإغريق يدهنونه بالزيت ويقدمون إليه الأضاحي علي هيئة خيوط صوفية مجدولة .

(١٢) Hamilton, Op. Cit., pp. 65 - 66 .

(١٣) Euripides, Bacchae, 120 sqq .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ورفيقاته . زار والدته بناء على نصيحة واحدة منهن . طلب من والدته أن تساعده . يريد أن ينتقم من والده . رحبت ريا بالفكرة . قدمت إليه كل ما يحتاج من معلومات. سوف تقدمه إلى كرونوس ساقيا . لم تكن تلك فكرة الأم . كانت فكرة الابن. قبله كرونوس ساقيا له . يصب له الشراب . يقدمه إليه . قدمت إليه الأم ريا كل معونة . أعدت له نبات الخردل وكمية من الملح . أضافهما إلى شراب كرونوس المحلىٍّ بعسل النحل . شرب كرونوس دون أن يكتشف أمر ساقيه . أفرط فى الشراب . أحس بدوار شديد . شعر بألم يسرى فى أمعائه . أحس بمحتويات معدته وقد فارت فجأة حتى كادت تتدفق من فمه . أفرغ على الفور كل ما فى معدته . تقيأ أولا الحجر المغطى بالأردية . ثم أبناءه الخمسة . واحدا بعد الآخر (١٤) .

***

اندفع أبناءكرونوس الخمسة إلى الهواء الطلق . لم يكن قد مسّهم ضُرٌ أثناء وجودهم فى جوف والدهم . خرجوا ساخطين عليه . راغبين فى الانتقام منه . طلبوا من شقيقهم الأصغر أن يقودهم . أن يرسم لهم خطة الانتقام . علم التياتن والمردة بأمر كرونوس . تجمعوا تحت قيادة واحد من أقوى وأعنف التياتن . استعدوا للدفاع عن كرونوس أسرعت جايا – الأم الأرض – لِتقدم العون إلى ابن كرونوس الثائر . أشارت عليه أن يفتح أبواب السجون ويخرج منْ سجنهم والده كرونوس من قبل (١٥) . استعد كل فريق (١٦) . تسلح كل من الجانبين . اعتلى أعداء كرونوس قمة جبل أولمبوس . اعتلى أنصاره قمة جبل أورثروس . استمرت المعركة عشر سنوات . استخدم المتحاربون أسلحة فتاكة مروعة : الصواعق الرعدية . الصواعق البرقية ، السحب المتحركة الهادرة . العواصف الكاسحة . الشوكة الثلاثية الضخمة المثيرة لأمواج المحيطات والبحار . كاد الدمار يغطى الوجود بأكمله (١٧) . شمل الخراب كل أرجاء الكون ، لم تشهد الأساطير الأغريقية معركة أعنف وأشرس من تلك المعركة . التى عرفت فيما بعد باسم معركة التياتن . فقد وقف جميع التياتن والمردة فى صف

(١٤) Hyginus, fabula 139; Apollodorus, 1, 7; Hesiod, Theogony, 453 sqq .

(١٥) Hesiod, Op. Cit., 501 sqq. Apollodorus, 1, 6 - 7 .

(١٦) Guerber, Op. Cit., 11 - 13 .

(١٧) Graves, Greek Myths, Vol, I. pp. 40 - 41 .

http://www.al-maktabeh.com

كرونوس ما عدا التيتن بروميثيوس وشقيقه إبيميثيوس (١٨) .

انتهت المعركة بهزيمة كرونوس وأنصاره تحت قيادة التيتن العنيف أطلس . انتهت المعركة بانتصار أعداء كرونوس تحت قيادة ابنه الشاب الثائر زيوس . هكذا وقف كل من أطلس وزيوس وجها لوجه . هكذا هزم زيوس أطلس شر هزيمة . انتهت المعركة . أصبح زيوس حاكم السماء والأرض . عاقب كل من دافع عن الظلم والطغيان . قضى على أعدائه جميعا . لم يعد أحد يسمع عنهم . أو يعرف شيئا عن حياتهم . أطلس هو الذى بقى اسمه خالدا . أطلس هو الذى ظل مثار حديث الجميع . أطلس هو الذى أبقى عليه زيوس . إذ عاقبه عقابا يليق بجبروته ومكانته (١٩) . حكم عليه أن يحمل قبة السماء فوق كتفيه (٢٠) . فمنح اسمه الخلود والبقاء .

* * *

أطلس . أنجبه التيتن يابيتوس من حورية الماء كلومينى (٢١) . هو الشقيق الأكبر لكل من هيسبيروس وإبيميثيوس وبروميثيوس ومينويتوس (٢٢) . عرف أطلس أسرار البحر العميق . كان على علم بكل خبايا أعماق اليمّ . قبل أن يلقى أطلس ذلك العقاب الأليم عاش فى سلام وطمأنينة . حكم مملكة شاسعة . ذات حدود ساحلية طويلة شديدة الانحدار . حكم مملكة واسعة . مترامية الأطراف . تزيد مساحتها على مجموع مساحة كل من قارتى أفريقيا وآسيا . حكم مملكة عرفت باسم مملكة أطلانتيس . نسبة إلى أطلس . قيل إن مملكة أطلانتيس كانت تقع فيما وراء المنطقة المعروفة باسم أعمدة هيراكليس . تفصلها عن قارتى أوروبا وآسيا سلسلة من الجزر ، مليئة بأشجار الفاكهة (٢٣) .

حكم أطلس شعبا متحضرا . عرف ذلك الشعب كيف يشق القنوات . عرف الزراعة ، زرع سهولا واسعة . كانت المياه وفيرة فى مملكة أطلانتيس . غمرت

(١٨) Hamilton, Op. Cit., p. 50 .

(١٩) Ibid., p. 66 - 7 .

(٢٠) Homer, Odyssey, I, 52 - 4; Hesiod, Theogony, 507 sqq.; Hyginus, fabula 150 .

(٢١) لذلك كان الإغريق يعتبرون يابيتوس الوالد الأكبر لجميع البشر . انظر :
Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s. v. Iapetus

(٢٢) Eustathius, On Homer, 987; Hesiod, Op. Cit., 504 sqq.; Apollodorus, I, 2, 3.

(٢٣) Plato, Timaeus, 6; Critias, 9 - 10 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحقول والمزارع . أكسبت الأرض خصوبة شديدة . أقام أهل المملكة المنازل للسكنى شيدوا القصور الفاخرة . والقلاع المنيعة .

أطلس هو ابن بوسيدون – هكذا قال المصريون القدماء – أطلس هو ابن سيد البحار والمحيطات (٢٤) . له خمسة أزواج من التوائم الذكور ، حلفوا جميعا أغلظ الإيمان أن يظل كل منهم مخلصا للآخر إلى أبد الآبدين ، وأن يخلص الجميع لشقيقهم أطلس . ذبحوا ثورا ضخما . وقفوا حوله . أقسموا والدماء تسيل من الثور . ظل الإخوة على عهدهم . ظلوا مخلصين أوفياء إلى حين . لكن سرعان ما تأثروا ببريق الذهب والفضة . سرعان ما شدَّ الثراء انتباههم . ودون أن يشعروا ، تنصلوا من عهدهم . تفرق الإخوة . تشتت جمعهم . أصبح من السهل هزيمتهم . هزمهم الشعب الأثينى شر هزيمة . حارب كلُّ شقيق على حدة . هزمهم واحدا بعد الآخر . شجعهم زيوس على ذلك . أتى الأثينيون على جميع الإخوة . أرسلت الآلهة طوفانا قضى على المملكة بأكملها . أتى على الموانى . خرب المعابد والأماكن المقدسة . دمر القصور والقلاع . أغرق المملكة بأكملها تحت أكوام هائلة من الطين . جعل البحار من حولها غير صالحة للملاحة . بذلك أصبح من العسير الوصول إليها . وهكذا اختفت قارة أطلانتيس ، التى عرفت فيما بعد باسم القارة المفقودة (٢٥) .

نجا من الطوفان أطلس وشقيقه مينويتوس . كان ذلك قبل قيام معركة التياتن بفترة قصيرة . لذلك انضم أطلس وشقيقه إلى جانب كرونوس أثناء المعركة . كانت هزيمته ساحقة فى المرة الثانية . وكان عقابه أليما مريرا .

* * *

لكن أطلس ارتبط اسمه أيضا بالبطل هيراكليس . أعمال هيراكليس الاثنى عشر لا يجهلها أحد (٢٦) . هى أعمال كلفه بها الملك يوروسثيوس . وقام بها هيراكليس خير قيام . العمل الحادى عشر من أعمال هيراكليس هو الحصول على التفاحات الذهبية التى تملكها هيرا (٢٧) .

(٢٤) Graves, Op. Cit., p. 146.

(٢٥) Ibid., pp. 143 - 4.

(٢٦) انظر أعمال هيراكليس الاثني عشر ، ص ٤٠٣ وما بعدها .

(٢٧) راجع ص ٤٢١ أدناه .

http://www.al-maktabeh.com

بمناسبة زواج هيرا من رب الأرباب زيوس . قدمت الأم جايا إلى هيرا هدية . تذكارا رمزا للحب والإعزاز . كانت الهدية شجرة تفاح . لم تكن شجرة تفاح عادية . كانت شجرة تثمر ثماراً من الذهب الخالص . فرحت هيرا بالهدية . غرستها بعناية شديدة في حديقتها الخاصة ، كانت تقع بالقرب من جبال أطلس . حيث تكمل عجلة إله الشمس دورتها اليومية . حيث يلتقي الليل والنهار. حيث ترعى مواشي وأغنام أطلس دون أن يشاركها أحد (٢٨) .

أحبت هيرا شجرة التفاح حبا جما . كان لأطلس ثلاث بنات – عرفن باسم : الهيسبيريديات . اكتشفت هيرا أن الهيسبيريديات يسرقن ثمار التفاح . أو هكذا اعتقدت هيرا . لذا خصصت تنينا ضخما . ساهرا أبدا لحراسة شجرة التفاح . التف لادون حول شجرة التفاح – قال البعض إن لادون هو ابن التيتن توفون . الذى فاق جميع التياتن قوة وضراوة . أنجبه من زوجته إخدتى . قال البعض الآخر إنه أصغر أبناء رجل البحر العجوز المهاب فوركس من حورية الماء كيتو . رأى فريق ثالث أن لادون واحد من أبناء الأرض . أنجبته إنجابا ذاتيا دون أن يمسها ذكر . فليكن لادون ما يكون (٢٩) . المهم أنه كان تنينا ضخما . ثعبانا مروعا له مائة رأس . ويتحدث لغات البشر المختلفة . ذلك هو لادون الذى كان يحرس شجرة تفاح هيرا .

كان أطلس فخورا . هو الذى كان يتعهد شجرة التفاح . كان يشعر بالزهو . مثله في ذلك مثل بستاني يرعى نوعا نادرا من أنواع الزهور . ذات يوم نصحته الربة ثميس :

أيها التيتن . سوف يأتى واحد من أبناء زيوس . وسوف ينتزع ثمار هذه الشجرة .

لم يكن أطلس في ذلك الوقت قد وقع بعد تحت سطوة زيوس . كان حرا طليقا ينعم بالسلام والطمأنينة . حينئذ أسرع أطلس نحو الحديقة . أقام حولها أسوارا عالية . سميكة . قوية . طرد جميع الأجانب من مملكته . بل هناك من يقول إن أطلس نفسه هو الذى خصص لادون لحراسة الشجرة . عندما طلب يوروسثيوس من هيراكليس أن يحضر إليه بعض تفاحات من شجرة هيرا ، انطلق البطل يبحث عن الشجرة . علم

(٢٨) Graves, Op. Cit., Vol, II, pp. 145 - 6.

(٢٩) Apollodorus, II, 5, 11; Hesiod, Op. Cit., 333 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هيراكليس أن عليه الذهاب إلى أطلس . وبعد عناء وجهد ، وصل هيراكليس إلى حيث يوجد أطلس . عندئذ وجده يرزح تحت عبء ثقيل . وجده يحمل قبة السماء الهائلة فوق كتفيه (٣٠) . سأله هيراكليس عن التفاحات الذهبية . كان أطلس على وشك الرفض فى أول الأمر . لكنه تذكر على الفور . إن ذهب ليحضر التفاحات الذهبية فسوف يحمل هيراكليس قبة السماء بدلا منه . سوف يشعر أطلس حينئذ بالراحة . ولو لفترة قصيرة ، وافق أطلس على الفور (٣١) . لكنه طلب من هيراكليس أن يتخلص أولا من لادون . تخلص هيراكليس من لادون . قتله بسهامه التى لا تخيب . أو أرسله فى سبات عميق بعقار من عقاقيره قوية التأثير (٣٢) .

* * *

شعر أطلس بالسرور والراحة وهويناول هيراكليس قبة السماء . حملها هيراكليس على كتفيه . أسرع أطلس نحو الحديقة حيث توجد شجرة التفاح المقدسة . انتزع ثلاث تفاحات ذهبية . ثم عاد إلى حيث ترك هيراكليس. اقترب أطلس من هيراكليس . ظل يقترب شيئا فشيئا . نظر أطلس إلى علامات البؤس والشقاء التى تعلو جبين هيراكليس . لاحظ العذاب الذى يقاسيه وهو يحمل قبة السماء . تحسس أطلس كتفيه . أخذ يحرك ذراعيه فى حرية تامة . فجأة تذكر أنه سوف يحمل قبة السماء على كتفيه بدلا من هيراكليس. استولى عليه الحزن . سيطر عليه الفزع . تقدم نحو هيراكليس ، سأله أن يتركه ليذهب إلى يوروسثيوس ويقدم له التفاحات الذهبية بنفسه . كان أطلس سعيدا بذلك العرض. سوف يريحه من حمل قبة السماء لفترة أطول. فطن هيراكليس إلى مقصد أطلس . تظاهر بالموافقة . طلب من أطلس أن يحضر له وسادة لينة . سوف يضعها على كتفيه حتى لا تؤلماه ، وحتى يستطيع أن يحتمل ذلك الثقل الهائل. فرح أطلس . تقدم نحو هيراكليس . ألقى بالتفاحات الذهبية على الأرض . ثم اقترب منه . تناول قبة السماء من على كتفى هيراكليس . وضعها فوق كتفيه (٣٣) حتى يستطيع هيراكليس أن يضع الوسادة على كتفيه . وما أن فعل أطلس ذلك حتى انحنى

(٣٠) Hamilton, Op. cit., p. 165 .

(٣١) Diodorus Siculus, IV, 27 .

(٣٢) Rose, Greek Mythology, p. 216 .

(٣٣) راجع ص ٤٢٢ أدناه .

http://www.al-maktabeh.com

هيراكليس فى خفة و التقط التفاحات الذهبية من على الأرض . ثم ودع أطلس فى سخرية وتهكم . تاركا إياه يرزح تحت ذلك العبء الهائل (٣٤) .

* * *

ارتبط اسم أطلس بالبطل پرسيوس أيضا (٣٥) . كان الجميع يعرفون أن پرسيوس سوف يقتل ميدوسا ، ويفصل رأسها عن جسدها . ولقد كان له ذلك . وكان أطلس يعرف ذلك أيضا . وكان ينتظره بفارغ الصبر . وكان يعرف أيضا أن الربة أثينة قد حولت ميدوسا من فتاة رائعة الجمال إلى مسخ مجنح مخيف ذى أسنان ضخمة ولسان بارز ومخالب برونزية وخصلات من الحيات بدلا من الشعر . كما جعلت من ينظر إلى وجه ميدوسا يتحول إلى حجر فى التو واللحظة . كان أطلس يعرف ذلك تمام المعرفة . لكنه كان يضيق أيضا بذلك العبء الثقيل الذى يحمله فوق كتفيه . وكان ينتهز الفرصة للتخلص منه . لذا ، عندما لاحظ أطلس مرور پرسيوس ومعه رأس ميدوسا ، طلب منه أن يكشف له عن وجهها . نظر أطلس إليها ، وتحول على الفور إلى حجر (٣٦) . تحول إلى جبال عرفت من بعده بجبال أطلس . وهى التى تمتد فى شمال أفريقيا . إن جبال أطلس منحنية خشنة مجعدة . مثل كتفى أطلس . تعلو قممها الثلوج البيضاء . تماما كما تعلو الشعيرات البيضاء رأس أطلس . تنطح قممها الشاهقة السحاب فتبدو وكأنها تحمل قبة السماء وتمنعها من السقوط . تماما كما كان يفعل أطلس (٣٧) .

* * * * *

(٣٤) Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 197 - 99 .

(٣٥) Ibid., pp. 213 - 14 .

(٣٦) Ovid, Metamorphoses, IV, 630 .

(٣٧) Graves, Op. Cit., Vol. II p. 145 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أتالانتـــا

.. لكن آلهة الإغريق لم تكن تقنع بالانتصار ، كانت دائما مغرمة بالانتقام . ظلت أفروديتى ترشق سهامها الدافئة فى صدر أتالانتا . أحست العاشقة المقهورة بالرغبة تكوى جوانحها. طلبت من ميلانيون أن يصطحبها إلى قصره . بدت الرحلة طويلة فى نظر أتالانتا . لم تستطع العاشقة الانتظار حتى تصل إلى القصر . رأت على الطريق معبدا لكبير الآلهة زيوس . جذبت ميلانيون من يده . اتجهت نحو المعبد . دخلته . ارتمت بين ذراعى قاهرها . ضاجعها . ثم ضاجعها. ثم ضاجعها . نسيا أنهما فى مكان مقدس . أفاقا من نشوتهما . وجدا أنهما خرجا من صورة البشر إلى صورة حيوان . لقد غضب منهما زيوس . فمسخهما أسدين . وأصبح كل أسد منهما غير قادر على مضاجعة الأسد الآخر .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أتالانتـــا

ملك من صغار الملوك الأغارقة (١) . نال من السعادة قسطا وفيرا . أخلص لشعبه فأحبه الشعب . عاش لبلاده . فتقدمت البلاد . عشق زوجته فعشقته . أخلص لها . فبادلته الحب والوفاء . حملت منه . أحس بفرحة شاملة . سوف تنجب له طفلا . ذكرا . يملأ حياته بالبهجة والسرور . سوف ينشيء الطفل نشأة طيبة . سوف يدربه على الصيد . يلقنه الشجاعة . يغرس في نفسه الجرأة . سوف يجعل منه بطلا من أبطال العدو . سوف يفخر بجرأته وجسارته ، سوف يباهي الأمم بإقدامه وشجاعته . ولم لا ؟ أسوف لا يصبح وليا لعهده ؟ وريثا لعرشه؟ خليفة له من بعده؟ أسوف لا يخلد اسمه على مدى الزمان؟ ويحفظ ذكراه على مدى الأجيال؟

هكذا تاه الملك في غياهب الخيال . ظل ينتظر بصبر فارغ مولد ولده المنتظر . ظل يرقب في شوق بالغ حلول ولي عهده الوشيك . واقتربت اللحظة الحاسمة .. كلما تألمت الزوجة . تألم الملك . كلما علا صراخها . ازداد ألمه . أخيراً أطلقت الزوجة صرخة مدوية تبعها صمت رهيب . ثم تلاها صراخ خافت أنبأ بحلول المولود . ارتسمت على شفتي الوالد ابتسامة عريضة . ظهرت على ملامحه علامات السعادة . فجأة تغير كل شيء ... اختفت الابتسامة من على شفتي الوالد . بدت على ملامحه علامات الحزن والأسف . شعر بخيبة أمل لا حد لها . تبددت أحلامه. ذهبت مع الريح آماله . لم تنجب له زوجته ذكرا – أنجبت أنثى .

تحول حزن الملك إلى غضب شديد . صمم على التخلص من الأنثى . قرر أن يلقي بها فوق قمة جبل مقفر . بذا تلقى المولودة حتفها بعيدا عن أعين والديها . وكان للملك ما أراد .

ألقى أتباع الملك بالمولودة التعسة فوق قمة جبل بارثينيون – جبل مقفر بالقرب من كالودون . لكن الأقدار كانت أقل قسوة من الوالد . طلبت الأقدار من الربة أرتميس

(١) قيل إن اسمه كان ياسوس Iasus بن لوكورجوس ، وإنه كان ملكاً علي أركاديا ، وإن زوجته كانت تدعي كلوميني Κλυμ′ενη ابنة ميناس Minyas . (Apollodorus, III, 105) قيل أيضا إن اسمه كان سخوينيوس (Hesiod, frag, 20 Rzach) .

http://www.al-maktabeh.com

حماية المولودة التعسة . خفت الربة على الفور إلى قمة الجبل . ألقت نظرة شاملة على الغابة بأكملها . بما فيها من حيوانات ضارية . وقع نظرها على أنثى دب تجلس بجوار صغارها . رأت أثداءها منتفخة . لمحت الحنان فى عينيها وهى تلعق صغارها . بعثت أرتميس بسهامها الربانية فى قلب الدب . أصبحت الدب واقعة تحت تأثير الربة. تحركت الدب فى رفق . أخذت تتجول فى الغابة وكأنها تبحث عن شىء فقدته . وصلت إلى حيث ترقد المولودة التعسة . تقدمت نحوها . نظرت إليها والحنان يملأ قلبها . المولودة تصرخ . تحرك ذراعيها ورجليها التى انحسرت عنها ثيابها الفضفاضة . الدب تلعق في حنان أطراف المولودة التعسة . تبعث بأنفاسها الدافئة حول جسدها الرقيق . تطوح بحلمات أثدائها المنتفخة فوق وجه المولودة الجائعة . مدت المولودة يديها الصغيرتين . أحاطت أحد أثداء الدب بكفيها . غرزت أناملها الرقيقة وكأنها تريد أن تضغط على الثدى . أخذت تحرك وجهها يمينا ويسارا فى حركات عشوائية يائسة . وهى فاغرة فاها. اصطدمت حلمة الثدى بشفتيها الرقيقتين . التقطت الحلمة بين فكيها الخاليين من الأسنان . ظلت تمص الحلمة فى لهفة . وتزدرد لبن الدب بشراهة (٢) .

مضت الأيام . أصبحت المولودة واحدة من صغار الدب . ترضع لبن الدب . تلهو مع صغارها . تحبو كما يحبوا الصغار . لكن الربة أرتميس لم تشأ أن تتركها على هذا الحال . ألهمت جماعة من الصيادين فاتجهوا إلى حيث يوجد مرقد الدب الأم . أطلق الصيادون سهامهم نحوها . لاذت الدب بالفرار . أطلق الصغار سيقانهم للريح . أمسك الصيادون بالطفلة دون عناء . حملوها إلى ديارهم . قدموا الصلوات للربة أرتميس . لقد خرجوا للصيد . فوهبتهم ربة الصيد هدية . كان عليهم أن يتعهدوا هدية الربة بالرعاية والعناية .

مضت السنون . أصبحت هدية أرتميس فتاة يانعة . أطلق عليها ذووها اسم أتالانتا . نشأت تحب الصيد . وتجيد إصابة الهدف . أخذت تتدرب على العدْو . أصبحت عداءة بارعة . تسبق الريح . لم يكن القوس يفارق يدها . لم تكن جعبتهاتخلو من السهام . كانت الأولى دائما فى مسابقات العدو التى تقيمها القبيلة . عشقت صحبة الفتيان . لكنها كانت تنظر إلى صديقها الفتى نظرة الند للند . تشبهت بالفتيان فى

(٢) Hamilton, Mythology, pp. 174 - 5.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ملابسهم وسلوكهم وتصرفاتهم .. نذرت روحها وجسدها للربة أرتميس . ربة التقشف والصيد . شملتها أرتميس بالرعاية والاهتمام . وقفت بجانبها فى كل وقت وفى كل مكان .

ذات مرة خرجت أتالانتا كعادتها على رأس جماعة من الصيادين تبحث عن صيد ثمين . أخذت الجماعة تطارد الصيد . أخذت تتنقل بين الصخور . انتصف النهار ولم تزل الجماعة تطارد الصيد . فجأة وجد الصيادون أنفسهم بين صخور مقفرة ، لا ماء ، ولا زرع . أخذت أشعة الشمس تضرب رءوسهم بلا هوادة . استبد بهم العطش . جفت حلوقهم . فقدوا الأمل فى النجاة . ألقوا أسلحتهم فى يأس . استلقوا فوق الصخور فى إعياء شديد. لكن أتالانتا لم يفارقها الأمل لحظة واحدة . أخذت تنادى أرتميس بأعلى صوتها . طفقت تطلب منها العون . أ - - أتالانتا كل قوتها ضربت الصخرة الملساء الصلبة برأس حربتها . فعلت ذلك بوحى من الربة أرتميس . حدثت المعجزة ، خرج ينبوع من الماء العذب من قلب الصخرة الجامدة . عادت الدماء تجرى فى أجساد الصيادين . دبّت فيهم الحياة من جديد . استعادوا نشاطهم . إمتشقوا أسلحتهم . عادوا إلى ديارهم يحدّثون بنعمة أتالانتا وأفضالها (٣) .

توالت الأعوام . شاءت الأقدار أن يتعرف الملك على ابنته أتالانتا . سمع عن تفوقها على الفتيان فى العدو . عن مغامراتها التى تفوق فى روعتها مغامرات الأبطال. عن مآثرها وأفضالها وسجاياها الحميدة . لكنه . بالرغم من كل ذلك . رفض أن يفتح لها صدره . أو يعيدها إلى قصره . اكتفى بمتابعة أخبارها . والاطمئنان على أحوالها . لكن أتالانتا بدورهاأرادت أن تثبت لوالدها أنها لا تقل عن الفتى فى شيء . أخذت تقوم بمغامرة كبيرة تلو مغامرة أكبر . حتى كانت مغامرتها الكبرى . الصيد الكالودنى .

* * *

كالودن . إحدى الممالك الصغيرة الواقعة فى منطقة أيتوليا . كان يتولى أمرها ملك عادل يدعى أوْينيوس . تزوج أوينيوس من فتاة ورعة تدعي ألثايا . أنجبت له طفلا أسماه ملياجروس (٤) . ذات مرة . جلست ألثايا فى حجرة نومها بجوار المدفأة .

(٣) Apollodorus, II, 9, 2.

(٤) Guerber , Myths of Greece And Rome, p. 241 .

http://www.al-maktabeh.com

تنشد الدفء لنفسها ولوليدها . جلست ألثايا تهدهد وليدها . تغنى له . نام الوليد على أنغام أغانيها الشجية . نظرت الأم إليه فى حنان ومودة . أخذت تدعو له بطول البقاء . حينئذ . شعرت بحركة غير عادية من حولها . سمعت صوتا أنثويا خافتا يناديها . اتجهت نحو مصدر الصوت . رأت ربات القدر يقتربن منها . وربات القدر هن اللاتى ينسجن أقدار البشر . يقررن مصير الإنسان . يحسبن عمر الفرد . يحددن عدد السنوات التى سوف يعيشها . فجأة . ألقت أحداهن حزمة من الخشب فى المدفأة .. وسرعان ما اشتعلت النيران فى حزمة الخشب . أدركت ألثايا أن عمر وليدها ملياجروس مرتبط بحزمة الخشب . وأن حياته متعلقة بها . لكنها لم تدرك إلى أى مدى يرتبط عمره بالحزمة . أو إلى أى حد تتعلق حياته بها . لم تتركها ربات القدر حائرة لفترة طويلة . نطقن على الفور بقرارهن . واختفين فى الحال . سوف يظل ملياجروس على قيد الحياة . سالما . آمنا . مادامت حزمة الخشب باقية لم تأت عليها النار . سوف يظل ملياجروس على قيد الحياة . سالما . آمنا . حتى تتحول حزمة الخشب إلى رماد .

نظرت ألثايا إلى حزمة الخشب . وجدتها فى بؤرة اللهب . تحيط بها النيران من كل جانب . تلتهم النار أطرافها فى سرعة هائلة . فكرت فى الأمر . أدركت أن حزمة الخشب سوف تتحول إلى رماد بعد لحظات معدودات . أحست باللوعة والحزن . فسوف تفقد وليدها فى التو واللحظة . لكن المفاجأة لم تشل تفكيرها . فكرت فى الأمر من جديد . أدركت خطورة الموقف . لم يتطرق اليأس إلى نفسها . هدتها عاطفة الأمومة إلى فكرة نفذتها فى الحال . مدت ألثايا يدها فى المدفأة . خطفت حزمة الخشب المشتعلة من كل جانب ألقت بها على الأرض . أحضرت إبريقا مليئا بالماء أغرقت بالماء الأجزاء المشتعلة من حزمة الخشب . أحضرت صندوقا فخما . و[illegible] الحزمة فى الصندوق . أغلقت الصندوق جيدا . ووضعته فى مكان غير معروف لغيرها (٥) .

نجحت محاولة الأم ألثايا . وعاش الطفل ملياجروس . درَّبه والده على الصيد والرماية . أصبح ملياجروس أحسن هداف فى بلاد الأغريق . إ[illegible] بالجرأة . اشتهر بالمروءة والشهامة . مدَّ يد العون إلى كل منكوب . خفَّ لمساعدة كل جيرانه . كان

(٥) Graves, Greek Myths, Vol. I. pp. 263 - 4.

مكتبة المهتدين الإسلامية

دائم الترحال . يجوب البقاع ويعشق الأسفار ، يبحث عن المتاعب ويسعى وراء المغامرات . أحس والداه بالسعادة ، سيطر عليها الزهو والفخار .

ذات مرة . رحل ملياجاروس إلى أرض بعيدة سعيا وراء مغامرة من مغامراته . استولى الخوف على والديه . أخذا يقدمان الصلوات لآلهة الأولومبوس . يرجوان منها أن تعيد ولدهما إليهما سالما . في غمرة الخوف والجزع نسيا ذكر واحدة من آلهة الأولومپوس . نسيا أن يذكرا الربة أرتميس . غضبت الربة . صممت على الانتقام . أرسلت خنزيرا بريا مفترسا إلى أرض كالودون . أخذ الخنزير البرى يعيث فى الأرض فسادا . يدمر المراعي والحقول . يفترس الماشية والأغنام . يهاجم أفراد الرعية الآمنين. حاول الملك أوينيوس القضاء على الخنزير البرى . لم يستطع . انتشر الفزع والرعب فى أرض كالودون .

عاد ملياجروس إلى وطنه . ساءه حال والده . أغضبه فزع الأهالى . قرر القضاء على الخنزير البرى المفترس . لم يكن يدرى حقيقة الأمر . لم يكن يدرى أن الخنزير البرى ليس إلا رمزا للربة أرتميس . دعى ملياجروس خيرة شباب بلاد الإغريق وأمهر هدافيها . لبى عدد كبير دعوته . أتى كاستور وپولودوكيس من أسبرطة . إيداس ولونكيوس من ميسينى ، فنيوس من أثينا . بيريثوس من لاريسا ، ياسون من يولكوس ، أدميتوس من فيراى ، نستور من پولوس ، يوريتيون من فثيا ، إيفيكليس من طيبة ، أمفياراوس من أرجوس ، تلامون من سلاميس ، كايليوس من منيسيا ، ثم أنكايوس وكيفيوس من أركاديا ، كما جاءت من أركاديا أيضا المغامرة الجريئة أتالانتا (٦) .

رحب أوينيوس بخيرة شباب بلاد الإغريق ، وأمهر هدافيها ، أقام المآدب تكريما لهم تسعة أيام بلياليها . أقام لهم معسكرا ضخما . بدأوا فى رسم خطة الهجوم على الخنزير البرى . اختلفت آراؤهم منذ اللحظة الأولى . اعترض أنكايوس وكيفيوس على وجود أتالانتا . من العار أن يكون بين صفوفهم امرأة – هكذا اعتقدوا . غضب ملياجروس . صمم على اشتراك أتالانتا . فقد أحبها من أول نظرة فأصبح حريصا على اشتراكها فى الصيد . وأتالانتا كانت حريصة على الاشتراك فى الصيد . لا لأنها أحبت ملياجروس . بل لأنها كانت تأمل فى الحصول على الجائزة التى وعد بها

(٦) Aelian, Varia Historia, XIII. 1; Callimachus, Hymn. to Artemis, 216.

http://www.al-maktabeh.com

أوينيوس . فلقد وعد الملك أوينيوس أن يحصل قاتل الخنزير البرى على جلده وأنيابه فى احتفال مهيب : كان ملياجروس ينشد قلب أتالانتا . كانت أتالانتا تنشد جلد الخنزير البرى وأنيابه .

هكذا بدأت عملية صيد الخنزير البرى . لم تكن هناك خطة متفق عليها بين الصيادين . لم تكن آراؤهم متفقة . لم يكن هدفهم واحدا . تسلح أمفياراوس وأتالانتا بالقوس والسهام . حمل الآخرون الرماح والحراب والبلط . تقدم الجميع بلا نظام نحو الغابة . حيث لجأ الخنزير البرى المفترس . تقدمت أتالانتا فى حرص شديد . شعرت بحركة من خلفها . أستدارت فى خفة ورشاقة . وجدت اثنين من الصيادين يتبعانها فى حذر . أومأت إليهما برأسها . ثم واصلت التقدم . ظل الصيادان يتبعانها . استدارت فجأة .. لمحت الغدر فى عيونهما . أرادت أن تتحدث إليهما . لكنهما اندفعا نحوها . أراد كل منهما أن يغتصبها . كانا قد اتفقا على ذلك . إندفعت تعدو بعيدا عنهما . اختفت بين الأحراش .. إعتلت ربوة مقابلة . لاحظت أنهما لا يبحثان عن الخنزير البرى . تأكدت أنهما يبحثان عنها . على مواجهتهما . هبطت نحوهما . إندفعا نحوها فى وحشية وشراسة . أطلقت نحوهما سهما تلو الآخر . صرعتهما فى الحال. واصلت تقدمها نحو الغابة . وكأن شيئا لم يحدث (٧) .

وجدت أتالانتا نفسها بالقرب من ملياجروس . عندئذ ظهر الخنزير البرى أمام الصيادين . تفرقت الجماعة بلا نظام . هاج الخنزير وعلا صياحه . هاجم اثنين من الصيادين . قتلهما . انقض على ثالث ، جرحه جرحا خطيرا . طارد نستور . فتسلق البطل شجرة عالية . أطلق ياسون حربته نحو الخنزير ، لكن لم يصبه . قذف صيادون آخرون حرابهم دون أن يصيبوا الهدف. تقدم تلامون وبيليوس نحو الفريسة. تعثرت قدم الأول فى جذع شجرة . حاول الثانى معاونة زميله على النهوض . رآهما الخنزير البرى . هجم عليهما. أطلقت أتالانتا سهما استقر خلف أذن الوحش . جعله يترنح . حاول أنكايوس أن يجهز عليه . لكنه أخطأ الهدف . صوب بيليوس رمحه نحو الوحش . لكنه أصاب زميله يوريتيون فأراده قتيلا . إندفع الوحش نحو ثسيوس الذى قذفه بحربة طائشة . عندئذ أطلق ملياجاروس سهما أصاب الوحش عند الكتف . أخذ الوحش يدور حول نفسه من شدة الألم . تقدم مليجاروس نحوه فى خفة . طعنه طعنة

(٧) Graves. Op. Cit., Vol. I, p. 265 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

نافذة . سقط الوحش صريعا .

تجمع الصيادون حول الوحش الصريع . بدأ ملياجروس عملية السلخ ونزع الأنياب . هم بتقديم جلد الخنزير وأنيابه إلى أتالانتا . إنها أول من أصاب الخنزير . ولو ترك وحده لمات بعد فترة وجيزة . هكذا قال ملياجروس . لكن خاله الأكبر بليكسيبوس أعلن معارضته لرأى ابن شقيقته . رأى أن ملياجروس هو الذى يستحق الجائزة . وإذا أراد أن يتنازل عنها . فيجب أن تئول إلى أكثر أفراد الجماعة احتراما وعظمة . أن تئول إليه شخصيا - إذ أنه خال ملياجروس ونسيب الملك أوينيوس . عضد الشقيق الأصغر شقيقه الأكبر ، فما كان من ملياجروس إلا أن قتل الشقيقين . ثم قدم الجائزة إلى أتالانتا . كان واضحا أنه قد وقع فى غرامها دون أن تدرى .

علمت ألثايا أن ولدها ملياجروس قتل شقيقيها . غضبت منه غضبا شديدا. حزنت عليهما حزنا جما . فى غمرة الغضب الشديد والحزن الجم أسرعت ألثايا نحو صندوق عتيق لم يكن مكانه معروفاً لغيرها. فتحت الصندوق أخرجت حزمة من الخشب . ألقت بها فى المدفأة . اشتعلت النار فى حزمة الخشب من كل جانب . أتت النيران على حزمة الخشب. أصبحت حزمة الخشب رمادا . أفاقت ألثايا من غضبها وحزنها . أدركت أنها قتلت ولدها ملياجروس (٨) . إنتحرت . ألم تخبرها ربات القدر أن ولدها سوف يظل على قيد الحياة . آمنا . سالما . مادامت حزمة الخشب باقية لم تأت عليها النار ؟ ألم تخبرها ربات القدر أن ولدها ملياجروس سوف يظل على قيد الحياة . آمنا . سالما . حتى تتحول حزمة الخشب إلى رماد؟ (٩) .

***

لم تكن نهاية مغامرة الصيد الكالودونى سوى بداية مغامرة أخرى بالنسبة لأتالانتا (١٠) . فلقد أثبتت أتالانتا لوالدها أنها لا تقل عن الفتى فى شىء . بل أثبتت أيضا أنها قد فاقت رجالا وأبطالا لا حصر لهم . عندئذ فتح والدها لها صدره . ورحب

---

(٨) Apollodorus, I, 64 sqq.; Ovid, Metamorphoses, X, 273 sqq.

(٩) ملياجر وس Meleager أيضا بطل شمسي a solar hero هكذا يري أصحاب المذهب الشمسي في تفسير الأساطير (راجع المقدمة ص ٤٦ أعلاه ، أنظر : . Guerber, Op. Cit., p. 356

(١٠) . Hamilton, Op. Cit., pp. 175 - 77

http://www.al-maktabeh.com

بها فى قصره . إلتأم شمل الأسرة بعد فراق طويل . بعدئذ . تقدم إلى والدها خيرة شباب الإغريق . يطلبون الزواج من أتالانتا . رحب الوالد . أما هى فكانت عازفة عن الزواج . كارهة له . لكنها – تحت إلحاح والدها – رضيت أن تلبى مطلبه . وضعت شرطا واحدا . سوف تسابق كل شاب يتقدم للزواج منها . فإن سبقها تزوجها . وإن سبقته قتلته (١١) . كانت كل يوم تسابق شابا ، وتسبقه ، ثم تقتله . وجدت لذة فى ذلك كانت تقدم ضحاياها قرابين لربة الصيد أرتميس . كانت بذلك تتحدى ربة الحب والرغبة أفروديتى .

أ . قصتها تروى على كل لسان. أتى إليها شبان مغامرون من كل مكان. لم يستطع شاب واحد أن يقهرها . لم يستطع شاب واحد أن يفوز عليها فى العدو . أخيرا . تقدم إليها شاب يدعى ميلانيون (١٢) . كان عداءاً بارزا . سريع القدمين . كان فى نفس الوقت ماكرا واسع الحيلة . جاء إليها وهو يخفى بين ثنايا ثوبه ثلاث تفاحات ذهبية . حصلت الربة أفروديتى على تلك التفاحات الثلاث من حديقة الربة هيرا بواسطة الهيسپيريديات . لجأ ميلانيون إلى الربة أفروديتى يطلب العون . سارعت الربة أفروديتى لمعونته . والسبب واضح . أفروديتى هى ربة الحب والرغبة . أرتميس هى ربة الزهد والتقشف . أفروديتى تشجع كل راغب فى العشق . أرتميس تساعد كل زاهد فيه . كان من الطبيعى – إذن – أن . أفروديتى من أتالانتا . وأن تسعى للانتقام منها . لذا . أسرعت أفروديتى لمساعدة ميلانيون . منحته التفاحات الذهبية الثلاث .

بدأ السباق بين أتالانتا وميلانيون . ظهر منذ اللحظة الأولى تفوق أتالانتا . لكن ميلانيون كان واثقا من الفوز . أخرج ميلانيون إحدى التفاحات الثلاث من بين ثنايا ثوبة . ألقى بها فى طريق أتالانتا . تدحرجت التفاحة الذهبية على الأرض تحت أشعة الشمس . بعثت ببريق لفت نظر أتالانتا . أعجبت بالتفاحة. أرادت الحصول عليها . ترددت . هدأت من سرعتها . انحنت نحو الأرض . اختطفتها فى سرعة وخفة . تنبهت . فوجدت أن ميلانيون قد أصبح بجوارها فى السباق . بدأت تطلق ساقيها

(١١) تروي بعض المصادر القديمة (Hyginus, fabula 185) أن أتالانتا كانت إذا لحقت بالمتسابق أطلقت نحوه سهما أرداه قتيلا .

(١٢) Guerber, Op. Cit., p. 242 .

مكتبة المهتدين الإسلامية

للريح من جديد . أخرج ميلانيون على الفور التفاحة الذهبية الثانية . ألقى بها فى طريق أتالانتا . بعثت التفاحة ببريق لفت نظر أتالانتا . ظنت المتمردة على العشق أن التفاحة سقطت من يديها أثناء العدو . تحسست التفاحة بيديها . تأكدت من وجودها . وفى نفس الوقت تحققت من روعتها . إلتفتت إلى التفاحة المتدحرجة على أرض السباق . ترددت . هدأت من سرعتها . انحنت نحو الأرض . التقطت التفاحة الثانية . تنبهت . فوجدت أن ميلانيون قد لحق وأصبح بجوارها . أطلقت ساقيها للريح . وهى تحمل تفاحة فى كل من يديها . أخرج ميلانيون التفاحة الثالثة من بين ثنايا ثوبه . ألقى بها . فى هذه المرة . نحو الجانب البعيد من أرض السباق . تدحرجت التفاحة فى سرعة هائلة . أخذت تبعث ببريق لفت نظر أتالانتا . لم تتردد أتالانتا فى هذه المرة . طفقت تعدو خارج أرض السباق تريد اللحاق بالتفاحة الثالثة . انحنت نحو الأرض . إلتقطت التفاحة الذهبية . فردت كفيها الصغيرتين حتى تحتويا التفاحات الثلاث . ثم ضمت يديها نحو صدرها اللاهث . احتضنت التفاحات الثلاث . وبدأت تعود لمواصلة السباق . لكن ميلانيون كان قد سبقها نحو نهاية المسافة .

وقف ميلانيون عند نهاية المسافة . فارداً ذراعيه . مستقبلا زوجته أتالانتا . اندفعت أتالانتا نحو ميلانيون . إرتمت بين ذراعيه (١٣) . لم تكن التفاحات الثلاث الذهبية سوى سهام ربانية غرستها أفروديتى فى صدر المتمردة على العشق . انتصرت أفروديتى . انتصرت الرغبة (١٤) . لكن آلهة الإغريق لم تكن تقنع بالانتصار. كانت دائما مغرمة بالانتقام (١٥) . ظلت أفروديتى ترشق سهامها الدافئة فى صدر أتالانتا . أحست العاشقة المقهورة بالرغبة تكوى جوانحها . طلبت من ميلانيون أن يصطحبها إلى قصره . بدت الرحلة طويلة فى نظر أتالانتا . لم تستطع العاشقة الانتظار حتى تصل إلى القصر . رأت على الطريق معبداً لكبير الآلهة زيوس. جذبت ميلانيون من يده .. اتجهت نحو المعبد . دخلته (١٦) . ارتمت بين ذراعى

---

(١٣) قيل إن ميلانيون Milanion أو ملانيون Melanion هو الذي أحبها ، قيل أيضا إن من أحبها كان يدعي هيبومينيس Hippomenes راجع : Propertius, I, 1. 9; Apollodorus. III, 105 .

(١٤) تروي بعض المصادر القديمة (Propertius, Loc. Cit.) أن ميلانيون فاز بقلب أتالانتا دون أن يدخل معها في سباق ، بل اشترك معها في عملية من عمليات الصيد .

(١٥) قيل إن ميلانيون - بعد أن فاز في السباق وفاز بقلب أتالانتا - نسي أن يتوجه بالشكر إلي أفروديتي التي ساعدته ، لذلك انتقمت منه . راجع : Ovid, Metamorphoses, X, 681 sqq.

(١٦) Apollodorus, III, 108; Hyginus, Op. Cit., Ovid. Op. Cit., X, 686 .

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٧) :

أتالانتا والتفاحات الذهبية

مكتبة المهتدين الإسلامية

قاهرها . ضاجعها . ثم ضاجعها . ثم ضاجعها . نسيا أنهما فى مكان مقدس . أفاقا من نشوتهما . وجد أنهما خرجا من صورة البشر إلى صورة الحيوان . لقد غضب منهما زيوس . فمسخهما أسدين . وأصبح كل أسد منهما غير قادر على مضاجعة الأسد الآخر.

تلك هى أسطورة أتالانتا . أسطورة قديمة . ذكرها بإيجاز الأدباء الإغريق والرومان ، لكنها وردت بالتفصيل عند الكتاب المتأخرين ، وخاصة أوفيديوس وأپوللودوروس (١٧) . روى هيسيودوس قصة السباق والتفاحات الذهبية (١٨) . وصف هوميروس فى الإلياذة عملية الصيد الكالودونى (١٩) . اختلفت الآراء حول نسب أتالانتا وموطنها . فالبعض يروى أن والدها كان ياسوس أو ياسيوس ابن لوكورجوس . وأنه كان ملكا على أركاديا . وأن والدتها كانت كلوميني ابنة مينياس . ويروى البعض الآخر أن والدِها كان مخوينيوس بن أثاماس وكان موطنه بيوتيا (٢٠) . كما يرى البعض أن منْ قهرها فى السباق كان يدعى هيبومينيس وليس ميلانيون . ذكرها بعض الرواة ضمن الأبطال الذين اشتركوا فى رحلة السفينة أرجو . وذكر آخرون معبد الربة أفروديتى أومعبد الربة الأم كوبيلي على أنه المكان الذى ضاجع فيه ميلانيون أتالانتا. كما ذهب بعض الرواة إلى أن أتالانتا تزوجت قبل ميلانيون وأنجبت ذكرا يدعى پارثينوپايوس (٢١) . وكان فيما بعد أحد القادة السبعة الذين هاجموا مدينة طيبة(٢٢) .

لكن اختلاف الروايات أمر شائع فى الأساطير . بل إنه دليل على انتشارها وشهرتها بين الشعوب المختلفة وخلودها على مدى الأجيال .

* * * * *

(١٧) Apollodorus III; Ovid, Op. Cit.; X.

(١٨) Hesiod, frag. 218 .

(١٩) راجع هوميروس . (Iliad, IX, 527 sqq.; cf. ibid. II, 642) الذي يروي قصة الصيد الكالودوني دون أن يذكر أتالانتا .

(٢٠) تروي بعض المصادر القديمة أنه كانت توجد بطلتان بنفس الاسم (أتالانتا) واحدة من أركاديا والثانية من بيوتيا . لكن من المرجح أن الأساطير كلها تشير إلي بطلة واحدة تحمل ذلك الاسم بالرغم من اختلاف الموطن وأسماء الوالدين . راجع : Rose, Greek Mythology. p. 259 .

(٢١) قيل إنها أنجبت پارثينوپايوس من ملياجروس Hyginus, fabula 99.

(٢٢) Graves, Op. Cit., Vol. I, p. 266 .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

دَايْــدَالُوس

.. جمع دايدالوس مجموعة من ريش الطيور . صنـع منهـا جناحين كـبـيـرين . ثم ربط الجناحين فـى كـتـفـى إيكاروس. ثم صنع جناحين آخـرين . وربطهـمـا فى كـتـفيـه. أصبح كل من الوالد والولد يحمل فوق ظهـره جناحين مثل أجنحة الطيور . إستخدم الخيوط فـى تثبيت مجموعة من الريش حتى تأخذ شكل الجناح . ثم استخدم الغراء فى لصق الجناحين ببعضهما . كما استخدمه أيضاً فى تثبيت بعض الريش الصغير . أصبح كل من الوالد والولد ذا جناحين مثـل الطيـور . أصبح كل منهـما قادراً على الطيران مثلما تفعل الطيور . شرح دايدالوس لولده كيف يحرك جناحيـه . كيـف يرتفع عن الأرض . كيـف يركب الهـواء . ويطيـر فـوق اليابس والماء . دربه كيف يغيِّر اتجاه جسمه يميناً ويساراً. كيف يتحكم فى تحديد ارتفاعه عن مستوى سطح البحر .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

دَايـــدَالُوس

فنان أصيل . صانع ماهر . مبتكر بارع . ذو خيال خصب وعقل مفكر ، ابتكاراته لاحصر لها . تصميماته ومشروعاته لم يستطع الزمان أن ينْسها . أقام فى صقلية أول خزان يحفظ مياه نهر ألابون . أقام فى سيلينوس أول حمام بخار . صمم أول قلعة بالقرب من أجريجنتم . أنشأ أول بهو لمعبد أفروديتى فوق جبل أروكس [1].

هو النجار الأول . قدَّ من الحديد أول منشار . صنع أول بلطة . صمم الفادون (ميزان استقامة البناء) والمثقاب . اكتشف الغراء . ابتكر شراع السفينة وقلاعها . صنع الكراسى والمقاعد الخشبية التى يمكن طيها وفردها [2] .

هو المثَّال الأعظم . صنع قرص الشهد الذهبى فى معبد أفروديتى فوق جبل أروكس . أقام تماثيل رائعة . ومعابد فخمة فى بلاد الإغريق وإيطاليا . صنع أول دمية متحركة . تفتح عينيها وتغلقها . تسير على رجليها . تحرك ذراعيها .

هو الطيار الأول . أول من صنع أجنحة للإنسان . أول من طار فى الهواء . وعلم غيره الطيران .

ذلك هو دايدالوس .

اختلفت الروايات حول نسبه . قيل إن أمه كانت تدعى ألكيپىّ . أو ميروپى ، أو إيفينوى . اختلفت الرواة حول تسمية والده [3] . اتفق الجميع على أنه سليل الأسرة المالكة فى أثينا التى انحدرت من الملك الأسطورى العظيم أريختيوس [4] .

علمته الربة أثينة فأحسنت تعليمه . لقنته الفنون والصنائع . دربته على استخدام عقله ويديه . وهبته قريحة خلاقة . أصبح بدوره معلماً ومدرباً [5] . أرسل

(١) Diodorus Siculus. IV, 78.

(٢) Pausanias, 1, 27, L.

(٣) Apollodorus, III, 15, 8; Plutarch, Theseus, 19; Hyginus, fabula 39.

(٤) أنظر Pherekydes, I, 146 Jacoby, . قيل أيضاً (Pausanias, IX, 3, 2) إن والده يدعي يوپالاموس Eupalamus. وتعني «اليد الماهرة» .

http://www.al-maktabeh.com

إليه معاصروه أبناءهم . تتلمذ عليه أشخاص كثيرون . دربهم فأحسن تدريبهم . لم يستطع أحد من تلاميذه أن يباريه فى فنه أو صنعته . كان له شقيقة تدعى پولوكاستى . أنجبت ولداً أسمته تالوس أو – فى رواية أخرى – پرديكس . عهدت پولوكاستى إلى شقيقها بتدريب ولدها . طفق يعلمه ويدربه منذ طفولته . تفوق التلميذ على معلمه ولم يكن التلميذ قد تجاوز الثانية عشرة من عمره . ذات يوم كان تالوس يسير على شاطىء البحر . داس بقدمه شيئاً مدبباً صلباً . شعر بألم شديد . انحنى والتقطه . كان عموداً فقرياً لسمكة ضخمة أو – فى رواية أخرى – عظمة فك حية مهول . التقط فرع شجرة جاف . أخذ يحك بالعمود الفقرى فرع الشجرة . استطاع أن يقطع فرع الشجرة إلى جزئين . أسرع التلميذ إلى خاله ومعلمه يخبره باكتشافه . فرح المعلم بحدة ذكاء ابن شقيقته وتلميذه . طور المعلم ما ابتكره التلميذ . أتى بقطعة من الحديد. صنع لها حافة حادة مسننة تشبه عظمة الفك بأسنانها الحادة . استعملها فى قطع الأخشاب . انتشر استعمال هذه الآلة . هكذا ظهر المنشار لأول مرة .

واصل التلميذ تالوس اكتشافاته البارعة . ابتكر عدداً من الآلات والمعدات . ابتكر القرص الدائر فصنع بواسطته الأوانى الفخارية . ابتكر الفرجار فأصبح قادراً على رسم الدوائر باتقان . ذاع صيت تالوس فى أثينا . أصبح ناراً على علم . حاز احترام الأثينيين وإعجابهم . طغت شهرته على شهرة معلمه دايدالوس . دبت الغيرة فى نفس المعلم (٦) . أوغر الحقد صدره . أعمت الغيرة بصيرته . لاحظ – أو هكذا خيل إليه – وجود علاقة مشينة بين تالوس ووالدته پولوكاستى . صمم دايدالوس على التخلص من ابن شقيقته الفاجر . إصطحبه إلى معبد الربة أثينة فوق قمة الأكروپوليس. غافله . ثم دفع به من أعلى . هوى تالوس على الأرض جثة هامدة . أسرع دايدالوس إلى أسفل . وضع جثة تالوس فى جوال . حمل الجوال على ظهره . كان ينوى أن يدفن الجثة خلسة دون أن يره أحد .

(٥) ربما من أجل ذلك أعتقد – أو ادعي – الفيلسوف سقراط أنه من نسل دايدالوس الذي ينتسب بدوره إلي الإله هيفايستوس ، راجع: Plato, Ion, 533 a; Alcibiades, I, 121 a; cf. Meno, 97 d.

(٦) Apollodorus, III, 15; Ovid, Metamorphoses, VIII, 236-59; Diodorus Siculus, IV, 76; Pausanias, VI, 4, 5.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تجمع المارة حول دايدالوس . دفعهم حب الاستطلاع . سأله الأثينيون عما يحمله فوق ظهره . إدعى أنه قتل حية سامة كانت تهدد حياتهم جميعاً . لاحظ الأثينيون وجود بقع من الدم على الجوال من الخارج . دب الشك فى نفوسهم . صمموا على معرفة الحقيقة . اكتشفوا جريمة دايدالوس . حكم عليه مجلس المدينة بالنفى (٧) . أو – فى رواية أخرى – هرب ديدالوس قبل أن يقدم للمحاكمة (٨) .

مات تالوس . دفنت جثته حيث هوى . دفنت عند قاعدة صخرة الأكروپوليس الشاهقة ، لكن روحه لم ترض أن تظل حبيسة التراب . أصبحت طليقة لاتعرف الهدوء أو السكينة . ظلت ترفرف فى الهواء . تجوب البقاع والهضاب . تطارد القاتل . وتحاول الانتقام منه . ظلت روح تالوس حية فى هيئة طائر يعرف باسم الحجل . حزنت پولوكاستى حزناً دفيناً . لم تستطع العيش بعد موت تالوس . أزهقت روحها بيدها . أقام لها الأثينيون قبراً ضخماً بجوار الأكروپوليس . أحاطوه بالإعزاز والإجلال. أصبح مكاناً مقدساً يحج إليه الجميع (٩) .

لجأ دايدالوس إلى إحدى مناطق أتيكا . جمع من حوله مجموعة من التلاميذ . ظل يلقنهم فنه وصنعته . برعوا فى أنواع شتى من الفنون . أصبحوا يعرفون من بعده باسم آل دايدالوس (١٠) . لكن دايدالوس لم يكن يشعر بينهم بالأمان التام . لذا آثر الفرار مرة أخرى . غادر الأراضى الإغريقية . اتجه إلى جزيرة كريت (١١) . إلى بلدة كنوسوس بالذات . حيث رحب به الملك مينوس . كان الملك معجباً ببراعة دايدالوس ومهارته . كان راغباً فى استضافته . فخوراً باحتوائه . سعيداً بمصاحبته . أنشأ دايدالوس فى جزيرة كريت معابد ضخمة . وقصوراً فخمة . وقلاعاً شاهقة . ثم – بناء على توجيهات من الملك مينوس – أقام قصر اللابرنثوس المعروف . كان قصر اللابرنثوس معجزة معمارية فى عصره . تكون القصر من مئات الحجرات . تربط بينها دهاليز متعرجة لاحصر لها . صمم دايدالوس القصر بطريقة خاصة بحيث أصبح من المستحيل على من يدخله أن يجد طريقه إلى الخارج . أشاد العالم أجمع

(٧) Suidas, s.v. πέρδικος ἱερόν

(٨) Diodorus Siculus, IV, 76; Hyginus, fabula 39; Pausanias, VII, 4, 5.

(٩) Pausanias, I, 21, 6; Servius on Vergil's Aeneid, VII, 14; Suidas. s.v.

(١٠) Oxford Cassical Dictionary, s.v. Daedalus.

(١١) Ovid, Metamorphoses, II, 236.

http://www.al-maktabeh.com

ببراعة دايدالوس . أحس دايدالوس بالأمان والاطمئنان فى بلاط الملك مينوس . لكن لم يدم ذلك طويلاً .

لم يكن دايدالوس ممن يحفظون الجميل . أو يحافظون على العهد . أو يصونون النعمة . ظلت روح تالوس تطارده . كانت لعنة الربة أثينة تلاحقه . لذا . لم يحفظ العهد . ولم يعترف بالجميل . بل ارتكب حماقات شديدة أثارت الملك مينوس ضده . وجعلته حاقداً عليه . عض دايدالوس اليد التى امتدت له بالمعروف . أفقدته جرائمه حبَّ الملك مينوس . حولته إلى عدو لدود للملك . حكم عليه بالسجن حتى الموت (١٢). لكن لماذا غضب مينوس من دايدالوس ؟

ذات مرة أراد الملك مينوس أن يقدم ضحية للإله پوسيدون . لكن پوسيدون أرسل إلى مينوس ثوراً من عنده . ثم طلب منه أن يذبح الثور ويقدمه ضحية له فى معبده . أعجب مينوس بالثور الذى أهداه إليه پوسيدون . كان ثوراً جميلاً ، رائعاً ، أبيض اللون ، قوياً ، سميناً ، لم ير البشر مثله على وجه الأرض ، احتجز مينوس الثور فى حظيرته ، ثم أرسل ثوراً آخر لتقديمه ضحية للإله پوسيدون (١٣) ، غضب پوسيدون غضباً شديداً ، صمم على الانتقام من مينوس . طلب من أفروديتى أن تبعث بسهامها الدافئة نحو صدر پاسيفاى زوجة مينوس . أحست پاسيفاى على الفور برغبة جامحة نحو الثور الجميل . ضاجعها الثور فى غفلة من زوجها مينوس . أنجبت الزوجة المقهورة مسخاً شريراً نصفه آدمى ونصفه الآخر ثور . عرفت الأساطير ذلك المسخ باسم مينوتاوروس . أى ثور مينوس (١٤) .

نشر مينوتاوروس الفزع والرعب بين أهل جزيرة كريت . فى ذلك الوقت كان مينوس قد انتصر على الآثينيين بعد حرب ضروس استمرت عدة سنوات . وجد مينوس الفرصة المناسبة للانتقام من الأثينيين والتخلص من شرور مينوتاوروس . أملى شروطه على الأثينيين ، عليهم أن يرسلوا سبعة فتيان وسبع فتيات غذاء لمينوتاوروس، رضخ الآثينيون المهزومون لشروط مينوس المنتصر . ظلوا يرسلون هذه الجزية مرة كل تسع سنوات . ذات مرة تطوع ثسيوس المغوار بالذهاب إلى كريت ضمن الفتيان الذين وقع عليهم الاختيار ليكونوا غذاء لمينوتاوروس (١٥) . كان لمينوس

(١٢) Diodorus Siculus, IV, 76; Apollodorus, Epitome, I. 12.

(١٣) Rose, Greek Mythology, p. 183.

(١٤) انظر ص ١٩٩ أدناه .

(١٥) Guerber, Myths of Greece and Rome pp. 223-4.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ابنة تدعى أريادني . أحبت أريادني ثسيوس من أول نظرة . ساعدته على قتل مينوتاوروس والخروج سالماً من قصر اللابرنثوس (١٦) .

تقول الروايات إن دايدالوس هو الذى عاون پاسيفاى زوجة الملك مينوس لكى تشبع رغبتها المحرمة ، هو الذى عاونها لكى تلتقى بالثور الجميل – ثور پوسيدون – تقول روايات أخرى إن دايدالوس هو الذى عاون ثسيوس على القضاء على مينوتاوروس والخروج من قصر اللابرنثوس ، هو الذى حرر الأثينيين من قبضة الملك مينوس . وهكذا اختلفت الروايات حول سبب غضب مينوس من دايدالوس ، وحول السبب الذى من أجله أمر مينوس بسجن دايدالوس فى قصر اللابرنثوس حتى الموت(١٧) .

لم يكن دايدالوس وحده سجيناً فى قصر اللابرنثوس . كان معه ولده إيكاروس . الذى أنجبه من جارية من جوارى الملك مينوس تدعى ناوكراتى . فى أول الأمر ، استخف دايدالوس بقرار السجن . لكنه اكتشف فيما بعد أنه قرار قاس مميت . فلقد وجد دايدالوس نفسه وولده تائهين فى غياهب ذلك السجن الرهيب . حاول دايدالوس أن يتخلص من سجنه ، وجد أنه من الصعب عليه الخروج . لاحظ أن الملك مينوس قد أصدر أوامره إلى السفن الحربية بحراسة مداخل قصر اللابرنثوس ومخارجه .. علم أيضاً أن أوامر مشددة من الملك قد صدرت إلى الحراس بإحباط أية محاولة للهروب . لكن دايدالوس لم يفقد الأمل . لم يتسلل إلى نفسه اليأس . ظل يفكر ليلاً ونهاراً . هداه تفكيره إلى حيلة بارعة جريئة . إن كان الطريق البرى مغلقاً بحراس الملك مينوس . والطريق البحرى مغلقاً بسفنه الحربية ، فإن الطريق الجوى مفتوح أمام الجميع(١٨) .

نقل دايدالوس الفكرة إلى ولده أيكاروس . لكن الابن فغر فاه . لم يفقه شيئاً.

(١٦) Hamilton. Mythology, pp. 151-2.

(١٧) راجع الأسباب المختلفة لسجن دايدالوس في كريت والطرق المختلفة التي اتبعها من أجل الهروب من سجنه في : Xenophon, Memorabilia, IV, 2, 33; Ovid, Ars Amatoria, II, 215 sqq. ; Idem, Metamorphoses, VIII, 183 sqq. وراجع أيضاً مطاردته أثناء هروبه وموت مينوس في :
Herodotus, VII, 170; Apollodorus, Epitome, 1, 12 sqq. ; Athenaeus, I, 10e.

(١٨) Warner, Men And Gods, pp. 22-4.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٨) :

مينوتاوروس في قصر اللابرنتوس

مكتبة المهتدين الإسلامية

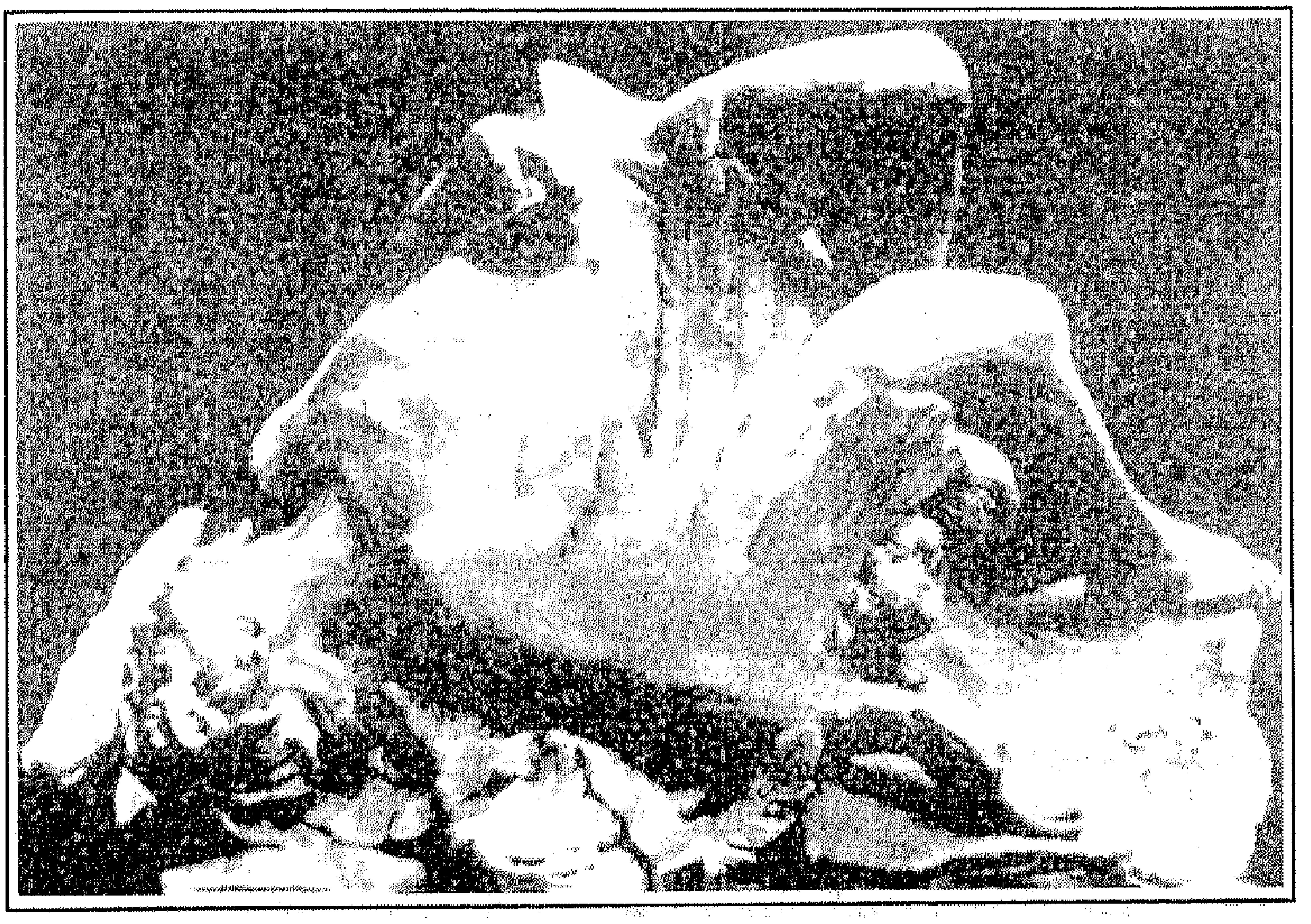
ماذا يقصد الأب بالطريق الجوى ؟ [١٩] يستطيع الإنسان أن يسلك طريق البر سيراً على الأقدام أو على ظهر دابة . يستطيع الإنسان أيضاً أن يسلك طريق البحر سباحة أو على ظهر سفينة . لكن كيف يستطيع الإنسان أن يسلك طريق الجو ؟ حاول دايدالوس أن يقنع الإبن بالفكرة الجريئة . لم يستطع . لم يكن أمام الوالد سوى التنفيذ. جمع دايدالوس مجموعة من ريش الطيور . صنع منها جناحين كبيرين ، ثم ربط الجناحين فى كتفى ولده إيكاروس ثم صنع منها جناحين كبيرين . ثم ربط الجناحين فى كتفىْ إيكاروس . ثم صنع جناحين آخرين . وربطهما فى كتفيه . أصبح كل من الوالد والولد يحمل فوق ظهره جناحين مثل أجنحة الطيور . إستخدم الخيوط فى تثبيت مجموعة من الريش حتى تأخذ شكل الجناح . ثم استخدم الغراء فى لصق الجناحين ببعضهما . كما استخدمه أيضاً فى تثبيت بعض الريش الصغير . أصبح كل من الوالد والولد ذا جناحين مثل الطيور . أصبح كل منهما قادراً على الطيران مثلما تفعل الطيور . شرح دايدالوس لولده كيف يحرك جناحيه . كيف يرتفع عن الأرض . كيف يركب الهواء. ويطير فوق اليابس والماء . دربه كيف يغيِّر اتجاه جسمه يميناً ويساراً . كيف يتحكم فى تحديد ارتفاعه عن مستوى سطح البحر . ثم وجه الوالد لولده نصيحة أخيرة . عليه أن يطير على ارتفاع متوسط . فإن تمادى فى الارتفاع فسوف يصبح قريباً من الشمس . عندئذ سوف يذوب الغراء بحرارتها ويتفكك الجناحان . وإن طار على ارتفاع منخفض فسوف يلمس صفحة الماء بجناحيه . عندئذ سوف يذوب الغراء فى الماء ويتفكك الجناحان أيضاً [٢٠] .

إنطلق دايدالوس وولده إيكاروس وهما يمتطيان الهواء . أخذ كل منهما يرفرف بجناحيه الكبيرين وهما يحلقان فوق قصر اللابرنثوس . مر الرجلان الطائران فوق السفن الحربية المحاصرة للقصر . شاهد حراس الملك مينوس الأجنحة الضخمة التى ترفرف فوق رءوسهم . خرَّ القوم سجَّداً وقد سيطرت عليهم الرهبة والخوف . ظنوا جميعاً أن إلهين يحلقان نحو قبة السماء فى طريقهما إلى جبل الأولومپوس . ظل أهالى كريت بأكملها يتمتمون ويصلون ويرسلون الدعوات . لم ينتبه أحد منهم إلى حقيقة الأمر . هكذا استطاع دايدالوس أن يهرب من سجنه الرهيب . أن يخدع الملك

(١٩) Hamilton, Op. Cit., pp. 139-40.

(٢٠) Guerber, Op. Cit., p. 222.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٩)

إيكاروس يلقى مصرعه

مكتبة المهتدين الإسلامية

مينوس . فلقد كان دايدالوس ماكراً . واسع الحيلة . داهية . سريع البديهة . لايغلب على أمره أبداً .

ظل كل من دايدالوس وإيكاروس يرفرف بجناحيه فى الهواء . بدت على ملامحهما السعادة ، أحس كل منهما بنسيم الحرية يمسح وجهه . مرّاً بجزيرة ناكسوس وديلوس وپاروس . ثم تركا وراءهما جزيرة ليبونتوس وكالومنى . نظر دايدالوس من حوله . لم يجد ولده إيكاروس . إلتفت نحو اليمين . إلتفت نحو اليسار . نظر إلى أسفل. ثم إلى أعلى . لم يجد له أثراً على الإطلاق . وجد دايدالوس نفسه وحيداً فى الفضاء. يرفرف بجناحيه بعيداً عن صفحة الماء . إتجه بجسمه نحو اليسار . ثم استمر فى الدوران حتى أصبح فى الاتجاه المضاد . عاد يبحث عن ولده إيكاروس . ظل يطوف الفضاء هنا وهناك . يعلو . ثم ينظر إلى أسفل . يهبط . ثم ينظر إلى أعلى . لم ير شيئاً . ولم يلحظ شيئاً (٢١) .

ذلك هو الشباب . لقد نصح دايدالوس المحنَّك بالتجارب ولده الشاب إيكاروس . نصحه أن يطير على ارتفاع متوسط حتى لاتقتله حرارة الشمس أو تقضى عليه مياه البحر . لكن إيكاروس – فى غمرة الفرح والسعادة – نسى نصيحة والده . أحس بالسعادة عندما وجد نفسه يرفرف فى الهواء مثل الطيور . فرح فرحاً شديداً عندما أحس بقدرته على التحليق فى الفضاء .

أحس بالزهو والغرور . أدرك أنه حقق نجاحاً لم يحققه بشر من قبله . نسى نصيحة والده . أخذ يعلو ويعلو بعيداً عن سطح البحر . ظل يرتفع ويرتفع ظناً منه أن قادر على أن يصل إلى قبة السماء ، وأن يلمس بيديه جدرانها المضيئة . كلما ارتفع عن سطح البحر قلَّت المسافة بينه وبين الشمس . فجأة أحس بجناحيه يتفككان . وجد نفسه غير قادر على الاحتفاظ بتوازنه . أدرك أنه لم يعد قادراً على الطيران ، هوى من ارتفاع شاهق . اندفع نحو سطح البحر . ارتطم جسده بالأمواج المتلاطمة . فقد القدرة على الحركة . أصبح فى عداد الموتى (٢٢) .

هكذا عرف دايدالوس – بخبرته وحنكته – مصير ولده الشاب إيكاروس . ظل

(٢١) Rose, Op. Cit., p. 269.

(٢٢) Hyginus, fabula. 40; Ovid, Metamorphoses, VIII, 182-235.

http://www.al-maktabeh.com

الوالد المنكوب يجوب الفضاء عدة أيام حتى لمح من بعد جثة ولده إيكاروس . هبط دايدالوس – بحرص شديد – نحو سطح الماء . سحب الجثة المنتفخة نحو أقرب شاطيء . هبط على أرض جزيرة صغيرة وسط البحر . حمل جثة ولده إلى أرض الجزيرة . بكى بكاءاً مراً . دعا الآلهة أن تقبل ولده فى عالم الموتى . ثم دفن الجثة وأقام قبراً متواضعاً . أثناء ذلك ، وقف بالقرب منه – فوق شجرة بلوط – طائر الحجل يغنى ويغرد . لقد دفع دايدالوس ثمن جريمته التى ارتكبها . فقد ولده إيكاروس تماماً كما فقدت شقيقته پولوكاستى ولدها تالوس . منذ ذلك الحين . عرف الإغريق تلك الجزيرة باسم جزيرة إيكاريا .

لكن الموت لايعوق عجلة الحياة عن الدوران . إنتهى دايدالوس من أداء واجبه نحو ولده . ثم بدأ يفكر فى نفسه من جديد . استعذب الطيران فى الفضاء . فرد جناحيه الكبيرين . وأسلم نفسه للريح . إتجه ناحية الغرب . ظل يرفرف بجناحيه حتى وصل إلى بلدة كوماى القريبة من مدينة نابلى . هناك هبط فى سلام . أراد أن يكفّر عن جرائمه التى ارتكبها . رغب أن يغسل آثامه التى أغضبت الآلهة منه . وقع اختياره على رقعة فسيحة من الأرض . خلع جناحيه من فوق ظهره . وهبها للإله أپوللون . ثم أقام له معبداً فخماً وضع فيه كل خبرته وفنه . نقش جميع سقوف المعبد بالذهب الخالص . أصبح المعبد تحفة رائعة تحدثت عنه الأجيال التالية .

لم يكن الاستقرار من طبع دايدالوس . هجر كوماى . وصل إلى بلدة كاميكوس فى صقلية . رحب به الملك كوكالوس . قضى حياة هادئة بين أهل صقلية . أقام فيها معابد فخمة وقصوراً . انتشر على يديه العمران فى جميع أنحاء الجزيرة . حاز إعجاب أهل صقلية واحترامهم . تمتع – كالمعتاد – بشهرة واسعة . ذاع صيته . أصبح مقرباً إلى الملك محبوباً من بناته (٢٣) .

ابتكر لعباً طريفة فرح بها بنات كوكالوس . صنع لهن دمى من الخشب أو العاج أو الحديد . شهدت هذه الدمى على براعة دايدالوس . كانت دمى متحركة . كل دمية قادرة على غلق عينيها أو فتحها وتحريك ساقيها أو ذراعيها (٢٤) . فرح بنات كوكالوس بتلك الدمى فرحاً شديداً . أحببن دايدالوس حباً جماً . تعلقن به إلى حد

(٢٣) Vergil, Aeneid, VI, 14 sqq.; Pausanias, VII, 4,5; Diodorus Sioulus, IV, 78.

(٢٤) Δαιδαλου ποιηματα (Suides s.v).

مكتبة المهتدين الإسلامية

الجنون . شغفن به . لدرجة أنهن لم يقدرن على فراقه لحظة واحدة . لقد كفَّر دايدالوس عن جرائمه السابقة ، فرضيت عنه الآلهة ، فعاش عيشة هنيئة ، وأحس بحلاوة الاستقرار ولذة الطمأنينة والأمان .

لكن القدر كان يخبيء لدايدالوس أكثر من كل ذلك . كان مينوس ملك كريت دائم التفكير فى الانتقام من دايدالوس . لم يهدأ بال مينوس لحظة واحدة منذ فر دايدالوس من قصر اللابرنثوس . جمع سفنه الحربية الضخمة . وجمع رجاله المسلحين . ظل يجوب الممالك والإمارات بحثاً عن دايدالوس المغامر . كان يعرف أن ضالته المنشودة قادرة على التأثير على من حوله والتقرب إليهم والفوز بثقتهم . دبر حيلة بارعة استطاع عن طريقها معرفة المكان الذى كان يختبيء فيه دايدالوس .

حمل مينوس معه فى تجواله قوقعة ضخمة متعددة التعاريج من الداخل والخارج . فى كل مدينة وصل إليها كان يجمع أهل المدينة . ثم يطلب منهم إمرار خيط رفيع داخل القوقعة ، بحيث يدخل الخيط الرفيع فى الفتحة الموجودة على أحد طرفيها ، ثم يمر بالتعاريج الداخلية للقوقعة ، ثم يخرج من الفتحة الموجودة عند الطرف الآخر . فى كل مدينة وصل إليها مينوس كان يطلب ذلك من أهلها ، ويعرض مكافأة ضخمة . فى كل مدينة وصل إليها لم يستطع أحد أن يلبى طلبه . كان مينوس يعلم أن ذلك العمل لايستطيع أن يقوم به سوى داهية ماكر مثل دايدالوس . ظل مينوس يجوب الممالك والإمارات حتى وصل إلى جزيرة صقلية . هناك قابل الملك كوكالوس ، عرض عليه مطلبه ، أخبره بقيمة المكافأة . تردد كوكالوس فى أول الأمر. لكنه قرر أخيراً أن يعرض الأمر على دايدالوس .

رحب الملك كوكالوس بالملك مينوس . استضافه فى قصره . تركه كوكالوس وذهب خلسة إلى حيث يقيم دايدالوس . عرض عليه الأمر . كان تحقيق مطلب مينوس مستحيلاً . لكن عقل دايدالوس لم يكن يعرف المستحيل . هداه عقله الجبار إلى فكرة بارعة : أتى بالخيط الرفيع الذى طلب مينوس إمراره فى القوقعة الضخمة ذات التعاريج . ربط طرف الخيط فى رجل نملة . أدخل النملة فى الفتحة الكائنة عند أحد طرفى القوقعة . ثم جاء بقليل من عسل النحل ولوث به جدار الفتحة الكائنة عند الطرف الآخر للقوقعة . لم تستطع النملة أن تغادر القوقعة من نفس الفتحة التى دخلت منها . لذلك ظلت تسير نحو الداخل . أخذت تسلك الممرات الضيقة المتعرجة فى

http://www.al-maktabeh.com

داخل القوقعة . كان دايدالوس يمسك بالخيط الرفيع . ظل يطلق الخيط قليلاً كلما أحس بأن النملة تسحبه أثناء توغلها داخل القوقعة . مرّ وقت طويل والنملة مازالت تسلك الممرات الضيقة المتعرّجة داخل القوقعة . أحست النملة بالجوع . وصلت إلى أنفها رائحة العسل الذى لوّث به دايدالوس جدار الفتحة الكائنة عند الطرف الآخر للقوقعة . بدأت النملة تسرع فى سيرها نحو ذلك الطرف . كلما اشتد الجوع بالنملة ازدادت سرعتها وهى تجتاز الممرات المتعرجة داخل القوقعة . ظلت النملة تسرع فى سيرها حتى وصلت إلى الفتحة الكائنة عند الطرف الآخر للقوقعة . خرجت من الفتحة والتصقت بجدارها . ثم بدأت تلتهم العسل . أمسك دايدالوس بالنملة . ثم أمسك بطرف الخيط الرفيع المربوط فى رجلها . جذب الخيط برفق . وهكذا استطاع دايدالوس بعقله المفكر أن يحقق المستحيل .

ذهب الملك كوكالوس إلى حيث يقيم ضيفه الملك مينوس . عرض عليه الخيط الرفيع وهو يمر فى المسالك المتعرجة داخل القوقعة . تأكد مينوس من وجود دايدالوس فى مملكة كوكالوس . طلب من كوكالوس أن يسلمه إياه . رفض كوكالوس . هدد مينوس ، وتوعد . هدد بشن حرب على صقلية ، استولى الذعر على الملك كوكالوس . ذهب مهموماً إلى بناته . سألنه . شرح لهن الأمر . رفضن طلب الملك مينوس بشدة . ذهبن وعرضن الأمر على دايدالوس . طلبن من ديدالوس أن يدافع عن نفسه ، وأن يجد وسيلة لوالدهن للتخلص من الملك مينوس . شكرهن دايدالوس .

تسلل دايدالوس إلى داخل القصر حيث يقيم الملك مينوس . أحدث ثقباً فى سقف حمامه الخصوصى ، أدخل فيه ماسورة من المعدن . طلب من الخدم أن يرافقوا الملك الضيف إلى الحمام . خلع الملك مينوس ملابسه . وبينما يستمتع بالاستحمام صب دايدالوس ماء مغلياً فى الماسورة المعدنية . قضى الماء المغلى على حياة الملك مينوس . (٢٥) تظاهر الملك كوكالوس بالحزن ، أخبر حاشية الضيف أن ملكهم تعثر فى سجادة مفروشة على أرضية الحمام فسقط فى إناء كبير به ماء مغلى . نجا دايدالوس من الهلاك بفضل عقله المفكر وحيلته الواسعة (٢٦) .

(٢٥) Pearson, Fragments of Sopholes, Vol. II, p. 3.

(٢٦) Diodorus Siculus, IV, 79; Zenobius, Proverbs, IV, 92; Apollodorus, Epitome, I, 14-15; Pausanias, IX, 2-3.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لكن دايدالوس لم يكن يعرف الاستقرار . هجر دايدالوس صقلية . ذهب إلى ساحة يولايوس . كان يولايوس ابن شقيق البطل هيراكليس ، كما كان سائقاً لعجلته الحربية . ومن هناك انتقل دايدالوس – تحت قيادة هيراكليس – إلى سردينيا . استقر هناك ، حيث أقام معابد ضخمة . وقصوراً فخمة ، وقلاعاً شاهقة ، علّم أهل سردينيا الفنون والصنائع . ظلت أعماله باقية عبر الأجيال التالية (٢٧) . ظلت تعرف دائماً باسم «أعمال دايدالوس» (٢٨) .

تلك هى قصة الفنان الصانع دايدالوس (٢٩) . تناولها معظم الكتاب الإغريق والرومان فى اختصار شديد . لكن الكاتب الرومانى أوفيديوس تناولها بشىء من التفصيل . ثم تناولها – بعده بحوالى مائة عام – الكاتب الإغريقى أبوللودوروس . اختلف الرواة فيما بينهم حول التفاصيل الخاصة بالأسطورة . لكنهم اتفقوا جميعاً حول الخطوط الرئيسية للقصة . أهم تلك الاختلافات هى التى تتعلق بكيفية هروب دايدالوس من جزيرة كريت ومايتوقف عليه من أحداث . تروى بعض الروايات أن پاسيفاى زوجة الملك مينوس أمدت دايدالوس بسفينة فر بواسطتها من كريت . وأن ولده إيكاروس هوى من السفينة فلقى حتفه غرقاً عندما كان على وشك النزول على أرض إحدى الجزر الصغيرة . تروى روايات أخرى أن دايدالوس هو أول من ركب شراعاً للسفينة (٣٠) ، التى فر بواسطتها من كريت ، وذلك ليسبق سفن الملك مينوس التى كانت تلاحقه ، وأن ولده إيكاروس لم يكن حريصاً أثناء قيادة السفينة فزادت سرعتها عن السرعة المناسبة فهوى إيكاروس فى الماء ومات غرقاً (٣١) .

---

(٢٧) Diodorus Siculus, IV, 30; I, 97; Pausanias, IX, 17, 3.

(٢٨) كان يطلق على كل الأعمال الفنية عند الإغريق لفظ Δαιδαλια نسبه إلي دايدالوس .

(٢٩) أنظر تفسيرات بعض الكتاب والأدباء المحدثين لهذه الأسطورة مثل أندريه جيد André Gide في تيزيه Thésée وجوته Goethe في فاوست Faust وجويس Joyce في أوليس Ulysses وغيرها في: Highet, Classical Tradition, pp. 509-10 and p. 697 nn. 18,19 and 20.

(٣٠) إليه – وإلي إيولوس Aeolus ملك الرياح أيضاً – يرجع الفضل في ابتكار الشراع :
Guerber, Myths of Greece and Rome, pp. 185; Pliny, Natural History, VII, 198.

(٣١) Diodorus Siculus, IV, 77; Apollodorus, II. 6, 3; Pausanias, LX, 2-3.

http://www.al-maktabeh.com

لكن اختلاف الروايات لايبطل تأثير الأسطورة . إنه لايجعلنا ننكر أن دايدالوس إنما يرمز إلى العقل المفكر فى الإنسان . إلى العقل البشرى الصامد ، الذى لايعرف اليأس ولايهاب الفشل .

* * * * * * *

مكتبة المهتدين الإسلامية

أورفيوس

.. فقد أورفيوس زوجته المحبوبة . أحس بوحدة موحشة . لم يصبح للحياة طعم بعد فراقها . لم يذق طعم النوم فى الليل . لم يعرف الراحة فى النهار . هام على وجهه يبحث عن طريقة لاسترجاع زوجته . نصحه الجميع . بالصبر . لكن الصبر لم يكن يعرف طريقه إلى أورفيوس . أشار عليه الجميع بمحاولة النسيان . لكن النسيان لم يكن من طباع أورفيوس . عرض عليه أصدقاؤه ومعارفه أن [illegible] عن حب جديد . لكن أورفيوس كان يؤمن بالحب الوحيد . ضاق به الجميع . يئسوا من الحديث معه . لكن أورفيوس لم يضق بهمومه . ولم يتسرب اليأس إلى نفسه . كان مصمماً على استرجاع زوجته . لم يكن أمامه سوى أن يهبط إلى عالم الموتى ، ثم يصعد ومعه زوجته .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أُورْفِيـــوس

بلاد الإغريق . بلاد الطبيعة . ومهد الجمال . شعب الإغريق شعب يعشق الطبيعة ويعبد الجمال . عاش الإغريق بالقرب من الشواطىء .. وسط الغابات . بين الطيور . استعذبوا خرير المياه . و[illegible] الأوراق . وشدو الطيور . عشقوا الموسيقى منذ نشأتهم . تخيلوا آلهتهم مؤلفين موسيقيين وعازفين بارعين . ومبتكرين للآلات الموسيقية . فالإله هرميس هو الذى ابتكر القيثارة . ثم أعطاها إلى الإله أبوللون . والإله أبوللون هو الذى صاغ ألحاناً شجية على القيثارة . وهو الذى عزف على قيثارته وسط الآلهة فوق جبل الأولمپوس فنسى الآلهة كل شيء حولهم . والإله هرميس أيضاً هو الذى ابتكر المزمار الذى يستخدمه الرعاة . وهو أول من عزف عليه ألحاناً ساحرة . والإله پان هو الذى ابتكر اليراع . وهو الذى عزف عليه ألحاناً تشبه تغريد العندليب فى فصل الربيع . والربة أثينة هى التى ابتكرت الفلوت . بالرغم من أنها لم تستخدمه . أما الموسيات فهن ربات الفنون والآداب [1] . لم يبتكرن آلة موسيقية . لم يعزفن على آلة معينة لكن صوتهن فاق فى جماله كل أصوات الغناء .

لم يكن مجتمع البشر على وجه الأرض سوى صورة لمجتمع الآلهة فى السماء . إذ ظهر على الأرض أيضاً مؤلفون موسيقيون ، وعازفون بارعون ، ومبتكرون للآلات الموسيقية ، كان أورفيوس واحداً من أشهر الموسيقيين والعازفين على وجه الأرض .

ليس من الغريب ، إذن ، أن ينسب الإغريق أورفيوس إلى آلهة تجيد العزف والغناء . قيل إن والدته واحدة من الموسيات التسع – كاليوپى الشقراء ذات الصوت الرخيم [2] . قيل إن والده الإله أبوللون ، عازف القيثارة الشهير [3] . قيل – فى رواية

(١) راجع ص ٢٨ حاشية رقم ٦٨ . أنظر أيضا الجزء الثاني ص ٦٦٧ وما بعدها .

(٢) يروي ڤرجيليوس (Vergil, Eclogues, IV, 27). أن والدته هي الموسية كاليوبي Kalliope ، بينما يقول أحد المعلقين القدامي (Scholiast, to Apollonius Rhodius, I, 23). إنها كانت الموسية پوليمنيا Polymnia .

(٣) Ovid, Amores, III, 2, 21, sqq.

http://www.al-maktabeh.com

أخرى – إن والده هو الملك الثراقى أوياجروس (٤) ، وإن أورفيوس نفسه كان كاهناً فى معبد أپوللون . من الموسية كاليوبى اكتسب أورفيوس موهبة الغناء . على يد الإله أپوللون تعلم أورفيوس العزف على القيثارة .

نشأ أورفيوس فى منطقة ثراقيا . الواقعة شمال بلاد الإغريق . اشتهر أهل ثراقيا بالإحساس الفنى المرهف . عرفوا بموهبتهم الموسيقية الرائعة . بزّوا أهل الأرض جميعاً فى كل فنون الموسيقى والغناء . أما أورفيوس فلم يكن يباريه أحد فى ثراقيا أو فى أى مكان آخر . لم يكن يفوقه سوى الآلهة . فالآلهة فقط هى التى تستطيع أن تتفوق على أمهر أفراد البشر (٥) .

لم يكن لبراعة أورفيوس فى العزف نهاية ، لم يكن لقوة تأثير صوته حدود . كان بموسيقاه وغنائه قادراً على تحقيق المعجزات . لم يستطع كائن من الكائنات على وجه الأرض أن يقاوم قوة تأثيره . عندما يغنى ويعزف على قيثارته تتمايل نباتات الغابة طرباً . تنحنى له الأشجار فى خشوع . تتبعه الحيوانات الضارية فى خضوع . تغرد طيور البر والبحر من حوله . ترقص الجبال والهضاب نشوة وطرباً . تتحول مجارى الأنهار وتنحسر المياه أو تغير اتجاهها (٦) .

هام أورفيوس على وجهه باحثاً عن الجمال . تجول هنا وهناك عاشقاً للطبيعة معجباً بسحرها . غادر ثراقيا يحمل قيثارته . يعزف ويغنى أعذب الألحان . حضر إلى مصر (٧) ، ذات المناظر الطبيعة الساحرة . شنّف آذان المصريين بأغانيه الرائعة . أثلج صدورهم بألحانه الشجية . اشترك بعد ذلك فى رحلة السفينة أرجو . التى ظلت ذكراها باقية على مدى الأجيال . صاحب أورفيوس أبطال الرحلة الشهيرة تحت قيادة البطل ياسون . عندما يدرك التعب الأبطال . أو يتسرب اليأس إلى نفوسهم . أو تفتر هممهم . يمسك أورفيوس بقيثارته ويطلق عقيرته بالغناء . ينشد ألحاناً تريح الأبطال . تعيد الأمل إلى نفوسهم . تقوى هممهم . عندما تشتد أمواج البحر وتتلاطم . وعندما تضرب المياه جوانب السفينة ، فى شدة وعنف . يصبح التجديف عملية صعبة

(٤) Pindar, frag. 139 (Bergk).

(٥) Hamilton, Mythology, pp. 103-4.

(٦) Horace, Carmina, 1, 12,7.

(٧) Diodorus Siculus. IV, 25; Hyginus, fabula 164, Athenaeus. XIII.

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (١٠)

أورفيوس يعزف للحيوانات والنباتات

http://www.al-maktabeh.com

وشاقة . ويدرك التعب سواعد الأبطال . عندئذ يعزف أورفيوس على قيثارته ويغنى فتشتد سواعد الأبطال . وتقوى عزيمتهم . ويضربون الماء بالمجاديف . فتندفع السفينة إلى الأمام طافية فوق الأمواج المتلاطمة ، متحدية شراسة البحر وهياجه . إذا أوغر الغضب صدور الأبطال ودب النزاع بينهم . أخضع أورفيوس بألحانه نفوسهم . وهدأ من غضبهم . وأصلح فيما بينهم . قام أورفيوس بدور هام فى إنقاذ السفينة والأبطال . فالسيرينيات هن جماعة من حوريات الماء الحسناوات . يجلسن على شاطىء جزيرة وسط البحر . يبعثن بألحان شجية وأنغام ساحرة . تؤثر ألحان السيرينيات على راكبى السفينة التى تمر بالقرب من شاطئهن . ألحانهن تجذب البحارة . تجعلهم ينجذبون نحو الشاطىء مأخوذين بتلك الألحان . وإذا ما وصلت السفينة إلى الشاطىء . غرزت فى الرمال . وإذا ما وطئت أقدام البحارة رمال الشاطىء . أصبحوا تحت رحمة السيرينيات . إن كل بحار وصل إلى شاطىء السيرينيات لقى حتفه . وذاق موتاً مؤكداً (٨) . لكن أورفيوس أنقذ أبطال السفينة أرجو من خطر السيرينيات . أنقذهم من الموت والدمار . عندما وجد أن السفينة تجنح نحو الشاطىء – بفعل سحر أنغام السيرينيات – طفق يعزف على قيثارته وينشد ألحاناً طغت على أصوات السيرينيات ، وأبعدت السفينة عن الشاطىء ، وأعادتها إلى مجراها السابق . ولولا أورفيوس لذاق أبطال السفينة أرجو موتاً مؤكداً ، ولظلت عظامهم باقية بعدهم على الشاطىء حيث تجلس السيرينيات (٩) .

قام أورفيوس بمهمته فى الحياة خير قيام . لعب دوراً هاماً فى كل مكان ذهب إليه ، لم يكن يعرف الهمّ أو الحزن . كانت كل حياته أوقاتاً سعيدة . تمنّى كل فرد أن يكون أورفيوس صديقاً له . سعد كل شاب بمصاحبته . سعدت كل فتاة بمرافقته .

---

(٨) السيرينيات Sirenes : مجموعة من الشخصيات الأنثوية الأسطورية ، لغنائهن سحر قوي وتأثير بالغ علي السامعين . يسكن جزيرة قريبة من سكولا Scylla وخاروبديس Charybdis ، علي هيئة نصف بشر ونصف طائر (Homer, Odyssey, XII, 39, 184) يجذبن بغنائهن البحارة فينزلون إلي شاطيء الجزيرة ، فيلقون الموت والهلاك ، إذا استطاع شخص مقاومة سحر غنائهن كان في ذلك هلاكهن (Hyginus, fabula 141) استطاع كل من أورفيوس وأوديسيوس أن ينجو من سحر غنائهن .

(Apollodorus, 1, 9, 25; Apollonius Rhodius, IV, 893).

(٩) Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 111-113.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أحبه الفتيان . عشقته الفتيات . لكن أورفيوس لم يعشق سوى فتاة واحدة . انتقاها من بين صديقاته الكثيرات . اختارها من بين مرافقاته الحسناوات . عشق أورفيوس فتاة تدعى يوروديكى (١٠) . هام فى حبها . نظم فيها قصائد غزل . تغنى بجمالها وحسنها . خطب ودها . تجاوبت معه على الفور . عرض عليها الزواج . لم تتردد فى القبول . تزوجها . شعرا بسعادة غامرة . قضيا أوقاتاً سعيدة . لكن القدر لم يتركهما ينعمان بالسعادة فترة طويلة . أرسل إليهما شاباً مغامراً يدعى أريستايوس . أحب أريستايوس يوروديكى . لكنها لم تبادله الحب . عشقها . لكنها لم تعشقه . ظل يطاردها فى كل مكان تذهب إليه . لكنها كانت دائماً تتحاشاه . ذات مرة . خرجت يوروديكى بصحبة بعض صديقاتها . ظلت تتجول بين المروج الخضراء . ظهر أريستايوس أمامها فجأة . لاذت يوروديكى بالفرار . لجأت إلى الأحراش المجاورة بحثاً عن مكان تختبىء فيه . داست بقدمها شيئاً ليناً . لم يكن ذلك الشيء سوى حية سامة مختفية بين الحشائش . لدغت الحية يوروديكى . صرخت الزوجة المخلصة من شدة الألم . تجمع من حولها صديقاتها . لكن السم سرى فى جسد الزوجة المسكينة . فارقت الحياة فى الحال . وهى تصرخ . أورفيوس . وداعاً . وداعاً (١١) . فقد أورفيوس زوجته المحبوبة . أحس بوحدة موحشة . لم يصبح للحياة طعم بعد فراقها . لم يذق طعم النوم فى الليل . لم يعرف الراحة فى النهار . هام على وجهه يبحث عن طريقة لاسترجاع زوجته (١٢) . نصحه الجميع بالصبر لكن الصبر لم يكن يعرف طريقه إلى أورفيوس . أشار عليه أصدقاؤه ومعارفه أن يبحث عن حب جديد . لكن أورفيوس كان يؤمن بالحب الوحيد. ضاق به الجميع . يئسوا من الحديث معه . لكن أورفيوس لم يضق بهمومه . ولم يتسرب اليأس إلى نفسه . كان مصمماً على استرجاع زوجته . لم يكن أمامه سوى أن يهبط إلى عالم الموتى (١٣) . ثم يصعد ومعه زوجته . هكذا قال له أصدقاؤه ومعارفه فى تهكم . لكن أورفيوس صدق قولهم وصمم على القيام بهذه المغامرة اليائسة (١٤).

(١٠) Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 64-68.

(١١) Warner, Men And Gods, pp. 91-94.

(١٢) Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 58-60.

(١٣) Hamilton, Op. Cit., pp. 104-5.

(١٤) Vergil, Georgics, IV, 456 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

لم يكن الوصول إلى عالم الموتى مباحاً للأحياء . لذا ظن أصدقاء أورفيوس أنه مقدم على الموت لامحالة . لكن أورفيوس لم يدركه ذلك الخاطر أبداً . أحس أن الفن الصادق قادر على تحقيق المعجزات . أدرك أن العاشق المخلص لايحجم عن ركوب الصعاب . أسرع أورفيوس نحو مملكة أولومپوس . طلب مقابلة كبير الآلهة زيوس . استهزأ بطلبه صغار الأرباب عند الباب . قابل الاستهزاء بالصبر والقنوط . طفق يطلق الدعوات والصلوات. ظل يتوسل ويرجو . سمع كبير الآلهة دعواته. استجاب لصلواته لم يستطع أن يرفض طلبه . لكنه كان واثقاً أن مغامرته سوف توصله إلى الهلاك .

أذن زيوس لأورفيوس بالهبوط إلى عالم الموتى . كان على أورفيوس أن يسلك طريقاً شاقاً محفوفاً بالمخاطر . كان عليه أولاً أن يعبر نهر ستوكس الذى يفصل بين عالم الموتى وعالم الأحياء . وصل إلى شاطىء النهر . وجد نفسه وجهاً لوجه أمام «المعدّاوى» خارون . كانت مهمة خارون نقل الموتى فى قاربه العتيق من عالم الأحياء إلى عالم الموتى . لم يكن خارون يتعامل إلا مع الموتى . كان عبوساً على الدوام . صارماً . جاداً . لاتعرف الابتسامة طريقها إلى شفتيه . مد خارون عنقه نحو أورفيوس . نهره . عنّفه . أمره بالعودة إلى حيث أتى . فلم يكن خارون يسمح إلا للموتى بركوب قاربه . ظل أورفيوس يستعطفه . لكن قلب خارون لم يلن . ظل يتوسل إليه . لكن خارون لم يستمع لتوسلاته . تحسس أورفيوس قيثارته التى لاتفارقه فى كل مكان يذهب إليه . انطلقت أنامله الدقيقة تعبث بأوتارها من شدة الحزن ، امتلأ الشاطىء بالأنغام الحزينة اليائسة . رقصت مياه النهر فى تؤدة ووقار . تمايل القارب العتيق مع حركة المياه المنتظمة . تراقصت ذرات الرمال على الشاطىء المهجور . تناثرت موجات الهواء رقيقة تعبث فى الفضاء . ترنح خارون العبوس من فرط التأثر. بدت على وجهه ملامح اللين بعد ملامح القسوة . أشار بيده الضخمة فى رفق نحو أورفيوس ، تهلل وجه الفنان العاشق . تقدم نحو القارب فى تردد ، مد خارون يده إليه. عاونه على النزول إلى القارب العتيق . ثم انطلق يجدف بمجدافين عتيقين ، فى حركة وئيدة ، على نغمات قيثارة أورفيوس . حتى أوصله إلى الشاطىء المقابل(١٥) .

تقدم أورفيوس نحو بوابة أوركوس ، مملكة الإله هاديس ، حاكم الموتى . لكن الدخول إلى هناك لم يكن بالعمل اليسير . وجد أورفيوس نفسه أمام كربيروس . حارس

---

(١٥) Genest. Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 116-9.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بوابة عالم الموتى . كربيروس ليس إلا مسخ مهول . كلب ضخم الجثة . بشع المظهر . له ثلاثة رؤوس ضخمة . يطل من كل رأس عينان مرعبتان . تبعثان الفزع فى أعين المشاهدين . له ثلاثة أفواه مخيفة . يبرز من كل فم نابان حادان مدببان ، يصيبان أبدان الناظرين بقشعريرة . نهض كربيروس واقفاً عندما أحس بحركة من حوله . وجه نظراته القاتلة نحو الفنان المغامر . لم يكن كربيروس يسمح بالدخول إلا للموتى . لذا هاج كربيروس . زمجر . كشر عن أنيابه . أخذ ينبح نباحاً مدوياً . ثم انطلق يهاجم الحىّ المغامر الذى تجرأ على اقتحام عالم الموتى . عندئذ . استولى الفزع على أورفيوس . توقفت الدماء فى شرايينه . جف اللعاب فى حلقه . تقطعت أنفاسه . وقف كالتمثال المرمرى بلا حركة . لم يعد قادراً على الدفاع عن نفسه . فجأة تذكر قيثارته الحبيبة التى لاتفارقه أبداً . مد يده بصعوبة بالغة . أخذت أنامله الدقيقة تداعب أوتار القيثارة . وصلت ألحان أورفيوس إلى أسماع كربيروس الهائج . مست شغاف قلبه القاسى . سرت فى شرايينه النافرة . تفككت مفاصل الكلب المسعور . هدأت ثورته . خفت نباحه . ظل يتحرك فى خطوات بطيئة حتى أدرك أورفيوس التائه . أخذ يلعق بألسنته الثلاثة – فى حنان وهدوء – أطراف أورفيوس . دبت الحياة من جديد فى جسد أورفيوس . تقدم عبر البوابة القاتمة . دخل عالم الموتى .

ظل أورفيوس يتجول فى عالم الموتى . أخذ يسير على غير هدى فى ممراته المظلمة . لم يجد شيئاً يؤنس وحدته سوى قيثارته . طفق يتجول فى العالم القاتم وهو يعزف ألحانه الساحرة . امتلأ عالم الموتى بألحان أورفيوس . أدخلت ألحانه البهجة فى نفوس الموتى المعذبين . اختفت صيحات الألم . توقفت صرخات العذاب . ألقى سيسيفوس الصخرة الهائلة من فوق ظهره (١٦) . نسى تانتالوس جوعه وظمأه (١٧) . توقفت العجلة الدائرة التى قيد إليها جسد إيكسيون . استمر أورفيوس فى تجواله حتى وصل إلى قصر هاديس . حاكم عالم الموتى . تسلل الفنان المغامر حتى وصل إلى قاعة العرش . ظهر فجأة أمام الإله هاديس . كانت زوجته پرسيفونى تجلس بجواره . بدت ملامح الدهشة على وجه الإله هاديس ووجه زوجته پرسيفونى . تعجبا كيف استطاع واحد من الأحياء أن يتسلل إلى عالم الموتى . استولى عليهما غضب شديد .

(١٦) راجع ص٢٥٧ أعلاه .
(١٧) راجع ص٢٦٨ أعلاه .

http://www.al-maktabeh.com

لكن أورفيوس – فى هذه المرة – استطاع أن ينفذ إلى قلبيهما من أول وهلة[١٨] . أمسك بقيثارته الحبيبة . طفق يعزف عليها . بدأ يروى قصته المؤثرة . ظل يعزف ويغنى وهو يذرف الدموع الغزيرة . كان يحس بكل كلمة ينطق بها . عبَّر عن كل أحزانه . استغل كل موهبته فى العزف والغناء . لم يترك فرصة للإله هاديس وزوجته لكى يسألاه كيف وصل إلى قاعة العرش . اختفت الدهشة من على وجهى هاديس وپرسيفونى . تأثرا بروايته . لكنهما ترددا فى أول الأمر . ليس من الممكن أن يسمحا لواحد من الموتى أن يغادر مملكة هاديس . لكن أورفيوس واصل العزف والغناء . لم يتسلل اليأس إلى نفسه . كان يتمادى فى الغناء والعزف كلما لاحظ تردد الإله هاديس وزوجته پرسيفونى . أخيراً . اختفت علامات التردد من على وجه پرسيفونى ، لكنها ظلت بادية على وجه هاديس . ثم بدأت پرسيفونى تتوسل إلى هاديس كى يحقق مطلب أورفيوس . رضخ هاديس فى النهاية لتوسلات أورفيوس وپرسيفونى . وافق على أن تعود يوروديكى إلى عالم الأحياء . سوف يشق أورفيوس طريقه إلى الخارج . وسوف تتبعه زوجته المخلصة يوروديكى . لكن هناك شرط واحد يجب على أورفيوس أن يلتزم به : ألا يقع نظر أورفيوس على زوجته يوروديكى إلا بعد أن تغادر عالم الموتى وتصل إلى عالم الأحياء .

أحس أورفيوس بسعادة منقطعة النظير . عادت الابتسامة إلى شفتيه . انشرح صدره . امتلأ قلبه بالإيمان . فلقد استطاع الفن أن يقهر الموت . بدأ يشق طريقه إلى خارج عالم الموتى . أخذ يسير فى الممرات المظلمة الموصلة إلى بوابة أوركوس . ثم بدأت يوروديكى تسير خلفه وعلى مسافة غير بعيدة . خطا أورفيوس خطوات سريعة منتظمة تشبه خطوات الراقص الرشيق . أطلق عقيرته بالغناء وهو يعزف على قيثارته ألحاناً مرحة . كان يحس بين الحين والحين بشوق شديد لرؤية محبوبته . لكنه كان يكتم شوقه . ثم يواصل السير فى خطوات سريعة . كان يريد أن يغادر عالم الموتى فى أسرع وقت ممكن حتى يستطيع أن يسعد برؤية زوجته يوروديكى . كان الشوق يتغلب عليه فى بعض اللحظات فيوشك أن يلتفت إلى الوراء . لكنه كان فى كل لحظة يطرد الفكرة من ذهنه ويواصل سيره نحو الخارج . بعد جهد شديد ، وبعد مقاومة عنيفة ، عبر أورفيوس بوابة أوركوس . خرج من عالم الظلمات إلى عالم النور . لقد برَّ

---

(١٨) Guerber. Op. Cit., pp. 60-62.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بوعده. لقد نفذ الشرط المطلوب. لم يلتفت إلى الوراء. لم يقع نظره على يوروديكى. لكنه الآن يستطيع أن يسعد برؤياها. عندئذ، التفت أورفيوس إلى الوراء. فاتحاً ذراعيه ليستقبل محبوبته. أحس بسعادة غامرة عندما رآها هى الأخرى فاتحة ذراعيها تستقبله. أسرع أورفيوس نحو يوروديكى. أسرعت يوروديكى نحو أورفيوس لكن .. فجأة .. اختفت يوروديكى داخل ممرات عالم الموتى وهى تصرخ أورفيوس. وداعاً، وداعاً (١٩).

استطاع أورفيوس أن يقهر الموت لصدق فنه. لكن الموت عاد فقهره لسوء تقديره. نسى أورفيوس أن يوروديكى تسير خلفه على مسافة غير بعيدة. ظن أنها غادرت عالم الموتى فى نفس اللحظة التى عبر فيها أورفيوس بوابة أوركوس. هكذا قدر أورفيوس فأساء التقدير.

فعندما عبر أورفيوس البوابة التفت وراءه. فى تلك اللحظة لم تكن يوروديكى قد عبرت البوابة بعد (٢٠).

عاد أورفيوس إلى عالم الأحياء خائباً فاشلاً. عاد إلى وحدته الموحشة. عاد إلى الحزن والهموم. انطوى على نفسه يندب حظه ويجتر الذكريات (٢١). هجر حياة المدينة. لجأ إلى الأحراش والغابات. هام على وجهه، ينشد أشعاراً حزينة، يعزف ألحاناً حزينة. عاش بين المزارع والأشجار. اتخذ من الحيوانات الضارية أصدقاء

(١٩) Hyginus, fabula 164; Diodorus Siculus, IV, 25; Pausanias, IX, 30, 3; Euripides, Alcestis, 357 (with scholiast).

(٢٠) راجع المناقشة المفصلة للأسطورة من الناحية الأنثروبولوجية في:
Harrison, Prolegomena, pp. 453 sqq.

(٢١) تأثر الكاتب الفرنسي جان أنوي بأسطورة أورفيوس، لكنه عالجها معالجة حديثة: أورفيوس عازف كمان متجول في المقاهي يقابل فنانة مغمورة في محطة القطار. يحبها. يعشقها. تبادله الحب. يحاول أن يعرف ماضيها وكل شيء عن عشاقها السابقين، لذلك يفقدها. ثم يعيدها إليه شخص غامض يدعي السيد هنري Monsieur Henri ويطلب منه أن لاينظر في وجهها حتي الصباح لكنه ينظر إلي وجهها ويسألها مرة أخري عن ماضيها وعشاقها السابقين. عندئذ يفقدها إلي الأبد. هكذا يري جان أنوي – كما يظهر في مسرحيته يوريديس Eurydice – أن قصة أورفيوس ترمز إلي الرجل الذي يحاول دائماً أن يعرف ماضي محبوبته حتي ولو أدي ذلك إلي قتل الحب المتبادل بينهما.

http://www.al-maktabeh.com

وأنداداً . صاحب الطيور فى غدواتها وروحاتها . سكن الكهوف والمغارات . تأثرت بموسيقاه وألحانه كل هذه الكائنات (٢٢) .

ذات يوم كانت جماعة من الباخيات ترتعن فى الغابة . والباخيات هن رفيقات الإله باخوس المخلصات . يرتعن فى الغابات . يقضين الليل هناك والنهار . يرقصن . يمرحن . يقدمن أطفالهن أضاحى للإله . يمزقن البشر فى لحظات النشوة . وينثرن لحمه للإله . يرضعن صغار الحيوانات من أثدائهن . يرقصن على ألحان مرحة . وينذرن رقصاتهن للإله . وجد أورفيوس نفسه ذات يوم وسط الباخيات . أراد أن يهرب منهن . طاردنه . لحقن به . طلبن منه أن يعزف على قيثارته ألحاناً مرحة كى يرقصن . رفض أورفيوس . فلم يكن يعزف سوى ألحان حزينة تثير الهموم والأحزان . ألحت الباخيات فى طلبهن . هددن أورفيوس وتوعدنه . وجد أورفيوس نفسه بين نارين . إن رفض العزف والغناء مزقته الباخيات إرباً . وإن عزف ألحاناً حزينة كئيبة ثارت ثورة الباخيات ومزقته إرباً أيضاً . ففى كلتى الحالتين سوف يلقى أورفيوس حتفه . فكر فى أن يعزف لهن ألحاناً مرحة . لكنه كان يؤمن أن الفنان لايستطيع أن ينفصل عن ذاته (٢٣) . كان مؤمناً بأن الفنان يجب أن يكون صادقاً مع نفسه . وأن يكون فنه تصويراً لأحاسيسه وانفعالاته . لكن أورفيوس تردد أمام تهديدات الباخيات ووعودهن . رأى أن من الأسلم أن يعزف بعض الألحان المرحة حتى يهدىء من ثورتهن . بدأ أورفيوس فى العزف . قصد أن يعزف ألحاناً مرحة . عزف ألحاناً مرحة رائعة . تراقصت الباخيات طرباً . استمر أورفيوس فى العزف . واصلت الباخيات الرقص . سيطرت النشوة على العازف والراقصات . تاه الجميع فى دهاليز الطبيعة . ظل أورفيوس يحملق فى أجساد الباخيات الراقصات . تداعت إلى ذهنه ذكريات الماضى الدفين . تذكر محبوبته يوروديكى التى حرمته منها السنون . أحس الفنان العاشق بالحزن والاكتئاب . ار[illegible] أنامله الدقيقة وهى تلمس فى خفة

(٢٢) Guthrie, Orpheus and Greek Religion. Passim.

(٢٣) يري هايت (Highet, The Classical Tradition, p. 135, 139) أن أول عمل مسرحي ظهر بلغة أوربية حديثة مأخوذاً عن الأساطير الإغريقية كان مسرحية أورفيوس Orpheus للكاتب الإيطالي أنجلو أمبروجيني Angelo Ambrogini في عام ١٤٧١ . يري هايت (Op. Cit., p. 174) أن الكاتب الإيطالي قد عرض مأساة أورفيوس ويوروديكي من خلال إطار رعوي فرجيلي .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أوتار قيثارته الحبيبة . لم يستطع أن يخدع نفسه وفنه أكثر مما فعل . لم يقدر على الانفصال عن ذاته أكثر من ذلك . وجد نفسه فجأة يعزف ألحاناً حزينة كئيبة . وجد نفسه يعبر عن أحاسيسه وانفعالاته الدفينة . كان أورفيوس فناناً صادقاً . والفنان الصادق لايجيد الخداع . لقد انتصر الفن الصادق . لقد أحس أورفيوس أنه فنان أصيل . لكنه .. فجأة .. أحس بمئات الأيدى تنهال عليه من كل جانب . أحس بأسنان الباخيات تنهش كل قطعة من جسده . ثم فقد الوعى . ثم تقطعت أنفاسه . ثم فقد الحياة [٢٤] . انفصلت رأسه عن جسده . وتمزق جسده إرباً . ألقت الباخيات برأسه وأشلائه فى نهر هيبروس السريع [٢٥] . ظلت رأس أورفيوس تتمتم : يوروديكى وداعاً . وداعــاً [٢٦] . أخذت الأشجار والأطيار والهضاب والسهول تردد اسم يوروديكى . ظلت مياه النهر تتقاذفها حتى وصلت إلى البحر الواسع . ظلت أمواج البحر الواسع تتقاذفها حتى وصلت إلى جزيرة لسبوس . هناك عثرت الموسيات على رأس أورفيوس . دفنتها فى أرض الجزيرة ، أما أشلاؤه فقد دفنت عند سفح جبل أولومپوس . هناك ... طيور العندليب . ظلت تغرد رائحة غادية . وحتى الآن ، مازالت طيور العندليب تغرد عند سفح جبل أولومپوس . وحتى الآن ، مازال كوكب لامع فى السماء يعرف باسم «أورفيوس» أو باسم «القيثارة» [٢٧] .

تلك هى قصة أورفيوس [٢٨] . الفنان العاشق . رواها بالتفصيل الشاعران

(٢٤) تناول الشاعر التراجيدي أيسخولوس هذا الجزء من الأسطورة في إحدي تراجيدياته التي لم تصلنا ، وكانت بعنوان Bassarae .

(٢٥) أنظر وصف هذا الجزء بالتفصيل في .Ovid, Metamorphoses, XI, 1 sqq

(٢٦) راجع التفسيرات المختلفة لهذا الجزء من الأسطورة في :
Rose, Greek Myghology, p. 255, with references on p. 280 n. 40;

(٢٧) Lucian, Adversus Indoctum, II; Eratosthenes, Catasterismoi, 24; Hyginus, Poetica Astronomica, II. 7.

(٢٨) راجع التفسير الطبيعي للأسطورة (Guerber, Op. Cit., p. 351) حيث يري أتباع المذهب الطبيعي : (١) أن أورفيوس يرمز إلي الرياح التي تقتلع الأشجار بينما تمر من حولها محدثة أنغاماً مؤثرة ، أو (٢) أن أورفيوس يرمز إلي الصباح بجماله الذي لايدوم لفترة طويلة بينما ترمز زوجته يوروديكي إلي الضوء الذي سرعان مايقضي عليه الظلام ، أو (٣) أن أورفيوس هو الشمس الذي يقتحم مملكة الظلام حتي يحصل علي الضوء (= يوروديكي ... إلخ) .

http://www.al-maktabeh.com

الرومانيان ڤيرجيليوس وأوڤيديوس . وردت بعض أجزاء منها عند بعض الكتاب الإغريق والرومان الآخرين (٢٩) . أشهر هؤلاء أبوللونيوس الرودسى ، الذى أشار إلى اشتراك أورفيوس فى رحلة السفينة أرجو . لم يختلف الرواة كثيراً حول أسطورة أورفيوس . لكن هناك اختلاف جدير بالذكر . فبالرغم من اتفاق الجميع حول طريقة مقتل أورفيوس إلا أنهم يختلفون حول أسبابها (٣٠) . أهم سبب – فى نظر البعض – هو أن أورفيوس عارض عبادة الإله باخوس وتصدى لها وحاول أن يمنع انتشارها فمزقته الباخيات (٣١) .

يرى بعض الدارسين أن أورفيوس لم يكن سوى شخصية خيالية . بينما يعتقد البعض الآخر أن أورفيوس شخصية حقيقية وأنه مؤسس المذهب الأورفى . أقدم المذاهب الفلسفية التى ظهرت بين الإغريق .

* * * * * *

(٢٩) أول إشارة إلي أورفيوس في المصادر الأدبية نجدها عند إبيكوس Ibicus أو الكايوس Alcaeus ، أشار إليه – بعد ذلك – شعراء التراچيديا وخاصة أيسخولوس (أجاممنون ، ١٦٢٩ – ١٦٣٠) – ويوريبيديس (عابدات باخوس ، ٥٦١–٥٦٤) اللذان قالا إنه كان قادراً علي التأثير بموسيقاه علي كل شيء حتي الأحجار (أنظر أيضاً : Apollonius Rhodius, I, 28-31) . صورته الأعمال الفنية وخاصة اللوحات القديمة وهو يمسك قيثارته ويعزف للكائنات ، أنظر (Oxford Classical Dictionary, s.v. Orpheus) .

(٣٠) يروي بعض الرواة أن سبب موت أورفيوس (بالإضافة إلي الأسباب المذكورة في ص ص ١٧٢–١٧٣) هو أن زيوس غضب منه فصعقه بصاعقة برقية لأنه أفشي أسراراً صوفية خاصة، راجع .Pausanias, IX, 30, 3; II, 30, 2, III, 14, 5

(٣١) Aristophanes, Frogs, 1032; Ovid, Metamorphoses, XI 1-85; Konon, Narrationes, 45 (Quoted by Graves, Op, Cit., P. 113 n. 4).

قارن أيضاً Rose, Op. Cit., p. 254-5 حيث يعتقد أن أورفيوس كان متحمساً لعبادة الإله ديونوسوس (باخوس) وأنه كان يعمل جاهداً من أجل نشرها في كل مكان يذهب إليه .

مكتبة المهتدين الإسلامية

بيجماليون

.. الحب والرغبة ... يغزوان الذكر والأنثـــى ..
قــلباً وجسداً ... فيصبح القلب طفلاً ... والجســـــد
شــاباً .. وتسلك الروح مسلكاً يجـمع بين الطفـولة
والشبــاب ... لذا سعى وراء الحب والرغبة من سعى...
وفرّ منهما من فرّ .. وكـــان بيجــــماليــون أول
الفاريـــــــن ...

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

بيجْمَالْيون

الحب .. مَنْ من البشر لم يذق طعم الحب . مَنْ من البشر لم يجربه . عرفه الإغريق منذ الأزل باسم إروس . أسماه الرومان من بعدهم كيوبيد . بعد ذلك . اختلف أفراد البشر فى تسميته باختلاف لغاتهم . لكنهم لم يختلفوا فى تخيلهم لهيئته . ومظهره . وسحره وجبروته .

الحب طفل صغير . صغير إلى الأبد . لايترك مرحلة الطفولة . قد يصل إلى مرحلة الصبا . لكنه لايعرف الشباب . فما بالك بالشيخوخة . إنها لاتخطر على باله أبداً .

طفل صغير عار . لايعرف الثياب . فالثوب ابتكره الإنسان البالغ ليخفى به أشياء لايريد أن تقع عليها أنظار الآخرين .

طفل صغير صحيح البدن . كامل الصحة . رشيق القوام . لاتصيبه النحافة ولاتدركه السمنة . له وجه مشرق دائم الابتسامة . فى عينيه بريق لامع له تأثير السحر .

طفل صغير لايحبو على أربع . ولايمشى على اثنتين . بل يستخدم جناحين نبتا فوق ظهره . بهما يجوب أنحاء الأرض . يحوم فوق الربا والهضاب . يرفرف فوق سطح الماء . يجوب أطراف السماء . على كتفه الأيسر جعبة صغيرة مليئة بالسهام . لايخلعها أبداً . فى يده اليسرى قوس رشيق . لايلقيه أبداً . يعبث دائماً بسهامه . يصوبها نحو الجميع على حد سواء .

طفل صغير مشاكس ، لعبته الرماية ، بيده اليمنى يسحب السهم من الجعبة ، وبيده اليسرى يثبت رأس السهم فى منتصف القوس . ثم بيده اليمنى يجذب السهم نحوه ويشد وتر القوس ، ثم يتركه فجأة ، فينطلق السهم مارقاً كالبرق . وسهم الحب يعرف طريقه جيداً . فهو ينطلق دائماً نحو القلوب . يغوص فى أعماق القلب . فيغرس فيه بذرة تنبت زرعاً نضراً أبداً لايموت . فالحب طفل صغير يلهو ويعبث . وفى لهوه وعبثه يغزو القلوب . لايفرق بين قلب صبى أو شاب أو عجوز . لايميز بين قلب

مكتبة المهتدين

http://www.al-maktabeh.com



شكل (١١) :

إروس إله الحب نائماً .

مكتبة المهتدين الإسلامية

جندى أو سياسى أو ملك . لافرق عنده بين قلب ذكر أو أنثى . فالحب يعبث بقلوب الجميع . فيصبح الجميع أطفالاً عراة . لايتركون مرحلة الطفولة . قد يصلون إلى مرحلة الصبا . لكنهم لايعرفون الشباب . فما بالك بالشيخوخة . إنها لن تخطر على بالهم أبداً .

ذلك الطفل الصغير له صاحب يصاحبه . ورائد يرووده . وموجِّه يوجهه . مَنْ ذا الذى يصاحب الحب ويروده ويوجهه ؟

الرغبة .. مَنْ من البشر لم يمارسها . عرفها الإغريق منذ الأزل باسم أفروديتى . أسماها الرومان من بعدهم ڤينوس . بعد ذلك ، اختلف أفراد البشر فى تسميتها باختلاف لغاتهم . لكنهم لم يختلفوا فى تخيلهم لهيئتها ومظهرها . وسحرها وجبروتها .

الرغبة .. امرأة شابة . شابة إلى الأبد . لم تمر بمرحلة الطفولة . ولا بمرحلة الصبا . أما الشيخوخة . فلن تدركها أبداً .

امرأة شابة لاتعرف من الثياب إلا غلالة من النسيج الشفاف . تلفّ بها ردفيها . لاعن حياء بل رغبة فى الإثارة . رشيقة القد . فارعة القوام . غضة العود . لدنة البدن . حلوة الملامح . دقيقة التقاطيع .

امرأة شابة جبهتها مرتع للعبث . عيناها بؤرة للإغراء ، شفتاها شطآن للغرام ، فى وجنتيها سحر ونداء . بضة الكتفين ، بارزة النهدين ، نحيلة الخصر ، ممتلئة الردفين .

امرأة شابة تنثر الفتنة والإغراء أينما حلت . لاتحمل على كتفها اليسرى جعبة . ولاتمسك بيدها اليسرى قوساً . لكنها بارعة فى الرماية . جسدها الدافء جعبة مليئة أبداً بالسهام . نظراتها ، لحظاتها ، أنفاسها ، حركاتها . تلك هى السهام . وسهام الرغبة لاتخطىء ولاتحيد . تنطلق مباشرة نحو الجسد . فتبعث فيه الدفء من الرأس إلى القدم .

فالرغبة امرأة شابة تلهو وتعبث ، وفى لهوها وعبثها تغزو الأجساد . لاتفرق بين جسد صبى أو شاب أو عجوز ، لاتميز بين جسد جندى أو سياسى أو ملك ، لافرق عندها بين جسد ذكر أو أنثى . فالرغبة تعبث بأجساد الجميع ، فيصبح الجميع شباباً

http://www.al-maktabeh.com

لايعرفون من الثياب إلا غلالة من النسيج الشفاف . وكأنهم لم يمروا بمرحلة الطفولة أو بمرحلة الصبا . أما الشيخوخة ، فلن تدركهم أبداً .

هكذا تخيل الإغريق والرومان الحب والرغبة . فهما يغزوان الذكر والأنثى قلباً وجسداً. فيصبح القلب طفلاً والجسد شاباً ، وتسلك الروح مسلكاً يجمع بين الطفولة والشباب . لذا سعى وراء الحب والرغبة من سعى . وفرّ منهما من فر . وكان بيجماليون أول الفارين .

*****

بيجماليون (١). أقدم ملوك جزيرة قبرص . ملك مهيب وقور ، له منزلته ومكانته بين شعبه . يحترمه الجميع ويقدسونه . لم يشأ أن تسلك روحه مسلكاً يجمع بين الطفولة والشباب . فبدأ يقاوم الحب ، ويتصدى للرغبة . لكنه كان يتعذب فى وحدته . أراد أن يقيم حصناً منيعاً يحمى قلبه من سهم الحب النافذ ، ويدرأ عن جسده سهام الرغبة الدافقة . بدا له أن الفن هو ذلك الحصن المنيع . جرب كل أنواع الفنون . برع فى فن النحت .

انطلق بيجماليون يجمع القرون العاجية والأحجار . انطلق يشكّل من الأحجار والقرون أشكالاً تؤنسه فى وحدته . كان الحب – بين الحين والحين – يطلق سهمه النافذ نحو قلب بيجماليون . وكان الملك الوقور – فى كل حين – يحتمى بالحصن المنيع ، فيبعد عن طريق الحب ، ويـ [illegible] السهم قلب واحد من أتباع بيجماليون . كانت الرغبة – بين الحين والحين – توجه سهامها الدافقة نحو جسد بيجماليون . وكان الملك المهيب– فى كل حين – يفر فى خفة إلى الحصن المنيع ، و[illegible] السهام واحداً من أتباع بيجماليون .

(١) قصة بيجماليون أسطورة إغريقية محلية . وبالرغم من ذلك ، لم يذكرها أو يتعرض لها أو يتناولها أي مصدر من مصادر الأساطير الإغريقية . أقدم مصدر روي هذه الأسطورة هو الشاعر الروماني أوڤيديوس . بالإضافة إلي أوڤيديوس فقد أشارت إليها بعض المصادر المتأخرة. ولم تعطينا كل تلك المصادر اسم جالاتيا ، بل تركت بطلة الأسطورة بدون اسم . المصادر التي تناولت هذه الأسطورة هي :

Ovid, Metamorphoses, X, 243 sqq.; Clemens Alexandrinus.. Protrepticus, 51; Rose, Greek Mythology, p. 340 A.: راجع Arnobius, Adversus Nationes, VI, 22;

مكتبة المهتدين الإسلامية

شد الفن أزر بيجماليون (٢) . منحه العزم والتصميم . شكَّل من الأحجار محارباً يمتشق سلاحه . قدّ من قرون العاج سفناً حربية ذات أشرعة أو مجاديف . أقام مدناً وحصوناً وقلاعاً . ملأها بالمستشارين والجنود والمواطنين . صنع بفنه عالماً أراد أن يعيش فيه . لكن .. غالباً ماكان يشعر بأن عالمه المصنوع ينقصه شيء . كان يتجاهل ذلك الشيء. كان يتحاشاه . بل كان يمقته مقتاً شديداً . كان يفعل ذلك في عناد . كان يعرف تماماً سبب ذلك العناد . لامكان للمرأة في عالمه المصنوع . يكفي أن لها مكاناً– رغم أنفه – في العالم الحقيقي . يكفي أنه هجر العالم الحقيقي من أجلها وعاش في عالمه المصنوع .

كلما مرت الأعوام إزداد إصرار بيجماليون . اشتد تصميمه . أحس بالزهو ولذة النصر. فلقد تخطى مرحلة الشباب . وتوغل في طور الرجولة . لكن .. مازال يحس أن عالمه المصنوع ينقصه شيء . بدأ يتنازل عن عناده بعض الشيء . لابأس من أن يقدّ امرأة من عاج أو حجر . سوف تكون بلا قلب ، بلا جسد ، بلا روح . سوف يصنعها بنفسه من عاج أو حجر . يستطيع أن يحطمها حين يشاء . يستطيع أن يتخلص منها متى أراد . قفزت فكرة في رأسه . إنه يمقت المرأة . وهذه فرصة لإذلالها . سوف يضع كل فنه في تمثال واحد . سوف يجعل منه آية من الروعة والكمال . سوف يجمع فيه كل جميل . سوف يكون فيه جميع الصفات الحسنة والميزات الطيبة . سوف تراه كل امرأة . عندئذ ، سوف تعرف نساء العالم لماذا يمقت بيجماليون المرأة ، ولماذا يتحاشاها ، إنه لايرى امرأة واحدة في العالم جديرة بحبه ، قادرة على إشباع رغبته (٣) .

أخذ بيجماليون يجمع الأحجار وقرون العاج . انتقى أجودها وأثمنها ظل يفاضل بين خاماته . وقع اختياره على كتلة صلبة من الحجر الوردي . استهواه ذلك اللون ، وشد انتباهه . قدّ الرأس . وشكّل القوام ، وأبرع في القدّ والتشكيل . وجد أمامه امرأة مصنوعة تزاحم المخلوقات والكائنات التي قضى عمره في صناعتها . ندم على مافعل . أحس باليأس يتسرب إلى نفسه . استولت عليه الهموم . قرر أن يحطم المرأة المصنوعة ويعود إلى عناده . ألا يستطيع أن يحطمها حين يشاء ؟ ألا يستطيع أن

(٢) Hamilton, Mythology, pp. 108-111.

(٣) Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 180-4.

http://www.al-maktabeh.com

يتخلص منها متى أراد ؟ فجأة قفزت فى رأسه فكرة ثانية . يخرج إلى العالم الحقيقى. يقابل المرأة وجهاً لوجه ، يتحداها تحدياً سافراً . يتفرّس فى وجه المرأة وقوامها . يدقق النظر فى ملامحها وتفاصيل جسدها . يلاحظ كيف تتزين المرأة وكيف تبرز مفاتنها . ثم يعود إلى تمثاله فيغيّر معالمه إلى أحسن ، ويصل به إلى الكمال ، إلى حد لم تصل إليه امرأة قط .

قضى پيجماليون أوقاتاً طويلة أمام تمثاله الجديد . يفكر كيف يصل به إلى حد الكمال . أصبح التمثال شغله الشاغل . يصحو من نومه مبكراً لينحت قليلاً حول الأنف كى يبدو أجمل . يترك فراشه ليلاً ليقدّ الشفتين كى تكتسبا جاذبية أكثر . يقضى ليالى بأكملها يحكّ الساقين حتى تصبحا أكثر رشاقة . ثم يدلّكهما بمهارة وحرص حتى تكونا أكثر نعومة . تمر أيام بأكملها وهو يعيد تشكيل الأنامل حتى تصبح أكثر دقة . عاش پيجماليون لتمثاله . كرّس من أجله فنه ومهارته وخبرته . فاق التمثال بجماله وروعته جميع النسوة . بدا لناظره امرأة شابة رائعة الجمال ذات بشرة وردية رقيقة . فاق بنعومة ملمسه كل أجساد النساء . أتت النسوة من كل مكان لمشاهدته ، عادت كل واحدة منهن غير راضية عن جمالها . جاء الرجال من كل صوب لرؤيته . عاد كل واحد منهم غير قانع بزوجته .

لم يعد هناك إنسان لايتحدث عن جمال التمثال . عن روعته ، عن لونه الوردى المثير . عن نعومة ملمسه . عن تناسق أعضائه . عن تناسب أجزائه . لم يعد هناك رجل لايتمنى لو أن له زوجة فى روعة تمثال پيجماليون . لم تعد هناك امرأة لاتشعر بالحسرة عندما تتخيل جمال تمثال پيجماليون . أحس پيجماليون بالزهو ولذة النصر . خشى على تمثاله الثمين من حسد الحاسدين . خاف عليه من حقد الحاقدين. أقام له جناحاً خاصاً بالقرب من جناحه . ألبسه أبهى الثياب . علّق فى عنقه قلادة من الذهب الخالص ، أحاط معصمه بسوار من الماس النادر . أغدق عليه أثمن الهدايا. وجّه إليه أرقّ العبارات . لكنه تمثال لايحس ولايشعر . بالرغم من ذلك ، كان پيجماليون يقضى نهاره ماثلاً أمام تمثاله الوردى . يمتدحه ، يزيّنه بأثمن الحلى ، يغيّر له ملابسه ، وإذا ماجاء الليل احتضن پيجماليون تمثاله الوردى . ودّعه . وتمنى له ليلة سعيدة .

كلما ازدادت حسرة النسوة واشتد حزنهن ازداد إقبال پيجماليون على تمثاله

مكتبة المهتدين الإسلامية

الوردى وقويت أواصر الألفة بينهما . لم يعد الصانع يقدر على فراق ماصنع . لم يعد الخالق يستطيع البعد عما خلق . أصبح لكليهما جناح واحد . بل وفراش واحد . يقبل بيجماليون الشفتين الجذابتين . لكنهما لاتقبّلانه بدورهما . يتحسس الذراعين الجميلتين . لكنهما لاتتجاوبان معه . يحتوى الجسد الوردى بين ذراعيه فيحس ببرودة وسلبية تامة . يلجأ بيجماليون إلى الوهم والخيال . كما يفعل الطفل إزاء دمية عزيزة لديه . يلبس مخلوقته ثوباً جديداً غالياً . ثم يتخيل أنها أصبحت سعيدة به . يقدم إليها هدية كتلك الهدايا التى تسرّ قلوب العذارى . ثم يرى فى المنام أنها تشكره بحرارة على هديته . يصطحبها فى فراشه ليلاً . ويحتضنها بحنان وحرارة كما يفعل الطفل بدمية عزيزة لديه (٤) .

* * * * *

لم يستطع بيجماليون أن يواصل حياة الوهم والخيال . لم يحتمل أن يسلك مثل طفل صغير . نفذ صبره . قرر أن يحطم مخلوقته ويتخلص منها . ألا يستطيع أن يحطمها حين يشاء ؟ ألا يستطيع أن يتخلص منها متى أراد ؟ أحاط – فى غضب – خصرها النحيل بيديه . مدّ فى عصبية ذراعيه نحو الأمام . رفع بسرعة مخلوقته إلى أعلى ، وهمّ بإلقائها على الأرض . قاصداً بذلك أن يحطمها ويتخلص منها . ألا يستطيع أن يحطمها متى أراد ؟ لمس ذيل ثوبها وجهه . أحس برعشة مفاجئة تسرى فى جسده . رفع وجهه إلى أعلى متحاشياً ذيل الثوب الذى استقر فوق جبهته وعينيه . نظر إليها دون قصد . تحجرت مقلتاه . توقفت أنفاسه . جفّ اللعاب فى حلقه . ظل رافعاً ذراعيه إلى أعلى . ثم .. ثم زاغت مقلتاه . وتدافعت أنفاسه . وسال اللعاب فى حلقه . وثنى ذراعيه فى بطء شديد . تحرك نحو الفراش . حيث اعتاد أن يحتضن مخلوقته بحنان وحرارة كما يفعل الطفل بدمية عزيزة لديه . وصل إلى الفراش وهو يحمل مخلوقته بين ذراعيه . وضعها فى فراشه برقة بالغة وحرص شديد . تمدد بجوارها . خفق قلبه خفقات سريعة . تدفقت الدماء فى عروقه . سرى الدفء فى جسده . فجأة وجد نفسه يصرخ من الأعماق .

أيها الحب . أنت إله .

أيتها الرغبة ، أنت ربة .

(٤) Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 98-9.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (١٢) :

بيجماليون وجالاتيا .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أيها الحب ، سهمك النافذ أصاب أعماق قلبى .

أيتها الرغبة ، سهامك الدافئة انتشرت فى كل جسدى .

لن أقاومك ، أيها الحب ، فأنت قادر .

لن أتحداكِ ، أيتها الرغبة . فأنتِ قادرة .

قادر ، تصنع من الحجر الصلب قلباً نابضاً .

قادرة ، تجعلين من الحجر الصلب جسداً حياً .

قادر ، تصيب بسهمك النافذ كل قلب .

قادرة ، تنشرين سهامك الدافئة فى كل جسد .

ولايَسْعَد القلب النابض إلا بقلب نابض مثله .

ولاينعم الجسد الدافىء إلا بجسد دافىء مثله .

لفّ پيجماليون ذراعه حول الخصر الحجرى البارد - خصر محبوبته - أبعد ذراعه بسرعة . ماذا يحدث ؟ أما زال يعيش فى الوهم والخيال (٥) ؟ فلقد أحس بموجة من الدفء تنتقل من خصرها إلى ذراعه . وضع كفه على جبهتها ، أحس بموجه أخرى من الدفء تنتقل إلى كفه . ضغط بشفتيه المرتعشتين على شفتيها ، قبّلها بشوق وحرارة قبلة طويلة . أحس بشفتيها تلينان شيئاً فشيئاً . ضغط بكفه على صدرها الحجرى الناهض ، فغاصت أنامله فى نهديها . كأن محبوبته تمثال من الشمع صهرته حرارة الشمس . بدأ يتحسس بأصابعه رسْغ محبوبته . أحس بالدماء تتدفق فى عروقها . نظر إليها . احتواها بين ذراعيه . ابتسمت فى حياء . احمرت وجنتاها من الخجل . أخفت وجهها فى صدره . سمعته يهمس فى أذنها .

جالاتيا ... كم أحبك .

جالاتيا ... كم أرغبك .

تلك هى أسطورة پيجماليون . أسطورة إغريقية ، تبرر نشأة عبادة أفروديتى فى جزيرة قبرص . تروى الأسطورة أن ملك قبرص - پيجماليون - أنشأ بعد ذلك

(٥) Kupfer, Op. Cit., pp. 187-90.

http://www.al-maktabeh.com

معبداً لأفروديتى – عرفاناً بالجميل – وتزوج من محبوبته – التى أسماها جالاتيا – وأنجبت له طفلاً أسماه بافوس (٦) ، ثم أطلق اسم بافوس على مدينة فى الجزيرة أصبحت فيما بعد مركزاً لعبادة أفروديتى . وبالرغم من أن هذه الأسطورة إغريقية الأصل . فإنها – كما يبدو – لم تكن معروفة أو سائدة بين الإغريق . إذ وردت لأول مرة بشيء من التفصيل عند الكاتب اللاتينى أوفيديوس فى مجموعة قصائده المعروفة بعنوان Metamorphoses «التغيرات» أو «مسخ الكائنات» .

كانت ومازالت أسطورة – پيجماليون – مصدر إلهام لا[illegible] للأدباء والشعراء على مدى العصور . تناولها – على سبيل المثال – مارستون Marston (عام ١٥٩٨) فى قصيدة عاطفية بعنوان The Metamorphoses of Pygmalion's Image «التغير الذى طرأ على تمثال پيجماليون» . ثم رواها وليم موريس William Morris (عام ١٨٦٩) فى قصيدة بعنوان Paradise Earthly «الجنة الأرضية» . كما اتخذها و. س. جلبرت W. S. Gilbert (عام ١٨٧١) موضوعاً لكوميديا بعنوان «پيجماليون وجالاتيا» Pygmalion And Galatea . ولسنا فى حاجة إلى ذكر الكاتب المسرحى الأيرلندى المعروف برنارد شو الذى اتخذ – فى عام ١٩١٢ – اسم پيجماليون عنواناً لإحدى مسرحياته ، والكاتب المعروف توفيق الحكيم الذى تناول الأسطورة تحت نفس العنوان .

* * * * * *

---

(٦) قيل إن جالاتيا أنجبت لپيجماليون ابناً واحداً اسمه بافوس (Hamilton, Op. Cit., Paphos p. 111) . قيل أيضاً إنها أنجبت ابنا يدعي Paphos وابنة تدعي ميثارمي Metharme (Graves, Greek Myths, Vol. 1. p. 211). قيل أيضاً إن بافوس هو اسم الابنة التي أصبحت فيما بعد والدة للملك كينوراس Zimmerman, Oxford Classical, Dictionary, s.v. Pygmalion; Dictionary of Classical Mythology, s.v. Galatea.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فَـــايْدرا

لم يكن هيپولوتوس يشعر بشيء ... لم يكن يحسّ بلوعة زوجة والده فايدرا .. كانت تجاذبه أطراف الحديث بين الحين والحين ... تهمّ بالاعتراف له بما يجيش في صدرها .. تتردد في آخر لحظة ... كيف تفعل ذلك ... هي زوجة والده ... في منزلة والدته ... هو ابن زوجها ... في منزلة ولدها ... دبرت الربة أفروديتي ذلك ... الآلهة لاتفشل أبداً ...

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

فـــــايْدرا

يوروپى ... فتاة رائعة الجمال ... رقيقة المشاعر ... فارعة الطول ... ميّاسة القدّ ... تلهو يوروپى مع رفيقاتها بين المزارع والمروج ... القريبة من شاطئ البحر ... تجمع يوروپى الزهور اليانعة ... تجْدِلها فى شكل أكاليل رائعة ... تتوّج بها رءوس رفيقاتها ... تتمايل الفتيات فى مرح حول يوروپى ... يسيطر عليهن جميعاً السرور وتلفّهم البهجة ... يوروپى فتاة رائعة الجمال ...[1] تثير الفتنة أينما حلّت ... فتنة بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب ...

زيوس ... كبير الآلهة ... زوج هيرا الشرعى ... لايكتفى بامرأة واحدة ... جميل يحب الجمال ... يعشق الفتنة ... يجول فى أفياء الهوى ... يعشق الفتيات ... زيوس كبير الآلهة ... أثناء تجواله المعتاد ... يرصد العباد ... يحصى عليهم غدواتهم وروحاتهم ... شاهد زيوس من عليائه الفتاة يوروپى[2] ... أعجب بجمالها الأخاذ ... شدّه قوامها الممشوق ... أغراه قدّها الميّاس ... سال لعابه رغبة نحوها ... قرر أن ينالها ...[3].

لكنه زيوس ... كبير الآلهة ... الجليل المهاب ... كيف تقبله – دون رهبة – فتاة من البشر خليلاً لها ... فكر فى وسيلةٍ للوصول إليها ... زيوس ... كبير الآلهة ... القادر على كل شيء ... يستطيع أن يغيِّر من هيئته ... يقدر أن يظهر فى صور مختلفة ... وصل زيوس إلى قرار ... بدّل شخصه من إله إلى حيوان ... إلى ثور أبيض جميل هادىء ... ذى قرنين لونهما فضّى أخّاذ ... إقترب من الفتاة فى هيئته الزائفة ... ابتعدت عنه الفتاة يوروپى فى فزع ... إقترب منها أكثر فأكثر ... نظر إليها نظرات حانية زائفة ... إطمأنت له ... اقتربت منه ... إنحنى برأسه نحوها ... بيدها إكليل من الزهور ... و[illegible] الإكليل حول رقبته الجميلة الجذابة ... لمس جسده

(١) Ovid, Metamorphoses, iii, 843 sqq.
(٢) Hyde, Favourrite Greek Myths, pp. 64 sqq.
(٣) Rose, Mythology, pp. 182-183.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (١٣) :

يوروبى فوق ظهر الثور زيوس .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الناعم جسدها اللّدن ... سرت فى جسدها رعشة خفيفة لم تدرك مغزاها ... فهى الفتاة البريئة الطاهرة ... التى لاتميّز بين رعشة الرغبة الجامحة ورعشة الإعجاب البرىء ... جثا الثور الجميل على ركبتيْه الأماميتين ... إعتلت يوروپى ظهره فى استسلام ... تحرك الثور ... سار فى خطوات حثيثة نحو الشاطىء ... حفّ نسيم البحر العليل وجنتى يوروپى ... سيطرت عليها الفرحة ... إقترب من شاطىء البحر... وصل إلى مياه البحر الهادىء ... تنبهت يوروپى ... لكن الثور واصل السير فوق سطح الماء (٤) ...

حاولت يوروپى أن تصيح ... توقفت الصيحات فى حلقها ... حاولت أن تهبط من فوق ظهر الثور ... تجمدت أوصالها ... وصل الثور الجميل إلى منطقة نائية... أنزل الفتاة يوروپى من فوق ظهره ... عاشرها ... أنجبت له طفلاً جميلاً كان له شأن كبير فيما بعد ... أنجبت مينوس ... الذى أصبح فيما بعد ملكاً على جزيرة كريت ... مينوس أول من امتلك أقدم أكبر وأضخم أسطول بحرى ... كما أنجبت لزيوس أيضاً رادامانثوس وساربيدون (٥) .

تخلص مينوس من شقيقيه رادامانثوس وساربيدون ... قرر أن يعلن نفسه حاكماً على كريت ... إستعان بالإله پوسيدون ... إله البحار والمحيطات ... طلب مينوس من پوسيدون أن يرسل إليه ثوراً جميلاً من ثيرانه المقدسة ليقدمه أضحية شكر وعرفان للإله ... بعث إليه پوسيدون بثور جميل ... رأى مينوس ثور پوسيدون ... أعجب به أيما إعجاب ... قرر أن يحتفظ به ... إنتقى مينوس ثوراً آخر من ثيرانه وقدمه أضحية للإله پوسيدون ... [illegible] الإله پوسيدون من مينوس ... قرر الإنتقام... وانتقام الآلهة شديد .

كان مينوس قد تزوج من فتاة رائعة الجمال ... پاسيفاى ... ابنة إله الشمس هيليوس التى أنجبها من الحورية كريتى ... قرر پوسيدون الإنتقام من مينوس ... وانتقام الآلهة شديد ... طلب من إروس ... إله الحب ... طلب من أفروديتى ... إلهة الرغبة ... طلب منهما أن يشعلا نار الحب والرغبة فى قلب پاسيفاى وجسدها نحو ثور پوسيدون الجميل ... إشتاقت پاسيفاى للقاء ثور پوسيدون ... سعت إليه ... إلتقت به ... عاشرته ... أنجبت منه مسخاً شديد المراس ... وحشاً عنيفاً ... أصبح يعرف

(٤) Hyginus, Fabula 178.

(٥) Graves, Myths, vol. I, pp. 292-4.

http://www.al-maktabeh.com

بالمينوتاوروس ... ثور مينوس ... دبرت پاسيفاى ذلك اللقاء الآثم بمساعدة دايدالوس(٦) ... خرج مينوتاوروس إلى مدن جزيرة كريت ... أثار الذعر بين السكان ... يتغذى على لحوم البشر ... أدرك مينوس خطأه فى حق پوسيدون ... لم يستطع أن يفعل شيئاً ... لجأ إلى دايدالوس ... أسّ المكيدة ... طلب منه أن يكفّر عن جريمته ... أقام دايدالوس قصراً ضخماً متعرج الممرات متعدد الحجرات ... قصر اللابرينثوس ... منْ يدخله لايستطيع أن يخرج منه ... سجن دايدالوس مينوتاوروس فى قصر اللابرينثوس ... هكذا أخفى مينوس جريمة پاسيفاى النكراء عن أعين أفراد رعيته الكريتيين ... كان على مينوس أن يمدّ مينوتاوروس بالغذاء ... بلحوم البشر الأحياء ... هكذا انتقم پوسيدون من مينوس ... وانتقام الآلهة شديد .

إزداد نفوذ مينوس مع مرور الأيام ... إمتد سلطانه ... غزا الممالك المجاورة ... وصل إلى منطقة أتيكا ... اقتحم مدينة أثينا ... أسر رجالها ... سبا نساءها ... يتّم أطفالها ... كان يحكم أثينا فى ذلك الوقت الملك أيجيوس ... اضطر الملك أيجيوس إلى عقد معاهدة بينه وبين مينوس ... مينوس هو المنتصر ... أيجيوس هو المهزوم ... لذا كان على أيجيوس أن يرضخ لشروط مينوس ... على أيجيوس أن يرسل كل عام سبع فتيات فى ريعان الشباب وسبعة فتيان فى ريعان الشباب لتقديمهم غذاء لمينوتاوروس فى كريت (٧) ... لم يكن أمام أيجيوس سوى الإذعان لشروط مينوس ... ظل أيجيوس يرسل كل عام سبع فتيات فى ريعان الشباب وسبعة فتيان فى ريعان الشباب إلى جزيرة كريت ... فى كل عام عندما يحين موعد إرسال الفتيات والفتيان يسود الحزن مدينة أثينا ... ويعلن الحداد ... واستمر الحال على ذلك المنوال إلى أن عاد البطل ثسيوس إلى أثينا ... إلى والده أيجيوس ...

* * * * * *

پانديون .. أحد ملوك أثينا ... پانديون هو ابن كيكروپس ... والدته ماتيا دوسا ابنة يوپالاموس ... (٨) لم يستمر حكم پانديون لأثينا لمدة طويلة ... اغتصب أبناء ميتيون عرشه ... طردوه من أثينا ... لجأ پانديون إلى ساحة الملك پولاس ... أو

---

(٦) أنظر ص ١٤٧ وما بعدها .

(٧) Diodorus Siculus, iv, 61; Hyginus, Fabula 41; Apollodorus, iii, 1, 4; Pausanias, ii, 31, 1.

(٨) Pausanias, i, 5, 3; Eustathius on Homer p. 281; Apollodorus, iii, 15, 5.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يولوس في رواية أخرى ... أو يولون في رواية ثالثة ... فرّ پانديون من أثينا ... لجأ إلى ميجارا ... (٩) تزوج پانديون من پوليا ابنة پولاس ملك ميجارا ... قتل پولاس عمه بياس ... فكان عليه أن يهجر ميجارا ... أصبح پانديون ملكاً على ميجارا ... أنجبت پوليا لپانديون أربعة أبناء ... أيجيوس وپاللاس ونيسوس ولوكوس ... ظل پانديون يحكم في ميجارا ... (١٠) .

أوصى پانديون أبناءه الأربعة أن يستعيدوا عرش أتيكا بعد وفاته ... مات پانديون ... سار أبناؤه الأربعة إلى أتيكا ... طردوا أبناء ميتيون ... (١١) إستولوا على منطقة أتيكا بأكملها ... قسّم الأبناء الأربعة منطقة أتيكا فيما بينهم ... أصبح أيجيوس أكبر الأشقاء ملكاً على أثينا ... أصبح نيسوس ملكاً على ميجارا ... أصبح لوكوس ملكاً على يوبويا ... أصبح پاللاس ملكاً على المنطقة الجنوبية لأتيكا ... (١٢) .

قبل أن يصبح أيجيوس ملكاً على أثينا طال تجواله ... زار أغلب مناطق بلاد الإغريق ... أثناء تلك الرحلات المتعددة وصل إلى بيزا ... هناك تزوج أيثرا ابنة الملك پيتثيوس ... (١٣) في ليلة زفافها أعجب بها الإله پوسيدون ... إغتصبها ... أخفى سر لقائه بها ... اكتشف أيجيوس خديعة پوسيدون ... (١٤) لم يكن أمامه سوى قبول مشيئة الإله ... طلب من زوجته أيثرا أن تتعهد الطفل ثمرة لقائها الآثم ... طلب منها أن تتعهده فور ولادته إن كان ذكراً ... أن تربيه وتعتني به سراً ... أخفى أيجيوس سيفه وخفّيه تحت صخرة ضخمة بالقرب من معبد زيوس القريب من مدينة ترويزن ... (١٥) طلب من زوجته أيثرا أن تتذكر جيداً مكان الصخرة ... فإذا شبّ

(٩) Apollodorus, ibid.; Pausanias, iv, 36, 1; i, 29, 5.

(١٠) Pausanias, i, 41, 6; i, 5, 3; i, 39, 4; Hysychius, s.v. Aethyia.

(١١) Graves, op. cit., vol. I, pp. 320-22.

(١٢) Apollodorus, iii, 15, 6; Sophocles quoted by Strabo, i, 6; Pausanias, i, 5, 4; i, 39, 4.

(١٣) Rose, Op. Cit., pp. 263-4.

(١٤) Pausanias, ii, 31, 12; ii, 33, 1; Apollodorus, iii, 15, 7; Plutarch, Theseus, 3; Hyginus, fabula 37.

(١٥) Kupfer, Legends of Greece and Rome, pp. 123 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

ولده عن الطوق ... وأصبح قادراً على رفع الصخرة والحصول على السيف والخفّيْن أصبح على أيثرا أن تكشف لولدها عن والده الشرعى أيجيوس ... عليها فى تلك اللحظة أن ترسل ولدها إلى أثينا للقاء والده أيجيوس ... وأن يحمل معه السيف والخفّيْن ... فعل أيجيوس ذلك ... ثم غادر زوجته أيثرا وعاد إلى أثينا حيث كان مقر حكمه ...(١٦) .

بعد رحيل أيجيوس جاء أيثرا المخاض ... لجأت إلى مكان قصيّ بعيداً عن المدينة ... قريباً من ميناء ترويزن ... وضعت مولوداً ذكراً .. أسمته ثسيوس ... قيل أيضاً إنه اكتسب هذا الاسم بعد وصوله إلى أثينا ... نما المولود وترعرع فى ترويزن... قيل أيضاً إنه نما وترعرع فى ماراثون (١٧) ... بلغ ثسيوس مرحلة الشباب... أصبح شاباً يافعاً ... شجاعاً ... مغواراً ... قوى البنية ... ممشوق القوام... محباً للمغامرات ... اصطحبته والدته أيثرا إلى مكان الصخرة الضخمة ... أخبرته بوصية والده أيجيوس ...(١٨) طلبت منه أن يحاول رفع الصخرة ... رفعها ثسيوس دون عناء ... دون مجهود ... رفعها وكأنه يرفع قطعة من الفلّين ... عثر على السيف والخفّيْن ... سيف والده أيجيوس وخفّيْه ... صمم على الذهاب إلى والده أيجيوس فى أثينا...(١٩) نصحته والدته أن يذهب عن طريق البحر ... فطريق البحر آمن سالم ... خال من العقبات ... وطريق البر ملىء بالأخطار ... ذاخر بالمعوّقات... رفض ثسيوس الذهاب عن طريق البحر ... فلم يكن ثسيوس منْ يخشى المخاطر والأهوال ... لم يكن شاباً رقيقاً ... كان شاباً مغامراً ... خشن السلوك ... المراس ... أراد أن يقلّد صديقه البطل هيراكليس ... لذا ظلت بينه وبين هيراكليس صداقة دائمة... لايقضى عليها الزمن ... ولاتأتى عليها المشاكل والصعوبات (٢٠) .

* * * * * *

(١٦) Plutarch, Loc. Cit.; Apollodorus, Loc. Cit., Pausanias, ii, 32, 7.

(١٧) Pausanias, ii, 32, 8, Plutarch, Theseus, 4 and 6; Lactantius on Statius Thebaid, xii, 194.

(١٨) Hyde, Op. Cit., pp. 187 sqq.

(١٩) Graves, Op. Cit., vol. I, pp. 323-25.

(٢٠) Homer, Iliad, ii, 542; Pausanias, ii, 32, 7; Plutarch, Theseus, 5 and 7.

مكتبة المهتدين الإسلامية

خرج ثسيوس من ترويزن للقاء والده فى أثينا ... [٢١] لم يكن ثسيوس شريراً... لم يكن يعشق الشجار من أجل الشجار ... لم يكن يبحث عن المعارك بل كانت المعارك تعرض عليه ... كان لايوقّع على عدوه عقاباً إلا إذا كان العقاب يتناسب مع جريمة عدوه ... كان يسلك فى ذلك سلوك صديقه الحميم هيراكليس ... [٢٢] خاض ثسيوس معارك ضارية ... قابل فى إپيداوروس قاطع الطريق بريفيتيس الذى اعتاد أن يقتل عابرى السبيل بهراوته الغليظة ... انتزع ثسيوس هراوة قاطع الطريق الشرس وصرعه بضربة قاضية منها ... [٢٣] إلتقى عند مضيق الإسثموس القريب من كورنثا بالشرير سينيس الذى كان يخدع كل عابر سبيل ويطلب منه أن يمسك بجذع شجرة ضخمة مشدود نحو الأرض ... وسرعان مايصعد جذع الشجرة فى الهواء ويطيح بعابر السبيل المسكين ... صرعه ثسيوس بنفس الطريقة التى كان سينيس يخدع بها ضحاياه ... [٢٤] وعندما استنجدت به ابنته وطلبت منه العفو عفا عنها بالرغم من جرائم والدها ... وصل ثسيوس إلى كروميون حيث قضى على أنثى خنزير برى كانت تهدد أهل المدينة وتمنعهم من زراعة الحقول وجنى المحاصيل [٢٥] ... ثم واصل ثسيوس طريقه بجزاء الساحل حيث تقابل مع سكيرون الذى كان يجلس فوق صخرة عالية ويأمر عابرى السبيل أن يغسلوا له قدميه، فإذا ما انحنى عابر السبيل قذف به سكيرون من فوق الصخرة كى يبتلعه وحش بحرى يكون فى انتظاره فى البحر ... رفض ثسيوس أن ينفذ أمر سكيرون ... بل قذف به من فوق الصخرة ليلتهمه الوحش البحرى ... [٢٦] واصل ثسيوس طريقه ... وصل إلى أركاديا ...

(٢١) Graves, Op. Cit., pp. 327-332.

(٢٢) Diodorus Siculus, iv, 59; Plutarch, Op. Cit., 7 and 11.

(٢٣) Hyginus, Fabula 38; Apollodorus, iii, 16, 1; Pausanias, ii, 1, 4; Plutarch, Op. cit., 8.

(٢٤) Ovid, Metamorphoses, vii, 433 sqq. Apollodorus, iii, 16, 2; Hyginus, Loc. Cit., Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Pausanias, Loc. Cit.

(٢٥) Plutarch, Theseus, 9; Apollodorus, Epitome,i, 1.

(٢٦) Scholiast on Statius Thebaid, i, 339; Pausanias, i, 44, 12; Apollodorus, Op. Cit., i, 2-3.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (١٤) :

ثسيوس وسينيس .

مكتبة المهتدين الإسلامية

هناك قابل كِرْكيون الذى كان يتحدى عابرى السبيل فى المصارعة ... كان كركيون ابناً للأرض ... يستمد منها قوته ... وكلما طرحه منافسه أرضاً استمد القوة من جديد من أمه الأرض ... فطن ثسيوس إلى سرّ قوة كركيون ... رفعه فى الهواء ... ظل يدور به حول نفسه دون أن يترك له فرصة لكى يلمس الأرض ... فقد كركيون قوته ... قضى ثسيوس عليه ... (٢٧) أخيراً ... وبعد طول تجوال ... بعد مغامرات بطولية رائعة ... وصل ثسيوس إلى أثينا ... كان والده أيجيوس قد تزوج من الساحرة ميديا ... (٢٨) لم يتعرف الوالد على ولده ... لكن ميديا الساحرة الشريرة تعرفت عليه فى التو واللحظة ... أدركت على الفور أنه سوف يصبح ملكاً على أثينا ... أدركت أنه سوف ينافس على عرش أثينا ولدها الذى أنجبته من أيجيوس أثناء وجود ثسيوس بعيداً عن أثينا ... قدمت ميديا ثسيوس إلى أيجيوس على أنه ضيف جاء لزيارته ... إحتفى أيجيوس بالضيف ... قدمت له ميديا كأساً مليئاً بالشراب ... أعدت ميديا الكأس بنفسها ... وضعت فيه سماً قاتلاً ... (٢٩) كى تتخلص من ولد أيجيوس ... رفع ثسيوس الكأس نحو شفتيه ... لم يكن يعتقد أن الكأس يحتوى على سم قاتل ... رفع يده نحو شفتيه بالكأس ... إنكشف مقبض السيف المعلق فى وسطه ... شدّ مقبض السيف انتباه أيجيوس ... لاحظ وجود نفس النقوش الموجودة على مقبض سيفه الذى تركه لزوجته أيثرا فى بيزا ... رفع أيجيوس يده فى الهواء بسرعة من فرط الدهشة ... أطاح أيجيوس بيده بالكأس قبل أن يلمس شفتىْ ثسيوس ... تعرف الوالد على ولده ... تعرف الولد على والده ... إنكشفت جريمة ميديا ... نجا ثسيوس من الموت ... احتضن الوالد ولده ... إرتمى الولد فى أحضان والده ... إلتأم شمل أيجيوس وولده ثسيوس ... طرد أيجيوس ميديا الشريرة ... دعا أفراد مملكته أثينا للاحتفال باستقبال ولده الغائب البطل ثسيوس (٣٠) .

* * * * * *

إنتهت مراسم الاحتفال بقدوم ثسيوس إلى أثينا ... فجأة لاحظ ثسيوس أن

(٢٧) Ovid, Ibis, 407 sqq.; Plutarch, Theseus, 11 and 29.

(٢٨) Graves, Op. Cit., Vol. I, 332-335.

(٢٩) Plutarch, Theseus, 12; Apollodorus, Epitome, i, 6; Ovid, Metamorphoses, vii, 402 sqq.

(٣٠) Hamilton, Mythology, pp. 149-152.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (١٥) :

ثسيوس وميديا .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحزن يسود كل أفراد الشعب الآثيني ... الوجوم يسيطر على كل الوجوه ... بكاء الأهالى فى كل مكان ... ذهل ثسيوس ... لم يدرك سبباً لذلك التحول المفاجىء فى المشاعر ... من الفرح والسرور إلى الحزن والأسى ... شرح له والده أيجيوس السبب... هذا هو العام الثالث منذ رضخ أيجيوس ملك أثينا المهزوم لشروط مينوس ملك كريت المنتصر ... [٣١] لقد حان الوقت لاختيار سبع فتيات فى ريعان الشباب وسبعة فتيان فى ريعان الشباب ... [٣٢] يختارون بالقرعة ... يرسلون فى سفينة ذات أشرعة سوداء إلى كريت ... حيث يلتهمهم مينوتاوروس ... أدرك ثسيوس سبب حزن الآثينيين ... إستولى عليه الغضب ... كيف يصبر والده أيجيوس على ذلك الذل والهوان ... إن كان قد صبر عليه أثناء غياب ثسيوس فلن يصبر عليه بعد عودة ولده الغائب ... سوف يذهب ثسيوس ضمن مجموعة الشباب ... [٣٣] سوف يصارع مينوتاوروس ... سوف يصرعه ... قد يصرعه مينوتاوروس ويلتهمه كما يفعل كل عام مع الشباب الآثينى – ذلك لايهم – لقد عاش ثسيوس بطلاً ... فإن صرع مينوتاوروس ظل بطلاً وواصل حياته البطولية ... وإن صرعه مينوتاوروس مات بطلاً – فحياة الذل والهوان لاتتفق مع طبيعة بطل مثل ثسيوس ... صمم ثسيوس على الذهاب إلى كريت ... توسل إليه والده أيجيوس أن يرجع عن قراره ... تمسك ثسيوس بقراره ... لم يجد أيجيوس بداً من الموافقة ... [٣٤] سوف يذهب ثسيوس ضمن مجموعة الشباب الآثينى ... سوف يعتلى الجميع ظهر سفينة ذات أشرعة سوداء ... دليل الحزن والأسى ... لكن ثسيوس يصطحب معه أشرعة بيضاء ... سوف يستبدل الأشرعة السوداء بأشرعة بيضاء أثناء عودته سالماً من كريت ... سوف يظل أيجيوس واقفاً على الشاطىء ... لايهدأ ... لاينام ... يطلق الدعوات ويبعث بالتوسلات إلى الآلهة كى تحفظ ولده ثسيوس وتعيده إليه سالماً ... سوف يراقب أشرعة السفينة عند عودتها من بعيد ... فإن لم تتبدل أشرعة السفينة فعلى أيجيوس أن يتأكد من هلاك ولده وذهابه دون عودة ... وإن رأى الأشرعة البيضاء فسوف يطمئن قلبه لعودة ولده سالماً ... [٣٥] .

(٣١) Kupber, Op. Cit., pp. 133-134.

(٣٢) Rose, Op. Cit., 265.

(٣٣) Graves, Op. Cit., Vol. I, 336-340.

(٣٤) Plutarch, Theseus, 17; Simonides quoted by Plutarch, Loc. Cit.

(٣٥) Kupber, Op. Cit., pp. 135-138.

http://www.al-maktabeh.com

قدم ثسيوس ورفاقه الشباب الصلوات والقرابين إلى الإله أبوللون ... نصحته نبوءة الإله أبوللون أن يتخذ من الربة أفروديتى هادياً له ... إنطلق ثسيوس فى طريقه حتى وصل إلى جزيرة كريت ... إستقبل الملك مينوس مجموعة الشباب ... إصطف أهالى كريت على جانبى الطريق يشاهدون موكب الضحايا – بين المشاهدين ابنة مينوس أريادنى وشقيقتها فايدرا ... أطلقت الربة أفروديتى سهامها المحمومة نحو صدر أريادنى ... أحست أريادنى برغبة شديدة وعشق بالغ نحو ثسيوس ... (٣٦) تسللت إليه دون أن يرها أحد ... وعدته بالمساعدة ... سوف تساعده على قتل مينوتاوروس والخروج من قصر اللابرينثوس سالماً ... بشرط أن يتزوجها ويعود بها إلى وطنه أثينا ... (٣٧) لم يشأ ثسيوس أن يدع الفرصة تفلت من بين يديه ... وعد أريادنى بالزواج ... أقسم لها أنه سوف يعود بها إلى أثينا ... أعطته خيطاً طويلاً متيناً ملفوفاً على شكل كرة ... أشارت عليه أن يربط أحد طرفيه عند مدخل قصر اللابرينثوس حيث يعيش مينوتاوروس ... ثم يفرد الخيط بحرص كلما مرّ فى ممرات القصر المتعرجة ... فإذا ما انتهى من قتل مينوتاوروس أمسك بالخيط وعاد على هداه حتى يصل إلى حيث دخل ... (٣٨) بذلك لايتوه أو يفقد الإحساس بالإتجاه الصحيح وهو داخل قصر اللابرينثوس ... إستمع ثسيوس إلى نصائح أريادنى ... سرعان ماوجد نفسه وجهاً لوجه أمام الوحش الشرس مينوتاوروس . لم يكن ثسيوس يهاب الموت ... لم يذق طعم الخوف مهما تزاحمت الأهوال من حوله ... هجم على مينوتاوروس فى شجاعة بطولية قاهرة ... صرعه بعد جهد جهيد ... قيل إنه صرعه بسيف أهدته إليه أريادنى قبل دخوله قصر اللابرينثوس ... قيل إنه صرعه بضربة قاضية من هراوته الشهيرة التى كان يحملها فى يده ... قيل أيضاً إنه صرعه بيديه العاريتين بعد أن فتّشه مينوس وجرّده من سلاحه قبل أن يدخل قصر اللابرينثوس... إختلفت الروايات ... (٣٩) النتيجة واحدة ... صرع ثسيوس الوحش مينوتاوروس...

(٣٦) Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 122-124.

(٣٧) Guerber, The Myths of Greece And Rome, pp. 223-226.

(٣٨) Hyde, Op. Cit., pp. 193. sqq.

(٣٩) Scholiast on Homer's Iliad, xi, 233 quoted by Pherecydes; Homer, Iliad, xviii, 590; Eustatthius on Homer's Odyssey, xi, 320; Apollodorus, Epitome, i, 9; Ovid, Heroides, iv, 115; Pausanias, iii, 18, 7.

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (١٦) :

مينوتا وروس .

http://www.al-maktabeh.com

خرج سالماً من اللابرينثوس ... إختطف أريادنى التى كانت تنتظره عند مدخل قصر اللابرينثوس ... اصطحب معه مجموعة الشباب الآثينى ... فرّ مسرعاً نحو الشاطىء حيث كانت تنتظره السفينة التى أتت به إلى كريت ...

واصل ثسيوس رحلة العودة ... رست السفينة فى طريقها على شاطىء جزيرة ناكسوس ... هناك ترك ثسيوس زوجته أريادنى نائمة على الشاطىء ... واصل الرحلة بدونها ... قيل إن ثسيوس فعل ذلك لأنه أحب فتاة أخرى ... قيل أيضاً إنه خشى من المتاعب التى قد تسببها له أريادنى فى أثينا ... (٤٠) قيل أيضاً أن الإله ديونوسوس رأى أريادنى نائمة على الشاطىء فأحبها ... وقرر الزواج منها ... بعث بموجات من السحر نحو عقل ثسيوس ... جعله ينسى وعوده لأريادنى ويغادر ناكسوس دون أن يوقظها من نومها ... (٤١) اختلفت الروايات ... النتيجة واحدة ... ترك ثسيوس أريادنى على شاطىء جزيرة ناكسوس ... [illegible] الآلهة من ثسيوس .. لقد حنث بوعده لأريادنى ... لذلك استحق العقاب ... ذهبت الآلهة بعقله أثناء عودته إلى أثينا ... نسى أن يبدّل أشرعة السفينة ... ترك الأشرعة السوداء ... كان أيجيوس ينتظر عودة ولده ثسيوس ... يقف فوق صخرة الأكروبوليس قلقاً ... شاهد من بعيد أشرعة السفينة السوداء ... ظن أن ولده قد لقى حتفه ... ألقى أيجيوس بنفسه فى مياه البحر ... أصبح ذلك الجزء من البحر منذ ذلك الحين يعرف بالبحر الإيجى ... (٤٢) .

مات أيجيوس ... إستوى ثسيوس على عرش أثينا ... حقق إنجازات لاحصر لها ... إنجازات سياسية ... إنجازات اقتصادية ... إنجازات عسكرية ... من بين إنجازاته العسكرية إخضاع مملكة الأمازونيات ... الأمازونيات هن مجتمع من النسوة ... محاربات شرسات ... هاويات للصيد ... محبّات للأعمال العنيفة ...

(٤٠) Scholiast on Theocritus Idylls, ii, 45; Diodorus Siculus, iv, 61, 5; Catullus, lxiv, 50 sqq; Plutarch, Theseus, 29; Hyginus, fabula 43.

(٤١) Pausanias, x, 29, 2; Diodorus Siculus, v, 51, 4 . هناك روايات أخرى مختلفة كل الاختلاف يرويها كل من أهل كريت وأهل قبرص . راجع : Graves, Op. Cit., Vol. I, 340-341.

(٤٢) Catullus, Loc. Cit.; Apollodorus, Epitome, i, 10; Plutarch, Theseus, 22; Pausanias, i, 22, 4-5; Hyginus, fabula 43.

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (١٧) :

أريادني في ناكسوس .

http://www.al-maktabeh.com

يضارعن الرجال فى شجاعتهن ... يولد الطفل فيشوهن أطرافه حتى يشب ضعيفاً غير قادر على الحرب ... يعيش الرجال فى مجتمع الأمازونيات مثلما تعيش النسوة فى مجتمع الرجال ... تعبد الأمازونيات الربة أرتميس ... العذراء ... ربة الصيد ... تتجاهلن عبادة الربة أفروديتى ... ربة الرغبة ... ملكة الأمازونيات هى هيپوليتى... قيل أيضاً إنها كانت تدعى أنتيوبى ... غزا ثسيوس مملكة الأمازونيات ... وجدت هيپوليتى نفسها وجهاً لوجه أمام ثسيوس ... عشقته من أول نظرة ... ألقت الربة أفروديتى بسهامها نحو جسد الملكة هيپوليتى عقاباً لها ... ألقت سهامها نحو جسد ثسيوس ... أحب ثسيوس هيپوليتى ... عشقها ... تزوجها ... أنجبت له هيپولوتوس... ثم ماتت هيپوليتى ... قيل إن ثسيوس هو الذى قتلها ... (٤٣) أصبح ثسيوس بلا زوجة ... عاد بذاكرته إلى الوراء ... تذكر زوجته الأولى أريادنى ... فكر فى العودة إليها ... لكنها الآن زوجة للإله ديونوسوس ... أمعن التفكير ... تذكرَ شقيقتها فايدرا ... فايدرا تشبه أريادنى فى كل شىء ... قرر أن يتزوجها ... وعندما يقرر ثسيوس أمراً فإنه قادر على تنفيذه على الفور ... هكذا تزوج ثسيوس من فايدرا... شقيقة أريادنى التى باعت أسرتها ووطنها حباً لثسيوس الغريب ... وابنة پاسيفاى التى خانت زوجها مينوس مع مسخ شرس ... عاش ثسيوس وزوجته فايدرا فى سعادة بالغة ... أخلصت له ... أخلص لها ... أنجبت له ولدين ... أكاداماس وديموفون ... رأى ثسيوس أن ولديه من فايدرا أحق بالحكم من بعده ... قرر أن يتخلص من ولده الأكبر هيپولوتوس ابن الأمازونية هيپوليتى ... أرسله ليعيش فى بلاط جده بيتثيوس فى ترويزن ... (٤٤) هكذا عاش هيپولوتوس بعيداً عن والده ثسيوس ... قضى حياة عفيفة طاهرة ... سلك مسلك والدته الأمازونية هيپوليتى ... تجاهل عبادة الربة أفروديتى ... إهتم بعبادة الربة أرتميس ... نشأ صياداً بارعاً ... يجوب الجبال والغابات بحثاً عن صيد يرضى به هوايته ... غضبت منه الربة أفروديتى كما غضبت من والدته هيپوليتى من قبل ... قررت الانتقام ... وانتقام الآلهة شديد ...

* * * * * *

(٤٣) Seneca, Phaedra, 927.

(٤٤) Apollodorus, i, 18; Pausanias, i, 22,2, Ovid, Heroides, iv, 67 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أقام هيبولوتوس فى ترويزن ... كرس حياته للصيد وممارسة الرياضة ... وعبادة الربة أرتميس ... [٤٥] أقام معبداً جديداً للربة أرتميس فى ترويزن بالقرب من المسرح ... زادت سلوكه من غضب الربة أفروديتى ... قررت الانتقام ... وانتقام الآلهة شديد ... أثناء الاحتفال بأعياد إليوسيس ظهر هيبولوتوس فى ثياب بيضاء ناصعة ... هيبولوتوس شاب ممشوق القوام ... قوى البنية ... بهى الطلعة ... فيه كل مقومات فتى الأحلام بالنسبة للمرأة ... لكنه لايفكر أبداً فى المرأة ... لايلتفت إليها من قريب أو بعيد ... متأثر بأخلاق والدته الأمازونية هيبوليتى ... يسير وحوله مجموعة من الشباب ... هواة الصيد والرياضة ... ذهبت فايدرا ... شقيقة أريادنى وابنة باسيفاى ... لحضور الاحتفال بأعياد إليوسيس ... فايدرا زوجة ثسيوس بن أيجيوس ... حفيد بانديون ... هناك ... أثناء الاحتفال بأعياد إليوسيس التقت عينا فايدرا بعينىْ ابن زوجها هيبولوتوس ... لقاء دبرته الربة أفروديتى ... دبرت أفروديتى ذلك اللقاء كى تتاح لها فرصة الانتقام من هيبولوتوس ... [٤٦] قذفت الربة أفروديتى بسهام الرغبة فى قلب فايدرا ... ألهبت الرغبة جسدها ... أحست بموجات عارمة من الرغبة تسرى فى جسدها الأنثوى ... الرغبة نحو الشاب القوى هيبولوتوس ... لم تستطع فايدرا مقاومة تأثير سهام أفروديتى ... إقتربت من ابن زوجها ... هيبولوتوس ... نظرت إليه خلسة نظرات ملؤها الرغبة ... تمنّته لنفسها ... تمنّت أن تلمس يدها يده ... تمنّت أن يلتصق جسدها بجسده ... لم يشعر هيبولوتوس بشىء ... لم يكن يفكر فيها أو فى غيرها ... كان يفكر فى رحلة صيد يقوم بها بعد الانتهاء من الاحتفال بأعياد إليوسيس ...

تقدمت فايدرا نحو هيبولوتوس ... بادرته بالحديث ... [٤٧] حديثه عذب ... عباراته رقيقة ... نبراته تكشف عن قلب طاهر نقى ... لم تستطع فايدرا أن تكشف له عن مكنون رغبتها ... كيف تكشف له ... هى زوجة والده ... هو ابن زوجها ... هى مخلصة لزوجها ... هو بار بوالده ... موقف يبعث على التردد ... لكنها زوجة والده ... فى منزلة والدته ... تقرّبت إليه ... تجاوب معها بنيّة

(٤٥) Hamilton, Op. Cit., pp. 156-158.
(٤٦) Pausanias, ii, 31, 6; Ovid, Loc. Cit.
(٤٧) Genest, Op. Cit., pp. 125-126.

http://www.al-maktabeh.com

صافية... دعاها إلى مقر إقامته فى ترويزن ... وافقت على الفور ... إصطحبها إلى ترويزن ... هناك أقامت فايدرا معبداً للربة أفروديتى ... أقامته فى مكان يطل على ساحة الجمنزيوم ... ساحة الألعاب الرياضية ... هناك حيث كان هيپولوتوس يمارس رياضته اليومية ... كانت فايدرا تراقب من فوق شجرة قريبة من أسوار المعبد معشوقها الشاب هيپولوتوس ... تراقبه وهو يجرى ... تراقبه وقد خلع ثيابه أثناء ممارسة رياضته اليومية ... تراقبه وهو يستحم ليمحو عن جسده الغضّ آثار العرق والغبار بعد الانتهاء من ممارسة رياضته اليومية ... وجدت فايدرا لذة بالغة فى مراقبة ابن زوجها هيپولوتوس ... إزدادت رغبتها نحوه يوماً بعد يوم ... ألهبت الرغبة جسدها ... لم يكن هيپولوتوس يشعر بشىء ... لم يكن يحس بلوعة زوجة والده فايدرا وعشقها له ... كانت تجاذبه أطراف الحديث بين الحين والحين ... تهمّ بالاعتراف له بما يجيش فى صدرها ... تتردد فى آخر لحظة ... كيف تفعل ذلك... هى زوجة والده ... فى منزلة والدته ... هو ابن زوجها ... فى منزلة ولدها ... دبرت الربة أفروديتى ذلك ... لم تكن الربة تتوقع أن تفشل فى تدبيرها ... الربة لاتفشل أبداً ... لاسيما أن زوج فايدرا ثسيوس كان بعيداً عن قصره ... فى رحلة طويلة بعيداً عن أثينا ... الفرصة إذن لاتعوض ... لابأس إذن من مواصلة قذف سهامها نحو جسد فايدرا ... فالآلهة لاتعترف بالفشل ... ولاتحس باليأس أبداً ...

حلّ موعد أعياد الپاناثينايا ... أعياد كل الآثينيين ... كانت أعياد الپاناثينايا تقام فى أثينا ... إعتاد هيپولوتوس حضور الاحتفال بهذه الأعياد ... غادر ترويزن إلى أثينا ... تبعته فايدرا من ترويزن إلى أثينا ... تستمر أعياد الپانا ثينايا عدة أيام... دعت فايدرا هيپولوتوس للإقامة فى قصر والده ثسيوس ... (٤٨) لم يفطن هيپولوتوس إلى السبب الحقيقى لهذه الدعوة ... لم يكن يرى فى الأمر شيئاً غير عادى ... فايدرا زوجة والده ... فى منزلة والدته ... هيپولوتوس ابن زوجها ... فى منزلة ولدها ... القصر قصر والده ... لافرق بين قصر والده وقصره ... قبل هيپولوتوس الدعوة بنيّة خالصة وغرض شريف ... لم يكن يفطن إلى مكنون رغبة زوجة والده فايدرا ... أقام هيپولوتوس فى قصر والده ثسيوس فى أثينا ... أقامت فايدرا فى قصر زوجها ثسيوس فى أثينا ... عاش هيپولوتوس وفايدرا تحت سقف واحد... تكررت اللقاءات بينهما ... إزدادت رغبة فايدرا نحو هيپولوتوس ... تحولت نار الرغبة إلى لهيب

(٤٨) Euripides, Hippolytus, 1 sqq.; Pausanias, ii, 32, 3; i, 22; Diodorus Siculus, iv, 62.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يكوى جسدها الأنثوى ... لم يكن ثسيوس فى ذلك الوقت فى أثينا ... كان فى رحلة طويلة مع صديقه پيريثوس .

* * * * * *

تروى بعض الروايات أن پيريثوس هو ابن إيكسيون من الحورية ديا إبنة إيونيوس ... تروى روايات أخرى أنه ابن كبير الآلهة زيوس من ديا ... [٤٩] .

حكم پيريثوس مملكة ماجنيتيس الواقعة عند مصب نهر پنيوس ... وصلت أنباء إنجازات ثسيوس إلى پيريثوس ... أراد أن يتأكد من صحة هذه الأنباء ... جهز جيشاً وتحرك نحو أثينا ... إلتقى پيريثوس وثسيوس وجهاً لوجه ... لكن سرعان ما ألقى كل منهما سلاحه واحتضن كل منهما الآخر ... [٥٠] وتعاهدا على أن يكون كل منهما صديقاً للآخر ... أصبحا منذ ذلك الوقت صديقين حميمين ... يدافع كل منهما عن الآخر ... يحمى كل منهما الآخر ... [٥١] ثسيوس مغامر مغوار ... پيريثوس مغامر مغوار ... الطيور على أشكالها تقع ... قام الاثنان بمغامرات مشتركة ... إشتركا فى القضاء على جماعة الكونتورى وعلى رأسهم نستور وكاينيوس أثناء زفاف پيريثوس ... [٥٢] واصل ثسيوس مطاردة جماعة الكونتورى حتى طردهم من منطقة جبال پيليون حيث استقروا فى منطقة جبال پيندوس ... أثناء تلك الرحلة العسكرية الناجحة تقابل ثسيوس مع البطل هيراكليس ... لم يكن الاثنان قد تقابلا منذ فترة طويلة ... حيث كان ثسيوس لم يزل طفلاً بعد ... تجددت أواصر الصداقة بين ثسيوس وهيراكليس ... أصبح پيريثوس وثسيوس وهيراكليس أصدقاء مخلصين ... لاتنفصم أواصر الصداقة بينهم أبداً ... [٥٣] مغامرات ومغامرات إشترك فى القيام بها ثسيوس وپيريثوس ... أهم هذه المغامرات هى الذهاب إلى العالم الآخر ... عالم

(٤٩) Diodorus Siculus, iv, 70; Eusthathius on Homer p. 101.

(٥٠) Graves, Op. Cit., Vol. I, pp. 360-366.

(٥١) Strabo, Fragmenta, 14; Vatican Epitome; Plutarch, Theseus, 30.

(٥٢) Apollodorus, Epitome, i, 21; Diodorus Siculus, iv, 70; Hyginus, fabula 33, Servius on Vergil's Aeneid, vii, 304.

(٥٣) Homer, Iliad, ii, 470 sqq.; Herodotus quoted by Plutarch, Theseus, 30.

http://www.al-maktabeh.com

الموتى ... حيث يحكم الإله هاديس زوج پرسيفونى ابنة كبير الآلهة زيوس ...

فكر ثسيوس وپيريثوس فى القيام بمغامرة غرامية غير عادية ... مغامرة لاتخلو من المخاطر ... فكر ثسيوس فى خطف هيلينى ... هيلينى التى كان يضرب المثل بجمالها ... لم تزل هيلينى طفلة صغيرة بعد ... لاتصلح للزواج أو الإنجاب ... لكن هكذا قرر ثسيوس ... (٥٤) طلب مساعدة صديقه پيريثوس لتنفيذ الفكرة ... لم يتردد پيريثوس لحظة واحدة بالرغم من عدم معقولية الفكرة ... لم تزل هيلينى طفلة بعد ... لابأس ... سوف يختطفها ثسيوس ويذهب بها إلى والدته أيثرا ... تتعهدها بالرعاية حتى تنضج ... ثم يتزوجها ... خرج ثسيوس وصديقه پيريثوس إلى اسپرطة ... إختطفا هيلينى ... هيلينى ابنة تونداريوس بالتبنى ... شقيقة التوأم ديوسكورى ... ولدىْ زيوس ... التوأم كاستور وپولودوكيس ... هيلينى ابنة كبير الآلهة زيوس من ليدا ... تبنّاها تونداريوس بعد مولدها ... هيلينى شقيقة كلوتمنسترا... هيلينى التى أصبحت فيما بعد زوجة لمنيلاووس ... (٥٥) شقيقة كلوتمنسترا التى أ ـ ـ فيما بعد زوجة لأجاممنون (٥٦) .

إختطف ثسيوس هيلينى بمساعدة قواته وقوات صديقه پيريثوس ... لكن سرعان ماهبَّ شقيقاها كاستور وپولودوكيس للدفاع عنها ... نجح الشقيقان فى استرداد شقيقتهما هيلينى ... فشلت خطة ثسيوس ... جاء دور پيريثوس ... إذا كان ثسيوس قد خطط لخطف إحدى بنات زيوس هيلينى وفشل فإن پيريثوس سوف يخطط أيضاً لخطف ابنة أخرى من بنات زيوس وسوف ينجح ... سوف يخطط لخطف پرسيفونى ابنة كبير الآلهة زيوس من الربة ديميتر ... مغامرة جنونية لاتخلو من أخطار مؤكدة ... پرسيفونى هى ابنة كبير الآلهة زيوس وابنة الربة ديميتر وزوجة الإله هاديس إله العالم السفلى ... المسئول الأول والأخير عن مملكة الموتى ... مملكة العالم الآخر ... وهو فى نفس الوقت شقيق كبير الآلهة زيوس ... تقيم پرسيفونى فى

(٥٤) Diodorus Siculus, iv, 63; Hyginus, fabula 79; Tzetzes, On Lycophron 143; Eustathius on Homer's Iliad p. 215; Plutarch, Theseus, 31.

(٥٥) أنظر الجزء الثاني ، ص ٢٣٧ ومابعدها .

(٥٦) أنظر الجزء الثاني ، ص ٢٩٤ ومابعدها .

مكتبة المهتدين الإسلامية

عالم الموتى ... عالم بعيد كل البعد عن منال القدرة البشرية ... تعيش فى كنف زوجها هاديس ... الإله الفظّ... القاسى ... الرهيب ... حاكم مملكة الظلام ... مجرد الوصول إلى العالم الآخر ... عالم الموتى ... غير متاح للأحياء ... غير مسموح لمنْ هم على قيد الحياة ... ذهل ثسيوس من عدم معقولية الفكرة – لكنه لايملك التنصُّل من صداقته لصديقه الحميم پيريثوس ... لم يكن أمامه سوى الموافقة... سوف يقدم له كل عون كى ينفذ خطته المستحيلة ... فالمغامر لاتعوزه الحيلة أبداً ... ولاتقف فى وجهه الصعاب ... لكن هناك فرق بين الشجاعة والتهور... هناك فرق بين ماهو ممكن وماهو مستحيل ...

ذهب پيريثوس بمصاحبة صديقه ثسيوس إلى معبد كبير الآلهة زيوس ... طلب مشورة نبوءة الإله ... (٥٧) جاءته النبوءة بمنطوق لايخلو من السخرية والاستهزاء ... لماذا لاتهبط إلى عالم الموتى ... تارتاروس ... وتطلب پرسيفونى زوجة هاديس زوجة لك ... إنها أفضل وأنبل بناتى ... قهقه كبير الآلهة زيوس من عليائه ... سمع ثسيوس صوت النبوءة ... سمع قهقهة زيوس ... أخذ ثسيوس النبوءة مأخذ الجد ... لم يدرك أن كبير الآلهة زيوس إنما أراد أن يهزأ به وبصديقه پيريثوس... تردد ثسيوس فى بادىء الأمر ... كان يدرك تماماً مدى خطورة المغامرة ... ذكره صديقه پيريثوس بالعهد الذى قطعه الاثنان على نفسيهما ... لم يجد ثسيوس بداً من الموافقة ... بدأ الاثنان الاستعداد للنزول إلى العالم الآخر ... لم يكن من الممكن أن يسمح لهما خارون بركوب قاربه ... خارون هو «معدّاوى» العالم الآخر ... لايسمح بركوب قاربه إلا للموتى ... رفض خارون استقبال ثسيوس وپيريثوس فى قاربه ... فهما مازالا على قيد الحياة ... يتحرك كل منهما كما يتحرك الأحياء ... يحمل كل منهما سيفه المدلى إلى جانبه ... لن يسمح لهما بالنزول إلى قاربه الذى لايحمل سوى الموتى إلى عالمهم الآخر ... لم يدبّ اليأس فى نفسى ثسيوس وپيريثومس ... بل إزداد إصرارهما على تنفيذ الخطة ... هناك أكثر من وسيلة للوصول إلى العالم الآخر ... جريًا أكثر من وسيلة ... إستمالا خارون المعدّاوى... لم يستجب ... تظاهرا بالتوسل إليه ... لم يستمع إلى توسلاتهما ...

---

(٥٧) Horace, Odes, iv, 7, 27; Panyasis quoted by Pausanias, x, 29, 4; Apollodorus, Epitome, i, 24.

http://www.al-maktabeh.com

هدداه ... لم يثنه تهديدهما ... أغرياه بالهدايا ... لم يستطع الإغراء أن يقلل من غطرسة خارونَ أو جديته ... ليس هناك إذن سوى البحث عن مدخل خلفى للعالم الآخر ... مدخل لايمرّ الداخل بخارون ... دلفا إلى مدخل خلفى لعالم الموتى ... مرّا فى هدوء وسكينة ... أصبحا أمام البوابة الرئيسية للعالم الآخر ... حيث يوجد قصر الإله هاديس... طرقا الباب الرئيسى ... كان فى انتظارهما هاديس ... هاديس هو شقيق كبير الآلهة زيوس ... زوجته پرسيفونى هى ابنة كبير الآلهة زيوس ... كيف يسمح كبير الآلهة زيوس لواحد من البشر أن يتجرأ ويقدم على اختطاف ابنته زوجة أخيه .. أخبر كبير الآلهة زيوس شقيقه هاديس بما نوى عليه المغامران المتهوران ... لذا كان هاديس فى انتظارهما ومستعداً للقائهما ...

طرق ثسيوس وپيريثوس بوابة تارتاروس ... فتح البوابة هاديس بشخصه ... إستقبلهما بالترحاب ... رحب بهما فى هدوء شديد ... هدوء زائف ... كيف يستقبل بهدوء وترحاب من جاء يطلب الزواج من زوجته ... سألهما فى هدوء زائف عن سبب مجيئهما ... استجمع پيريثوس كل أطراف شجاعته ... أخبره بسبب مجيئه ... جاء يطلب پرسيفونى ... زوجة مضيفة ... زوجة لنفسه ... جاء معه صديقه ثسيوس ليساعده فى إنجاز مهمته ... كاد هاديس أن ينفجر من شدة الغضب ... كان على وشك أن يقهقه قهقهة عالية تهزّ كل أرجاء العالم السفلى ... كتم غيظه ... أجّل قهقهته إلى حين ... تظاهر بالهدوء ... إكرام الضيوف واجب على المضيف ... فليجلس الضيفان كى يرتاحا من عناء الرحلة الشاقة ... أشار هاديس إلى مقعدين أعدّهما خصيصاً لجلوسهما ... طلب منهما الجلوس ... نظر كلٌ إلى صاحبه نظرة ملؤها التفاؤل ... زال عنهما الخوف والرهبة ... ملأ نفسيهما الأمل والطمأنينة ... سيطر عليهما السرور والفرح ... تخيل پيريثوس نفسه وهو يزفّ لمحبوبته پرسيفونى ... تخيل هاديس وهو يشدّ على يده مهنئاً ... تخيل صديقه الحميم ثسيوس وهو واقف بجواره يشاركه فرحة زفافه إلى ابنة كبير الآلهة زيوس ... جلس كل واحد منهما على أحد المقعدين حيث أشار هاديس ... لم يكن كل من المقعدين سوى « النسيان» ... نعم «مقعد النسيان» ... من يجلس عليه ينسى كل شىء ... ينسى ماضيه ... ينسى حاضره ... ينسى مستقبله ... ينسى أصدقاءه وأقاربه ... نسى ثسيوس وپيريثوس كل شىء ... نسيا ما كانا قد حضرا من أجله ... تركهما هاديس... راح يدبر شئون مملكته كالمعتاد ... راح ينعم بزوجته پرسيفونى كما كان

مكتبة المهتدين الإسلامية

ينعم بها من قبل ... سوف يظل كل من ثسيوس وپيريثوس هكذا إلى الأبد ... سوف يحتويهما عالم الموتى ... سوف لايعودان مرة أخرى إلى عالم الأحياء ...

* * * * * *

يقضى هيپولوتوس يومه مشاركاً فى الاحتفال بأعياد الپاناثيذايا ... تخرج خلفه فايدرا لتتسلّق شجرة عالية قريبة من ساحة الاحتفال ... تراقبه من بعيد فى ... لهيب الرغبة يكوى جسدها الأنثوى ... يعود هيپولوتوس إلى قصر والده بعد انتهاء اليوم ... تعود فايدرا إلى القصر ... تبتكر الأسباب للقائه ... يتجاذبان أطراف الحديث ... فايدرا تكتوى أمامه بلهيب الرغبة المكبوتة ... هيپولوتوس يشعر معها بحنان الأمومة والدفء الأسرى ... ذهب ثسيوس مع صديقه پيريثوس ... غاب عن القصر ... طالت مدة غيابه ... وصلت الأنباء إلى أثينا ... أنباء غياب ثسيوس فى العالم الآخر ... مَنْ يذهب إلى عالم الموتى لايعود ... كانت فايدرا تنتظر عودة زوجها ثسيوس كى يدفع عنها بعودته تلك الرغبة المحمومة ... كى يكون لها حصناً تحتمى خلفه من سهام أفروديتى النافذة ... كان هيپولوتوس ينتظر عودة والده ثسيوس ... كى يخلصه من المسئولية الملقاة على عاتقه ... مسئولية رعاية زوجة أبيه وولديها أكاماس وديموفون ... كان يعتبر نفسه راعياً لثلاثتهم أثناء غياب والده ثسيوس ... ضربت أنباء ذهاب ثسيوس إلى عالم الموتى فايدرا فى مقتل ... ذهب الحصن الذى كانت تنتظره ليحميها من سهام أفروديتى النافذة ... لم تعد قادرة على المقاومة أكثر من ذلك ... إمتنعت عن الطعام ... لم تغمض جفناها ... لِم تذق عيناها طعم النوم ... ذوى عودها ... خارت قواها ... تفككت مفاصلها ... مَنْ الآن سوف يحميها من سهام أفروديتى النافذة !!! مَنْ الآن يستطيع أن يقف بجانبها بعد غياب زوجها ثسيوس المغامر الذى ذهب فى مغامرة حيث لاعودة !!! لكن هيپولوتوس لم ييأس ... هو الشاب العفيف الطاهر ... البار بوالده ... المخلص لأفراد أسرته ... يعيش فى عالم غير عالم زوجة أبيه فايدرا ... فايدرا تعيش فى عالم الرغبة المكبوتة ... هيپولوتوس يعيش فى عالم الصيد والرياضة ... كلاهما يسير فى طريق غير الطريق الذى يسير فيه الآخر ... كلاهما لايشعر بمكنون صدر الآخر ... فايدرا تكتوى بلهيب أفروديتى ... هيپولوتوس ينعم بمصاحبة أرتميس ... هيپولوتوس يقضى وقته بين رفاقه الصيادين ... يقضى وقته فى ممارسة الصيد والرياضة ... هيپولوتوس سعيد لايشكو الوحدة ... فايدرا تجترّ آلامها وأحزانها ... تقضى حياة

http://www.al-maktabeh.com

وحيدة ... عازفة عن مخالطة البشر ... تشكو نفسها لنفسها ... تشكو لوعة جسدها لجسدها ...

شخص واحد فقط لم يكن يفارق فايدرا ... مربيتها العجوز ... امرأة عجوز شمطاء ... تعهدت فايدرا بالرعاية منذ نعومة أظافرها ... مرّت فايدرا وهى فى أحضانها بكل المراحل التى يمر بها الإنسان أثناء حياته ... لازمت المربية العجوز فايدرا أثناء طفولتها ... أثناء صباها ... أثناء شبابها ... أثناء اكتمال أنوثتها ... عاشت بجانبها قبل أن تتزوج من ثسيوس ... ظلت بجوارها بعد أن تزوجت ... كانت تدرك تماماً أن فايدرا تحب زوجها ثسيوس ... تخلص له ... تصون عرضه فى حضوره وأثناء غيابه ... إعتادت أن تلمح السعادة والهناء فى عينىّ فايدرا ... كانت فايدرا مقبلة على الحياة فى سعادة وسرور ... فجأة لاحظت المربية العجوز أن حال فايدرا قد تبدلت ... لاتنام ... لاتأكل ... لاتخرج إلى صديقاتها ومعارفها ... تعيش فى عزلة تامة ووحدة قاتلة ... لاحظت المربية العجوز أن حال فايدرا قد تبدلت منذ رؤيتها لهيبولوتوس فى تروزين ... لاحظت أن حالها قد تبدلت إلى الأسوأ منذ أن حلّ هيبولوتوس فى قصر والده فى أثينا ... لاحظت شغف فايدرا بهيبولوتوس... لاحظت ملاحقتها له فى كل مكان ... لاحظت أنها تسترق السمع لكلماته وتختلس النظرات إليه ... لاحظت أنها شغوفة لمعرفة أخباره لحظة بلحظة ... المربية العجوز إمرأة مجرّبة .. خبيرة بأمور الحياة ... قادرة على أن تفهم مايدور حولها ... وأن تدرك الأسباب ... المربية العجوز امرأة ... وخير منْ يفهم أمور المرأة امرأة مثلها ... لم تكن المربية العجوز قادرة على مصارحة فايدرا بحقيقة ماتفهمه من أمورها ... حتى ساءت حال فايدرا ... ذوى عودها ... خارت قواها ... إنتشرت أنباء علّتها فى كل أرجاء المدينة ... قال البعض إن فايدرا مريضة بسبب غياب زوجها ثسيوس ... بسبب ذهابه إلى عالم الموتى دون عودة ... قال البعض الآخر إنها تقاسى من آلام عضوية بفعل تقدم السن ... قال البعض الآخر إنها تخشى على ولديْها أكاماس وديموفون من الطامعين فى عرش أثينا بعد أنباء غياب زوجها ثسيوس ... إختلفت الأقوال ... تعددت الإشاعات ... لكن المربية العجوز لم تكن تصدق أياً منها ... كانت واثقة كل الثقة من حقيقة علة فايدرا ... كانت متأكدة أن فايدرا تعشق هيبولوتوس ابن زوجها ثسيوس ... إنها واقعة بين نارينْ ... نار الرغبة الآثمة التى تكوى جسدها الأنثوى ... ونار الرغبة السامية التى تدعوها إلى الإخلاص لذكرى

مكتبة المهتدين الإسلامية

زوجها الغائب ... لم تكن المربية قادرة على مواجهة فايدرا بحقيقة أمرها ... لم تكن فايدرا تجرؤ على مصارحة هيبولوتوس بمكنون جسدها ... لم يكن هيبولوتوس يشعر نحو فايدرا سوى بمشاعر الابن البار لوالده ... المخلص لزوجة والده ... التى هى فى منزلة والدته ... المحب لشقيقيْه أكاماس وديموفون ... اللذين مازالا فى مرحلة الصبا ... وما زالا يحتاجان إلى الرعاية والاهتمام ...

كلما اشتدت مقاومة فايدرا لرغبتها الآثمة ... ازداد غضب الربة أفروديتى ... لكن الآلهة لاتعرف اليأس ولاتعرف معنى الفشل ... زادت أفروديتى من سهامها المنطلقة نحو جسد فايدرا ... إشتدت علة فايدرا ... خارت قواها أكثر فأكثر ... لم يستطع جسدها الأنثوى الرقيق مقاومة إحساسها بالإخلاص لذكرى زوجها الغائب ... إنهار الجسد الأنثوى الرقيق ... تفككت أوصاله ... أصبحت فايدرا لاتقوى على الحركة ... غابت عن الوعى من فرط الإعياء ... غاب عقلها ... توقف عن التفكير ... تحرك عقلها الباطن ... طفا على السطح ... راحت فى غيبوبة طويلة ... هذت ... استمر هذيانها ... (٥٨) وعندما يهذى المرء ينطلق لسانه ليكشف المكنون والمستور ... إنطلق لسان فايدرا يترجم مكنون صدرها ... كمْ تهفو إلى الذهاب إلى الغابات ... إلى المراعى والأحراش ... حيث ترتع حيوانات الصيد فى حرية وانطلاق ... حيث ينطلق الصيادون وراء كل صيد يظهر فى الأفق ... كمْ تهفو فايدرا إلى امتلاك حرية صيد ... إلى امتشاق القوس والسهام ... كمْ تهفو إلى عبادة أرتميس ... ربة الصيد ... ربة الأحراش والغابات ... تابعت المربية العجوز سيدتها فايدرا أثناء هذيانها ... استمعت باهتمام إلى كل كلمة نطقت بها ... تأكدت ظنونها ... أدركت تماماً أنها لم تكن واهمة ... تأكدت من سبب علّة سيدتها ... لم تعد تستطيع الصبر ... لم تعد تقدر على إخفاء ظنونها ... كشفت لسيدتها فايدرا عن ظنونها ... أفاقت فايدرا فجأة من هذيانها ... أنكرت كل مانطقت به ... نهرت مربيتها العجوز ... [illegible] المربية العجوز عليها الخناق ... تعلم فايدرا أن المربية العجوز مخلصة لها ... تثق فيها كل الثقة ... إنهارت فايدرا أمام مربيتها المخلصة ... إعترفت ... نعم ... إنها تعشق هيبولوتوس ... لكن لابد من المقاومة ... تعلم فايدرا أن سبب علتها هو سهام أفروديتى ... أفروديتى التى طاردت بسهامها شقيقتها

(٥٨) بدا هذيانها للآخرين وكأن فايدرا قد مسّها ضُرٌّ من عند الآلهة . أنظر : Easterling, Greek Religion and Society, p. 11.

http://www.al-maktabeh.com

أريادنى من قبل فعشقت ثسيوس ... وباعت أسرتها الصغيرة وهربت معه من وطنها الكبير ... أفروديتى التى طاردت بسهامها والدتها پاسيفاى فخانت زوجها مينوس وعشقت المسخ مينوتاوروس ... وتسببت فى كارثة لأهلها ووطنها ... طاردت أفروديتى بسهامها يوروپى والدة مينوس ... جدتها لوالدها ... ... فعشقت الثور زيوس وهربت من وطنها طيبة ... وجلبت العار لوالدها وأشقائها ... وهاهى الآن أفروديتى تطارد بسهامها فايدرا فتعشق ابن زوجها ... وسوف تتسبب فى فضيحة زوجها ثسيوس كما فضحته والدته أيثرا حتى قبل ولادته حين ضاجعها الإله پوسيدون ونسبت مولد ثسيوس إلى زوجها أيجيوس .

إجترّت فايدرا كل تلك الذكريات المؤلمة ... تأكدت أنها انحدرت من أسرة ملعونة بلعنة أفروديتى ... شقيقتها أريادنى عاشقة خائنة ... والدتها پاسيفاى عاشقة خائنة ... جدتها يوروپى عاشقة خائنة ... والدة زوجها أيثرا عاشقة خائنة ... دماء العشق الآثم تنساب فى عروقها ... الخيانة الزوجية تسرى فى شرايينها ... منكوبة فايدرا وكل نساء أسرتها بسهام أفروديتى النافذة ... لا أقل من أن تطرد هى دماء الخيانة من شرايينها ... وتخلص لزوجها ... إلتقطت المربية العجوز طرف خيط حديث فايدرا ... توقفت عند كلمة الزوج ... هل يستحق زوجك ثسيوس كل هذه التضحية وكل ذلك الإخلاص ... لم يكن ثسيوس فى يوم من الأيام مخلصاً لفايدرا أو لأية زوجة أخرى قبلها أو بعدها ... تزوج أريادنى ... بعد أن خانت أهلها وعشيرتها وساعدته من أجل القضاء على مينوتاوروس والخروج سالماً من قصر اللابرينثوس والهروب من كريت إلى أثينا ... ماذا فعل ثسيوس زوجك المخلص بأريادنى ... هجرها ... تركها على شاطىء بحرى مهجور ... فى العراء ... تنخر الريح الباردة عظامها ... ماذا فعل ثسيوس زوجك المخلص بهيپوليتى ... هجرها ... قتلها ... تخلّص منها بعد أن خانت أهلها وعشيرتها الأمازونيات وساعدته من أجل السيطرة على مملكتها ... ماذا فعل ثسيوس زوجك المخلص بولده هيپولوتوس ... فلذة كبده ... تخلص منه ... أرسله إلى تروزن كى يعيش مع جده يتيم الأم يتيم الأب... فاليتيم ليس معناه موت الأب بل فقدان رعايته وحمايته ... ثم أين ثسيوس زوجك المخلص الآن ... إنه الآن فى عالم الموتى ... حيث لاعودة ... لن يعود ثسيوس ... لقد مات ... فايدرا ليست الآن زوجة لثسيوس ... بل أرملته ... لم يعد ثسيوس زوجها بعد ... بالتالى لم يعد هيپولوتوس ابناً لزوجها ... كان ذات مرة ابناً

مكتبة المهتدين الإسلامية

لزوجها ... لكنه الآن فى حكم الغريب عنها ...

مسّت كلمات المربية العجوز شغاف قلب فايدرا ... هدأت من قلقها للحظات معدودة ... لكن سرعان ما استعادت قوة عقلها ... طرحت رغبة جسدها جانباً إلى حين ... لم يكن ثسيوس الزوج المخلص كما ظنّت ... لو أنه الآن على قيد الحياة لهجرته ... لكنه الآن فى عداد الموتى ... مات ثسيوس ... ماتت معه كل خياناته السابقة ... بالنسبة لفايدرا كان ثسيوس زوجاً مخلصاً ... خان زوجاته الأخريات ... لكنه لم يخُنْها ... أخلص لها ... تخلص من ولده هيپولوتوس ابن الأمازونية حرصاً منه على مستقبل ولديها ... ذكراه لم تزل باقية فى قلب فايدرا ... والذكرى ناقوس يدق فى عالم النسيان ... يجب احترام ذكرى زوجها الراحل ... لن تخونه بعد موته ... كما لم تخنْه أثناء حياته .. فشلت المربية العجوز فى إقناع سيدتها فايدرا ... لكنها لم تيأس ... بحثت عن مدخل آخر ... المربية العجوز امرأة مجربة ... تجيد فن الحديث ... تسيطر على وسائل الإقناع ... عادت تتحدث إلى فايدرا .. زوجك المخلص ثسيوس ... أين هو الآن ... إنه فى عالم الموتى ... ماسبب ذهابه إلى هناك ... ذهب لمآزرة صديقه پيريثوس ... ماذا فعل صديقه پيريثوس ... ذهب لينتزع زوجة هاديس ويتخذها زوجة له ... بالرغم من أنه متزوج ومرتبط بزوجة أخرى ... ذهب ثسيوس مع صديقه پيريثوس إلى عالم الموتى لمآزرته ... لمساعدته ... لأن صديقه پيريثوس كان قد ساعده قبل ذلك فى إختطاف الصبية هيلينى ... ذهب ثسيوس إلى عالم الموتى فى رحلة غرامية ... وترك فايدرا نهباً لرغبتها الأنثوية العارمة ... هذا هو ثسيوس ... الزوج المخلص ...

مادت الأرض تحت قدميْ فايدرا ... إهتزت كل أركان الكون من حولها ... لم تستطع أن تقرر مايجب عليها أن تفعله ... أقنعتها المربية العجوز أن زوجها ثسيوس لم يكن مخلصاً لها ... لم يكن يعمل حساباً لمشاعرها وأحاسيسها ... هب أن الزوج ليس مخلصاً ... أيمنح ذلك حقاً لزوجته أن تسلم جسدها لرجل آخر ... لا ... نعم ... لاحظت المربية العجوز تردد فايدرا ... لاحظت أن الرغبة الجسدية بدأت تسيطر على عقلها وتفكيرها – تركتها مسرعة وهى تنطق بكلمة واحدة ... سأخبره ...

تركت المربية العجوز فايدرا بين موجات التردد والحيرة ... خرجت مسرعة

http://www.al-maktabeh.com

تخبر هيبولوتوس بحقيقة مشاعر فايدرا ... إستمع هيبولوتوس لكلمات المربية العجوز... لم يصدق أذنيه ... أعادت المربية كلماتها ... سيطر الذهول على هيبولوتوس ... لم يكن يتخيل أن فايدرا ... زوجة والده ... التى هى فى منزلة أمه... تفكر فى هذه الفكرة الآثمة ... إنطلق وهو يسبح فى بحار الشك والحيرة ... لابد أن المربية تكذب... تريد أن تختبر مشاعره نحو زوجة والده فايدرا ... إنطلق إلى حيث ترقد فايدرا ... يريد أن يعرف الحقيقة بنفسه ... دخل إلى فايدرا ... رأته فايدرا أمامها وجهاً لوجه ... تفككت مفاصلها ... إرتعشت أطرافها ... هبّت ألسنة الرغبة المحمومة تلهب جسدها الأنثوى ... رأت فيه شباب زوجها الغائب ... قدّه الممشوق ... قوامه الفارع ... شبابه الفائر ... عضلاته المفتولة ... رأت ملامح الفتوة والشباب تعلو جبينه وصدره ... وكل أجزاء جسده ... إنطلقت نحوه باكية ... جثت عند قدميه ... إحتوته بين ذراعيها ... شكت له الوحدة بعد غياب والده ... لم يعد لها سواه حصناً منيعاً يصدّ عنها هجمات الزمان ... يحميها من شراهة الطامعين... يدفع عنها قسوة الظالمين ... شعر هيبولوتوس فى هذه اللحظة أن فايدرا فى حاجة إليه ... أحس بإحساس الابن البار وهو يهوى فى أحضان أمه الرءوم ... طمأنها ... سوف يدافع عنها ... سوف يعوضها عن غياب زوجها ... سوف يحمى ولديها ويتعهد بتربيتهما ورعايتهما ... سوف ترى فيه ثسيوس الذى فقدته ... نسى ما قالته المربية العجوز فى الخارج ... استمرت فايدرا مرتمية فى أحضان هيبولوتوس... سرت رعشة هادرة فى جسدها الأنثوى ... تحسست عضلاته المفتولة... أحست بقوة ذراعيه اللتين تحيطان بخصرها ... كان هيبولوتوس قد أحاط خصرها بذراعيه كى يساعدها على النهوض ... لم يخطر بباله قط ماكان يدور فى صدر فايدرا من رغبة آثمة ... تمادت فايدرا فى الارتماء بين أحضان هيبولوتوس... إشتد عودها ... نهضت واقفة ... إحتضنته ... لصقت جسدها بجسده ... طفقت تتحسس أجزاء جسده ... قذف هيبولوتوس بها بعيداً ... أدرك أن المربية ليست كاذبة... نهر فايدرا ... توسلت إليه... تشبثت بأطراف ثيابه ... لم تعد قادرة على كبح جماح رغبتها الأنثوية الآثمة ... قاومها هيبولوتوس ... كلما حاول الابتعاد عنها إزداد تشبثها به ... جرّد سيفه من غمده ... هددها ... عسى أن تفيق من غفوتها ... كشفت له عن مفاتن جسدها ... عسى أن تبعث فى جسده الرغبة ... إزداد هيبولوتوس صلابة وقوة ... سلمته رقبتها ... طلبت منه أن يقضى عليها ... أن

مكتبة المهتدين الإسلامية

يرشق سيفه فى رقبتها العارية عسى أن يخلصها من رغبتها العارمة ... أمسكت بالسيف ... أرادت أن ترشقه فى رقبتها ... فجأة دخلت المربية العجوز ... كانت تسترق السمع من خلف الجدران ... أنقذت المربية فايدرا قبل فوات الأوان ... فرَّ هيپولوتوس هارباً من حيث كانت فايدرا وهو يلعن كل النساء ... لقد كره كل نساء العالمين ... إلا والدته هيپوليتى ... استوقفته فايدرا .. وجهت إليه رجاءً أخيراً ... ألا يبوح لأحد بما دار بينهما ... عاهدها هيپولوتوس ... وأشهد الآلهة على عهده ...(٥٩) .

* * * * * *

فجأة سرت فى أرجاء القصر أنباء مذهلة ... أنباء عودة ثسيوس ... عاد الملك الغائب إلى قصره ... عاد الزوج الغائب إلى زوجته ... غاب ثسيوس أربع سنوات فى عالم الموتى ... يجلس على مقعد النسيان ... نسى أهله وشعبه ... لم يكن يعرف من يكون ... ولماذا هبط إلى عالم الموتى ... نسى كل شىء ... لكن صديقه البطل هيراكليس لم يكن ينسى أصدقاءه المخلصين ... أثناء إحدى الأعمال الخارقة التى كان يقوم بها البطل هيراكليس هبط إلى عالم الموتى للحصول على الكلب كربيروس... (٦٠) أثناء وجوده فى عالم الموتى وجد صديقه ثسيوس يجلس على مقعد النسيان ... يجلس عليه منذ أربع سنوات ... حاول أن يتحدث إليه ... لم يرد ثسيوس عليه ... حاول أن يسأله ... لم يجبه إلى سؤاله ... أدرك هيراكليس بذكائه ما آلت إليه حال صديقه ثسيوس ... إنتزعه بقوة من فوق المقعد ... (٦١) أبعده عن تأثيره... عاد إلى ثسيوس عقله ... عادت إليه ذاكرته ... تذكر كل شىء ... خرج به هيراكليس من عالم الموتى ... أسرع ثسيوس عائداً إلى وطنه أثينا ... إلى زوجته فايدرا ... إلى ولديه أكاماس وديموفون ... وصل ثسيوس إلى القصر ... سبقته إلى القصر أنباء عودته ... وصلت الأنباء إلى زوجته فايدرا ... لقد خانت عهد زوجها الغائب ... لوّثت عرضه ... أساءت إليه وإلى ولديها ... هل لها أن تقابله ...

(٥٩) Euripides, Hippolytus, passim; Seneca, Phaedra, passim; Ovid, Heriodes, iv.

(٦٠) أنظر ص ٤٢٤ أدناه .

(٦١) Apollodorus, ii, 5, 12; Suidas, s.v. Lispoi; Scholiast on Aristophanes' Kinghts 1368. cf. Vergil, Aeneid, vi, 601-609; Aelian, Varia Historia, iv; Plutarch, Theseus, 31.

http://www.al-maktabeh.com

وترحب به ... هل لها أن تجتمع به مرة أخرى على فراش الزوجية ... هل لها أن تفعل كل ذلك بعد أن خانت عهود الزوجية ...

وصل ثسيوس إلى قصره في أثينا ... أسرع من فوره إلى حيث كانت فايدرا... ثيابها ممزقة ... صدرها عارٍ .. شعرها منكوش ... الدموع تنهمر من عينيها ... زائغة المقلتين ... شاردة الفكر ... لم تأبه فايدرا بحضور زوجها ثسيوس... لم تشعر بوجوده قط ... فجأة تنبهت ... عادت إلى رشدها ... لكنها لم تعد فايدرا الزوجة المخلصة كما تركها زوجها ... أهدر هيپولوتوس كرامتها ... أهان أنوثتها ... سخر من رغبتها الأنثوية ... سوف يعلم ثسيوس كل شيء ... سوف يتهمها بالخيانة ... سوف تفقد أسرتها وعرشها ونفوذها ... سوف يصبح هيپولوتوس بطلاً في نظر والده ثسيوس ... سوف يرى فيه مثالاً للشرف والعفة والإخلاص... فجأة تنبهت فايدرا إلى السيف الذي كان مايزال في يدها ... سيف هيپولوتوس ... تنبهت إلى ثيابها الممزقة ... إلى شعرها المنكوش ... إلى صدرها العاري .. أ بالدموع تبلل خديها ... تمادت في البكاء ... جثت عند قدمي ثسيوس ... ناولته السيف ... تعرف ثسيوس على السيف ... إنه سيف هيپولوتوس ... سألها عن سبب وجوده في مخدعها ... أجابته بالدموع تنهمر على خديها ... دموع التماسيح في هذه المرة ... دموع امرأة كاذبة ... فاجرة ... خائنة ... تريد أن تخفي معالم جريمتها النكراء ... تظاهرت فايدرا في بادىء الأمر بمحاولة إخفاء سبب بكائها ... ألح عليها زوجها ثسيوس ... إنطلقت تقول كذباً وزوراً ... إن هيپولوتوس ... ولده ... الذي كانت تعتبره مثل ولدها ... هيپولوتوس ... الذي يدعي الطهر والعفة ... هيپولوتوس هو الذي حاول أن يغتصبها ... أثناء غياب والده ثسيوس ... ألقت فايدرا بكذبتها الدنيئة ثم أسرعت إلى الخارج حيث جاء نبأ انتحارها . هيپولوتوس[٦٢] .

* * * * * *

خرجت فايدرا مسرعة لتلقى حتفها ... تركت زوجها ثسيوس غارقاً في بحار الغضب من ولده الخائن العاق ... دخل هيپولوتوس يرحب بوالده ... يهنئه على سلامة العودة ... استقبله والده بوابل من السباب والاتهامات ... وجه إليه كل ألفاظ الشتائم ... إتهمه بالخيانة والعقوق ... بالاختفاء خلف ستار العفة والطهر ليرتكب

(٦٢) Rose, Op. Cit., p 266.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أفظع جرائم الفسق والفجور ... همّ هيپولوتوس للدفاع عن نفسه ... تذكّر على الفور أنه قد أخذ على نفسه عهداً بألا يبوح بشيء مما دار بينه وبين فايدرا ... تذكر أنه قد أشهد الآلهة على عهده ... تذكر أنه هيپولوتوس الطاهر العفيف ... البار بوالده ... المخلص لزوجة والده مهما بدر منها ... سكت هيپولوتوس ... طلب ثسيوس من ولده أن يدافع عن نفسه ... لم ينطق الابن بكلمة واحدة ... كلمة واحدة من هيپولوتوس كان من الممكن أن تبعث الشك فى نفس ثسيوس ... صمته التام أكد ثقة ثسيوس فى صحة رواية زوجته فايدرا ... إنطلق ثسيوس يلعن ولده هيپولوتوس ... ثسيوس هو ابن الإله پوسيدون الذى أنجبه من أيثرا ... هو ابن بالتبنى لأيجيوس الزوج الشرعى لأيثرا ... منح الإله پوسيدون لولده ثسيوس هدية يستخدمها فى وقت الأزمات ... ثلاث دعوات من ثسيوس إلى پوسيدون ... [٦٣] أيًّا كان نوع الدعوات ... وعد پوسيدون ولده ثسيوس أن يجيب دعواته الثلاث على الفور ... إستنفد ثسيوس دعوتين من هذه الدعوات الثلاث قبل عودته من عالم الموتى إلى قصره فى أثينا ... لم تبق سوى دعوة واحدة ... أطلقها ثسيوس على ولده هيپولوتوس أثناء ثورة غضبه العارمة ... دعى ثسيوس الإله پوسيدون أن يصرع هيپولوتوس بخيوله البحرية الشرسة[٦٤] ... إنطلق هيپولوتوس نحو الخارج مسرعاً ... صامتاً ... ودعوة والده الغاضب تدوى فى أذنيه ...

إنطلق هيپولوتوس إلى خارج المدينة ... وهو يلعن أرض وطنه ... ويذكر اسم والده عدة مرات ... يذكره بالخير ... فهو ولد برىء لوالد مخدوع ... سار هيپولوتوس بجزاء ساحل البحر ... [٦٥] البحر هادىء ... السماء صافية ... فجأة هبت عاصفة هوجاء ... هاج البحر ... إرتفعت الأمواج ... فجأة خرج من بين الأمواج وحش شرس ... ثور يرفع رقبته داكنة الزرقة إلى أعلى ... يطلق عرفه طويلاً فوق جبهة خضراء ... أذناه الشعثاوتان منتصبتان ... لون عينيه متغيّر ... تارة مثل لون عينىْ قائد قطيع مفترس ... وتارة أخرى مثل عينىْ مخلوق ولِد وسط الأمواج ... تارة تبعث عيناه بألسنة من اللهب ... وتارة تبعث بشعاع أزرق متميز...

(٦٣) Easterling, Op. Cit., p. 29.

(٦٤) Plutarch, Parallel Stories, 34; Servius on Vergil's Aeneid, vi, 445.

(٦٥) راجع الوصف الرائع لمصرع هيپولوتوس عند كل من يوريپيديس وسنيكا : Euripides, Hippolytus, 1173-1247; Seneca, Phaedra, 1000-1115.

http://www.al-maktabeh.com

رقبته الضخمة تحملها عضلات قوية ... فتحتا أنفه الواسعتان تزأران بأعمدة هواء الزفير ... صدره ولُغْده لونهما أخضر بما يحملان من طحالب عالقة ... خصره الممتد مزركش بالعشب البحرى قرمزى اللون ... ظهره يرتبط بمؤخرته فى هيئة وحش مخيف ... الوحش الضخم يسحب خلفه بقية جسمه الهائل المغطى بالحراشيف ... خرج الوحش من البحر ... هاجم اليابسة ... تفرّق كل البشر ... سيطر عليهم الخوف ... إلا هيپولوتوس ... قابل الموقف بشجاعة باهرة ... أمسك بسيور لجام خيول عربته ... أخضع الخيول المذعورة ... حثّهم بنغمة صوته المشجعة ... وقف الوحش فى شراسة فى مواجهة الخيول المنزعجة ... هبّ هيپولوتوس واقفاً فوق عربته مهدداً الوحش بنظرة لاتقل شراسة ... حاول هيپولوتوس أن يسيطر على الخيول ... تقطعت السيور التى تربط الخيول بالعربة ... تخلّصت الخيول من عبوديتها ... حاولت انتزاع النير بعيداً عن رقابها ... نهضت على أرجلها الخلفية ... ألقت بهيپولوتوس على الأرض ... إلتفّ جسده بسيور اللجام المعلّقة ... كلما قاوم إلتفّت السيور المعلقة حوله بمزيد من العقد ... إرتطم رأس هيپولوتوس بالصخور ... شوهت الصخور الصلبة وجهه الجميل ... مزّقت جسده الفارع ... إنتشرت أشلاؤه على الشاطىء ... (٦٦) تجمع الأهالى حول جثة هيپولوتوس الممزقة ... نظرت إليه الربة أفروديتى فى عليائها ... قهقهت قهقهة مدوية ... لقد قررت الربة أفروديتى الانتقام ... وانتقام الآلهة شديد ...

* * * * * *

إتفقت الروايات جميعاً على أن فايدرا عشقت هيپولوتوس وأن هيپولوتوس استنكر عشقها له ورفض توسلاتها إليه ... إتفقت الروايات جميعاً على أن الربة أفروديتى هى التى أشعلت لهيب الرغبة فى جسد فايدرا نحو هيپولوتوس انتقاماً منه لتبجيله للربة أرتميس واحتقاره للربة أفروديتى ... إختلفت الروايات حول كيفية معرفة هيپولوتوس بحب فايدرا له ... قيل إن فايدرا هى التى صارحت هيپولوتوس بحبها وجهاً لوجه ... (٦٧) قيل أيضاً إن المربية هى التى كشفت لهيپولوتوس عن

(٦٦) Pausanias, ii, 32, 8; Euripides, Hippolytus, 1193 sqq.; Ovid, Metamorphoses, xv, 506 sqq.; Diodorus Siculus, iv, 62.

(٦٧) Seneca, Phaedra, 636 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

حقيقة مشاعر فايدرا ... (٦٨) قيل إن فايدرا بعثت برسالة مكتوبة إلى هيپولوتوس تعترف فيها بحبها ... (٦٩) وقيل أيضاً إنها علقت الرسالة المكتوبة فى معصمها بعد انتحارها لكى يقرأها ثسيوس ... (٧٠) إختلفت الروايات أيضاً حول كيفية معرفة ثسيوس بجريمة هيپولوتوس الزائفة ... قيل إن فايدرا هى التى أخبرت ثسيوس قبل انتحارها ... أو أنه قرأ رسالتها المكتوبة المعلقة فى معصمها بعد انتحارها ... إختلفت الروايات حول التفاصيل ... النتيجة واحدة ... هامت فايدرا بهيپولوتوس حباً وعشقاً ... استنكر هيپولوتوس حبها وعشقها ... إتهمته باغتصابها أو محاولة إغتصابها ... إنتحرت ... غضب ثسيوس من ولده ... لعنه ... لقى الولد مصرعه ظلماً وغدراً ...

وصلت أنباء مصرع هيپولوتوس إلى والده ثسيوس فى أثينا ... شكر ثسيوس والده پوسيدون لأنه استجاب لدعوته ... جاء أتباع هيپولوتوس بجثمانه الممزق المشوه إلى قصر والده ... رفض ثسيوس مجرد النظر إلى أشلاء ولده العاق الخائن الدنس ... إعتقد الإغريق أن النظر إلى جثة شخص دنس تدنّس الناظر إليه ... فجأة بزغ فى ساحة القصر ضوء وهاج ... أضاء كل أرجاء القصر ... ظهرت الربة أرتميس فوق الرءوس ... شدَّ ظهورها انتباه كل الحاضرين ... تحدثت الربة أرتميس ... أنصت الجميع لكلماتها ... لقد قتل ثسيوس ولده دون وجه حق ... صدق رواية كاذبة من زوجته ... كشفت الربة أرتميس لثسيوس حقيقة الأمر ... هيپولوتوس طاهر نقى ... لم يرتكب جريمة فى حق والده ... فايدرا امرأة فاضلة مخلصة ... لم ترتكب جريمة فى حق زوجها ... كذبت على زوجها كى تصون كرامتها وتموت حسنة السمعة ... صانت شرف زوجها أثناء غيابه ... قاومت سهام الرغبة التى أمطرتها بها الربة أفروديتى ... قاومت حتى النهاية ... المربية العجوز الشريرة هى التى أخبرت هيپولوتوس ... المربية العجوز هى أسُّ الجريمة ... ثسيوس أيضاً ارتكب جريمة شنعاء ... تهور ... تسرع ... سيطر عليه الغضب ... لم ينتظر ... لم يترو ... لم يحقق فى الأمر على مهل ... بل طفق يوجه إلى ولده هيپولوتوس أقذع الاتهامات ... دعى والده پوسيدون أن يقضى على هيپولوتوس ... هو يعلم تماماً أن والده پوسيدون

(٦٨) Euripides, Hippolytus, 582 sqq.

(٦٩) Ovid, Heroides, iv, 67 sqq.; Pausanias, i, 18, 5.

(٧٠) Euripides, Op. Cit., 856 sqq.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (١٨) :

أرتميس ربة الصيد والتقشف .

مكتبة المهتدين الإسلامية

قد منحه الاستجابة لدعوات ثلاث ... وأنه قد استنفذ دعوتين منهما ... ولم يبق سوى دعوة واحدة ... كان عليه أن يتروى ... يتمهل ... يفكر جيداً قبل أن ينزل اللعنة الثالثة والأخيرة على ولده ... أتاح ثسيوس لأفروديتى فرصة الانتقام من هيپولوتوس ... وانتقام الآلهة شديد ... أحس ثسيوس بالندم ... فقد ولده ... نور عينيه ... لم يبق أمامه سوى أن يعفو عنه ... أن يبكيه ... أن يجمع أشلاءه بيديه... يقبِّل أطرافه فى مودة وحب ... ويقدم على جثمانه الطاهر الشعائر الجنائزية الواجبة(٧١) .

* * * * * *

تلك هى أسطورة فايدرا ابنة مينوس وپاسيفاى ... زوجة الملك ثسيوس ابن أيثرا... فايدرا التى عشقت هيپولوتوس ابن زوجها ثسيوس ... الذى أنجبه من الأمازونية هيپوليتى ... فى أغلب أساطير العالم نجد قصة الزوجة التى تعشق ابن زوجها أو الشقيق الأصغر لزوجها ... (٧٢) إنتشرت مثل هذه الأسطورة بين ثنايا الأدب المصرى القديم والأدب الروسى والتراث الأيرلندى والأيسلندى وفى القصص الشعبية الإيطالية والإغريقية (٧٣) ... تمثل أسطورة فايدرا جزءاً من مجموعة الأساطير التى تناقلها الإغريق عن ثسيوس أحد الملوك الأسطوريين لأثينا (٧٤) ... شدت الأسطورة انتباه الأدباء والفنانين على مدى العصور المتتالية . نظم الشاعر الإغريقى يوريپيديس فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد تراچيدتين الأولى بعنوان هيپولوتوس المقنَّع والثانية بعنوان هيپولوتوس المتوَّج ... كما نظم زميله سوفوكليس تراچيديا ثالثة بعنوان فايدرا ... لم تصلنا سوى شذرات قليلة من التراچيديتين الأولى والثالثة ، بينما وصلنا نص الثانية كاملاً . فى القرن الرابع ق.م. كتب أسكلبيا ديس التراجيلوّسى مؤلفاً بعنوان Τραγῳδούμενα حيث يروى أسطورة

(٧١) عن المتاعب التي قابلها ثسيوس بعد ذلك وحتي وفاته أنظر علي سبيل المثال : Rose, Op. Cit., pp. 266-267; Graves, Op. Cit., Vol. I, pp. 366-369.

(٧٢) Coffey, Seneca Phaedra, pp. 5 sqq.

(٧٣) Thompson, Motif - Index of Folk Literature, Vol. I, p. 286.

(٧٤) أنظر كتابنا : يوريبيديس ، ص٨٢ ومابعدها ؛ سنيكا ، ص٥٩ ومابعدها .

http://www.al-maktabeh.com

فايدرا ... (٧٥) كما وردت الأسطورة أيضاً عند كل من پاوسانياس وأپوللودوروس (٧٦). وفى العصر السكندرى كتب ليكوفرون مسرحية بعنوان هيپولوتوس . وفى العصر الرومانى نظم سنيكا تراچيديا بعنوان فايدرا . ألهمت الأسطورة عدداً لابأس به من الرسامين والمثالين فى العصور القديمة . ـ پلينيوس الأكبر لوحة رائعة تصور إنزعاج هيپولوتوس عندما هاجمه الثور البحرى (٧٧) . صورت بعض الأوانى الفخارية نفس المشهد (٧٨) . تحفظ بقايا مدينة پومبىء أكثر من لوحة واحدة تصور فايدرا وهى تتوسل إلى هيپولوتوس ، وأخرى تصور المربية وهى تركع عند ركبتى هيپولوتوس ، وثالثة وجدت فى روما ويرجع تاريخها إلى القرن الثانى الميلادى وتصور انتحار فايدرا ، ولوحات أخرى كثيرة .

فى إيطاليا تناول بوكاتشيو Boccaccio (١٣١٣–) شخصية ثسيوس فى ملحمته الرائعة بعنوان Teseida أى قصص عن ثسيوس . تلك الملحمة التى تعتبر من أقدم الملاحم التى ظهرت فى أوروبا فى العصور الحديثة إن لم تكن أقدمها والتى يبلغ عدد أبياتها ٩٨٩٦ بيتاً .

فى فرنسا نظم فيليب كوينو Philippe Quinault (١٦٣٥–١٦٨٨) تراچيديا غنائية فى خمسة فصول بعنوان ثسيوس Thésée حيث وضع موسيقاها الموسيقار لوللى Lulli وعرضت لأول مرة فى عام ١٦٧٥ . ثم كتب چان راسين Jean Racine (١٦٣٩–١٦٩٩) تراچيديا بعنوان فايدرا Phédre عرضت لأول مرة فى عام ١٦٧٧ . كما كتب فى نفس العام بيقولاس پرادو Nicolas Pradon (١٦٣٢–١٦٩٨) تراچيديا بعنوان فايدرا وهيپولوتوس Phédra et Hippolete لينافس بها تراچيديا راسين . كما كتب الناقد الروائى والكاتب المسرحى أندريه چيد André Gide (١٨٦٩–١٩٥١) – الذى حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٤٧– رواية نثرية بعنوان ثسيوس Thésée وظهرت فى عام ١٩٤٦ .

فى بريطانيا كتب إدموند سميث Edmond Smith فى عام ١٧٠٦ تراچيديا

(٧٥) Jacoby, Fragmente der Griechschen Historiker, I, 12.

(٧٦) Pausanias, i, 22, 2; Apollodorus, Epitome, i, 18-19.

(٧٧) Pliny, Natural History, 35, 114; cf. 99.

(٧٨) Trendall, Illustrations of Greek Drama, pp. 88-89.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بعنوان Phaedra and Hippolutus وهى إعداد لتراچيديا فايدرا لدراسين . فى عام ١٧٣٣ وضع چان فيليب رامو Jean Philippe Rameau (١٦٨٣-١٧٦٤) موسيقى أوبرا هيپوليت وأريسى Hippolyte et Aricie من تأليف القديس پلليجرين Abbé Pellegrin . فى عام ١٨٧٣ وضع چول مارسينيه Jules Marssenet (١٨٤٢-١٩١٢) إفتتاحية موسيقية لتراچيديا فايدرا لراسين ، وفى عام ١٩٠٠ وضع موسيقى الخمسة أجزاء الأخرى للتراچيديا . فى عام ١٩٢٦ وضع آرثر هونيجر Arthur Honegger الموسيقى التصويرية لنص فايدرا Fedra لمؤلفها دانونزيو D'Annunzio . فى عام ١٩٥٠ وضع چورچ أوريك George Auric موسيقى لباليه تراچيديا من تأليف چان كوكتو Jean Cocteau (١٨٩٢- ١٩٦٣) . فى عام ١٩٧٥ وضع بنيامين بريتين Benjamin Britten (١٩١٣-١٩٧٦) لحناً لترجمة فيدر لراسين التى قدمها روبرت لوويل Robert Lowell وعرضت فى العام التالى .

هكذا كانت - ومازال - أسطورة فايدرا وهيپولوتوس مصدراً لاينضب لإلهام الأدباء والشعراء والفنانين على مدى العصور القديمة والحديثة والمعاصرة .

* * * * * *

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

إيـــون

جلس إيون بين المحتفلين .. فجأة ظهر شيخ مسنّ ... تقدم وسط المحتفلين ... تظاهر بالسرور والفرح ... هنأ إيون.. صافحه في حرارة ومودة ... طفق يساعد الخدم في إعداد الشراب ... صمم على أن يُقدِّم الكأس بنفسه إلى إيون ... وضع قطرات من السم خلسة في الكأس ... تقدم يحمل الكأس ... سلّمه إلى إيون ... أخذه إيون ... هَمّ أن يلمس الكأس شفتيه ... فجأة ... نطق أحد الخدم بلفظ اعتبره إيون فألاً سيئاً ... تردد إيون ...

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

إيـــــون

ديوكاليون ... بطل الفيضان الشهير ...[١] أنجب ثلاثة أبناء ... أورثيوس ملك اللوكريين ... وأمفيكتيون الذى كان نديماً للإله ديونوسوس وأول من فكّر فى خلط النبيذ بالماء ... وهيللين أكبرهم وأشهرهم والذى أصبح فيما بعد الجد الأكبر للإغريق[٢] .

تزوج هيللين أورسيس واستقر فى ثساليا[٣]... أنجب هيللين ثلاثة أبناء ... دوروس وكسوثوس وأيولوس ... هاجر الابن الأصغر دوروس إلى منطقة جبال پارناسوس ... وأصبح الجد الأكبر للجنس الدورى ... هرب الابن الثانى كسوثوس إلى أثينا ... تزوج من كريوسا ابنة إريخثيوس ... أنجب منها ولدين ... إيون وأخايوس... أصبح إيون الجد الأكبر للجنس الأيونى ... أصبح أخايوس الجد الأكبر للجنس الآخى ... خلف إيولوس والده هيللين وأصبح ملكاً على ثساليا ... وأصبح الجد الأكبر للجنس الأيونى ... هكذا يعتبر هيللين الجد الأكبر لمعظم الجنسيات الإغريقية المختلفة : الأيونية والأيولية والدورية والآخية ...[٤] .

پانديون ... ملك أثينا ... ترك بعد موته التوأم بوتيس وأريخثيوس ... إقتسم التوأم السلطة فيما بينهما ... أصبح بوتيس كاهناً فى خدمة الربة أثينة والإله پوسيدون[٥] ... تزوج أريخثيوس پراكسيثيا ... أنجبت له أربعة أبناء ... من بينهم خليفته على عرش أثينا كيكروپس ... أنجبت له أيضاً سبع بنات ... پروتوجونيا وپاندورا وپروكنيس التى أصبحت فيما بعد زوجة كيفالوس ... وكريوسا وأوريثيا

(١) Grant, Myths of The Greeks And Romans, p. 353; Guerber, Myths of Greece and Rome, pp. 24 sqq.

(٢) Pausanias, x, 38, 1, Eustathius on Homer, p. 1815; Apollodorus, i, 7, 2.

(٣) Apollodorus, i, 7, 3.

(٤) Herodotus, i, 56; Pausanias, viii, 1, 2.

(٥) Ovid, Metamorphoses, vi, 675 sqq.; Apollodorus, iii, 15, 1.

http://www.al-maktabeh.com

وخـثـونيـا ... التى تزوجت من عـمـهـا بوتيس ... وأُوتِّيـونيـا ... وهى الابنة الصغرى(٦)...

إتهم كل من دوروس وإيولوس شقيقهما الثالث كسوثوس بالسرقة. أرادا أن يقدماه للمحاكمة ... فشل كسوثوس فى الدفاع عن نفسه ... فضل الهرب من ثساليا... ذهب إلى أثينا ... هناك استقبله الملك أريخثيوس ... (٧) تزوج الأمـيـر الهارب كسوثوس كريوسا ابنة مضيفه أريخثيوس ملك أثينا ... (٨) قضى كسوثوس وكريوسا حياة زوجية سعيدة ... مرت الأعوام العديدة ولم تنجب كريوسا... كانت تشتاق لذرية تشعرها بالأمومة ... تملأ عليها حياتها مع كسوثوس بالسعادة ... لم يحدث ذلك ... كريوسا ليست عاقراً ... لقد أنجبت طفلاً قبل زواجها من كسوثوس... لكنها حرمت منه ... حرمها منه والده ... لم يكن والده سوى الإله أبوللون ...

ذات ليلة بينما كانت كريوسا فتاة فى ريعان الشباب ... تمرح بالقرب من كهف يقع بالقرب من معبد الإله أبوللون فى دلفى ... تجمع الزهور فى سلة جميلة الصنع ... ناداها صوت من بعيد ... إ... إلى الصوت وأ... ... صوت ... من داخل الكهف المهجور ... ناداها الصوت باسمها ... إتجهت نحو مصدر الصوت... اقتربت من الكهف ... إقتربت من مصدر الصوت ... صوت ينبعث من داخل الكهف يناديها باسمها ... دخلت كريوسا الكهف المظلم المهجور ... فجأة بزغ شعاع من النور أضاء الكهف بأكمله على اتساعه ... ظهر الإله أبوللون أمامها وجهاً لوجـه ... (٩) ظهر أمامها صاحب نبوءة دلفى الشهيرة ... الإله أبوللون عازف القيثارة الماهر ... رامى السهام البارع ... الذى يعلم الماضى ويدرك الحاضر ويتنبأ بالمستقبل ... تجلى لها الإله أبوللون فى هيئة شاب وسيم ... إقترب منها .. مد يده نحوها ... قادها إلى أعمق أعماق الكهف ... إنقادت كريوسا للشاب الوسيم أبوللون... لم تحاول المقاومة... ظلت فى أحضان الشاب الوسيم أبوللون حتى الصباح ... إختفى

(٦) Ovid, Loc. Cit.; Suidas s.v. Parhenoi; Apollodorus, Loc. Cit.; Hyginus, fabula 46.

(٧) Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 158.

(٨) Euripides, Ion, 293 sqq.

(٩) Ibid. 881 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أبوللون مع بزوغ فجر ذلك اليوم المشهود ... عادت كريوسا إلى قصر والدها الملك أريختيوس وهى تحمل فى أحشائها جنيناً مباركاً ...(١٠) أخفت كريوسا عن والدها وأقاربها الكارثة التى حلت بها ... ظلت تتردد على معبد الإله أبوللون فى دلفى ... تقترب من الكهف المهجور ... كان الأمل يراودها أن تلتقى بعشيقها الشاب الوسيم أبوللون ... تسأله عن مصير جنينها الذى بدأ يتحرك فى أحشائها ... فى كل مرة كانت تعود خائبة كسيرة حزينة ... إختفى الشاب الوسيم أبوللون ... إختفى شعاع الضوء الذى انبعث ذات ليلة فى الكهف ... عاد الكهف مظلماً كما كان قبل أن يضيء أبوللون كل أرجائه المظلمة ... إستولى عليها اليأس ... لقد خدعها الإله أبوللون ... كلما همَّت بمصارحة والدها أريختيوس منعها الخجل والحياء ...

ذات يوم أحسَّت كريوسا بآلام المخاض ...(١١) أسرعت نحو معبد الإله أبوللون فى دلفى ... طفقت تنادى بأعلى صوتها ... تبعث بالآهات والصرخات ... آهات ألم المخاض ... صرخات الاستغاثة بالإله ... فجأة إنبعث شعاع من الضوء داخل الكهف... ناداها الإله أبوللون ... أمرها أن تدخل الكهف ... دخلت كريوسا ... أمرها أن تكفَّ عن الآهات والصرخات... طمأنها ... لن ينسى الإله أبوللون فتاته أبداً ... لن يفرط فى ولده فلذة كبده ... سوف يتستَّر الإله أبوللون على مافعل ... ما على كريوسا إلا أن تضع مولودها ... إنه مولود ذكر ... سوف يكون له شأن عظيم فيما بعد ... لن تحمل كريوسا همَّ تربية مولودها ... عليها فقط أن تدثِّره فى ثياب طفل وليد ... أن تضعه فى سفط ... ثم تضع السفط وبداخله المولود أمام بوابة المعبد... (١٢) معبد الإله أبوللون فى دلفى ... ثم تتركه ... سوف يحافظ عليه الإله ... سوف يتعهده بالتربية والرعاية ... سوف تعود كريوسا إلى قصر والدها أريختيوس سالمة ... سوف لاتخبر أحداً بما حدث ... أحست كريوسا بالطمأنينة ... و[illegible] وليدها فى سهولة ويسر ... فعلت مثلما أمرها عشيقها الإله أبوللون ... ثم عادت إلى قصر والدها أريختيوس وكأن شيئاً لم يكن ...

(١٠) Ibid. 10 sqq.

(١١) Hamilton, Mythology, p. 274.

(١٢) قارن : Euripides, Op. Cit., 28 sqq حيث يروي أن كريوسا وضعت الطفل في منزلها ، ثم حمله رسول الآلهة هرميس إلي المعبد .

http://www.al-maktabeh.com

ومرّت الأعوام ... تزوجت كريوسا من الأمير الهارب كسوثوس ... (١٣) لم تشأ أن تخبره شيئاً عن ماضيها ... أخفت عنه لقاءها بالإله أپوللون ... ظلت تنتظر أن تصبح أمّاً لوليد من زوجها كسوثوس ... لكنها لم تكن تنسى أبداً وليدها ... وليدها الذى تركته عند بوابة معبد الإله أپوللون فى دلفى ... كانت واثقة من رعاية الإله أپوللون له ... واثقة أنه سوف يردّه إليها فى يوم من الأيام ... يردّه إليها شاباً يافعاً أو رجلاً مكتمل الرجولة ... لم يكن كسوثوس سعيداً فى حياته مع كريوسا دون ذرية ... كان يهفو إلى أن يذوق طعم الأبوة ... نصحه الأقربون بالذهاب إلى نبوءة الإله أپوللون فى دلفى ... نبوءة الإله أپوللون قادرة على التنبؤ بما سيكون ... سوف يسأل كسوثوس النبوءة أن ترزقه بذرية صالحة ... عرض الفكرة على زوجته كريوسا ... ترددت فى بادىء الأمر ... سرت فى جسدها رعشة عندما سمعت حديث كسوثوس ... ربما يكون زوجها كسوثوس قد علم بسرّ لقائها بالإله أپوللون ... ناقشته فى الأمر ... إكتشفت أنه لايعلم عن ذلك اللقاء شيئاً ... وافقت كريوسا على الفور... قررت الذهاب معه لمعرفة رأى النبوءة ... عسى أن تعرف هى أيضاً شيئاً عن ولدها الغائب ... عسى أن يردّ الإله أپوللون إليها ولدها بعد طول غياب ... عندئذ سوف تكون فرحة كريوسا فرحتين ... فرحة استرداد ولدها الغائب ... وفرحة حصول زوجها كسوثوس على ذرية ...

* * * * * *

بدأت رحلة كسوثوس وكريوسا وبعض رفيقاتها إلى دلفى ... أسرعت الرفيقات مباشرة نحو معبد الإله أپوللون ... بهرتهن النقوش والرسوم والزخارف التى تزين جدران المعبد من الخارج ... بينما تسيطر عليهن الدهشة خرج من المعبد فتى يافع ... بدأ الفتى فى مناجاة الإله أپوللون ... بدأ يتغنّى بروعة الآلهة ... يمسك الفتى بيده مكنسة مصنوعة من أغصان الآس المقدسة ... بدأ عمله اليومى ... يكنس بمكنسته الساحة الواسعة أمام مدخل المعبد ... إنه فتى نشأ فى ساحة المعبد ... تربّى فى أحضان كبيرة كاهنات المعبد ... وهب حياته لخدمة الإله الذى نشأ فى كنفه ... يعتبر الإله أپوللون حاميه ووالده الروحى ... ترى رفيقات كريوسا الفتى الورع ... يوجهن إليه بعض الأسئلة التى تكشف عن جهلهن بالمكان ... عندئذ تدركهن

(١٣) Rose, Greek Mythology, p. 268.

مكتبة المهتدين الإسلامية

سيدتهن كريوسا ... تجد كريوسا نفسها وجها لوجه أمام معبد الإله أپوللون ... تتذكر على الفور قصتها الحزينة ... تعود إليها ذكريات تلك الليلة البائسة ... حيث كان لقاؤها مع الإله أپوللون ... تتذكر ولدها الذى أنجبته ... وتركته فى رعاية الإله...[14] يسيطر عليها الحزن ... حزن امرأة ثكلى فقدت وليدها فى ليلة ولادته ... تنحدر الدموع حارة من عينيها ... تبلل خديها ... تقف حزينة ملتاعة صامتة لاتحسّ بشىء مما يدور حولها ... يقع نظر الفتى الورع على تلك السيدة الأجنبية الحزينة ... يسأل رفيقاتها عنها ... يعلم أنها سليلة مجد وسلطان ... سليلة أسرة أريخثيوس ... أثينية عريقة ... تنهض فى صدر الفتى غريزة حب الاستطلاع ... يتجه نحوها ... يسألها عن سبب حزنها ... عن سبب بكائها ... عن مصدر الدموع التى تنحدر فوق وجنتيها ... تفيق الأم الثكلى من توهتها ... تعود إلى نفسها ... يكرر الفتى السؤال ... تصمت الأم الثكلى ... ماذا تقول ... بم تجيب ... لايعلم سبب بكائها وحزنها سوى الإله أپوللون ... إنها ما زالت تخفى مأساتها عن زوجها ورفيقاتها وكل أفراد أسرتها ... يكرر الفتى خادم المعبد السؤال ... لماذا تبكين أيتها المرأة وأنت تشاهدين معبد الإله أپوللون ... كل من يأتى إلى المعبد ينشرح صدره وتبدو على وجهه علامات الرضا والسرور ... إلا كريوسا ... تحاول كريوسا أن تهرب من الإجابة ... إنها تشعر بالخجل من الإفصاح عن حقيقة علاقتها بالإله أپوللون ... عن فقدها لوليدها الذى وعدها الإله أن يرعاه ... تحاول كريوسا أن تهرب من الإجابة ... تتظاهر بأنها تريد أن تعرف هوية ذلك الفتى الورع خادم المعبد ... يروى لها الفتى قصته ... إنه لايعرف لنفسه أمّاً أو أباً ... شبّ عن الطوق ليجد نفسه خادماً فى المعبد ... تتعهده كبيرة الكاهنات فى معبد الإله ... يعتبرها والدته ... سعيد فى حياته ... يقوم بخدمة الإله فى سعادة وسرور ... يعيش على الهدايا والهبات التى يمنحها إياه زوار المعبد ... لايعرف لنفسه أسرة ولاوطناً ... هنا تحاول كريوسا إخفاء مأساتها ... تدّعى أنها حزينة من أجل صديقة لها ...[15] عاشرها الإله أپوللون ... أنجبت له ولداً ... إدّعى الإله أنه سيربّيه ويتعهده

(١٤) Whitman, Euripides And The Full Circle of Myth, pp. 71 sqq.

(١٥) Hamilton, Op. Cit., p. 275.

http://www.al-maktabeh.com

بالرعاية ... لكن صديقتها لاتعلم عن وليدها شيئاً ... إن حالة صديقتها تشبه حالة والدة الفتى الورع خادم المعبد... (١٦) .

يظهر كسوثوس ... ينقطع الحديث بين الفتى خادم المعبد وكريوسا ... يظهر كسوثوس سعيداً ... لقد بشرته نبوءة الإله أنه لن يعود إلى أثينا إلا وقد حصل على ولد... سوف يذهب مرة أخرى إلى داخل المعبد ليحضر احتفالاً أقيم تكريماً للإله أپوللون ... تضطرب كريوسا لظهور كسوثوس ... تطلب من الفتى خادم المعبد ألايخبر كسوثوس بالقصة الزائفة التى روتها له عن صديقتها ... غادر كسوثوس الساحة ... ذهب إلى داخل المعبد ... علّه يحصل على معلومات أكثر تفصيلاً عن الولد الذى سوف يمنحه الإله إياه ... ربطت كريوسا فى خيالها بين قصتها ونبوءة الإله أپوللون ... تخيلت أن الإله قد حافظ على حياة وليدها ... رعاه ورباه ... تأكدت أنه سوف يفصح لزوجها كسوثوس عن هوية الولد الذى سوف يمنحه له ... ترك الفتى خادم المعبد الساحة ... دخل إلى المعبد ليباشر بقية أعماله فى الداخل بعد أن انتهى من مباشرتها فى الخارج ... ترك كريوسا تتأرجح بين الشك واليقين ... تتخبط بين اليأس والأمل ... كل مايعرفه الفتى عن حقيقة أمرها هو أنها حزينة من أجل صديقتها ... لم تستطع كريوسا المكوث طويلاً خارج المعبد ... أرادت أن تعرف هى أيضاً رأى الإله فيما يتعلق بوليدها الذى تركته رغم إرادتها فى حماية والده الإله أپوللون ... تركت ساحة المعبد ... إتجهت نحو الداخل ... نحو المحراب المقدس ... وهى تشكو من ظلم الآلهة ...

إنتهى الفتى خادم المعبد من ممارسة بقية أعماله داخل المعبد ... عاد إلى الساحة... مازال يفكر فى تلك المرأة الحزينة التى تتهم الإله أپوللون بأنه اغتصب صديقتها ... وأنجب منها ولداً ... وهى لاتعلم عنه شيئاً ... أحس الفتى بالشفقة نحوها ... لكنه رفض فى نفس الوقت فكرة أن يكون الإله أپوللون ظالماً ... خرج الفتى إلى ساحة المعبد يسأل رفيقاتها عنها ... لقد دخلت كريوسا المعبد غاضبة لتطوف بالمحاريب المقدسة ... عساها أن تعرف شيئاً عن مصير ابن صديقتها ... أو فى حقيقة الأمر عن ولدها ... سأل الفتى عن كسوثوس أيضاً ... عساه أن يكون قد حصل على معلومات أكثر تفصيلاً عن الذرية التى وعدته بها نبوءة الإله أپوللون ... لم يجد الفتى كريوسا ... لم يجد أيضاً كسوثوس ... فجأة خرج كسوثوس من المعبد

(١٦) Lesky, Greek Trogedy, p. 183.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مهللاً سعيداً ... تعلو ملامح وجهه علامات البشر والسرور ... أسرع دون أن يلوى على شيء نحو الفتى خادم المعبد ... ناداه فى نبرات ملؤها السعادة والفرح ... ولدى!! (١٧) أنت ولدى ... أهلاً بك ياولدى الحبيب ... سيطرت الدهشة على الفتى خادم المعبد ... إتهم كسوثوس بالجنون ... حاول كسوثوس أن يحتضنه ... فرَّ منه غاضباً ... إقترب كسوثوس منه ... إزداد الفتى بعداً عنه ... هدده ... إذا لم يتراجع عن هذ الجنون فسوف يرديه قتيلاً بسهم من السهام التى يحملها فوق كتفه ... نصحه كسوثوس أنه إذا قتله فإنما يكون قد قتل والده ... لاحظ الفتى خادم المعبد إصرار كسوثوس ... لاحظ تصميمه ... أكد كسوثوس أن الإله أبوللون أخبره أن أول من يقابله عند خروجه من المعبد هو ابنه ... وهاهو يقابل الفتى خادم المعبد ... هو إذن ولده ... منحه الإله أبوللون إياه ... صدّق الفتى خادم المعبد كسوثوس ... فالإله أبوللون لايكذب ... سوف يسمى كسوثوس ولده «إيون» ... «إيون» لفظ معناه «الذى يأتى» ... أراد الفتى أن يزداد علماً ببعض تفاصيل مولده ... أخبره والده أنه منذ عدد من السنين ... يساوى تقريباً عدد سنين عمر الفتى ... حضر كسوثوس الاحتفال بأعياد الإله ديونوسوس ... تلك الأعياد التى كانت تقام ليلاً فى الغابات ... حيث كان يلتقى الفتيان والفتيات تحت جنح ظلام الليل ... كان ذلك قبل أن يتزوج كريوسا ... حين كان شاباً يافعاً ... إقتنع الفتى خادم المعبد بتفسير كسوثوس لما يحدث ... تأكد أنه والده ... إرتمى الولد فى أحضان الوالد ... تعانق الإثنان ... أصبح كسوثوس ينادى ولده باسم إيون ... هللت رفيقات كريوسا فرحاً ... لقد أصبح لسيدهن ولد ... وبالتالى أصبح لسيدتهن أيضاً ولد ... سوف يعود الزوجان إلى أثينا وهما ينعمان بهدية الإله أبوللون ... فجأة توقف الفتى إيون عن الحديث ... تساءل ... ياترى منْ تكون أمه ... لقد عثر على والده ... يبقى أن يعثر على والدته ... لكن كسوثوس لم يكن يفكر فيمن أنجبت له إيون ... كل مايهمه أن يكون له ولد ... ذرية ترث الملك من بعده ... فلتكن والدته منْ تكون ... ليس هناك وقت للبحث ... يجب أن يصطحب ولده إلى داخل المعبد لكى يواصل الإثنان الإحتفال بأعياد الإله أبوللون ... لكى يقدما للإله فروض الحمد والعرفان ... ثم يستعد الإثنان للعودة إلى أثينا ...

* * * * * *

---

(١٧) Whitman, Op. Cit., p. 81 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

غادر كسوثوس وولده إيون ساحة المعبد ... إختفى الإثنان داخل المعبد ... أنهت كريوسا جولتها الغاضبة حول المحاريب المقدسة ... حيث حاولت أن تعرف شيئاً عن وليدها الذى تركته فى رعاية الإله أپوللون ... لم تظفر كريوسا بشىء يطفىء لهيب غضبها ... غادرت المحاريب غاضبة من الإله أپوللون الذى تنكر لها ولولدها ... عادت إلى ساحة المعبد حيث تركت رفيقاتها ... عادت يرافقها مربّيها الشيخ ... تشكو له من ظلم الآلهة دون أن تفصح له عن السبب الحقيقى لشكواها ... سألت رفيقاتها عن كسوثوس. ظهر الارتباك واضحاً على وجوههن ... كررت كريوسا السؤال ... سمعت منهن إجابة زادت غضبها من الإله أپوللون ... لقد منح الإله أپوللون كسوثوس ولداً ... منحه إياه وحده دون أن يذكر الإله أپوللون كريوسا من قريب أو بعيد ... سوف تظل كريوسا – إذن – بلا ذرية ... سوف لاتصبح أماً ... سوف لاتنعم بعاطفة الأمومة ... ولن تجد كريوسا من يناديها ياوالدتى ... إشتعلت ألسنة الغضب فى صدر كريوسا ... إزداد غضبها من الإله أپوللون ... لقد منح الإله زوجها ولداً ... وحرمها من ولدها ... أطلق عليه كسوثوس اسم إيون ... إصطحبه إلى داخل المعبد ليحتفل الإثنان بتلك المناسبة السعيدة ... طار عقل كريوسا ... لم تعد قادرة على التفكير ... لم تعد قادرة على إخفاء تفاصيل قصتها البائسة ... أعلنت على الملأ كل ماظلت تخفيه طيلة السنوات الماضية ... روت للمربى الشيخ والرفيقات قصتها كاملة مع الإله أپوللون ... كيف عاشرها فى الكهف ... كيف حملت منه ... كيف و[illegible] وليدها ... كيف وعدها الإله برعايته وحمايته ... لكنه حنث بوعده ... ترك وليدها فى العراء ليدركه الموت ... مات ولدها بتدبير من الإله أپوللون ... واليوم يمنح الإله ولداً لكسوثوس ... زوجها الأجنبى ... هزت كلماتها مشاعر المربى الشيخ والرفيقات ... أحس الجميع نحوها بالشفقة ... تحدث المربى الشيخ إلى كريوسا حديثاً زاد غضبها ... لقد شعر كسوثوس أنه بلا وريث. لذا عاشر جارية من جواريه سراً ... أنجب منها طفلاً ... حمله إلى دلفى ... تركه هناك حتى يشب عن الطوق ... ثم أوعز إلى زوجته كريوسا أن تذهب معه إلى دلفى ... حتى تتاح له الفرصة لخداعها ... حتى يستعيد ولده إلى حضنه فيصبح وريثاً لعرشه ... أوغرت كلمات المربى الشيخ صدر كريوسا ... إزداد غضبها ... نصحها المربى الشيخ أن تتخلص من ذلك الفتى الدخيل ... الذى سوف ينتزع السلطة والملك من ذرية أريختيوس ... تناقش الجميع فى كيفية القضاء على ذلك الفتى الدخيل إيون ... سوف تنتظر كريوسا

مكتبة المهتدين الإسلامية

حتى يعود به زوجها إلى أثينا ... سوف تقتله هناك ... إنْ فعلت ذلك فسوف يكتشف الجميع جريمتها ... إستمرت المناقشات بين المربى والرفيقات وكريوسا ... أخيراً إستقر الرأى على التخلص من الفتى الدخيل إيون أثناء الاحتفال الذى يجرى الآن فى دلفى ... سوف يتطوع المربى الشيخ للقيام بهذه المهمة ... فهو الذى يستطيع أن يحضر الاحتفال دون أن يشك أحد فى سبب حضوره ... وسوف تذهب كريوسا إلى بيت الضيافة الملحق بالمعبد كى تكون بعيدة عن مسرح الجريمة .

* * * * * *

ذهب المربى الشيخ إلى مكان الاحتفال ... يحمل بين طيات ملابسه قطرات من السم ... وجد الجميع يشاركون فى الاحتفال ... جمع كسوثوس كل أهل دلفي لتشاركه فرحته ... أقيمت الموائد ... إمتلأت المناضد بأشهى المأكولات ... أكل المحتفلون ... شربوا كميات كبيرة من النبيذ ... ساد الفرح والسرور كل أرجاء الخيمة الواسعة التى أقامها كسوثوس ... يتوسط كسوثوس وولده إيون المحتفلين ... جاء المهنئون من كل أنحاء دلفى ... نسى كسوثوس أن يدعو زوجته كريوسا للمشاركة فى الاحتفال ... طغت الفرصة عليه ... نسى كل شىء ... إلا إبنه إيون ... سوف يعود به إلى أثينا ... سوف يشركه فى الحياة العامة ... سوف ينصبه ولياً للعهد ... سوف يرثه بعد موته ... مرّت كل هذه التخيلات فى عقل كسوثوس ... نسي كريوسا ... رفيقة حياته ... ابنة إريخثيوس ولى نعمته ... أكل الجميع وشربوا ... وقف بينهم كسوثوس يعلن استقبال ولده إيون والاحتفال بذلك الاستقبال ... لكنه لاينسى فضل الإله ديونوسوس عليه ... فمولد إيون جاء نتيجة إشتراك كسوثوس فى إحتفالات الإله ديونوسوس الليلية ... حيث إلتقى كسوثوس أثناءها بإحدى الفتيات ... الإله أپوللون هو الذى رعى إيون ورباه ... والإله ديونوسوس هو الذى كان سبباً فى وضع بذرة وليده إيون ... على كسوثوس إذن أن يقدم القرابين إلى الإله ديونوسوس فى معبده المجاور لمعبد الإله أپوللون فى دلفى ... ترك كسوثوس ولده إيون أثناء الاحتفال ... وعده بالعودة بعد تقديم فروض الشكر وآيات العرفان للإله ديونوسوس ... طلب منه مواصلة المشاركة فى الاحتفال ...

جلس إيون بين المحتفلين ... فجأة ظهر شيخ مسنٌ ... تقدم الشيخ وسط المحتفلين ... تظاهر بالسرور والفرح ... هنأ إيون ... صافحه فى حرارة ومودة ...

مكتبة المهتدين
http://www.al-maktabeh.com

طفق يساعد الخدم فى إعداد الشراب ... كان يتحرك ببطء شديد وجهد فائق نظراً لشيخوخته الواضحة ... أثار منظره ضحك بعض الحاضرين ... أعجب البعض الآخر بإخلاصه وتفانيه ... صمم الشيخ على أن يقدم بنفسه كأس الشراب إلى إيون... وضع قطرات من السم خلسة فى الكأس ... تقدم يحمل الكأس بيد مرتعشة ... سلّمه إلى إيون ... أخذه إيون ... شكر إيون الشيخ على تفانيه وإخلاصه ... همَّ أن يلمس الكأس شفتيْه... فجأة ... نطق أحد الخدم بلفظ اعتبره إيون فألاً سيّئاً ... تراجع إيون عن الشراب ... أبعد الكأس عن شفتيْه... طلب من الشيخ أن يقدم إليه كأساً أخرى ... ذهب الشيخ لإعداد كأس أخرى ليقدمها إلى إيون ... ألقى إيون بمحتويات الكأس الأولى على الأرض ... حطّت على الفور يمامة على الأرض ... أخذت ترتشف النبيذ قطرة قطرة ... هلل الحاضرون فى سرور وبهجة ... شدّ منظر اليمامة إنتباه الجميع ... سرعان ماترنّحت اليمامة ... فقدت توازنها ... ضحك الجميع فى سرور ... لقد أصبحت اليمامة ثملة تترنح ... لكن فجأة هوت اليمامة على الأرض فاقدة الحركة ... أتى السم على اليمامة بدلاً من أن يأتى على إيون. ساد الهرج والمرج بين المحتفلين ... بحث الجميع عن الشيخ الذى تطوع لتقديم الكأس إلى إيون ... قبضوا عليه ... سألوه ... لم ينطق بكلمة واحدة ... كرروا السؤال ... إستمر فى الصمت ... عذّبوه ... أخيراً اعترف الشيخ ... لقد فعل ذلك بالإتفاق مع سيدته كريوسا من أجل التخلص من الفتى الدخيل إيون ... خرج الجميع يبحثون عن كريوسا ... المجرمة ... التى دبرت جريمة قتل داخل المعبد المقدس ... جزاء جريمتها الموت ... يجب إلقاؤها من أعلى صخرة دلفى ... هذا جزاء منْ يقتل أو يدبر جريمة قتل كاهن داخل معبد من معابد الآلهة ... إنتشر الجميع يبحثون عن كريوسا ... تجولوا فى كل أنحاء منطقة دلفى ... علمت كريوسا بما حدث ... علمت أن الشيخ اعترف تحت قسوة التعذيب ... قررت الفرار ... ليس هناك وسيلة للفرار ... كل أهل دلفى يحاصرون المكان ... يبحثون عن مدبّرة الجريمة النكراء ... على رأسهم الفتى إيون ... حدث كل ذلك أثناء كان كسوثوس بعيداً عن معبد الإله أبوللون ... كان يقدم قرابين الشكر والعرفان فى معبد الإله ديونوسوس ...

أدرك أهل دلفى كريوسا فى دار الضيافة ... كانوا على وشك القبض عليها ... راوغتهم ... ضللتهم ... و[illegible] على وجهها لثاماً حتى تستطيع الفرار منهم ...

مكتبة المهتدين الإسلامية

وصلت ملثمة إلى حيث كانت رفيقاتها ... أشارت عليها رفيقاتها باللجوء إلى المحراب المقدس ... لم تكن الآلهة تسمح بقتل منْ يلجأ إلى المحراب المقدس ... فرت كريوسا ملثمة حتى وصلت إلى المحراب المقدس ... لجأت إلى محراب الإله أپوللون ... هناك أدركها إيون ورجاله المسلحون ... طلب إيون من كريوسا مغادرة المحراب المقدس... رفضت كريوسا ... إزداد تعلقها بالمحراب ... تجمع أهل دلفى بزعامة إيون حول المحراب المقدس ... تلى عليها إيون الحكم ... إن منْ يقتل أو يحاول قتل كاهن داخل المعبد جزاؤه الموت قذفاً من فوق صخرة دلفى ... حاولت كريوسا الدفاع عن نفسها ... إن إيون لم يعدْ بعد كاهناً ... أصبح ولداً لزوجها ... أصبح دخيلاً على أسرتها ... سوف يرث العرش دون وجه حق ... إن قتلها فسوف يرتكب خطيئة فى حق الإله صاحب المحراب ... ذلك الإله الذى سبق أن اغتصبها ثم تخلّى عنها وعن ولدها ... صمم إيون على انتزاعها من المحراب المقدس ... أمر رجاله المسلحين أن يدركوها ... أن ينتزعوها من المحراب المقدس بالقوة ... إزداد تشبثها بالمحراب ... أوشك الرجال المسلحون أن يدركوها ... فجأة ظهرت كاهنة الإله أپوللون الدلفية ... كبيرة كاهنات المعبد ...

* * * * * *

- كبيرة كاهنات المعبد بما حدث ...(18) عرفت أن الإله قد منح الفتى خادم المعبد ولداً إلى كسوثوس ... غادرت مكانها داخل المعبد ... خرجت إلى الساحة حيث يوجد إيون ... نصحت الفتى بعدم قتل كريوسا ... إن قتلها وهى لاجئة إلى المحراب المقدس فسوف يرتكب خطيئة فى حق الإله ... عليه أن يعفو عنها ... يتركها للإله أپوللون كى يعاقبها ... يعود مع والده كسوثوس إلى أثينا طاهر اليد ... ينعم بالأبوة التى حرم منها منذ نعومة أظفاره ... صمتت كبيرة الكاهنات لحظة ثم واصلت الحديث ... لقد عثر إيون على والده ... عليه الآن أن يبحث عن والدته ... إنطلق إيون صائحاً ... إنه لايعرف والدة له سوى كبيرة الكاهنات ... هى التى ربته ورعته ... هى أمه ... ولايعرف لنفسه أمّاً غيرها ... واصلت كبيرة الكاهنات حديثها ... هى أمه التى لم تلده ... هى أمه التى رعته وربته وأنقذته من الموت فى العراء ... لقد وجدته وليداً فى سفط مدثراً بثياب تدل على أنه من أسرة ثرية ... ولما

---

(18) Hamilton, Op. Cit., p. 278.

http://www.al-maktabeh.com

كان الآن على وشك الرحيل فقد جاءت إليه بالسفط ومحتوياته ... عسى عن طريقه يستطيع العثور على والدته ... لقد عثرت عليه منذ سنوات وليداً فى هذا السفط أمام المعبد ... أمرها الإله أبوللون أن تلتقطه ... تنقذه من الموت ... تتعهده بالرعاية ... أمرها الإله أبوللون دون أن تعلم سبب ذلك ... أطاعت أوامره دون مناقشة ... كشفت كبيرة الكاهنات عن السفط الذى كانت تحمله تحت عباءتها ... قدمته إلى إيون ... نصحته أن يختبر محتويات السفط ... عسى أن يستطيع عن طريقها العثور على والدته... مدّ إيون يده ... تناول السفط ... فكرّ فى الأمر قليلاً ... قرر أن يهب السفط ومحتوياته للإله أبوللون ... فالإله أبوللون هو الذى رباه ورعاه وألحقه بخدمته... إن إيون يشفق الآن على المرأة التى ولدته .. لعلها الآن تتعذب ... إنه حقاً يهفو إلى العثور عليها ... لكنه فى نفس الوقت يخشى العثور عليها ... من المحتمل أن تكون أمةً حقيرة أو زانية مجرمة أو عاهرة مذنبة ... من الأفضل أن تظل حقيقة شخصية والدته مجهولة لديه ليحتفظ لها بصورة الأم المعذبة الفاضلة التى فقدت وليدها تحت ظروف صعبة ما كان من السهل عليها أن تتخطاها ...

تتابع كريوسا الحديث بين كبيرة الكاهنات وإيون ... لمحت كريوسا كبيرة الكاهنات وهى تسلم السفط إلى إيون ... وقع نظرها على السفط ... صرخت فجأة... هذا السفط سفطى ... هو الذى و[illegible] فيه وليدى ... وتركته وديعة لدى الإله أبوللون... هو ابنى ... فلذة كبدى ... الذى تركته فى رعاية الإله أبوللون ... إنطلقت صرخات كريوسا مدوية فى الساحة ... همّت بمغادرة المحراب المقدس لتمسك بالسفط وتحتضن ولدها إيون ... هددها إيون بالقتل إن هى غادرت المحراب المقدس ... إتهمها بالكذب والبهتان ... إنها تكذب كى تنجو من عقاب جريمتها وكسب رضاء الحاضرين ... واصلت صياحها ... سوف تترك المحراب المقدس ... سوف تحتضن ولدها إيون ... ثم بعد ذلك فليكن مايكون ... سوف تحتضن ولدها وتموت بين أحضانه ... سوف تثبت للجميع أنها لاتكذب ... سوف تصف لهم جميعاً كل محتويات السفط قطعة قطعة ... وافق الجميع على اقتراح كريوسا ... سوف تعدد القطع التى يحتويها السفط ... سوف [illegible] كل قطعة على حدة قبل أن يخرجها إيون من السفط ... عليها إذن أن تظل بعيدة عن السفط ... أن تلزم مكانها عند المحراب المقدس ... حتى لاترى ما بداخل السفط ... ولاتلمس محتوياته ... رضيت كريوسا بحكم إيون ورجاله ... أخذت تعدد محتويات السفط ... رداء نسجته كريوسا

مكتبة المهتدين الإسلامية

بيديها... قطعة فنية تشهد بموهبتها حين كانت فى ريعان الصبا ... عليه رسم حيّة الجورجونة منسوجاً بالخيوط وسط الرداء ... والجورجونة محاطة بإفريز من الحيّات على طريقة العباءة الإغريقية ... [19] حيّات من الذهب الخالص ... هدية من الربة أثينة التى تطلب أن يتحلّى بها الأطفال ... إنها صورة من حيّات أريخثونيوس القديمة... سيطرت الدهشة على إيون والحاضرين ... كل ماذكرته كريوسا صحيح... سألها إيون ... وماذا يوجد فى السفط أيضاً ... أجابت كريوسا ... إكليل من أغصان الزيتون وضعته حينذاك حول رأس الطفل الوليد ... حينئذ تأكد إيون من صحة إدعاء كريوسا ... إنها والدته التى أنجبته ... هو ولدها الذى فقدته ... تركت كريوسا المحراب المقدس ... إندفعت نحو إيون ... إحتضنت ولدها إيون ... إرتمى إيون فى حضن والدته كريوسا ... روت له كريوسا قصتها مع الإله أپوللون ... عاد كسوثوس إلى الساحة ... وجد إيون فى أحضان كريوسا ... ظن أنها استقبلت نبأ الحصول على ذرية من عند الإله بالرضا والعرفان ... لم يعلم شيئاً عن حقيقة مولد إيون ...كل ماكان يعلمه ... وماظل بعد ذلك يعلمه – هو أن الإله أپوللون قد منحه ولداً ... يكون له سنداً فى حياته ... ويرثه بعد مماته ... هكذا أخبرته الربة أثينة التى أرسلها الإله أپوللون ...

* * * * * *

غادر كسوثوس وكريوسا وإيون دلفى ... عاد الجميع إلى أثينا ... عادوا أسرة واحدة متماسكة ... عاش كسوثوس وكريوسا سعيدين بمنحة الإله أپوللون ... أنجبا بعد ذلك ولداً آخر ... أخايوس ... [20] أصبح إيون الجد الأكبر للجنس الأيونى ... أصبح أخايوس الجد الأكبر للجنس الآخى ... تزوج إيون من هليكى [21] ابنة سيلينوس ملك أيجيالوس ... مات سيلينوس ... خلفه إيون على عرش أيجيالوس ... ثم مات أريخثيوس فاختار الآثينيون إيون ملكاً على أثينا ... [22] أنجبت هليكى لإيون أربعة

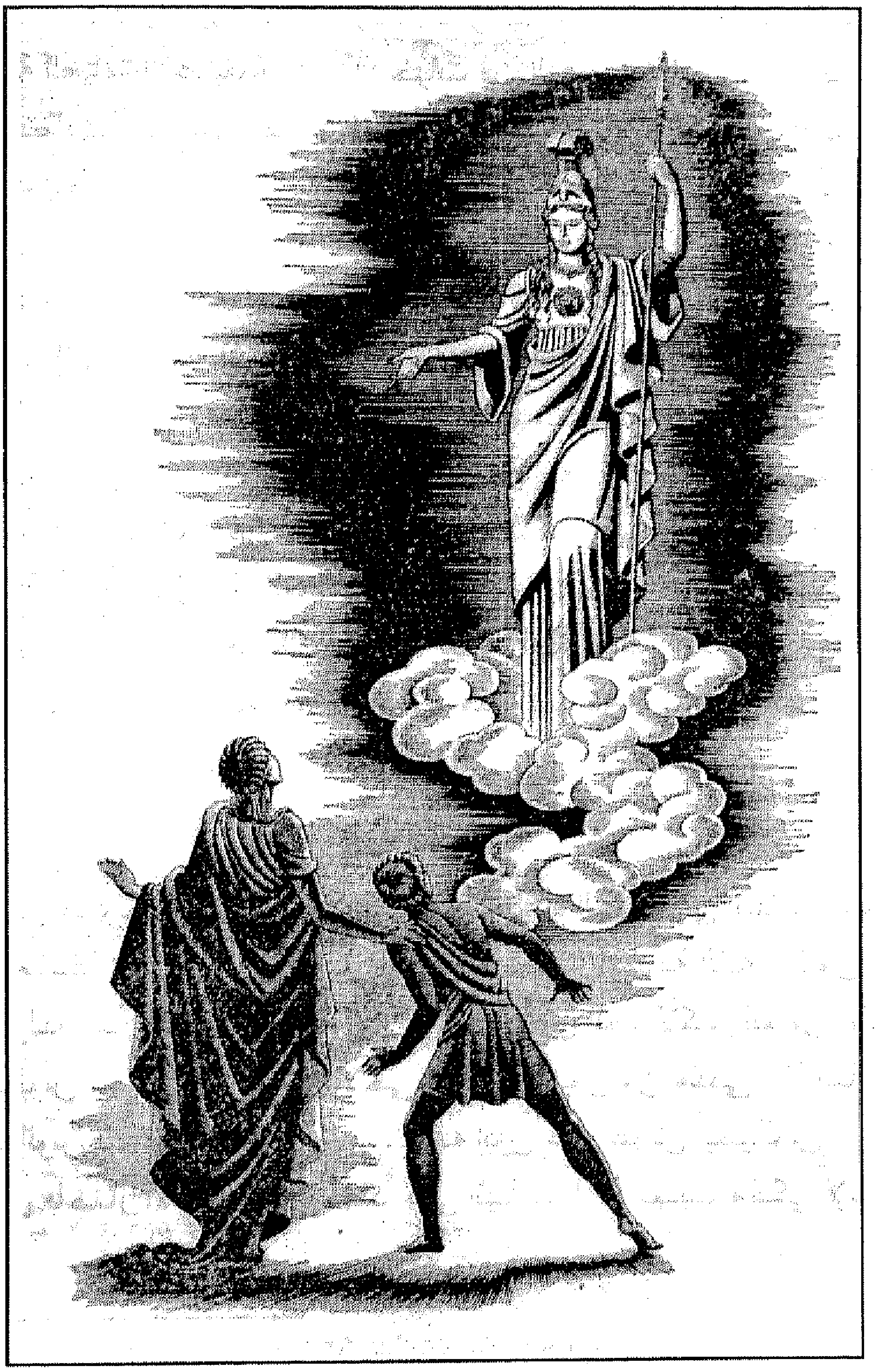
(١٩) Thomson, Aeschylus And Athens, pp. 19-20; p. 49.

(٢٠) تروي بعض الروايات أنها أنجبت له أيضاً ديوميديس ولوروس : Kravitz, who's who In Greek Mythology, s.v. Xuthus.

(٢١) Graves, Op. Cit., Vol. I, p. 163.

(٢٢) Pausanias, vii, 1, 2; Strabo, viii, 7, 1; Conon, Narrations, 27.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (١٩) :

الربة أثينة تظهر لإيون وكريوسا .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أبناء ... أيجيكوريس وأرجاديس وجليون وهوبليس (٢٣) ... نُسبت إلى كل منهم قبيلة من القبائل الأيونية ... قبيلة أيجيكوريس وقبيلة أرجاديس وقبيلة جليونتيس وقبيلة هوبليتيس ... (٢٤) قيل فى رواية أخرى إن كلاً من الأبناء الأربعة نسبت إليه أفراد مهنة من المهن الرئيسية فى المجتمع الإغريقى ... الكهنة والجنود والحرفيون والفلاحون ... (٢٥) تروى بعض الروايات أن إيون قدم مساعدة عسكرية إلى أثينا أثناء حكم الملك أريخثيوس فى حروبه ضد الإليوسيئيين وحلفائهم الثراقيين تحت قيادة يومولپوس ... (٢٦) تروى مصادر أخرى أن إيون لقى حتفه أثناء الحروب الطروادية... (٢٧) .

* * * * * *

تلك هى أسطورة إيون ... يبدو أنها لاتنتمى إلى مجموعة الأساطير الإغريقية المبكرة ... (٢٨) من المحتمل أن إيون شخصية ابتكرها الأدباء الإغريق لتصبح الجد الأكبر للجنس الأيونى ... يرى يوريبيديس أن اسم إيون مشتق من الفعل ienai بمعنى يأتى ... بالتالى فإن كلمة إيون Ion تعنى الشخص الذى يأتى ... (٢٩) يروى أثينايوس قصة طريفة تربط بين أزهار البنفسج (ومعناها باليونانية ia) وإيون Ion...(٣٠) أضيف اسم إيون فى مؤخرة قائمة ملوك أثينا الأسطوريين ... (٣١) يروى الشاعر التراچيدى يوريبيديس أن أريخثونيوس لم يكن له وريث لذلك آلت السلطة إلى زوج ابنته كسوثوس ... (٣٢) ظهر اسم كسوثوس لأول مرة عند الشاعر التعليمى

(٢٣) Kravitz, Op. Cit., s.v. Ion.

(٢٤) Rose, Op. Cit., p. 268.

(٢٥) Graves, Op. Cit., Vol. I, p. 163.

(٢٦) Strabo, Loc. Cit.

(٢٧) Kravitz, ibid. Cit.

(٢٨) أنظر كتابنا يوريبيديس ، ص٦٤ ومابعدها .

(٢٩) Euripides, Ion, 74.

(٣٠) Athenaeus, xv يروي أثينايوس نقلاً عن نيكاندر Nicander أن مجموعة من الحوريات الأيونيات إعتدن أن يقدمن أزهار البنفسج ta ia إلي إيون Ion .

(٣١) Pausanias, ii, 6, 5; Apollodorus, iii, 15.

(٣٢) Euripides, Op. Cit., 63.

http://www.al-maktabeh.com

هيـسـيـودوس فى أحـد أعـماله التى يرجع تاريخـهـا إلى أوائل القـرن السـابع قـبل الميلاد ...(٣٣) فى القرن الخامس قبل الميلاد يذكر المؤرخ هيرودوتوس إيون على أنه ابن كسوثوس ...(٣٤) يذكر هيكاتايوس أن والده كان يدعى فيسكوس ... (٣٥) يذكـر پاوسانياس أن والده كان يدعى جارجيتّوس ... (٣٦) .

مع انتشار الحروب فى منطقة أتيكا أثناء الجزء الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد سادت مشاعر الوطنية بين ا ب الإغريق وخاصة شعراء المسرح ... نظم كل من أيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيـديس عدداً كبيراً من المسرحيات تتناول التاريخ الأسطورى لمدينة أثينا . كتب يوريبيديس مسرحيات وصلت إلينا كاملة مثل أبناء هيراكليس ، هيپولوتوس ، المستجيرات ، جنون هيراكليس ، إيون . كتب أيضاً مسرحيات لم تصلنا كاملة مثل أيجيوس ، ألوپى ، أريخثيوس ، بيريثوس ، سكيرون ، ثسيوس . نظم سوفوكليس مسرحية واحدة على الأقل – أو إثنتين – تتناول قـصـة إيون... (٣٧) يقول أفلاطون إن أپوللون هو الإله الذى يتولى أمور الأيونيين وذلك بسبب إنجابه لإيون ... (٣٨) يتـعـرض كل من أپوللودورودس (القرن الثانى قبل الميلاد) وسترابون (أواخر القرن الأول قبل الميلاد وأوائل القرن الأول الميلادى) وپاوسانياس (القرن الثانى بعد الميلاد) عدة مرات لإيون ، لكنهم لايتحدثون عنه على أنه ابن لكسوثوس دون ذكر أپوللون أو الإشارة إليه . يتحدث أرّيانوس (القرن الثانى الميلادى) عن إيون على أنه ابن للإله أپوللون (٣٩) . يشير

(٣٣) Hesiod, fr. 7; Owen, Ion, p. x.

(٣٤) Herodotus, vii, 94; viii, 44.

(٣٥) Frag. Hist. Graec., I, p. 26, no. 342.

(٣٦) Pausnias, vi, 22, 7.

(٣٧) وصلنا عنوانان : الأول كريوسا والثاني إيون . ومن المحتمل أنهما عنوانان مختلفان لمسرحية واحدة .

(٣٨) Plato, Euthydemus, 302 d.

(٣٩) Arrianus, Anabasis, viii, 29.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أحد المعلقين على إحدى مسرحيات الشاعر الكوميدى أريستوفانيس إلى إيون كابنٍ للإله أپوللون وكريوسا زوجة كسوثوس(٤٠) .

هكذا اختلطت الأسطورة بالتاريخ وامتزجت الحقيقة بالخيال ... لكن كان – ومازال – إيون شخصية هامة من شخصيات الأساطير الإغريقية .

* * * * * *

(٤٠) Scholiast to Aristophanes; Aves, 1527.

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

سيسيفوس

.. حمل سيسيفوس الصخرة الهائلة على كتفه . تسلق - في عناء ومشقة - جانب الجبل الوعر المنحدر . وصل إلى القمة . حاول أن يضع الصخرة فوق القمة . لكنها اندفعت بقوة رهيبة . تدحرجت حتى وصلت إلى سفح الجبل . هبط سيسيفوس إلى سفح الجبل بين ذرات الغبار وحبات العرق - ليحمل الصخرة على كتفه ويصعد بها من جديد، مازال سيسيفوس - حتى الآن - يحاول أن يضع الصخرة فوق قمة الجبل الشاهق . ومازالت الصخرة الضخمة - حتى الآن - تندفع بقوة رهيبة من القمة حتى تصل إلى سفح الجبل . . . فهل يعلم سيسيفوس أنه لن يضع أبداً الصخرة الضخمة فوق قمة الجبل الشاهق ؟

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

سيسيفُوس

جايا زوجة أورانوس . أنجبت له عدداً ضخماً من المردة والتياتن . يابيتوس أحد أبناء أورانوس وجايا . تزوج كلوميني . أنجبت له منيثيوس . أطلس . هسپيروس . إپيميثيوس . وپروميثيوس . أنجب پروميثيوس إبناً يدعى ديوكاليون . أنجبت پاندورا لإپيميثيوس ابنة تدعى بورا . تزوج ديو كاليون ابنة عمه بورا . أنجبت له هيللين . الذى سمى من بعده الجنس الأيولى . تزوج أيولوس إناريتى . أنجب منها ولدين هما سالمونيوس وسيسيفوس . أما أطلس فيقال إنه كان أباً لسبع بنات هن : ألكيونى . كيلاينو . الكترا . مايا . ميروپى . ستيروپى . تايجيتى .

أعجب سيسيفوس بن أيولوس بواحدة من بنات أطلس – ميروپى . تزوج سيسيفوس ميروپى ، أنجبت له ثلاثة أبناء : جلاوكوس . أورنوتيون . وسينون . كان سيسيفوس يملك قطيعاً هائلاً من الماشية . أطلق ذلك القطيع الهائل يرعى فى المناطق الرعوية الشاسعة الواقعة حول ذلك المضيق المعروف الآن باسم مضيق كورنثا (١) . عاش سيسيفوس فى سعادة وهناء . يتجول فى المروج الخضراء . ينعم بالمناظر الطبيعية الخلابة . يرعى ماشيته – مصدر هنائه وسعادته – لم يكن يقلقه جار سىء .. أو يؤرقه صديق حقود . لم يكن هناك شىء يعكر صفوه أو ينغص عليه حياته . حتى كان ذلك اليوم المشئوم – يوم أن استقر فى منطقة مجاورة له صاحب قطيع آخر يدعى أوتولوكوس .

أوتولوكوس هو ابن خيونى . وخيونى هى ابنة دايداليون . عشق الإله أپوللون خيونى . وعشقها فى الوقت نفسه الإله هرميس . قيل إن خيونى أنجبت توأماً للإلهين أنجبت فيلامون لأپوللون . وأ. . . أوتولوكوس لهرميس !! قيل أيضاً إن خيونى أشاعت أنها أجمل من الربة أرتميس . ا... الربة منها وقضت عليها . حزن والدها دايداليون . ألقى بنفسه من فوق جبل پارناسوس . لكن الإله أپوللون أنقذه من الموت بأن حوله على الفور إلى صقر . فهبط إلى سفح الجبل فى سلام .

(١) Apollodorus, I, 9, 3; Pausanias, II, 4, 3; Servius on Vergil's Aeneid, II 79.

http://www.al-maktabeh.com

ذلك هو أوتولوكوس الذي اشترك في إنجابه كل من أپوللون – صاحب نبوءة دلفي الشهيرة – وهرميس – رسول الآلهة الماكر اللبق [٢] . لذا . نشأ أوتولوكوس ماكراً. مخادعاً . مضللاً . لايحفظ العهد . ولايفي بالوعد . عنيفاً بالفطرة ، قيل إنه هو الذي درب الإله هيراكليس على المصارعة والقتال . كان أوتولوكوس لصاً بارعاً . تخصص في سرقة الماشية . وهبه والده هرميس قدرة غير عادية . كان قادراً على أن يغيِّر من صفات الحيوانات التي يسرقها . يستطيع أن يحولها من ثيران ذات قرون إلى نعاج ذات فراء ، من بقرات سمان إلى عجول هزيلة . كان قادراً على تغيير ألوانها . إن سرق حيواناً أسمر . حول لونه إلى أبيض . وإن سرق حيواناً أبيض حول لونه إلى أسمر وهكذا ... [٣] .

شاءت الأقدار أن يكون أوتولوكوس جاراً لسيسيفوس . لاحظ سيسيفوس أن عدد ماشيته يتضاءل . كما لاحظ أن عدد ماشية جاره في تزايد مستمر . كان يعرف أن جاره هو الذي يسرق الماشية . لم يستطع أن يضبطه متلبساً بجريمته . إذ كان السارق ضالعاً في السرقة . لم يستطع أن يتعرف على ماشيته المسروقة . إذ كان السارق ساحراً بارعاً . لكن الظلم يثير الحمية في النفوس . والاضطهاد يقدح زناد العقول . لم يقدر سيسيفوس أن يصبر على ظلم جاره . لم يطق أن يقف مكتوف الأيدي أمام تحدياته . قرر أن يتصدى للخديعة بالخديعة . هداه تفكيره إلى تدبير خطة محكمة ، نفذها على الفور ، أمسك بأرجل كل حيوان من القطيع . حفر على أسفل كل حافر حرفين (S. S.) (س . س .) . وهما اختصار لعبارة معناها . سرق بواسطة أوتولوكس[٤] . أطلق سيسيفوس لماشيته الحبل على الغارب . انطلقت ترعى هنا وهناك. حتى إذا ماجن الليل ، قضى سيسيفوس الليل ساهراً . يراقب الماشية في مأواها.

أشرق الصباح . بعثت الشمس بخيوطها الذهبية نحو الأرض . بدأ سيسيفوس يحصر ماشيته ويحصيها عدداً . اكتشف أن عددها قلَّ عما كانت عليه في اليوم

(٢) Hygínus, fabula 200.

(٣) Hyginus, fabula 201; Polyainos, Strateg., VI. 52 (quoted by Rose, Greek Mythology, p. 283 n. 53).

(٤) أنظر التفسيرات المختلفة والمتعددة لوجود هذين الحرفين في :
Graves, Greek Myths, Vol. 1, p. 220.

مكتبة المهتدين الإسلامية

السابق . نظر إلى الأرض . إلى الأرض الترابية . المبتلة بقطرات الندى . فرح وتهلل. صاح بأعلى صوته ، تجمع أفراد البشر والآلهة من حوله . أشار ببنانه نحو الأرض المبتلة . رأى الجميع عجباً . رأوا آثار الحوافر واضحة فوق التربة المبتلة . تبينوا الحرفين بوضوح وسط كل حافر مرسوم على سطح التربة . تتبع سيسيفوس آثار الحوافر . تبعه أفراد البشر والآلهة . كانت الآثار تتجه نحو المنطقة التى يسكن فيها أوتولوكوس . كانت تتجه نحو حظيرة من حظائر مواشيه . دخل سيسيفوس الحظيرة . تبعه أفراد البشر والآلهة . إدّعى أوتولوكوس أن كل مافى الحظيرة ملكه الخاص . أنكر السرقة بشدة . كان واثقاً من أن سيسيفوس لن يستطيع أن يتعرف على مواشيه المسروقة . أمسك سيسيفوس بحوافر كل حيوان فى الحظيرة . نظر إلى أسفل حوافره . تعرف بسهولة على حيواناته . بهت أوتولوكوس . لقد غيّر من معالم الحيوانات المسروقة وأوصافها ولكنه لم يفطن إلى مافعله سيسيفوس بحوافرها (٥) .

قرر سيسيفوس أن يقابل الشر بالشر . صمم أن يعالج الجريمة بالجريمة . خطرت له فكرة على الفور . فوض أمر تأديب أوتولوكس إلى أفراد البشر والآلهة . تركهم فى الحظيرة يتشاورون فى أمره . أخذ يتجول حول منزل اللص . تسلل من الباب الخلفى . وصل إلى مخدع أنتيكليا - ابنة أوتولوكوس (٦) . كانت شابة رائعة الجمال . متزوجة من شاب يدعى لائرتيس . اغتصبها سيسيفوس . أنجبت لزوجها لائرتيس طفلاً أصبح فيما بعد - له شأن كبير بين أبطال الإغريق . أنجبت له طفلاً أصبح اسمه رمزاً للمكر والخداع . أنجبت : أودوسيوس (٧) . بطل أوديسيا هوميروس . وصاحب فكرة الحصان الخشبى . منذ ذلك اليوم . تأصل الشر فى نفس سيسيفوس . تدفق المكر والخداع فى شرايينه . منذ ذلك اليوم صارت الجريمة هوايته . أصبح الشر لعبته (٨) .

(٥) Oxford Classical Dictionary, s.v. Sisyphus.

(٦) Graves, Op. Cit., p. 216.

(٧) Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s.v. Sisyphus.

(٨) بالرغم من أن سيسيفوس كان شريراً خطيراً وسارقاً ماكراً ، إلا أنه كان يتصف بالحكمة بين بعض الإغريق ، أو كان - كما يسميه روز . . ! The Master (Rose, Op. Cit., p. 270)
اللص السيد Theif

http://www.al-maktabeh.com

أسس سيسيفوس مدينة أسماها إفورى (٩) . عرفت فيما بعد باسم كورنثا . أنشأ مملكة واسعة الأرجاء . لم يكن سيسيفوس ملكاً عادلاً . كان قد أصبح لايعرف الشرف ولايتمسك بالمبادىء . لايدين بعرف أو تقليد . ينهب المسافرين الآمنين الذين ينزلون عليه ضيوفاً . يسرق ممتلكات شعبه الذى يدين له بالولاء . لم تزدهر مملكته سوى فى ناحيتين اثنتين ، الملاحة والتجارة الخارجية . لأنهما كانتا تعتمدان فى ذلك الوقت على القرصنة (١٠) .

كان أيولوس ملكاً على ثساليا . توفى أيولوس . استولى ولده سالمونيوس على العرش (١١) . هضم حق أخيه سيسيفوس . نشط عنصر الشر – كالعادة – فى نفس سيسيفوس . ذهب إلى نبوءة دلفى . عاد من النبوءة وفى ذهنه فكرة شريرة . نفذها على الفور . تظاهر بالتنازل عن حقه فى عرش ثساليا . تقرب إلى سالمونيوس . كان فى الحقيقة لايتقرب إليه نفسه ، بل إلى ابنته تورو (١٢) . كانت ابنة سالمونيوس فتاة غريرة . سحرها عمها سيسيفوس بعذب الحديث . تظاهر لها بالحب . طارحها الغرام والعشق . ضاجعها . أنجب منها طفلين . خطط . فأجاد التخطيط . دبر . فأحسن التدبير . سوف يكبر الطفلان . سوف يلقنهما والدهما سيسيفوس كيف ينتقمان من جدهما سالمونيوس . اكتشفت تورو خطة عمها الشرير . ثارت ثورتها . قتلت الطفلين . أفشلت الخطة . أو هكذا بدا لها . لكن سيسيفوس لم يكن يتعب من ممارسة الشر . خرج إلى الساحة العامة . صاح بأعلى صوته . تجمع أفراد البشر والآلهة من حوله . أشاع أن نبوءة دلفى نصحته أن ينجب ذرية من ابنة شقيقه سالمونيوس . وهاهو قد عمل بنصيحة النبوءة . إدعى أن سالمونيوس هو الذى قتل الطفلين رغبة منه فى القضاء على ذرية ابنته . أعلن أن سالمونيوس قد تحدى نبوءة دلفى المقدسة خوفاً على

(٩) Homer, Iliad, vi. 154-55.

(١٠) Ovid, Metamorphoses, VII, 393, Pausanias, II, 3, 8; Ovid, Heroides, XII, 203; Horace, Satires, II, 17, 12.

(١١) لمعرفة المزيد من المعلومات عن سالمونيوس أنظر .: Graves. Op. Cit., pp. 220-21

(١٢) Ibid., p. 221.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مملكته من الضياع . أدان أفراد البشر والآلهة سالمونيوس . صدر الحكم ضده بالنفى . انتصر الشر إلى حين (١٣) .

توالت شرور سيسيفوس . وتعددت جرائمه . بل استفحلت . واتسع نطاقها . لم تقتصر على أفراد البشر العاديين . امتدت حتى شملت السادة والملوك . وصلت إلى مملكة الآلهة . فألصقت بها التهم الباطلة (١٤) . لم يسلم بشر أو إله من شرور سيسيفوس وجرائمه . لم يكن سيسيفوس يخشى أحداً – حتى لو كان كبير الآلهة زيوس نفسه (١٥) .

ذات يوم جلس سيسيفوس فوق سطح قلعة إفورى كعادته . يرنو بنظره الثاقب فى الفضاء الممتد . يراقب الأبراج السماوية . يتجسس على حركات النجوم والكواكب. لم يكن هناك من يؤنس سيسيفوس فى وحدته سوى قطعان الماشية . التى تروح وتغدو. أو جماعات الطير . التى تحلق فوق سطح مياه البحر بحثاً عن صيد تسد به رمقها . شاهد سيسيفوس فجأة فى الفضاء البعيد كتلة ضخمة . استطاع سيسيفوس أن يتبين معالم تلك ا الداكنة . نسر ضخم . أضخم من جميع النسور التى يعرفها . نسر ضخم يرفرف بجناحين يفوقان فى الحجم والقوة كل أجنحة النسور الأخرى مجتمعة . كان نسراً ضخماً لم ير سيسيفوس مثله من قبل . أدرك بعقله المفكر أن ذلك النسر ليس إلا واحداً من الآلهة يقوم بمغامرة غير عادية . مرّ النسر فوق قلعة إفورى . حجب بجسمه الضخم وجناحيه الكبيرين ضوء الشمس عن القلعة بأكملها . لم يجرؤ سيسيفوس على أن يرفع وجهه إلى أعلى . لكنه . سمع صرخات إستغاثة . أنثى تستغيث وتطلب النجدة . رفع وجهه فجأة إلى أعلى شاهد بين مخالب النسر فتاة

---

(١٣) Hyginus, fabula 60.

(١٤) سيسيفوس Σισ′υφos (الاسم المركب من الصفة σoφo's. أي الماكر أو واسع الحيلة . يصفه هوميروس . (Iliad, VI, 153) بأنه أمكر الرجال . ونظراً لشدة ذكاء سيسيفوس ومكره فقد وصفته المصادر الأدبية التي جاءت بعد هوميروس بأنه والد البطل الإغريقي الماكر الشهير أو دوسيوس . أنظر علي سبيل المثال :
Sophocles, Ajax. 190; Philoctetes, 417; Euripides. Iphigenia In Aulis, 524.
وطبقاً لما جاء عند هوميروس (Odys. X, 84-5) فإن أودوسيوس هو ابن لائرتيس من أنتيكليا ابنة أوتولوكوس . لكن قارن : Graves, Op. Cit., p. 219.

(١٥) Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 144. .

http://www.al-maktabeh.com

تبكى فى حرقة وتصرخ فى فزع . ا[illegible] الغمامة . عاد ضوء الشمس إلى القلعة . فرَّ النسر فى سرعة هائلة ناحية البحر . أرسل سيسيفوس نظراته الثاقبة تلاحق النسر الهائل وهو يخترق الفضاء . ظل يتابعه بنظراته . حط النسر فوق جزيرة مهجورة غير بعيدة عن الشاطىء . ذهب سيسيفوس فى غيبوبة . راح فى نوم عميق .

أفاق سيسيفوس من غيبوبته . صحاً من نومه على صرخات استغاثة تصم أذنيه . ظن أنه مازال يفكر فى الفتاة التى رآها بين براثن النسر الهائل . تكررت الصرخات . صرخات مختلفة . صرخات رجل . لاصرخات فتاة . أحس بيد تدفعه من كتفه . حكَّ عينيه بأصابع يديه . نظر أمامه . رأى شبحاً لم يتبين ملامحه . حك عينيه مرة أخرى بأصابع يديه . رأى بوضوح فى هذه المرة شخصاً يعرفه . رأى أسوپوس الشيخ وقد بدا على وجهه الحزن والألم . بكى أسوپوس بين يدى سيسيفوس . سأله عن سر بكائه . شرح له أسوپوس الأمر . لأسوپوس ابنة تدعى أيجينا . رآها رب الأرباب زيوس ذات يوم . أعجب بها . لم تبادله الإعجاب . جاذبها أطراف الحديث . قطعت عليه أحاديثه . طاردها . تحاشته . حاول أن يغتصبها . قاومته . ظل يطاردها فى صحوها ومنامها . كانت تصرخ فجأة بالنهار عندما يخطر على بالها . كانت تصحو مذعورة فى الليل عندما يظهر لها فى منامها . ظلت تشكو لوالدها أسوپوس . ظل والدها يهدىء من روعها وي[illegible] من فزعها . حاول أن يبعد زيوس عن طريق ابنته . أصرَّ رب الأرباب على مطاردتها . فضَّل أن يبعدها عن طريق زيوس . سجنها فى القصر . شدد الحراسة على مداخل القصر ومخارجه . فجأة ا[illegible] أيجينا . زيوس هو الذى خطفها . لابد أنه يحتفظ بها الآن فى مكان ما . سوف يغتصبها . أو ربما قد اغتصبها فعلاً . إن أسوپوس يبحث الآن عن ابنته فى كل مكان . هاهو قد جاء إلى مملكة سيسيفوس . جاء يسأله إن كان يعرف شيئاً عن ابنته أيجينا (١٦) .

سمع سيسيفوس قصة أيجينا . كان عقله الذكى يعمل أثناء حديث الوالد المكلوم . ربط العقل الذكى بين مارواه أسوپوس وماقد رآه سيسيفوس .

روى أسوپوس أن زيوس اختطف أيجينا . رأى سيسيفوس نسراً هائلاً يحمل فتاة مذعورة . لاشك أن زيوس قد حول نفسه إلى نسر هائل . وتخطى أسوار قصر أسوپوس ، أمسك بالفتاة بين مخالبه ، انطلق فى الفضاء فوق سطح الأرض ، حط

(١٦) Hamilton. Mythology, p. 298.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فوق الجزيرة المهجورة . عاد إلى صورته الأصلية . لاشك أنه الآن يُعدّ فريسته العذراء ليلتهم عذريتها .

هبَّ سيسيفوس على الفور واقفاً . طلب من أسوپوس أن يهدأ ويستجمع قواه . نصحه أن يكف عن البكاء . هو الوحيد الذى يستطيع أن يطمئنه على ابنته . رآها بعينى رأسه . رآها مع زيوس . يعرف أين يختبىء زيوس الآن (١٧) .

تهلل وجه أسوپوس . انفرجت أساريره . سأله فى لهفة متى رآها . وكيف ؟ وأين هما الآن . أجاب سيسيفوس اللئيم .

تمهل يا رفيقى . تمهل . أتعتقد أننى أقدم إليك هذه المعلومات الغالية دون مقابل . . ؟

كانت اللحظات تمر قاسية على أسوپوس . كان أسوپوس يعلم من هو سيسيفوس . كان يعلم أنه انتهازى شرير . ربما يعمل الشر من أجل الشر ذاته ، ولكنه لن يعمل الخير من أجل الخير ذاته . كان على أسوپوس أن يرضخ لرغباته . لم يكن لديه متسع من الوقت ليساومه . أجابه قائلاً :

لن أتمهل . ياسيسيفوس . وأنت أيضاً . لاتتمهل . أطلب ما تريد . حدد مطالبك أُلبِّها فى التو واللحظة . أعدك بذلك .

كان أسوپوس قادراً على توزيع المياه العذبة على الأراضى الزراعية . كان بيده أن يفجر الينابيع العذبة . أن يملأ الآبار بالمياه . أن يغطى الأراضى بالطمى فيكسبها خصوبة . لم يكن أسوپوس سوى نهر يجرى فى بلاد الإغريق . ينشر على ضفتيه الخصب والنماء . فهكذا اعتقد الإغريق . اعتقدوا أن الأنهار آلهة . كانوا يتخيلونها فى صورة أشخاص . تروح وتغدو . تفرح وتتألم . تتزوج وتنجب . طلب سيسيفوس من أسوپوس أن يجرى الماء العذب وسط أراضى مملكته . وأن يفجر عيناً تظل جارية إلى الأبد أسفل قلعته (١٨) . كان له - على الفور - ما أراد . أخبره

---

(١٧) Graves, Op. Cit., p. 217.

(١٨) راجع Pausanias, II, 5, 1. حيث يروي القصة . رأي پاوسانياس المجري الذي أصبح يسمي بعد ذلك عين بيريني Peirene ، والذي كان يمد بالمياه مدينة كورنثا وقلعتها . أنظر أيضاً : Graves, Op. Cit., p. 220.

http://www.al-maktabeh.com

سيسيفوس بما رأى . أشار إلى الجزيرة المهجورة حيث حط النسر الهائل . نصحه بالذهاب إلى هناك . حتى يضبط زيوس متلبساً . حقاً . لم يكن النسر الهائل الذى رآه سيسيفوس سوى زيوس . لم تكن الفتاة التى رآها سوى أيجينا . صدق حدس سيسيفوس. أصاب عقله الذكى .

أسرع أسوپوس نحو الجزيرة – التى مازال الاغريق يعرفونها – منذ ذلك الوقت– باسم جزيرة أيجينا . وصل إلى حيث حطّ النسر الهائل . لكنه وصل بعد فوات الأوان . كان زيوس قد اغتصب أيجينا . سمعه أسوپوس يلاطفها ويسترضيها . سمعه يغريها على البقاء فى الجزيرة . تقدم أسوپوس والغضب يملأ صدره . أحس زيوس بوجود الوالد المكلوم . لم يكن هناك من يستطيع أن يقهر رب الأرباب . تحول رب الأرباب فجأة إلى صخرة ضخمة شاهقة غطت سطح الجزيرة على اتساعه . بدا سطح الجزيرة جبلاً شاهقاً . اختفت أيجينا خلف الجبل الشاهق . فشل أسوپوس فى العثور عليها .

علم زيوس بأمر سيسيفوس . هو الذى أفشى سر رب الأرباب – وأسرار الآلهة يجب أن تحفظ . غضب زيوس . صمم على الانتقام – وانتقام رب الأرباب شديد . طلب من شقيقه هاديس أن ينتقم له . كان هاديس حاكم عالم الموتى . يرسل هاديس إله الموت ثاناتوس (١٩) ، فيقبض على روح الشخص . وينقلها إلى العالم السفلى . فتصبح من رعايا هاديس . ذهب ثاناتوس إلى سيسيفوس (٢٠) بناء على أوامر هاديس. استقبله سيسيفوس فى قصره بالترحاب . أكرم وفادته . استعطفه كى يؤجل مهمته إلى حين . رفض ثاناتوس بشدة . صمم على القيام بمهمته فى التو واللحظة . تظاهر سيسيفوس بالخضوع لرغبة ثاناتوس . سأله أن يقبل منه هدية متواضعة قبل أن

(١٩) ثانـاتـوس Thanatos ، هو الموت الذي لايقبل الهدايا (أريستوفانيس ، الضفادع ، سطر ١٣٩٢) ، ذو القلب القاسي ، المكروه من الجميع حتي من الآلهة (هيسيودوس ، أنساب الآلهة سطر ٧٦٤) ، يرتدي ملابس سوداء (يوريبيديس ، ألكستيس ، سطر ٨٣٤ ، ويحمل سيفاً (نفس المسرحية ، سطر ٧٦) ، أنجبته ربة الليل Nux (هيسيودوس ، أنساب الآلهة ، سطر ٢١٢) ، وهو شقيق إله النوم Hupnos ، (هوميروس ، الالياذة ، الأنشودة الرابعة عشرة ، سطر ٢٣١)، وهو أيضاً العلاج الشافي لآلام البشر (يوريبيديس ، هيبولوتوس ، سطر ١٣٧٣).

(٢٠) Sandys, Dictionary of Classical Antiquties, s.v.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يقبض على روحه ، قدم إليه سلسلة من الذهب الخالص . بها أزرار من الذهب الخالص أيضاً . فرح بها ثاناتوس . وضعها على الفور فى ثيابه . استعد للقيام بمهمته. سأله سيسيفوس فى بلاهة زائفة وسذاجة مصطنعة :

هل تعرف . يا ثاناتوس . كيف تستخدم هذه الأزرار الذهبية ؟ أجابه ثاناتوس بالنفى . سأله سيسيفوس فى أدب ظاهر :

هل تسمح لى أن أشرح لك كيفية استخدامها ؟

لم ينتظر سيسيفوس إجابة من ثاناتوس . مد يده على الفور . أخرج الهدية من بين طيات ثوب ثاناتوس . لم يعترض إله الموت . طلب سيسيفوس من ثاناتوس أن يمد يديه . مد إله الموت يديه فى هدوء . أحاط معصم اليد اليمنى بأحد طرفىْ السلسلة ، ثم أحاط معصم اليد اليسرى بالطرف الآخر من السلسلة . ثبت الأزرار الذهبية . فأحكم القيد حول يدى ثاناتوس . كان ثاناتوس فى ذلك الوقت معجباً بالهدية منْتبِهاً إلى سيسيفوس وهو يشرح له كيفية استخدام الأزرار الذهبية . بعدئذ سأل سيسيفوس ثاناتوس فى دهاء ومكر :

هل تستطيع الآن . يا ثاناتوس . أن تفك الأزرار الذهبية وتحرك يديك ؟

لم ينتظر سيسيفوس – فى هذه المرة أيضاً – إجابة من ثاناتوس . فرّ بسرعة البرق نحو الخارج . أغلق أبواب القصر . حاول ثاناتوس أن يفك قيده . لم يستطيع . اكتشف إله الموت أنه أصبح سجيناً فى قصر سيسيفوس .

ظل هاديس ينتظر عودة ثاناتوس ومعه روح سيسيفوس . طال انتظاره . اشتد قلقه . ازداد غضبه واحتد عندما جاءه إله الحرب آريس شاكياً ثائراً . ماذا يفعل إله الحرب وقد اختفى إله الموت . هناك كثيرون قطعت رقابهم وبقرت بطونهم وبترت أطرافهم فى الحرب . كلهم يتعذبون . لأن إله الموت لم يدركهم . لم يقبض على أرواحهم . إنهم يتعذبون . إن عمل إله الحرب معطل منذ أيام .

علم آريس بقصة غياب ثاناتوس . ذهب إلى قصر سيسيفوس . وجد الأبواب مغلقة . حطم الأبواب . بحث عن إله الموت فى جميع قاعات القصر . أخيراً . وجده مقيداً سجيناً فى حجرة نوم سيسيفوس . فك آريس قيد ثاناتوس . عاد إله الموت كسيرا إلى هاديس . . نهره رب العالم السفلى . أمره أن يخرج على الفور . وأن يضاعف

http://www.al-maktabeh.com

ساعات عمله . حتى يستطيع أن ينجز ما تعطل من أعمال أثناء وجوده فى قصر سيسيفوس . أما الماكر سيسيفوس – الذى خدع إله الموت وفر منه – فقد بحث عنه إله الحرب آريس . وأتى به إلى هاديس مقيداً مقهوراً (٢١) .

جلس سيسيفوس فى عالم الموتى يفكر . لم يفقد الأمل فى النجاة . ذات يوم تسلل فى خفة وهدوء حتى وصل إلى مخدع پرسيفونى زوجة هاديس . أخبرها أن آريس إله الحرب هو الذى أتى بروحه إلى عالم الموتى . وأن زوجته ميروپى مازالت تترك جثته فى العراء . ذكرها أنه ليس من العدل أن يسمح لروح بالدخول إلى عالم الموتى مادامت جثة صاحبها لم تدفن بعد . كانت حجة سيسيفوس قوية . فلقد اعتقد الإغريق أن روح الميت لايسمح لها بالعبور إلى العالم الآخر إلا إذا دفنت الجثة . وصاحبت عملية الدفن شعائر جنائزية معينة . استعطف سيسيفوس پرسيفونى . رجاها أن تسمح له – بصفة خاصة – أن يغادر عالم الموتى . أعربت پرسيفونى عن عدم قدرتها على تلبية مطلبه . عاد وألحَّ فى الطلب . طلب منها أن تمنحه ثلاثة أيام فقط . سوف يذهب خلالها إلى مملكته . سوف يعاقب زوجته ، التى لم تدفن جثته . سوف يطلب من أحد أقاربه أن يقوم بالمهمة بدلاً منها . ترددت پرسيفونى . وعدته أن تعرض الأمر على زوجها هاديس ، أقنعها سيسيفوس أنه يعتمد عليها . كرر رجاءه . تمادى فى الاستعطاف . أ[illegible] عليه پرسيفونى . لكنها مازالت مترددة . أرادت أن تتحقق من صدق قول سيسيفوس . أرسلت رسولاً إلى مملكة سيسيفوس . عاد الرسول يؤكد أن جثة الملك لم تدفن بعد ، وأن زوجته ترفض دفنها . [illegible] پرسيفونى من ميروپى . أ[illegible] على سيسيفوس . [illegible] له بمغادرة عالم الموتى لمدة ثلاثة أيام . أمرته أن يعاقب زوجته عقاباً شديداً .

عاد سيسيفوس إلى وطنه . استقبلته زوجته ميروپى . شكرها سيسيفوس . أثنى على وفائها وإخلاصها . لقد ساهمت ميروپى فى إنجاح خطة سيسيفوس . كان قد اتفق مع زوجته على عدم دفن جثته حتى تتيح له فرصة الهروب من عالم الموتى . هاهى ميروپى قد نفذت الاتفاق . خرج سيسيفوس إلى عالم الأحياء ، سوف لايعود إلى عالم الموتى (٢٢) .

(٢١) Pherekydes, frag, 119 (Jacoby).

(٢٢) Rose, Op. Cit., p. 294.

مكتبة المهتدين الإسلامية

جن جنون زيوس . لم يستطع أن يتحمل صفاقة سيسيفوس أكثر من ذلك . تذكر على الفور الإله هرميس . رسول الآلهة الماكر اللبق . تذكر أيضاً أن هرميس هو والد أوتولوكوس . عدو سيسيفوس اللدود . أمر رب الأرباب هرميس أن يذهب إلى سيسيفوس . استخدم هرميس كل وسائله . استدرج سيسيفوس حتى أوصله إلى مملكة هاديس (٢٣) . هناك لم يتركه زيوس يفكر لحظة واحدة . وجد سيسيفوس فور وصوله قضاة عتاة لايعرفون الرحمة . لم يترك القضاة سيسيفوس يفكر لحظة واحدة . نطقوا بالحكم على الفور . الحكم الذى كان قد قرره زيوس من قبل ولقنه للقضاة (٢٤) .

سوف يبقى سيسيفوس فى عالم الموتى إلى الأبد (٢٥) . عليه أن يحمل على كتفه صخرة ضخمة شاهقة فى حجم جزيرة أيجينا . فى حجم الصخرة التى تحول إليها زيوس كى يهرب من غضب أسوبوس – عليه أن يحمل الصخرة الضخمة على كتفه . يحملها ويتسلق جانباً وعراً منحدراً لجبل شاهق حتى يصل إلى القمة . ثم يضعها فوق القمة .

تم تنفيذ الحكم فى التو واللحظة . حمل سيسيفوس الصخرة الهائلة على كتفه . تسلق – فى عناء ومشقة – جانب الجبل الوعر المنحدر . وصل إلى القمة . حاول أن يضع الصخرة فوق القمة . لكنها اندفعت بقوة رهيبة . تدحرجت حتى وصلت إلى سفح الجبل . هبط سيسيفوس إلى سفح الجبل – بين ذرات الغبار وحبات العرق – ليحمل الصخرة على كتفه ويصعد بها من جديد (٢٦) . مازال سيسيفوس حتى الآن يحاول أن يضع الصخرة الضخمة فوق قمة الجبل الشاهق . ومازالت الصخرة الضخمة حتى الآن تندفع بقوة رهيبة من القمة حتى تصل إلى سفح الجبل (٢٧) .

(٢٣) Theognis, 712 sqq.

(٢٤) Hyginus, fabula 38.

(٢٥) يري پاوسانياس (Pausanias, II, 22) أن قبر سيسيفوس كان واقعاً علي مضيق الإسثموس، كما يري سترابون (Strabo, 6, 21) أن محراباً مقدساً كان مقاماً لعبادته فوق قلعة كورنثا .

(٢٦) يذكر هوميروس سيسيفوس أكثر من مرة . أنظر علي سبيل المثال حاشية رقم ١٤ أعلاه وأنظر أيضاً الأوديسيا ، الأنشودة الحادة عشرة ، سطر ٥٩٣ حيث يشير هوميروس إلي عقاب سيسيفوس . لكنه لم يذكر السبب الذي من أجله أنزل زيوس به العقاب الأليم .

(٢٧) Scholiast on Homer's Iliad, I, 180; Pausanias, x, 31; Ovid, Metamorphoses, IV, 459.

http://www.al-maktabeh.com

تلك هى أسطورة سيسيفوس . قصة العذاب الأبدى . عرفت الأسطورة وانتشرت فى العصور القديمة والحديثة . حاول كل جيل أن يفسرها حسب معتقداته أو طريقة تفكيره . رأى البعض – فى بساطة – أن سيسيفوس يرمز إلى الإنسان الشرير الذى لابد أن يلقى جزاءه مهما حاول أن يهرب منه . فسرها البعض الآخر بأن الصخرة الضخمة ترمز إلى قرص الشمس . وأن الجبل الشاهق يرمز إلى دائرة الأفق. وبالتالى فإن الأسطورة ترمز إلى دورة الشمس الأبدية فى دائرة السماء (٢٨) . رأى أغلب الفلاسفة والمفكرين المحدثين أن سيسيفوس يرمز إلى البشرية بوجه عام . إلى كفاح الإنسان اليائس من أجل الوصول إلى قمة رغباته . رأوا سيسيفوس بطلاً مأساوياً أو بطلاً حقيقياً . فهو يعرف أن الحياة «عبث» لكنه يعمل حتى النهاية . لكن من أشهر الآراء التى ظهرت حول تفسير هذه الأسطورة هو رأى الفيلسوف الفرنسى المعاصر ألبرت كامى . نشر كامى فى باريس عام ١٩٤٢ مجموعة من المقالات بعنوان «أسطورة سيسيفوس» (٢٩) . وبالرغم من أن كامى يوافق على أن الحياة «عبث» فإنه يرفض أن يعتبر الإنسان بطلاً مأساوياً أو بطلاً حقيقياً . إذ أنه لايعلم أن عمله عديم الفائدة وأن الحياة فى ذاتها عبث .

إن سيسيفوس لايشعر أنه يقوم بعمل يائس – لأنه يأمل دائماً أنه سوف يضع الصخرة الضخمة على قمة الجبل الشاهق وتظل فى مكانها . ولأنه لايعتبر أن الحياة عبث . يقول كامى : «إن الصراع من أجل الوصول إلى القمة كاف فى حد ذاته ليملأ قلب الرجل . لذلك يجب أن نعتبر سيسيفوس سعيداً» .

* * * * * *

(٢٨) Graves, Op. Cit., p. 219.

(٢٩) أنظر قائمة المراجع تحت اسم A. Camus . عبر ألبرت كامي (١٩١٣–١٩٦٠) عن مذهبه الفلسفي «العبث» في أعمال أدبية أخري مثل مسرحية كاليجولا Caligula (كتبها عام ١٩٣٨ وعرضت لأول مرة عام ١٩٤٩) ومسرحية Le Malentendu (كتبها وعرضت لأول مرة عام ١٩٤٠) ، وأيضاً في كتاب بعنوان L'Homme revolté (أنظر قائمة المراجع) . فاز كامي بجائزة نوبل عام ١٩٥٧ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

تانتالوس

.. وهكذا يعيش تانتالوس – منذ بدء الخليقة حتى اليوم . وهكذا سيعيش إلى أبد الآبدين . ظمآن والماء من حوله زلال . جوعان والطعام بين يديه ناضج . خائفاً والأمان مكفول له . هكذا يعيش تانتالوس دائماً وأبداً : يغمر الماء الزلال جسده ولايستطيع أن يشربه . تداعب الثمار الحلوة عينيه ولايتمكن من أن يذوقها . تميل الصخرة الضخمة فوق رأسه ولاتصيبه بسوء . مازال تانتالوس يعيش على الأمل . قد يأتي يوم يروى فيه ظمأه . ويشبع جوعه . ويتخلص من خوفه . إن تانتالوس واحد من المعذبين على الأرض .. من السعداء الذين يعيشون على الأمل الخادع .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

تَـانْتَـالـُوس

أجاممنون . مَنْ قاد الحملة الإغريقية ضد مدينة طروادة . كلوتمنسترا . مَنْ قتلت زوجها فور عودته ظافراً من ميدان القتال ، إيفيجينيا . مَنْ فقدت حياتها فى سبيل إنجاح الحملة الإغريقية . الكترا . مَنْ تحملت ظلم والدتها القاتلة . أورستيس . مَنْ قتل أمه انتقاماً لأبيه . منيلاووس . مَنْ كان زوجاً لهيلينى الفاتنة التى قامت من أجلها الحروب الطروادية .

كل هؤلاء ينتمون إلى بيت واحد هو بيت أتريوس – وهو من أشهر البيوتات التى تناولتها الأساطير الإغريقية (١) .

تروى الأساطير أن لعنة الآلهة كانت ترفرف فوق رأس كل فرد من أفراد بيت أتريوس. كانت تجعله يرتكب الخطيئة – لاعامداً ولامتعمداً . كانت تصب الهلاك والبلاء فوق رأس كل فرد من أفراد بيت أتريوس – مذنباً كان أم غير مذنب . كانت لعنة يتوارثها أفراد الأسرة جيلاً بعد جيل . قيل إن سبب هذه اللعنة المتوارثة هو سلوك تانتالوس – جد أتريوس (٢) .

اختلفت الروايات حول أصل تانتالوس ونسبه (٣) . قيل إن والده هو زيوس – رب الأرباب – أو تمولوس – روح جبلية كانت تحكم منطقة لوديا – لكن الرأى الأول هو الأكثر انتشاراً . والدته تدعى بلوتو (٤) . قيل إنها ابنة كرونوس من الربة ريا . أو ابنة أو كيانوس من تيثوس . قيل إنه من أصل لودى . وقيل إنه كان ملكاً على أرجوس، أو كورنثا (٥) . وقيل أيضاً إنه ترك منطقة سيبولوس الجبلية فى لوديا وأصبح حاكماً على مملكة بافلاجونيا (٦) .

(١) أنظر ص ٢٧٣ ومابعدها أدناه .

(٢) Euripides, Alcestis, 4 sqq.

(٣) Sandys, Dictionary of Classical Antiquities. s.v. Tantalus.

(٤) بلوتو πλουτω: Hyginus, Fabula 82

(٥) يروي سترابون (Strabo, XII, 8, 21) أن تانتالوس كان من منطقة فروجيا Phrygia .

(٦) Hesiod, Theogony, 355; Pausanias, II, 22-4; Hyginus, fabula 124; Apollodorus, II, 6, 3; Ovid, Metamorphoses, II; 156; Diodorus Siculus, IV, 74.

http://www.al-maktabeh.com

اختلفت الروايات أيضاً حول زوجة تانتالوس . قيل إنها يورياناسا ابنة إله النهر باكتولوس . وقيل إنها يوروثميستا ابنة إله النهر كسانثوس . وقيل إنها كلوتيا ابنة أمفيدامانتوس . وقيل أيضاً إنها الحورية السماوية ديونى . وبالرغم من اختلاف الروايات حول تسمية زوجته . فإن أغلبها يؤكد أن تانتالوس أنجب ابنة واحدة هى نيوبى وولدين هما پلوپس وبروتياس (٧) .

أنجب رب الأرباب زيوس ذرية لاتعد ولاتحصى . أنجبتها له ربات وحوريات وجنيات ونساء من بين أفراد البشر . لذا كان من بين ذرية زيوس أرباب وربات ، تياتن وعمالقة . مردة ومسوخ . أنصاف آلهة وأفراد بشر فانون . من بين أبناء زيوس الفانين كان تانتالوس الأقرب إلى قلب أبيه . أحاطه زيوس بحبه ورعايته . أولاه اهتماماً منقطع النظير . منحه الجاه والمجد والسلطان . سمح له أن يروح ويغدو بين آلهة السماء . أن يرافقه فى روحاته وغدواته . أن يكون بجواره فى السراء والضراء . كان تانتالوس على علم بأسرار مملكة الأولومپوس . كان يعرف مايدور بين آلهة الأولومپوس من أحاديث . ومايتخذونه من قرارات . كان يشاركهم احتفالاتهم ومسراتهم . بل أكثر من ذلك . كان له أن يشاركهم طعامهم الإلهى وشرابهم الإلهى(٨) .

أحياناً كانت الآلهة تتغذى كما يتغذى أفراد البشر . تأكل ما يأكله أفراد البشر . وتشرب مايشربونه . لكن للآلهة نوعاً خاصاً من الطعام والشراب تتناوله بالإضافة إلى الطعام والشراب الذى يتناوله أفراد البشر . ذلك النوع الخاص من الطعام والشراب هو الذى يمنح الآلهة الخلود . يقول هوميروس إن طعام الآلهة الخاص هو الأمبروسيا . وتحضره إلى زيوس يومياً جماعات اليمام من مناطق واقعة فى أقصى الغرب . أما شراب الآلهة الخاص فهو النكتار . والنكتار هو نوع من النبيذ الأحمر تنتجه ربة الشباب – هيبى – خِصيصاً من أجل الخالدين . كان تانتالوس هو الوحيد من بين سكان الأرض الذى سمح له أن يشارك الآلهة طعامهم الخاص وشرابهم الخاص .

* * *

(٧) قيل أيضاً إن پلوپس ليس ابناً لتانتالوس ، بل هو ابن أطلس من الحورية لينوس . كما قيل أيضاً إنه لقيط مجهول الوالدين . أنظر مزيداً من المعلومات ومصادرها فى :
Graves, Op. Cit., II, p. 25; nn. 4 and 5.

(٨) Hamilton, Mythology, p. 237.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لم يكن تانتالوس يعترف بفضل زيوسٍ عليه . لم يكن يحمد تانتالوس والده على ما منحه من جاه ومجد وسلطان . لم يصنْ ذلك الابن العاق نعم أبيه عليه . كان الحقد يملأ قلب تانتالوس . كان الحسد يعذبه دائماً . كان لايحترم الآلهة . ولايقيم لهم وزناً. يخاطبهم فى صفاقه وصلافة . يستهزىء بهم . ويتعالى عليهم . يوجه إليهم الإهانات المختلفة . كانت الآلهة تصفح عنه . لم تكن تحيط زيوس علماً بشىء من تصرفات ولده تانتالوس .

ظل تانتالوس يتمادى فى حماقته كلما ازداد حب زيوس له . داخلته فكرة جريئة صمم على تنفيذها . أراد أن يزيل الفارق بين الإله والإنسان . الإله خالد لايموت . والإنسان زائل ذائق الموت . جرعة واحدة من الأمبروسيا والنكتار كافية لإزالة ذلك الفارق الجوهرى العظيم بين الإله والإنسان . لو سرق تانتالوس كمية من طعام الآلهة وشرابهم الخاص وقدمه للإنسان لأصبح تانتالوس بطلاً ذائع الصيت بين أفراد البشر . أعجبته الفكرة . وسيطرت عليه الرغبة فى تنفيذها . بدأ يسرق كميات من الأمبروسيا ويدخرها . بدأ يجمع كميات من النكتار . كانت الكميات المسروقة تزداد يوماً بعد يوم . كان يختار أشخاصاً معينين من بين أفراد البشر . ويقدم إليهم جرعات من الأمبروسيا والنكتار (٩) . لم يفطن زيوس فى بداية الأمر إلى ماقام به تانتالوس . ظل سر جريمته خافياً إلى حين ، ظن السارق أنه استطاع أن يخدع الآلهة. لم يساوره شك فى أن الآلهة غافلة عن مايفعله أفراد البشر . تغيرت نظرة تانتالوس إلى كبير الآلهة زيوس . كان زيوس يلقب بألقاب التعظيم والإكبار . كان يناديه أفراد البشر والآلهة بألقاب متعددة : رب الأرباب . العالم بكل شىء . المحيط بالأسرار . القاهر . القوى . وهاهو تانتالوس يكتشف أن زيوس ليس قادراً على عمل شىء . لم يفطن زيوس إلى ما قام به تانتالوس . لم يكتشف أن تانتالوس لايحترم الآلهة . لم يكتشف أنه يعاملهم باحتقار . لم يكتشف أنه سرق كميات من الأمبروسيا والنكتار . عندئذ . ملأ الزهو نفس تانتالوس إلى حد الغرور . قويت ثقته فى نفسه إلى حد الخداع.

بالرغم من سلوك تانتالوس . ظلت الآلهة تظهر له الحب والإعزاز . أراد تانتالوس أن يتأكد من استمرار حب الآلهة له . طلب منهم أن يعبروا عن تكريمهم

(٩) Pindar, Olympian Odes, I, 60 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

وحبهم . دعاهم إلى منزله المتواضع – إذا ماقورن بقصورهم الفاخرة – قبلوا دعوته دون تردد . جاء اليوم الموعود . نزل الأرباب والربات من عليائهم – على رأسهم زيوس العظيم . توجهوا نحو قصر تانتالوس . أقام لهم تانتالوس وليمة هائلة . تحدث جميع سكان الأرض عن تانتالوس . أحس جميع أفراد البشر بالسرور والفرح . لقد لبت الآلهة دعوة واحد منهم . ونزلت من عليائها وشرفت داره . أحس شعب تانتالوس بالفخر والزهو . أقام كل فرد من أفراد الشعب وليمة فى منزله . أقيمت الاحتفالات فى كل مكان . وجاء وقت إعداد الطعام والشراب . أعد تانتالوس للآلهة أشهى أنواع الأطعمة . أتى بأفخر أنواع الشراب . امتدت الموائد . حملًها الخدم بالصحاف الزاخرة بالأطعمة والأباريق المليئة بالشراب . تقدم تانتالوس نحو الآلهة فى أدب واحترام . طلب منهم أن يتوجهوا نحو الموائد العامرة . وزعت عليهم كؤوس الشراب . شربوا نخب تانتالوس وتكريمه لآلهة الأولمپوس . ثم جاء دور الطعام . صمم تانتالوس أن يتولى بنفسه تقديم الصنف الأول . لحم مشوى أشرف تانتالوس على شوائه بنفسه . وزع تانتالوس كميات اللحم فى الصحاف . وضع الصحاف بنفسه أمام الضيوف الأعزاء . طلب منهم فى أدب واحترام أن يبدأوا فى تناول الطعام .

مدّ كل ضيف يده فى صحفته . تناول قطعة الشواء . وضعها فى فمه . فجأة حدث شيء لم يكن فى الحسبان . أخرج كل ضيف على الفور قطعة اللحم من فمه . ألقى بها على الأرض فى ذعر شديد واشمئزاز واضح . فعل ذلك كل ضيف – إلا الربة ديميتر (١٠) . التهمت كمية اللحم التى وضعها تانتالوس أمامها . لم تكن ديميتر – حينئذ – حاضرة الذهن . كانت فريسة للهمّ والقلق (١١) . تفكر فى مصير ابنتها پرسيفونى بعد أن اختطفها إله العالم السفلى (١٢) . لذا . لم تميز الربة ديميتر نوع اللحم الذى قدمه إليها (١٣) .

بُهت تانتالوس عندما شاهد كل الآلهة تلقى باللحم على الأرض فى وقت واحد. كان يعرف تانتالوس أى نوع من اللحم قدمه إلى ضيوفه . لكنه لم يكن يتوقع

(١٠) Hyginus, fabula 83; Ovid, Metamorphoses, VI, 406.

(١١) Guerber, Op. Cit., p. 143.

(١٢) أنظر ص ٢٠ أعلاه .

(١٣) قيل أيضاً إن حورية الماء ثيتس -Thetis وليست الربة ديميتر – هي التي أكلت كتف پلوپس . راجع : Scholiast on Pindar's Olympian Odes, I 37.

مكتبة المهتدين الإسلامية

على الإطلاق أنهم سوف يكتشفونه بهذه السهولة المذهلة . كان واثقاً أنهم لن يكتشفوه على الإطلاق . كان قد أعماه الغرور وخدعته ثقته الشديدة فى نفسه . كان يعرف تانتالوس نوع اللحم الذى أشرف على شوائه بنفسه وقدمه لضيوفه بيده . كان يعرف أنه لحم بشر !! بل كان يعلم ما هو أقسى وأفظع من ذلك . كان يعرف أنه لم يقدم لضيوفه سوى لحم ولده بلوپس !! (١٤) .

انتاب زيوس غضب شديد . ساد الهرج والمرج قاعة الاحتفال . غادرت الآلهة قصر تانتالوس دون رجعة . تنبه زيوس إلى حقيقة شعور تانتالوس نحوه ونحو بقية الآلهة . قرر الانتقام من تانتالوس الجحود – وإن انتقام كبير الآلهة لشديد .

اختلفت الروايات فى تبرير ذلك العمل المريع الذى أقدم عليه تانتالوس الجسور. حاول البعض الدفاع عن تانتالوس . حاول البعض الآخر اتهامه بأفظع الاتهامات . لذا اختلفت الأسباب وتعددت الروايات (١٥) .

قيل إن تانتالوس كان حسن النية فيما فعل . أراد أن يحتفى بضيوفه . رغب أن يعبر عن سروره البالغ بتشريفهم لقصره . لم يجد عملاً يقوم به أعظم من أن يذبح ولده ويقدم لحمه طعاماً لهم . لكن هذا القول مرفوض من أساسه . فلم يكن حاتم الطائى قد ولد بعد . ولم يكن الإغريق معروفين بذلك النوع من الكرم .

قيل إن تانتالوس وجد فى اللحظة الأخيرة أن الطعام الذى أعده الخدم والطهاة ليس كافياً . لاحظ أن الأصناف التى أُعدّت لاتليق بفخامة الوليمة وعظمة المناسبة . لذا أراد أن [illegible] صنفاً آخر من أصناف الطعام إلى بقية الأصناف التى كان قد تم إعدادها . لكنه قول مرفوض أيضاً . فلم يكن أحد يعتقد فى ضآلة موارد تانتالوس ، الذى عرف بوفرة الموارد وشدة الثراء .

قيل إن تانتالوس أراد أن يثبت – بطريقة عملية – أن الآلهة لاتعلم كل شىء .. أراد أن يثبت لأفراد البشر والآلهة على حد سواء أن زيوس لايحيط بكل الأسرار . أراد أن يبرهن أن من السهل خداع الآلهة وأن الآلهة لاتفوق أفراد البشر . فى التفكير . أو المعرفة . أو قوة الملاحظة . قول يتناسب مع سلوك تانتالوس تجاه الآلهة . ويتلاءم

(١٤) Hamilton, Op. Cit., pp. 237-8.

(١٥) Graves, Op. Cit., Vol. I, p. 25.

http://www.al-maktabeh.com

مع نظرته إليهم – خاصة بعد أن سرق الأمبروسيا والنكتار وقدمهما إلى البشر دون أن تكشف الآلهة مافعله تانتالوس .

قيل إن تانتالوس أراد أن يسبب للآلهة حرجاً شديداً . أراد أن يظهرها أمام البشر في صورة آكلي لحم البشر (١٦) . قول لايتعارض مع شعور تانتالوس بالكراهية نحو الآلهة وحقده عليها .

اختلفت الأسباب . وتعددت الروايات . لكن جريمة تانتالوس لم تكن تفارق خيال كبير الآلهة زيوس . ظل يفكر في عقاب يليق بما أقدم عليه تانتالوس الجسور . تناول الابن العاق الأمبروسيا والنكتار . أصبح خالداً لايقدر عليه إله الموت . إذن . لابد أن يعيش تانتالوس ذليلاً . كسيراً . دون جاه أو سلطان . لكن ذلك العقاب ضئيل لايتناسب مع فظاعة جريمة تانتالوس .

بينما كان زيوس يفكر في طريقة ينتقم بها من تانتالوس وصلت إليه أخبار جرائم أخرى ارتكبها ذلك الابن العاق (١٧) . علم زيوس بجريمة سرقة الأمبروسيا والنكتار وتقديمهما لبعض أفراد البشر (١٨) . بل اكتشف أيضاً جريمة سرقة من نوع آخر (١٩) . عندما كان زيوس طفلاً رضيعاً ، كانت تخفيه أمه في كهف مهجور في جزيرة كريت. عندئذ صنعت الآلهة تمثالاً من الذهب يمثل كلباً ضخماً من كلاب الحراسة . و[illegible] والدة زيوس التمثال الذهبي في الكهف ليقوم بحراسة الطفل الرضيع أثناء غيابها . كبر زيوس . وغادر الكهف . نقل التمثال الذهبي فيما بعد إلى معبد زيوس . أصبح التمثال حارساً للمعبد كما كان حارساً للرضيع زيوس من قبل . تسلل شخص يدعى بنداريوس إلى معبد زيوس واستولى على الكلب الذهبي . خشي أن يضبط متلبساً بجريمته . ذهب على الفور إلى تانتالوس . سلمه التمثال . تركه

(١٦) Hamilton, Op. Cit. p. 237.

(١٧) اختلفت الروايات حول سبب عذاب تانتالوس (١) سرق الأمبروسيا والنكتار وأعطاهما إلي أصدقائه من البشر . (٢) أفشي أسرار الآلهة . (٣) طالب بأن يكون خالداً لايموت مثل الآلهة . (٤) أنكر وجود تمثال الكلب الذهبي لديه . (٥) اغتصب الصبي جانيميديس . (٦) أنكر ألوهية الشمس وقال بأنها ليست إلهاً . راجع : Rose, Greek Mythology, p. 81.

(١٨) Zimmerman. Dictionary of Classical Mythology, s.v. Tantalus.

(١٩) Antoninus Liberalis, Metamorphoses, 36 and 11; Eustathius and scholiast on Homer's Odyssey XIX, 518; Pausanias. X, 3,1 and VIII. 7.3.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أمانة لديه . لما نسى الناس حادث السرقة . أطمأن ينداريوس . ذهب إلى تانتالوس . طلب منه أن يرد الأمانة . كانت دهشة ينداريوس شديدة ، عندما أنكر تانتالوس وجود التمثال لديه . استحلفه ينداريوس بزيوس . أقسم تانتالوس بزيوس أنه لم ير طول حياته كلباً من ذهب . علم زيوس بقصة النزاع بين تانتالوس وينداريوس . علم أن تانتالوس يسرق . ويخفى أشياء مسروقة . ويرفض أن يردها . ثم يحلف بزيوس زوراً . إزداد غضبه واشتد . وأرسل رسول الآلهة هرميس كى يحقق فى الأمر . اكتشف هرميس صحة أقوال يندايوس . طلب من تانتالوس إعادة التمثال الذهبى إلى المعبد . أصر تانتالوس على الإنكار . أضطر هرميس إلى استخدام القوة . إستعاد التمثال . أعاده إلى المعبد . لقى يندايوس جزاءه . ثم عاد زيوس مرة أخرى يفكر من جديد فى عقاب يليق بجرائم تانتالوس المروعة المتكررة .

ارتكب تانتالوس ثلاث جرائم . كل منها أشنع من الأخرى . لذا حكم عليه زيوس بثلاثة أنواع من العقاب يقاسيها فى وقت واحد [٢٠] . وقبل أن ينفذ الحكم فى تانتالوس . كان عليه أن يذهب إلى العالم السفلى . بعد أن يعيش فترة من الزمن ذليلاً. كسيراً . دون جاه أو سلطان . بدأ زيوس بتدمير مملكة تانتالوس و[illegible] شعبه [٢١] . أذهب عنه الجاه والمجد والسلطان . جعله يعيش ذليلاً كسيراً . ثم أزهق روحه . لم يرسل إليه إله الموت . فلم يعد إله الموت قادراً على إزهاق روح تانتالوس بعد أن تناول الأمبروسيا والنكتار اللذين يمنحان الخلود [٢٢] . لذلك تولى زيوس الأمر بنفسه . هو الذى أزهق روح تانتالوس . بعدئذ انتقل الإبن العاق إلى العالم السفلى . وأفسح له إله العالم السفلى مكاناً بين المعذبين . ثم بدأ زيوس فى تنفيذ الحكم فى تانتالوس [٢٣] .

(٢٠) يروي هوميروس Iliad, XI. 582 sqq. قصة عذاب الجوع والعطش ، ويذكر بنداروس (Isthmian Odes, VIII. 10; Olympian Odes, I, 57 sqq.) قصة عذاب الخوف ، كما يرويها أيضاً يوريبيديس (Orestes, 4 sqq) .

(٢١) يروي پلينيوس (Pliny, Nat. Hist., II, 93) أن مملكة تانتالوس دمرت بواسطة زلزال ، كما يروي أيضاً (Ibid., V, 31) أنه قد أعيد بناء المملكة ثلاث مرات في نفس الموقع قبل أن يصيبها في النهاية طوفان ويأتي عليها نهائياً .

(٢٢) Pindar, Olympian Odes, I, 60 sqq.

(٢٣) Diodorus Siculus, IV, 74; Plato, Cratylus, 28; Homer, Odys., XI, 582-92; Ovid, Metamorphoses, IV, 456; Pindar, Op. Cit., 60; Hyginus fabula 82; Pausanias, X, 31, 4.

http://www.al-maktabeh.com

قرر زيوس أن يعيش تانتالوس فى العالم السفلى إلى الأبد وهو يقاسى ثلاثة أنواع من العذاب . العطش الأبدى . الجوع الأبدى . الخوف الأبدى .

يقف تانتالوس وسط بركة غير عميقة . تغطى المياه جسده حتى الخصر . ترتفع المياه أحياناً حتى تصل إلى ذقنه . لكنه يقضى حياته عطشان ظمآن . لايبتل حلقه بالماء أبداً . كلما اشتد به الظمأ يميل بوجهه إلى الأمام . يفتح فمه . يحاول أن يملأه بالماء . لكن الماء ينحسر بسرعة مذهلة حتى يختفى تماماً . ويظهر قاع البركة . ولايبقى سوى الطمى الذى يغطى قدمى تانتالوس العاريتين . يرفع تانتالوس وجهه إلى أعلى فى يأس وحسرة . فتعود المياه إلى البركة فى سرعة شديدة . وترتفع حتى تغطى خصره . عندئذ . يضم تانتالوس أصابع يده يغرف الماء بكفه . يرفع كفه نحو فمه فى لهفة وشوق . لكن الماء يتسرب بسرعة شديدة من بين أصابعه . تصل كفه إلى فمه خالية من الماء . يمر تانتالوس بأصابعه المبللة فوق شفتيه المشققتين فيزداد ظمؤه وعطشه .

بالقرب من البركة التى يقف فيها تانتالوس شجرة ضخمة باسقة . محملة بأنواع مختلفة من الثمار : الكمثرى . التفاح اللامع . التين الحلو . الرمان الناضج . حبات الزيتون الناضجة . تتدلى هذه الثمار الحلوة الناضجة من أغصانها حتى تصل إلى مستوى كتفى تانتالوس . وتقترب منه حتى تصبح فى متناول يديه . لكنه يقضى حياته جوعان . لايذوق الثمار ولايصل شىء إلى جوفه . تقترب الثمرة منه . يمد يده نحوها فى شوق ولهفة . يحاول أن يقطفها . عندئذ تهب ريح شديدة على الفور . وتقذف بالغصن الذى يحمل الثمرة بعيداً عنه . يعيد تانتالوس يده إلى جانبه فى حسرة وألم وقد أصبح أكثر جوعاً عن ذى قبل .

تقع البركة التى يقف فيها تانتالوس عند حافة سفح جبل شاهق شديد الانحدار . على قمة ذلك الجبل الشاهق صخرة ضخمة . فى وضع مائل غير ثابت . تبدو هذه الصخرة لتانتالوس وكأنها ستنهار فوق رأسه فى التو واللحظة . بين لحظة وأخرى تهب عاصفة شديدة على قمة الجبل . تتزحزح الصخرة المائلة . وتصبح على وشك الانهيار والسقوط فوق رأس تانتالوس . وفجأة تهدأ العاصفة وتأخذ الصخرة فى التوقف عن الحركة شيئاً فشيئاً . إن تانتالوس يعيش فى رعب دائم . يخشى أن تنهار الصخرة فوق أم رأسه فتهشمها . لكن الصخرة باقية فى هذا الوضع . ولاتسقط أبداً .

مكتبة المهتدين الإسلامية

لكن تانتالوس يقضى حياته فى رعب أبدى . ولايغفل عن مراقبتها لحظة واحدة .

هكذا يعيش تانتالوس منذ بدء الخليقة حتى اليوم . وهكذا سيعيش إلى أبد الآبدين . ظمآن والماء من حوله زلال . جوعان والطعام بين يديه ناضج . خائفاً والأمان مكفول له . هكذا يعيش تانتالوس دائماً وأبداً . يغمر الماء الزلال جسده ولايستطيع أن يشربه . تداعب الثمار الحلوة عينيه ولايتمكن من أن يذوقها . تميل الصخرة الضخمة وتتأرجح فوق رأسه ولاتصيبه بسوء .

مازال تانتالوس يعيش على الأمل . قد يأتي يوم يروى فيه ظمأه . قد يأتى يوم يتخلص فيه من خوفه . إن تانتالوس واحد من المعذبين على وجه الأرض . من السعداء الذين يعيشون على الأمل الخداع .

* * *

تلك هى أسطورة تانتالوس . قصة العذاب الأبدى [٢٤] . وردت هذه القصة لأول مرة عند هوميروس . ثم تناولها أغلب الكتاب والأدباء الإغريق والرومان . ولقد حاول البعض الدفاع عن تانتالوس . كما حاول البعض الآخر الدفاع عن الآلهة . نحن نعلم – مثلاً – أن الشاعر الإغريقى المعروف پنداروس ينكر بشدة أن واحدة من الربات قد أكلت اللحم البشرى الذى قدمه إليها تانتالوس . بل يؤكد الشاعر نفسه أن تلك الرواية ليست إلا كذباً وافتراءاً على الآلهة المبجلة .

اشتهرت قصة تانتالوس فى العصور القديمة [٢٥] . وأصبحت تبريراً لنشأة عقيدة هامة من عقائد الإغريق [٢٦] . اعتقد الإغريق فى توارث اللعنة . اعتقدوا أن الإنسان يرث أعماله وتصرفاته . إن ارتكب أحد الأشخاص جريمة أنزلت عليه الآلهة

(٢٤) أنظر تفسير هذه الأسطورة من وجهة نظر المفسرين الطبيعيين الذين يعتقدون أن كل الأساطير الإغريقية تنتمي للشمس .Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 353 . أنظر المقدمة ص٤٦ .

(٢٥) أصبح يضرب المثل بعذاب تانتالوس في العصور القديمة والحديثة .
Pindar, Isthmian Odes, VIII, 10 : Plato, Protagoras, 310 لاحظ أيضاً الفعل tantalize ومشتقاته في اللغة الإنجليزية .

(٢٦) راجع .Graves, Greek Myths, Vol. II, pp. 29-30

http://www.al-maktabeh.com

لعنة أبدية تظل تلاحقه وتلاحق أبناءه وأحفاده وأحفاد أحفاده . روت الأساطير أن بروتياس كان ضحية تلك اللعنة التى ورثها عن والده تانتالوس (٢٧) ، وأن مصير نيوبى السيء ليس إلا نتيجة حتمية لنفس اللعنة التى ورثتها عن والدها تانتالوس أيضاً(٢٨) . بل تذهب الروايات إلى أبعد من ذلك . لقد أعادت الآلهة بلوبس إلى الحياة . وجعلته يتعذب ويقاسى من اللعنة التى أنزلتها الآلهة على والده . بل ظلت اللعنة تطارد أتريوس بن بلوبس . ثم أحفاد أتريوس أيضاً .

قد تصور قصة تانتالوس الطموح الإنسانى الذى لاحدود له . لقد وصل تانتالوس إلى أقصى درجات المجد والجاه والسلطان . وكان يتمتع بثقة الآلهة والبشر وينعم بحبهم . لكنه يريد أن يصل إلى أبعد من ذلك (٢٩) . يريد أن يثبت أنه لايقل عن الآلهة فى شيء . قد تصور أيضاً الطمع الإنسانى الذى لاحدود له والشر الذى لايعرف الكفاية . وتؤكد أن نتيجة الطمع والشر ظمأ أبدى وجوع أبدى وخوف أبدى . وقد تصور أيضاً قصة عذاب الإنسان على وجه الأرض . قصة كفاحه الدائم من أجل لقمة العيش وجرعة الماء والإحساس بالطمأنينة . قصة الأمل الذى يداعب الإنسان فلايقع فريسة لليأس . فمازال تانتالوس يعيش على الأمل .. يكافح ويناضل كى يتخلص من الظمأ ويهرب من الجوع ويقهر الخوف .

* * * * * *

(٢٧) Ibid., p. 27.

(٢٨) Rose, Greek Mythology, p. 144.

(٢٩) يري أفلاطون (Plato, Cratylus, 28) أن الاسم تانتالوس Tavτάλos مشتق من صفة مبالغة التفضيل ταλavτaτo's بمعني «الأتعس» ، وكلاهما من الجذع Tλa بمعني «التحمل» أو «المعاناه» ... أما فعل ταλavτε'υειν ويعني «يزن» أو «يقدر الأموال» – فهو يشير إلي مدي الثراء الفاحش الذي وصل إليه تانتالوس قبل أن يلقي مصيره المؤلم .

مكتبة المهتدين الإسلامية

پلوپس

انطلق پلوپس فى سرعة رهيبة . ظل يسابق الريح . لم يكن مورتيلوس يفكر فى شىء سوى قضاء ليلة بين أحضان هيپوداميا . تاه مورتيلوس فى غياهب الخيال . أخذ يتخيل كيف تكون متعته وهو بين أحضان هيپوداميا. سرح بتفكيره وخياله . فجأة ، أحس بدفعة شديدة أطاحت به من فوق ظهر العجلة . ركله پلوپس بعنف . قذف به من فوق ظهر العجلة . ظل مورتيلوس يتدحرج على الأرض . ظل يتدحرج نحو شاطئ البحر . اندفع اندفاعاً شديداً حتى غاص فى مياه البحر العميق . لايدرى أحد إن كان مورتيلوس قد مات غرقاً ، أو مات من شدة اصطدام جسده بالصخور ، لكنه ظل يردد قبل موته : عليك اللعنة ياپلوپس عليك اللعنة ياپلوپس ! عليك اللعنة وعلى ذريتك أجمعين !!

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

پلـــوپـــس

ذبح تانتالوس ولده . قطَّعه إرباً ، قدم لحمه طعاماً للآلهة . فطنت الآلهة إلى مافعل . ربة واحدة هي التي أكلت . رفض الباقى . قررت الآلهة أن تعيد ابن تانتالوس إلى الحياة . أجزاء جسده الممزق . وضعت كل جزء فى مكانه . لم يبق سوى الكتف ، التى أكلتها الربة المخدوعة ، صنع الآلهة كتفاً من العاج . وضعوها فى مكان الكتف الناقصة [1] نفخوا الروح فى الجسد . عادت الحياة إلى ابن تانتالوس . فعلت الآلهة ذلك كى تحافظ على ذرية تانتالوس . فعلت ذلك كى تتوارث ذرية تانتالوس اللعنة . لم يكن ذلك الابن سوى پلوپس .

نما پلوپس وترعرع فى كنف والده تانتالوس . ثم لقى تانتالوس عقابه . كان تانتالوس ملكاً على مملكة بافلاجونيا . ورث پلوپس العرش عن أبيه . أقام فترة فى منطقة أنيتى الواقعة على شاطىء البحر الأسود . امتد سلطانه حتى شمل منطقة لوديا وفروجيا . لكن الآلهة كانت له بالمرصاد . واللعنة ظلت تطارده . طرد پلوپس من أرض بافلاجونيا . لجأ إلى منطقة جبلية فى لوديا . ثم طرد أيضاً من لوديا ، أخذ يبحث عن أرض تجمعه ورفاقه . ظل يبحث عن ملجأ يأويه . ضربت عليه الذلة والمسكنة [2] . لكن الآلهة تمهل ولاتهمل ، فجأة ، ابتسم له القدر ابتسامة خادعة . حدث ذلك عندما تزوج پلوپس . لكن لزواجه قصة تفوق الخيال ، قصة مليئة بالمغامرات ، داخرة بألوان المكر والدهاء .

أوينومايوس ، ملك أركادى ، كان يحكم بيزا وإيليس . اختلفت الروايات حول نسبه ، قيل إن والده الإله آريس ، أو ألكسيون ، أو هيپروخوس . قيل إن والدته هارپينا ابنة أسوپوس ، أو أستيرى ، أو أستيروپى ، أو يوروثوى ابنة داناؤوس [3] . تزوج

(١) راجع ص ٢٦٦ أعلاه .

(٢) Apollonius Rhodius, Argonautica, II, 358 and 790; Sophocles, Ajax, 1292; Pausanias, II, 22, 4 and VI. 22,1; Pindar, Olympian Odes, I. 24.

(٣) Diodorus Siculus, IV, 73; Hyginus, fabula, 250; Idem, Poetica Astronomica, II. 21; Pausanias, V, 1, 5.

http://www.al-maktabeh.com

أوينومايوس يوآريتى ابنة أكريسيوس ، أو – فى رواية أخرى – ستيروبى . أنجب ثلاثة أبناء : ليوكيبوس ، وهيبوداموس ودوسيونتيوس . ثم أنجب ابنة واحدة هى هيبوداميا(٤) . كان أوينومايوس يهوى تربية الخيوال ، خاصة خيول السابق ، كان بارعاً في سباق العجلات . عشق أوينومايوس ابنته هيبوداميا . أحس نحوها بحب لم يستطع أن يقاومه (٥) . لم يطق أن تفارقه ابنته لحظة واحدة . لم يقدر على أن يبوح بحبه الآثم . كتم أحاسيسه ومشاعره . تقدم الشبان يطلبون الزواج من هيبوداميا . ازداد ٠ ٠ أوينومايوس . فرض شروطاً قاسية على كل طالب للزواج . كان على كل طالب للزواج من هيبوداميا أن يكون بارعاً فى سباق العجلات . كان عليه أن يتسابق مع أوينومايوس . كان عليه أن يسبقه (٦) .

* * *

فرض أوينومايوس مسافة طويلة للسباق . يبدأ السباق عند بلدة بيزا الواقعة على شاطىء نهر ألْيوس فى المنطقة المواجهة لأولومپيا . ينتهى السباق عند معبد پوسيدون الواقع على مضيق كورنثا . قيل إن كل عجلة متسابقة كان يجرها زوج من الخيول ، وقيل – فى رواية أخرى – زوجان . أصر أوينومايوس أن تقف هيبوداميا فوق عجلة السباق بجوار منْ يطلبها للزواج . فإذا وقفت هيبوداميا بجواره شدت انتباهه ، شغلته . بذلك ، أصبح مشغولاً عن متابعة السباق ، سمح أوينومايوس لمنافسه أن ينطلق بعجلته أولاً . سمح له أن يبدأ السباق قبله بحوالى ٠ ٠ ساعة . كان فى ذلك إغراء للمتسابق الشاب . بعث الأمل فى نفس المتسابق ، جعله مطمئناً . لم يكن المتسابق الشاب يعرف السبب الحقيقى . لكن أوينومايوس كان يعرفه . بعد أن ينطلق المتسابق الشاب ، يذهب أوينومايوس إلى معبد زيوس المحارب الواقع فى أولومپيا . يصلى للإله أن يمنحه النصر فى نهاية السباق . يسترضى الإله بحمل وليد ، يذبحه

(٤) Pausanias, VIII, 20, 2 and VI, Hyginus, Poetica Astronomica, II, 21; fabula 84. 22, 2.

(٥) قيل – في رواية أخري – إن الآلهة حذرته بأن ابنته سوف تتزوج وتنجب طفلاً يصبح خطراً علي جده پلوپس Apollodorus, Epitome, 4 .

(٦) Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Pausanias, V. 10, 2 and VI, 21, 6; Apollodorus, Op. Cit., II, 4.

مكتبة المهتدين الإسلامية

قرباناً للإله . كان أوينومايوس واثقاً أن ذلك سوف يمنحه الفوز فى السباق (٧) .

وتمضى هذه الفترة من الزمن . نصف الساعة . يكون المتسابق الشاب قد انطلق فى طريقه ، وبجواره هيبوداميا ، يكون أوينومايوس قد استرضى الإله . ثم ينطلق أوينومايوس بعجلته السحرية . يقودها سائق محنك يدعى مورتيلوس . يجرها زوج من الخيول السريعة : أحدهما يدعى بسولا ، والآخر هاربينا ، منحهما الإله آريس هدية إلى ولده أوينومايوس . كانت خيول أوينومايوس أسرع من ريح الشمال . كانت أروع خيول عرفها الإغريق على مدى الزمان . كان أوينومايوس – إذن – واثقاً فى الفوز . لديه سائق بارع ، وخيول سريعة ، وعجلة صنعت خصيصاً للسباق . هذا بالإضافة إلى عناية الإله به ورعايته له . كان ينطلق بعجلته فى سرعة فائقة ، يلحق منافسه الشاب . يطلق نحوه حربة سامة تقضى عليه فى الحال . ثم يقهقه فى خيلاء وهو ينتزع ابنته هيبوداميا من بين أحضان منافسه الصريع . ثم لايلبث أن يعلن عن استعداده للاشتراك فى سباق آخر (٨) .

بهذه الطريقة فاز أوينومايوس فى السباق ثلاث عشرة مرة . انتصر على ثلاثة عشر منافساً . صرع ثلاثة عشر أميراً من أشجع أمراء الإغريق . جمع جثث منافسيه المقهورين . علق رؤوسهم وأطرافهم فوق بوابات قصره . ألقى بأبدانهم على الأرض فى وحشية مروعة . صنع كومة عالية مخيفة من اللحم البشرى . لم يرحم منافسيه حتى بعد موتهم . لم يكن قاسياً فى معاملتهم فقط . كان قاسياً فى معاملة خيولهم أيضاً . عندما قهر منافسه الأول مارماكس ذبح خيوله التى كانت تجر عجلته أثناء السباق . هكذا أصبح اسم أوينومايوس مثيراً للخوف والرعب فى نفوس أمراء الإغريق . أصبح أوينومايوس رمزاً للقسوة والوحشية . أصبح اسمه يتردد على كل لسان . أ . . قسوته موضوع كل حديث (٩) .

سيطر الغرور على أوينومايوس . ملأت صدره موجات متلاحقة من الكبرياء . أصبح متغطرساً ، متعجرفاً ، دائم الحديث عن انتصاراته . تمادى فى غروره

(٧) Lucian, Charidemus, 19; Pausanias, V, 14, 5.

(٨) Servius on Vergil's Georgics, III, 7; Tzetzes, Lycophron, 166; Apollonius Rhodius, I, 756; Pausanias, VIII, 14,7.

(٩) Graves, Greek Myths, Vol. II. pp. 31-3.

http://www.al-maktabeh.com

وكبريائه . ظل يعلن تحدياته ويبعث تهديداته إلى كل شباب الإغريق . أقسم أن يقيم معبداً من جماجم منافسيه . أراد أن يفعل كما فعل غيره من الملوك المغرورين المتغطرسين . فلقد سبقه أنتايوس (١٠) وديوميديس وإيفينوس في إقامة معابد من الجماجم البشرية . تنبهت الآلهة إلى الخطر الذى أصبح يهدد بلاد الإغريق . أرادت أن تضع حداً لغطرسة أوينومايوس . قررت أن تحطم غروره . أرسلت إليه شاباً إغريقياً جسوراً يدعى بلوپس . فى أول الأمر ، استولى الرعب على بلوپس . ملأ الخوف صدره . لكنه صمم على مواجهة أوينومايوس . ذهب بلوپس إلى معبد الإله پوسيدون فى إيليس. قدم الذبائح . بعث بالدعوات . أقام الصلوات تكريماً للإله . ناشده المعونة والعون . توسل إليه أن يقوم بعمل من اثنين : إما أن يمنحه زوجاً من الخيول تسبق خيول أوينومايوس ، أو يحطم حرية الملك المتغطرس حتى لاتقضى على بلوپس عند نهاية السباق . انشرح صدر الإله . أبدى استعداده للمعونة . وعد بلوپس بالمساعدة . منحه أسرع عجلة سباق عرفها الإغريق حتى تلك اللحظة . منحه عربة سباق مجنحة ، تسبق الريح ، تجرى فوق سطح الماء دون أن تبتل عجلاتها ، يجرها طاقم من خيول ربانية . مجنحة لايدركها التعب ، ولايغلبها المرض أو الشيخوخة(١١) .

* * *

انطلق بلوپس بعجلته التى تسبق الريح ، وصل إلى جبل سيبولوس . توجه إلى معبد أفروديتى . قدم قرباناً لربة الحب والرغبة . طلب منها أن تلقى بسهامها الدافئة فى صدر هيبوداميا . فإن تعشقه هيبوداميا تساعده على إحراز النصر . ثم بدأ يجرب عجلته ، ويتدرب على السباق . انطلقت عجلته عبر البحر الإيجى ، يقودها سائق بارع محنك يدعى كيلوس . اقترب بلوپس من جزيرة لسبوس . فجأة ، حدث شيء لم يكن يتوقعه . فاضت روح سائق عجلته . مات كيلوس . لم يتحمل قلبه السرعة الفائقة . توقف بلوپس فى جزيرة لسبوس . قضى الليل هناك . ظهر له فى المنام شبح كيلوس . رأى بلوپس كيلوس يبكى حظه العاثر . سمعه يطلق آهات الحسرة والأسف . كان كيلوس يتمنى أن يشارك بلوپس حلاوة النصر . صحا بلوپس من نومه مذعوراً . أحضر جثة كيلوس . تلى عليها الصلوات والدعوات ، أحرقها ، دفن رفات صاحبه .

(١٠) راجع ص٤٢٣ أدناه .

(١١) Pindar, Olympian Odes, I, 56 sqq. ; Pausanias, V, 17,4; Tzetzes, Lycophron, 159.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أقام فوقها نصباً تذكارياً . أقام بجوار النصب محراباً مقدساً وهبه للإله أپوللون ، ثم واصل الانطلاق بعجلته التي تسبق الريح . كان يقودها بنفسه هذه المرة (١٢) .

وصل پلوپس إلى بيزا ، حيث يوجد قصر أوينومايوس ، وحيث يبدأ السباق . رأى رؤوساً وأطرافاً بشرية معلقة على بوابة القصر . رأى أبداناً بشرية مكدسة على الأرض بلا نظام . هاله ما رأى . أحس بموجات متتالية من الفزع تسري في جسده . استولى عليه الذعر ، هزه الخوف ، همَّ أن يتراجع ، لكنه كان يعلم أن الآلهة تقف في جانبه . استعاد پلوپس بأسه . لمَّ أطراف شجاعته . أخذ يفكر ويتدبر الأمر . أدرك أنه مقدم على مغامرة يائسة . بدأ يطرق أبواباً أخرى ، قابل هيپوداميا . غازلها . طارحها الغرام ، تجاوبت معه على الفور ، فلقد وعدته الربة أفروديتي أن تبعث بسهامها الدافئة في صدر هيپوداميا . أحست هيپوداميا بحب شديد نحو پلوپس . أ ... به . ضاقت ذرعاً بغرور والدها وغطرسته . قررت أن تتخلص من قيود والدها القاسي . ... على مساعدة پلوپس .

ذهبت هيپوداميا إلى مورتيلوس ، السائق البارع المحنك ، الذي يقود عجلة أوينومايوس . كان مورتيلوس ابناً للإله هرميس من ثيوبولي . كان مورتيلوس – في رواية أخرى – ابناً لزيوس من كليوميني . أعجب مورتيلوس بابنة سيده أوينومايوس . أحب مورتيلوس هيپوداميا . عشقها . هام في حبها . لكنه كتم حبه ، وداري عشقه . لم يستطع أن يبوح بمكنون قلبه ، خشية ... سيده أوينومايوس . ظل يبعث بنظراته الجائعة نحو هيپوداميا . ظل يراقبها في شوق أثناء روحاتها وغدواتها . كان قانعاً بذلك (١٣) . لم يكن يطمع في أكثر منه . ذلك ماجعل مورتيلوس متحمساً وهو يقود عجلة أوينومايوس أثناء كل سباق . كان يعلم أن الأمر متوقف عليه ، كان متأكداً أنه قادر على انتزاع معشوقته هيپوداميا من بين أحضان المتسابق الشاب الذي يطلبها للزواج . كانت هيپوداميا تلاحظ ذلك أيضاً في ... . كانت تعلم أن مورتيلوس يعشقها . لكنها لم تكن تبادله الأحاسيس والمشاعر . تذكرت هيپوداميا كل ذلك . لذا ، ذهبت إلى مورتيلوس . سعت إليه . طلبت منه العون والمساعدة . توسلت إليه أن يكسر قيدها ، أن يخلصها من سطوة والدها أوينومايوس القاسي . لم يتردد مورتيلوس

(١٢) Scholiast On Homer's Iliad, I, 38; Theon, On Aratus, 21.

(١٣) Hyginus, fabula 244; Tzetzes, Lycophron, 156 and 162; Scholiast on Euripides Orestes, 1002.

http://www.al-maktabeh.com

لحظة واحـدة . لم يفكر فى رفض طلبهـا على الإطلاق . فـمَنْ يحب لايستطيع أن يكره، ومَنْ يعشق لايخيب رجاء لمعشوقه . وافق مـورتيلوس على الفـور . وعـد هيبوداميـا بالمساعـدة . وعـدها بأن يخلصـها من سطوة والدها القاسى . وعـادت هيبوداميا إلى القصر ، تنتظر بفارغ صبر موعد بدء السباق .

لم تهدأ نفس پلوپس . كان يعلم أن هيبوداميا قد وقعت فى غرامه . كان واثقاً من أنها سوف تقدم له كل عون . كان متأكداً أنها سوف تفعل المستحيل من أجل إنقاذه . لكنه لم يكن يعرف كيف ستفعل هيبوداميا كل ذلك . لذا لم تهدأ نفسه . ظل قلقاً ، مـهـمـومـاً، مضطرباً . طفق يبحث عن وسيلة يستطيع بواسطتـهـا أن يقـهـر أوينومايوس ، ظل يفكر فى حيلة يفوز عن طريقها بيد هيبوداميا – بعد أن فاز بقلبها . كان پلوپس قوى الملاحظة ، داهية واسع الحيلة . لم يكن اليأس قادراً على أن يتطرق إلى نفسه . كان قادراً على تحقيق رغبته ، مهما كانت تلك الرغبة . لاحظ نظرات مورتيلوس . لاحظ هيامه بهيبوداميـا . ارتاب فى وجود علاقة بين مـورتيلوس وهيبوداميا . لذا ، ذهب پلوپس إليه . تبادلا أطراف الحديث ، ظل يحاوره ويناقشه ، حتى استطاع أن يكشف عن مكنون قلبه . تأكد من حب مورتيلوس لهيبوداميا . أدرك أنه يحبها فى ـ . تأكد أنه يعشقها خلسة . عرض عليه فكرة بدت على الفور فكرة رائعة . طلب پلوپس المساعدة من مورتيلوس ، طلب منه العون . طلب منه أن يخلص هيبوداميا من سطوة والدها القاسى . إن فعل ذلك ، فسوف تصبح هيبوداميا زوجة شرعية لپلوپس . لكن لابأس . سوف تكون لمورتيلوس مكافأة عظيمة . سوف يموت أوينومايوس . سوف تئول مملكته إلىَ پلوپس . سوف تصبح هيبوداميا زوجة لپلوپس . عندئذ ، سوف يمنح پلوپس مملكته إلى مورتيلوس ، وسوف يسمح له أن يقضى مع هيبوداميا الليلة التالية لنهاية السباق . فغر مورتيلوس فاه . استولت عليه الدهشة . دهمته المفاجأة . أغرته وعود پلوپس . وعده على الفور بالمعونة . وعده بأن يخلص هيبوداميا من سطوة والدها القاسى . وعاد پلوپس إلى مسكنه ينتظر بفارغ صبر موعد بدء السباق(١٤).

* * *

(١٤) Scholiast on Harace's Odes, I, 1; Pausanias; VIII, 14,7.

مكتبة المهتدين الإسلامية

اقترب موعد بدء السباق . فرغ بلوبس من تقديم الصلوات والأضاحى للربة أفروديتى . ظهر شبح كيلوس أمام عينى بلوبس . وعده بأن يقدم إليه كل معونة . حاول سفايروس أن يقود عجلة بلوبس . فضل بلوبس أن يقودها بنفسه . وقفت هيبوداميا فوق العجلة بجوار حبيبها وعشيقها بلوبس . أصدر أوينومايوس أوامره - انطلق بلوبس بعجلته التى تسبق الريح . لم تشغله هيبوداميا . لم تشد انتباهه . لم تعرقله عن الانطلاق . بل أخذت تحثه على الجرى . ظلت تقوى من عزيمته . طفقت تصب فى أذنيه عبارات الحب والهوى . أخذت تكيل له الوعود بالسعادة والهناء . صورت له حلاوة النصر . انطلق بلوبس لايلوى على شيء (١٥) . انطلق فى سرعة رهيبة . ظلت خيوله تواصل الجرى . اختفت العجلة بمن عليها عن الأنظار . جن جنون أوينومايوس. انطلق خلف عجلة بلوبس . ظل يلهب ظهور خيوله بالسوط . ظل يحث مورتيلوس على مواصلة الانطلاق . لكن مورتيلوس كان قد اتخذ قراراً قبل أن يبدأ السباق . ونفذ مورتيلوس قراره فعلاً قبل أن يبدأ السباق . استبدل مورتيلوس المسمارين اللذين يثبتان العجلات بالقاعدة بقطع من الشمع (١٦) . وعندما ازدادت سرعة الخيول، انصهرت قطع الشمع . خرجت العجلات من أطراف القضبان . تطايرت العجلات فى اتجاهات مختلفة . انقلبت قاعدة عجلة السباق . تدحرجت فى سرعة رهيبة نحو شاطيء البحر (١٧) . قفز مورتيلوس فى خفة ورشاقة . شبكت ملابس أوينومايوس بقضبان القاعدة . لقى الملك المتغطرس مصرعه . فى نفس الوقت وصل بلوبس إلى نقطة النهاية . فاز بمملكة أوينومايوس . فاز أيضاً بهيبوداميا . لكن أوينومايوس ظل يردد فى أنفاس متقطعة وهو يحتضر : عليك اللعنة يامورتيلوس : عليك اللعنة يامورتيلوس : فلتمت بيدى بلوبس : فلتمت بيدى بلوبس :

بدأ بلوبس على الفور رحلة العودة . اعتلى عجلته التى تسبق الريح . اعتلى العجلة فى خيلاء المنتصر . وقفت بجواره زوجته هيبوداميا . احتضنته فى سعادة وزهو . وقف الزوجان منتصبى القامة . شامخى الرأس ، سعيدين بلذة الانتصار . أمسك مورتيلوس بأعنة خيول العجلة . كان يحس هو أيضاً بلذة الانتصار . انطلقت

(١٥) Graves, Op. Cit., pp. 33.

(١٦) Rose, Greek Mythology, p. 247.

(١٧) Apollonius Rhodius, I, 752 sqq.; Pausanias, VI, 20, 8; Tzetzes, Lycophron, 156.

http://www.al-maktabeh.com

العجلة فى سرعة رهيبة عبر البحر . انطلقت تشق طريقها عائدة إلى حيث بدأ السباق. قضى المنتصرون الليل فى الطريق . بزغ الفجر بخيوطه الذهبية . أ هيبوداميا بالتعب. شعرت بالعطش . طلبت من بلوپس أن يتوقفا فترة قصيرة . لبى بلوپس رغبتها على الفور . توقفت العربة فى منطقة صحراوية مقفرة . قفز بلوپس فى خفة . هبط على التربة الرملية . ظل يـ عن عين جارية أو سيل رائق . طال غيابه . لم يجد زرعاً ولاماء . واصل تجواله فى المناطق المحيطة . عثر على قليل من الماء . حمله في خوذته . عاد سعيداً إلى زوجته . اقترب إلى حيث تركها بصحبة مورتيلوس. لكنه رأى مشهداً أوقفه مشدوها . رأى هيبوداميا مقبلة نحوه فى فزع . رآها تندفع نحوه باكية . لقد حاول مورتيلوس أن يغتصبها أثناء غياب زوجها وحبيبها. غلت الدماء في عروق بلوپس . ثارت ثورته . صفع مورتيلوس على وجهه. نهره ، عنفه ، وجه إليه أقذع العبارات ، ظن بلوپس أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد . فجأة ، سمع مورتيلوس يصرخ فى وجهه : لقد وعدتنى أن أقضى مع هيبوداميا الليلة التالية لنهاية السباق . وهاقد انتهى السباق بالأمس . ألا تفى بوعدك ؟ (١٨) .

* * *

بهت بلوپس . لم ينبس ببنت شفة . لم ينطق كلمة واحدة . لم يجب على سؤال مورتيلوس . ناول هيبوداميا خوذته . عاونها على تناول الماء من الخوذة . قذف الماء الباقى على الأرض الرملية . اعتلى عجلته . اتخذ مكانه بجوار هيبوداميا . أومأ إلى مورتيلوس . أمسك بلوپس أعنة الخيول بيديه . قاد العجلة بنفسه . اطمأن قلب مورتيلوس . لم ينكر بلوپس شيئاً . لم يحنث بعهده . لم ينس وعوده . لكنه ربما يخجل من مواجهة هيبوداميا بالحقيقة . هكذا فكر مورتيلوس . هكذا ظن . أو هكذا بدا له . انطلق بلوپس فى سرعة رهيبة ، ظل يسابق الريح . لم يكن مورتيلوس يفكر فى شىء سوى قضاء ليلة بين أحضان هيبوادميا . سرح بتفكيره وخياله . فجأة أحس بدفعة شديدة أطاحت به من فوق ظهر العجلة . ركله بلوپس بعنف . قذف به من

(١٨) Apollodorus, Epitome, II, 8; Scholiast on Homer's Iliad, II, 104; Pausanias, VIII, 14, 8; Hyginus fabula 84.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فوق ظهر العجلة (١٩) . ظل مورتيلوس يتدحرج على الأرض . ظل يتدحرج نحو شاطىء البحر . اندفع اندفاعاً شديداً حتى غاص فى مياه البحر العميق . لايدرى أحد إن كان مورتيلوس قد مات غرقاً ، أو مات من شدة اصطدام جسده بالصخور . لكنه ظل يردد قبل موته : عليك اللعنة يا پلوپس – عليك اللعنة يا پلوپس (٢٠) . عليك اللعنة وعلى ذريتك أجمعين (٢١) .

واصل پلوپس رحلته ، وكأن شيئاً لم يحدث . لم ينس فقط أن يطهر نفسه من الآثام على يد هيفايستوس . ثم استأنف رحلته حتى وصل إلى بيزا ، حيث بدأ السباق الرهيب . هناك استولى على مملكة أوينومايوس . . ثم فرد سلطانه على المناطق المجاورة ، على المنطقة التى كانت تعرف باسم أبيا أو بيلاسجيوتيس . لكنه غير اسمها ، أسماها پلوپونيس ، أى جزيرة پلوپس (٢٢) . شن پلوپس الحروب على من حوله من الملوك . هزم الملك أبيوس . وفرد سلطانه على مملكة أولومپيا . حاول أن يهزم ستومفالوس ملك أركاديا . لم يستطع . عندئذ ، دعاه للقيام ببعض المفاوضات . ثم قتله . وقطعه إرباً . لعنته الآلهة . أصابت بلاد الإغريق بمجاعة مروعة .

ظل پلوپس يرتكب الجريمة بعد الأخرى . ظلت الآلهة والبشر تصب اللعنة على پلوپس وذرية پلوپس . أنجب پلوپس الملعون ذرية لاحصر لها . ظلت ذريته تقاسى من لعنات الآلهة والبشر . دب النزاع بينهم . ظل يحارب كل منهم الآخر . ضربت على أغلبهم الذلة والمسكنة . لقى الباقى أسوأ المصائر .

* * *

(١٩) قيل إن پلوپس كان يحقد علي مورتيلوس بسبب حبه لهيبوداميا ، قيل أيضاً إنه لم يرض أن ينسب الفضل في فوزه بيد هيبوداميا إلي مورتيلوس ، راجع
Oxford Classical Dictionary, s.v. Pelops.

(٢٠) Strabo, X, 1, 7; Sophocles, Electra, 508 sqq.; Pausanias, VIII, 14,7.

(٢١) تروي بعض المصادر القديمة – كما يروي أيضاً بعض العلماء المحدثين – أن پلوپس هو الوحيد بين ذرية تانتالوس الذي لم يلق مصيراً مظلماً ، وأن ما أصاب ذرية پلوپس من كوارث ليس إلا نتيجة لما ارتكبه تانتالوس من خطايا ، راجع: Hamilton, Mythology, pp. 237-8.

(٢٢) Apollodorus, Epitome, II, 9; Diodorus Siculus, IV, 73; Thucydides, I. 9; Plutarch, Theseus, 3.

http://www.al-maktabeh.com

تلك هى أسطورة پلوپس . المغامر العنيد . پلوپس ، الذى لم يفقد الثقة فى نفسه لحظة واحدة . وصفه الإغريق بالثراء . والكياسة . والبراعة . والحكمة . نسبوا إليه أعمالاً إنشائية كثيرة . فى عهده أ . . الألعاب الأولومپية أكثر فخامة وعظمة عن ذى قبل . أراد پلوپس أن يكفر عن جريمته التى ارتكبها فى حق مورتيلوس . كان يعلم أن والد مورتيلوس هو الإله هرميس . لذا ، خشى أن . . الآلهة منه . أقام معبداً للإله هرميس فى شبه جزيرة الپلوپونيس . كان ذلك أول معبد أنشىء فى تلك المنطقة. أراد أيضاً أن يمتص غضب شبح مورتيلوس . كان شبح مورتيلوس يظهر فجأة أمام راكبى العجلات والعربات . كان يثير الرعب والفزع فى صدور الخيول . كان يدمر كل عجلة تمر على المنطقة التى مات فيها مورتيلوس . أصبح شبح مورتيلوس عقبة فى سبيل كل راكب وفارس . أراد پلوپس أن يهدىء من ثورة ذلك الشبح المخيف . أقام قبراً فخماً لمورتيلوس على الطريق الرئيسى الموصل إلى أولومپيا. أحاط روحه بهالة من التكريم والتبجيل . ظل يقدم له آيات التقدير والتقديس (٢٣) .

لم ينس پلوپس مغامرته المثيرة ، لم ينس السباق الرهيب . الذى كاد أن يودى بحياته. لم ينس خيرة أمراء الإغريق ، الذين لقوا حتفهم أثناء اشتراكهم فى ذلك السباق المميت . جمع رفاتهم ، حفر لهم قبراً رحباً فسيحاً بالقرب من شاطىء نهر ألفيوس . أقام فوقه نصباً تذكارياً شاهقاً . أحاط ذكراهم بهالة من التبجيل والاحترام . بالقرب من ذلك النصب الشاهق أنشأ معبداً للربة أرتميس . أطلق عليه اسم معبد أرتميس كورداكس . هناك ، ظل أحفاد پلوپس يقيمون رقصاتهم الوطنية ، التى جاءوا بها من وطنهم لوديا (٢٤) .

أما پلوپس نفسه ، فقد حفظت رفاته فى صندوق من البرونز . ثم أنشىء محراب مقدس تكريماً لروح پلوپس . وضع أتباع پلوپس الصندوق البرونزى داخل المحراب المقدس . ظل أتباع پلوپس يقيمون احتفالات سنوية حول ذلك المحراب . قدموا لروحه كبشاً أسود . كان الشبان يتقدمون نحو المحراب . يجرحون أنفسهم ثم

(٢٣) Pausanias, V, 15 and V, 8,1 and VI, 20,8; Apollodorus, III, 12; 6.

(٢٤) Pausanias, VI, 21-22.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يقدمون دماءهم قرابين لصاحب المحراب . احتفظ الإغريق من بعده بعجلته التى تسبق الريح . وبصولجانه الذى يشبه الحربة (٢٥) .

تلك هى أسطورة بلوبس ، بلوبس ابن تانتالوس . بلوبس والد أتريوس . بلوبس جد القائد الإغريقى المعروف أجاممنون . رواها أغلب الكتاب الإغريق والرومان . تناقلها من بعدهم كتاب وأدباء عديدون . اختلف الرواة حول التفاصيل . اختلفوا حول سبب معارضة أوينومايوس فى زواج ابنته . قال بعضهم إن السبب فى ذلك يرجع إلى نبوءة من عند الآلهة . حذرت النبوءة أوينومايوس . أخبرته أن هلاكه سوف يكون على يد زوج ابنته ، اختلفوا أيضاً حول كيفية موت أوينومايوس . روى البعض أن بلوبس سبق أوينومايوس . ثم نفذ فيه حكم الإعدام . روى البعض الآخر أن أوينومايوس انتحر عندما هزمه بلوبس فى السباق . روى آخرون أن بلوبس قد حصل على تعويذة سحرية ، وأن هذه التعويذة كانت سبباً فى إثارة الرعب فى صدور خيول أوينومايوس وتدمير عجلته (٢٦) . لكن اتفق الجميع على أن أوينومايوس – وهو يموت– قد صب اللعنة على رأس مورتيلوس . وأن مورتيلوس – قبل موته – قد صب اللعنة على بلوبس .

تلك هى أسطورة بلوبس ابن تانتالوس ، التى تصور كيف ا ˆ الإغريق فى توارث اللعنة . فقد أورث تانتالوس اللعنة لابنه بلوبس . ثم أورثها بلوبس بدوره لابنه أتريوس. ثم أورثها أتريوس أيضاً لابنه أجاممنون ... وهكذا .

* * * * * *

(٢٥) Pausanias, V, 13; VI, 19 and 22; II, 14; IX, 41; Apollodours, II, 7, 2; Pindar, Olympian Odes, 1, 90 sqq.; Scholiast on Pindar's Olympian Odes, I, 146; Homer, Iliad, II. 100 sqq.

(٢٦) راجع هذه الروايات المختلفة في : Pindar, Op. Cit., I, 87; Lucian, Charidemus, 19; Diodorus Siculus, IV, 73; Apollodorus, Epitome, II, 7.

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أتريوس

.. أمسك أتريوس بالحمل . فحصه عن قرب ، تحسس قرونه الذهبية الجميلة . أمسك بقرنيه الجميلين . إنه حمل نادر الوجود . كيف يضحي بمثل ذلك الحمل الرائع ! ! كيف يذبحه ! ! إنه ثروة هائلة منقطعة النظير . تردد أتريوس قليلاً، أحس أنه في موقف لايحسد عليه . لم يكن يدرى أن ذلك من تدبير الآلهة . لم يكن يدرى أن الإله هرميس هو الذى بعث بذلك الحمل الرائع ، أنه هو الذى وضعه بين قطعان أتريوس . لم يكن يدرى أن هرميس إنما أراد بذلك أن يحدث وقيعة بين أتريوس و... ثويستيس . لم يكن يدرى أن هرميس إنما فعل ذلك انتقاماً لولده مورتيلوس الذى قتله پلوپس ، والد أتريوس ، غدراً . لم يكن يدرى شيئاً من كل ذلك ، لكن الآلهة كانت تعلم كل شيء .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أتْـــرِيُـــوس

تمادى تانتالوس فى الاستهزاء بالآلهة ، حلت عليه اللعنة (١) . أورثها لابنه بلوپس . لعنة الآباء يتوارثها الأبناء . هكذا اعتقد الإغريق ، وكان اعتقادهم فى ذلك اعتقاداً راسخاً . تمادى پلوپس فى ارتكاب الجرائم . ارتكب جرائم الفسق . سلك طريق الخديعة والخيانة . هكذا شاءت الآلهة .

لفظ أوينومايوس أنفاسه الأخيرة وهو يلعن مورتيلوس . ثم لفظ مورتيلوس أيضاً أنفاسه الأخيرة وهو يلعن پلوپس . هكذا حلت اللعنة على پلوپس المخادع الفاسق الخائن. لكن آثار اللعنة لم تظهر على پلوپس أثناء حياته فقط . أثرت على سلوكه وسلوك ذريته. أنجب پلوپس ذرية لاحصر لها . أنجب أبناء وبنات يفوق عددهم الحصر (٢) . لكن ، مالبث أن دب النزاع بين الإخوة والأخوات . سرعان ماتفرقت الجماعة . تصارعوا فيما بينهم . نهب كل منهم ممتلكات الآخر . دنس كل منهم فراش زوجية الآخر . إغتال الشقيق شقيقه . إغتاب الأخ أخاه . تنازع أبناء الأعمام فيما بينهم . دب الصراع بين أبناء الأخوال . قضى النزاع على الجميع (٣) .

لم يبق سوى أتريوس وشقيقه ثويستيس . صبت الآلهة جام غضبها على هذين الشقيقين .

قتل أتريوس الأصغر خروسيپوس ، أو هكذا ظن البعض . خشى أتريوس على حياته . هرب من إليس . لجأ إلى موكيناى . هناك كان يحكم ابن شقيقه يوروسثيوس . كان يوروسثيوس فى ذلك الوقت يستعد لمهاجمة أبناء البطل هيراكليس. عين يوروسثيوس خاله أتريوس نائباً عنه أثناء غيابه . إكتسب أتريوس ثقة أهل موكيناى . أعجب به نبلاء المملكة . أحبته طبقة العامة . وجد الجميع فيه حاكماً

(١) راجع ٢٦٣ أعلاه .

(٢) لمعرفة مزيد من المعلومات عن ذرية پلوپس راجع : Graves, Greek Myths, Vol. II. p. 40.

(٣) Graves, Op. Cit.,Vol II, pp. 41.

http://www.al-maktabeh.com

عادلاً . وجدوا فيه الوفاء والإخلاص . أسرهم بجرأته وشجاعته . أخضعهم بشهامته ونبله . ثم جاءت أنباء هزيمة الملك يوروسثيوس . ثم جاءت أنباء مصرعه . هتف أهل موكيناى بحياة أتريوس . ولّوه ملكاً على عرش المملكة . رأوا فيه خليفة لمليكهم السابق . هكذا أصبح أتريوس ملكاً على موكيناى (٤) .

هناك رواية أخرى تروى كيف أصبح أتريوس ملكاً على موكيناى . رواية أكثر انتشاراً ، وأشد تأثيراً وأدق تفصيلاً .

هزم سثنلوس أمفيتريون ملك موكيناى . نفاه . استولى على عرشه . سثنلوس هو والد يوروسثيوس ، وهو أيضاً زوج شقيقة كل من أتريوس وثويستيس . أما أمفيتريون فهو والد البطل هيراكليس . بعد هزيمة أمفيتريون ونفيه أصبح سثنلوس ملكاً على موكيناى . عندئذ ، دعا سثنلوس كلاً من أتريوس وثويستيس . منحهما حق الإقامة فى منطقة مجاورة لمملكته ، منطقة ميديا . عاش أتريوس وثويستيس فى منطقة ميديا . قضيا حياة خالية من مظاهر الترف والعظمة . أدرك الموت الملك سثنلوس . استولى ولده يوروسثيوس على العرش . لكن سرعان ما أدرك الموت يوروسثيوس أيضاً . أصبح أهل موكيناى بلا ملك يحكم البلاد . لجأوا إلى نبوءة الإله . طلبوا الرأى والمشورة . نطقت النبوءة بمشيئة الإله : على أهل موكيناى أن يختاروا واحداً من أبناء پلوپس (٥) . تذكر أهل موكيناى أن مليكهم السابق كان يحب أتريوس وثويستيس . تذكروا أنه قد أسكنهما فى منطقة ميديا القريبة من موكيناى . استقر الرأى على دعوتهما . حضر الشقيقان . أعرب كل منهما عن رغبته فى الحكم . دب صراع بين الشقيقين . استولت الحيرة على أهل موكيناى .

ازداد الصراع بين الشقيقين . أخذ يكيد كل منهما للآخر . سلك كل منهما طريق الخديعة . عندما بلغ النزاع أشده ، تذكر أتريوس حادثاً مرّ به منذ أعوام قليلة .

ذات مرة أراد أتريوس أن يكفر عن بعض جرائمه التى ارتكبها فى حق الآلهة والبشر (٦) . نذر للربة أرتميس أجمل حمل بين قطعانه . ظل أتريوس يتجول فى

(٤) Scholiast on Euripides' Orestes, 813; Thucydides I,9.

(٥) Apollodorus, II. 4 ; Idem, Epitome, II, 11; Euripides, Orestes, 12.

(٦) Apollodorus, Epitome, II, 10; Euripides, Op. Cit., 955 sqq.; Seneca, Electra, 699 sqq.; Tzetzes, Chiliades I, 433 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أراضيه الواسعة ، حيث كانت ترعى قطعانه التى ورثها عن والده پلوپس . وقع نظره على حمل وديع ، ذى قرنين جميلين ، ذى فروة من الذهب الخالص . أعجب أتريوس بالحمل أيما إعجاب . لم يجد أتريوس بين قطعانه حملاً يضارعه فى الجمال والروعة . قرر أن يذبحه على الفور ، وأن يقدمه قرباناً للربة أرتميس . فلقد نذر ذلك من قبل ، وعليه الآن أن يوفى بالنذر . أمسك أتريوس بالحمل . فحصه عن قرب . تحسس فروته الذهبية الجميلة . أمسك بقرنيه الجميلين . إنه حمل نادر الوجود . كيف يضحى بمثل ذلك الحمل الرائع ! كيف يذبحه ! إنه ثروة هائلة منقطعة النظير . تردد أتريوس قليلاً . أحس أنه فى موقف صعب . لم يكن يدرى أن كل ذلك من تدبير الآلهة . لم يكن يدرى أن الإله هرميس هو الذى بعث بذلك الحمل الرائع ، أنه هو الذى وضعه بين قطعان أتريوس (٧) . لم يكن يدرى أن هرميس إنما أراد بذلك أن يحدث وقيعة بين أتريوس وشقيقه ثويستيس . لم يكن يدرى أن هرميس إنما فعل ذلك إنتقاماً لولده مورتيلوس الذى قتله پلوپس – والد أتريوس – غدراً (٨) . لم يكن أتريوس يعلم أى شىء . لكن الآلهة كانت تعرف كل شىء . أحس أتريوس بالحيرة . لكنه كان واسع الحيلة . وجد لنفسه مخرجاً ، أو هكذا ظن . ذبح أتريوس الحمل الذهبى الرائع . سلخه . انتزع الفروة الذهبية . وضعها فى صندوق محكم . أودعها فى مكان أمين . ثم قدم الحمل قرباناً للربة أرتميس . هكذا أنجز وعده . هكذا وفىّ بنذره . وهكذا أيضاً لم يفرط فى تلك الثروة النادرة .

ظن أتريوس أنه قد حظى برضاء الربة أرتميس . أحس فى الوقت نفسه بالفخر . إنه يملك ثروة لايملك مثلها أحد غيره . يملك فروة من الذهب . أخذ أتريوس يفخر بثروته النادرة . تعالى على رفقائه ومعارفه . تعالى على [illegible] ثويستيس أيضاً . دبت الغيرة فى نفس ثويستيس . أوغر الحقد صدره . بات يحسد شقيقه أتريوس . قرر أن يحصل على ثروة شقيقه النادرة . حاول أن يعرف مكان الصندوق . لم يستطع . بدأ يطرق باباً خلفياً . سلك طريق الخديعة . ذهب إلى أيروپى . كان أتريوس قد تزوجها منذ فترة وجيزة . لم تكن تحبه . لم يكن هو أيضاً يحبها . تزوجها بعد أن

(٧) قيل أيضاً إن الربة أرتميس هي التي فعلت ذلك . أنظر – بالإضافة إلي المصادر المذكورة في الحاشية رقم ٦ أعلاه – : Scholiast on Euripides' Orestes, 812, 990, 998; Scholiast on Homer's Iliad, II. 106.

(٨) راجع ص ٢٨٤ أعلاه .

http://www.al-maktabeh.com

ماتت زوجته الأولى . كانت أيروپى تحب ثويستيس . لم يكن ثويستيس يبادلها الحب . كانت تحبه فى صمت . كان يتجاهلها فى الخفاء . فجأة ، بدأ ثويستيس يغير من سلوكه نحوها . جالسها . غازلها . طارحها الغرام . تظاهر بحبها . اندفعت أيروپى نحوه فى جنون . بادلته حبه الزائف بحب عميق . تقابلا خلسة . قضيا أوقاتاً سعيدة . تأكد ثويستيس من إخلاص أيروپى له . تأكد من أنها تفضله على شقيقه أتريوس . بدأ يضرب ضربته . إدّعى أن ثروة أتريوس النادرة إنما اغتصبها من شقيقه ثويستيس . قصَّ عليها كيف كان الحمل بين قطعان ثويستيس التى ورثها عن أبيه پلوپس . قال لها إن أتريوس سرق الحمل الرائع ، ثم ادعى أنه ملك له . طلب منها أن تساعده من أجل استعادة ثروته المسلوبة . أقنعها بضرورة مساعدته . كان ثويستيس كاذباً فى كل كلمة نطق بها . كان يعلم ذلك . لكن أيروپى لم تكن تعلم ذلك . ساعدته أيروپى . مكنته من الحصول على فروة الحمل الذهبى - خلسة دون أن يعلم أتريوس . حصل ثويستيس على الحمل الذهبى . احتفظ به فى مكان أمين فى قصره ، بينما ظل أتريوس يفخر بثروته النادرة التى لايعرف مكانها أحد غيره (٩) .

أثناء الصراع بين الشقيقين تذكر أتريوس الحمل الذهبى . تذكر ثروته النادرة . تذكر أيضاً أنه أول أبناء پلوپس . عندئذ ، جمع مجلس المدينة . أعلن أحقيته فى تولى حكم موكيناى . نظر إليه شقيقه ثويستيس فى خبث ومكر . سأله : هل حقاً لديك حمل ذهبى نادر الوجود ؟ رد عليه أتريوس بالإيجاب . طأطأ ثويستيس رأسه . نظر نحو الأرض فى خجل مصطنع . طفق يقول : مادام الأمر كذلك ، فأنت أحق منى فى تولى حكم موكيناى . فليستعد أهل موكيناى . ليقيموا الأفراح . ليزينوا المعابد بالذهب. ليشعلوا المواقد فى محاريب الآلهة . ليطلقوا الأناشيد الصاخبة . لينطلق العامة والخاصة فى الطرقات . ليفتح الجميع أبواب منازلهم - احتفالاً بتتويج الملك الجديد . وليذهب أتريوس إلى قصره مع كبار رجال الدولة ليحضر الحمل الذهبى ويعرضه على جميع طبقات الشعب . كان الخبث والدهاء يملآن عينى ثويستيس وهو يتحدث .

ذهب أتريوس إلى قصره . صاحبه شقيقه ثويستيس وكبار رجال الدولة . لم يجد أتريوس الصندوق . لم يجد ثروته النادرة . لم يجد الحمل الذهبى . وقف مهموماً

(٩) Graves, Op. Cit., Vol. II, pp. 43-5.

مكتبة المهتدين الإسلامية

كسيراً . لم ينطق بكلمة واحدة . رفع ثويستيس يده إلى أعلى . لوح بها في الهواء . فهم كبار رجال الدولة ما أراده . سار ثويستيس نحو قصره ، سار وراءه كبار رجال الدولة .

دخل ثويستيس قصره . خرج يحمل صندوقاً ضخماً . فتح الصندوق . أخرج فروة الحمل الذهبى . إنه هو صاحبها ، وليس شقيقه أتريوس . لقد حاول شقيقه أتريوس أن يسرقها منه . لكنه لم يستطع . هكذا ادعى ثويستيس . وهكذا أقنع أهل موكيناى بأحقيته فى تولى الحكم (١٠) .

اكتشف أتريوس أنه كان مخدوعاً . اكتشف أنه كان يفخر بحيازته لثروة لم تكن فى حيازته . اكتشف أن شقيقه قد حصل على الحمل الذهبى خلسة . لكنه لم يستطع أن يعرف كيف حدث ذلك . سيطر عليه اليأس . أحس بالخجل أمام أهل موكيناى . بهت . امتقع وجهه . سرت موجات من الحزن فى عروقه . أصابه الذهول . هلل أهل موكيناى . هتفوا باسم ثويستيس . ولّوه ملكاً عليهم .

كان من الممكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد . لكن الآلهة كانت ترغب فى تنصيب أتريوس ملكاً . كانت تريد أن يستمر النزاع بين الشقيقين . كانت مصممة على أن يشتد النزاع بينهما ، فتجد اللعنة مجالاً خصباً للانتشار بين ذريتيهما . فكر كبير الآلهة زيوس فى الأمر . تدبر الموقف . توصل إلى فكرة . طفق على الفور فى تنفيذها . أرسل زيوس رسوله هرميس إلى أتريوس . أمر هرميس أتريوس أن يذهب إلى ثويستيس . شرح له مايجب عليه أن يفعله . ذهب أتريوس على الفور إلى شقيقه ثويستيس . نفذ ماطلبه منه هرميس بالحرف الواحد . قدم أتريوس التهانى إلى شقيقه ثويستيس ، طلب منه العفو والمغفرة . وعده بأن يكون مساعده المخلص . أبدى له تحفظاً واحداً فقط . عبّر عن عدم اقتناعه بأحقيته فى الحكم . ثويستيس . ثار لكرامته . انطلقت عبارات التأنيب هادرة من بين شفتيه . هدد شقيقه أتريوس .

أعلن على أهل موكيناى أن الآلهة قد اختارته ملكاً . أوضح لهم أن شقيقه أتريوس مازال يتحداه . عندئذ ، تحدث أتريوس فى هدوء الواثق من نفسه . لو أن شقيقه واثق من مساندة الآلهة له ، لما ثار ولا . لو أنه متأكد من أحقيته فى

(١٠) Tzetzes, Chiliades, I, 426; Apollodorus, Epitome, II, 11; Euripides, Electra, 706 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

تولى الحكم ، لما هدد ولاتوعد . سوف يرضخ أتريوس لحكم الآلهة . سوف يعترف بشرعية حكم شقيقه ثويستيس . لكن لديه شرطاً واحداً . إن الآلهة تأتى بالشمس من الشرق ، وتعيدها إلى الغرب . فلو حدث عكس ذلك ، لكان دليلاً على عدم رضاء الآلهة ..

فكر ثويستيس فيما قاله أتريوس . تهلل وجهه . ابتسم . مستحيل أن يتغير اتجاه الشمس . مستحيل أن تعود الشمس فى آخر النهار إلى الشرق ، مستحيل ، إذن ، أن يتربع أتريوس على عرش موكيناى ، أعلن ثويستيس موافقته . سوف ينتظر الجميع حتى آخر النهار . النتيجة مؤكدة . سوف تتأكد أحقية ثويستيس فى تولى الحكم . قهقه كبير الآلهة زيوس . اهتزت أركان الكون الرحب . كان زيوس فى عليائه يتابع النقاش بين الشقيقين . على الفور ، عكس زيوس قوانين الطبيعة . غيَّر إله الشمس هيليوس اتجاهه فجأة . شد أعنة خيوله المطيعة التى تجر عربته الذهبية . تحولت الخيول نحو الاتجاه المضاد . انطلقت فى سرعة هائلة نحو مرقد ربة الفجر أوورورا . سرعان ماعكست مجموعة البلياديس اتجاهها أيضاً . شاركت باقى المجموعات النجوم والأجرام فى ذلك التغير المفاجىء . فى ذلك المساء حدث المستحيل . غابت الشمس – لأول ولآخر مرة – فى الشرق . تأكد للجميع افتراء ثويستيس ، ظهر للجميع خداعه وجشعه . سجد أهل موكيناى لكبير الآلهة زيوس . هتفوا باسم أتريوس . ولوّه ملكاً عليهم (١١) .

استوى أتريوس على عرش موكيناى . أصدر أوامره بنفى شقيقه ثويستيس ، أمر واحد كان يشغل تفكيره . كيف حصل ثويستيس على فروة الحمل الذهبى (١٢) . كيف حصل على الثروة النادرة . ظل يبحث فيمن حوله . طفق يحقق مع تابعيه . اكتشف الحقيقة المذهلة . اكتشف العلاقة الدنسة التى نشأت بين زوجته أيروپى وشقيقه ثويستيس . استولى عليه الغضب . أخذ يجتر الذكريات . كانت أيروپى ابنة أميرة كريتية . أنجبها الملك الكريتى كاتريوس . ذات يوم فاجأها والدها فى قصره وهى تضاجع عشيقاً لها . صمم الوالد على أن يتخلص منها . همَّ بإلقائها فى البحر . توسلت إليه . طلبت منه الغفران . إتخذ قراراً فى الحال . باعها للملك ناوبليوس بثمن

(١١) Euripides, Orestes, 1001; Ovid Ars Amatoria, 237 sqq. ; Scholiast on Euripides Orestes, 812.

(١٢) Rose, Op. Cit., p. 247.

مكتبة المهتدين الإسلامية

رمزى . بذلك تأكد أنها قد أصبحت جارية ، وأنها سوف لاتعود إلى كريت مرة أخرى . كانت الخيانة من طباع أيروبى . كانت الخيانة من طباع شقيقتها أيضاً . كان لها شقيقة تدعى كلومينى . تآمرت هذه الشقيقة ضد والدها كاتريوس . أرادت أن تقتله . إكتشف جريمتها فى الوقت المناسب . توسلت إليه . طلبت منه الغفران . باعها أيضاً للملك ناوبليوس[١٣] بثمن رمزى . تزوج ناوبليوس كلومينى . أنجب منها طفلين : أورياكس وپالاميديس . فى ذلك الوقت كان أتريوس أرملاً ، كانت زوجته الأولى كليولا قد ماتت منذ سنوات بعد أن أنجبت له طفلاً مشوهاً . تزوج أتريوس أيروپى . أنجبت له أجاممنون ، ومنيلاووس ، وأناكسيبيا[١٤] . غاص أتريوس بوجدانه فى أعماق تلك الذكريات . تذكر ماضى زوجته أيروپى . تذكر ولديه أجاممنون ومنيلاووس اللذين كان يعلق عليهما أملاً عظيماً فى المستقبل . تذكر ابنته أناكسيبيا . أراد أن يقلل من حجم الفضيحة . فضل أن يدارى أموره . تظاهر بالعفو عن زوجته الخائنة . أجَّل الانتقام منها إلى حين[١٥] .

* * *

قضى ثويستيس فترة فى المنفى . ظلت فكرة الانتقام تراود أتريوس . أخيراً ، اتخذ أتريوس قراراً . بدأ تنفيذه فى الحال . أرسل رسولاً إلى ثويستيس . طلب منه العودة إلى موكيناى . أخبره أنه قد عفا عنه . وعده أن يمنحه نصف مملكته . تهلل وجه ثويستيس . أحس بسعادة مفاجئة . استعد للرحيل إلى موكيناى ، عاد الرسول يعلن عودة ثويستيس . عندئذ ، قبض أتريوس على أجلاووس ، وأرخومنوس ، وكاليون ، وبلاستيثيس ، وتانتالوس الصغير . كانوا جميعاً أبناء لشقيقه ثويستيس[١٦] . قبض على الإخوة الخمسة . ذبحهم رغم توسلاتهم ولجوئهم إلى محراب الإله زيوس. قطعهم إرباً . فصل أطرافهم عن أبدانهم . اختار أجزاء معينة من أبدانهم . وضع

(١٣) Sophocles, Ajax 1295 sqq; Scholiast on Euripides Orestes, 432; Apollodorus, III, 2,2 ; Idem, Epitome, II. 10; Lactantius on Statius' Thebais, VI, 306.

(١٤) Hyginus, fabula 97 and 86; Euripides, Helena, 392; Homer, Iliad, II. 131.

(١٥) Hyginus, fabula 86; Apollodorus, Epitome II, 13.

(١٦) Hamilton, Mythology, p. 239.

http://www.al-maktabeh.com

الأجزاء المختارة في قدر كبير . غمرها بالماء . أوقد تحت القدر ناراً حامية . ثم ذهب لمقابلة شقيقه ثويستيس (١٧) .

وصل ثويستيس إلى موكيناي . قابله أتريوس بالترحاب . صحبه في موكب رائع إلى قصره . أمر بإعداد وليمة احتفالاً بعودته . أعدت الموائد . أكل ثويستيس حتى شبع . شرب حتى ثمل . فجأة . أومأ أتريوس إلى الخدم إيماءة ذات معنى . أحضر الخدم على الفور عدداً من الصحاف ، عليها أطراف الأخوة الخمسة ورؤوسهم. وضعوا الصحاف أمام ثويستيس . أدرك ثويستيس بعد لحظات حقيقة الأمر . لقد التهم لحم أبنائه . أصيب ثويستيس بالذعر . اشتد هياجه . طفق يجرى هنا وهناك . فر من القصر ، وهو يردد في صوت جهوري : عليك اللعنة يا أتريوس .. عليك وعلى ذريتك أجمعين (١٨) .

فر ثويستيس مذعوراً . وصل إلى سيكيون . هناك كان يحكم الملك ثسبروتوس. هناك كانت تقيم ابنته بلوبيا . كانت تعمل كاهنة في معبد الربة أثينة . قرر ثويستيس الانتقام من شقيقه أتريوس . ذهب إلى نبوءة دلفي ، يستطلع رأي الإله أپوللون . نصحه الإله أن ينجب طفلاً من ابنته بلوبيا (١٩) . ولسوف تكون نهاية أتريوس على يد ذلك الطفل . أطاع ثويستيس نبوءة الإله . ذهب إلى معبد الربة أثينة . وجد ابنته تقود جماعة من النسوة حول محراب الربة . رآها تشرف على تقديم القرابين . اختبأ ثويستيس في مكان خفي . انتظر الفرصة لتنفيذ أوامر الإله أپوللون . أثناء ذلك ، سقطت قطرات من دماء الضحية فوق ملابس بلوبيا . غادرت على الفور محراب الربة . ذهبت إلى الغابة المجاورة ، حيث توجد البحيرة المقدسة . خلعت ملابسها . انحنت على شاطىء البحيرة . بدأت تغسل رداءها الملطخ بدماء الضحية . كان والدها ثويستيس يراقبها خلسة . عندئذ ، هجم عليها في خفة ورشاقة . قبض بيديه القويتين على ساعديها الرقيقتين . إنكفأ فوقها . طفق يقبلها قبلات محمومة . لم تستطع الابنة المسكينة أن تتخلص من قبضته . استسلمت . قاومت . ثم استسلمت . ثم قاومت .

(١٧) Graves, Greek Myths, Vol. II. pp. 46-51.

(١٨) Scholiast on Horace's Ars Poetica; Aeschylus, Agamemnon, 1590 sqq.; Hyginus, fabulae 88, 246 and 258; Tzetzes, Chiliades, I. 18 sqq.

(١٩) Apollodorus, Epitome, II, 13-14; Servius, on Vergil's Aeneid, II, 262.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ظلت بين المقاومة والاستسلام حتى انتهى ثويستيس من تنفيذ مشيئة الآلهة . تركها هارباً بعيداً عن الغابة . اكتشف أنه قد فقد سيفه . تذكر أن ابنته قد انتزعته أثناء مقاومتها . أدرك أن ذلك السيف قد يصبح دليلاً على جريمته . فر هارباً خارج حدود سيكيون . وصل إلى لوديا أرض أجداده الأوائل . أما پلوبيا فقد عادت كسيرة إلى المعبد . تحمل بين يديها سيفاً مرصعاً بالجواهر لاتعرف صاحبه . وتحمل بين جنبيها جنيناً منكوداً لاتعرف والده (٢٠) .

كما ذهب ثويستيس إلى دلفى . ذهب أيضاً شقيقه أتريوس . ذهب كلاهما يستطلع رأى الإله . أصدر الإله أوامره إلى أتريوس . أمره باستدعاء ثويستيس من سيكيون . وصل أتريوس إلى سيكيون . لم يجد شقيقه . كان قد هرب إلى لوديا . لكنه رأى پلوبيا . لم يعلم حقيقة أمرها . ظن أنها ابنة الملك ثسبروتوس . عشقها . أعجب بها إعجاباً شديداً . حاول أن يخرج من وحدته . التى عاش فيها بعد أن تخلص من زوجته الثانية أيروپى . عطف الملك ثسبروتوس على پلوبيا ابنة ثويستيس . تظاهر بأنها ابنته هو . وافق على زواجها من أتريوس . بعد الزواج وضعت پلوبيا طفلاً منكوداً . لم تكن پلوبيا تعرف من هو والده . كانت تحتفظ بسيفه فقط . لذا ، ألقت الأم بالطفل فى العراء . التقطه راع من الرعاة . تعهده ورباه . عهد به إلى عنزة . أرضعته العنزة . عرف الطفل باسم أيْجسثوس – أى قوة العنزة . علم أتريوس بقصة الطفل المنبوذ . لكنه لم يعلم حقيقة أمره . ظن أن الطفل ابنه . اعتقد أن زوجته پلوبيا أصيبت بحمى النفاس . ··· ت وعيها . فتركت طفلها فى العراء . ظن أيضاً أن ثويستيس رحل إلى لوديا عندما علم بمجيء شقيقه أتريوس . لذلك ، استعاد أتريوس الطفل إيجيسثوس ، وأعلن أنه ابنه الشرعى .

* * *

ظن أتريوس أن متاعبه قد انتهت . أحس بالراحة والهدوء . نعم بالجاه والسلطان والذرية . لكن سرعان ما اكتشف أنه كان واهماً مخدوعاً . تعرضت مملكته للكوارث والنوائب . اهتزت أركان سلطانه . عندئذ . بعث أتريوس بولديه أجاممنون ومنيلاووس إلى دلفى ليستطلعا رأى الإله أپوللون . هناك قابل ولدا أتريوس عمهما

(٢٠) Athenaeus. III. 1; Hyginus, fabulae 87 and 88, Apollodorus, Epitome, II, 13; Sophocles' Thyestes, frag. 18.

مكتبة المهتدين
http://www.al-maktabeh.com

ثويستيس . كان هو أيضاً قد ذهب إلى هناك ليستطلع رأى الإله . عرضا عليه أن يعود معهما إلى موكيناى . وافق ثويستيس على الفور . قابله شقيقه أتريوس بالترحاب . تودد إليه . تظاهر بحبه . ثم مالبث أن ألقى به فى السجن . وأمر ولده إيجيسثوس أن يقتله .

تربص أيجيسثوس لثويستيس . انتهز فرصة نومه . تسلل إلى داخل السجن . وقف بجواره . همّ أن يغمد سيفه فى قلب السجين النائم . فجأة . صحا السجين من نومه مذعوراً . قفز من رقدته . انقضّ على أيجيسثوس . لوى ذراعه . هوى السيف من يد القاتل . أمسك السجين بالسيف . وضع حده المسنون فوق رقبة أيجيسثوس . لفت نظره شىء أفزعه . اكتشف أن السيف الذى فى يده كان سيفه ذات يوم . إنه السيف الذى فقده عندما اغتصب ابنته فى سيكيون . اندهش ثويستيس ، صرخ فى أيجيسثوس ، سأله من أين حصل على ذلك السيف . أجابه أيجسثوس أنه أخذه من والدته پلوبيا . على الفور وعده ثويستيس بالعفو . سوف لايقتله . سوف يبعد السيف عن رقبته . لكن عليه أن ينفذ أوامر ثلاثة . قبل أيجيسثوس . وعد بتنفيذ الأوامر الثلاثة. لم يكن أيجيسثوس يملك الرفض . كان تحت رحمة ثويستيس .

طلب ثويستيس من أيجيسثوس أن يحضر والدته پلوبيا . هذا هو الأمر الأول . ذهب أيجيسثوس . أحضر والدته پلوبيا إلى السجن . وقع نظرها على ثويستيس . تعرفت عليه . ارتمت فى حضنه . بكت بين يديه . سألها من أين حصلت على ذلك السيف . أخبرته أنها انتزعته من رجل اغتصبها ذات ليلة فى سيكيون . أجابها ثويستيس : ذلك الرجل الذى اغتصبك هو أنا ، والدك ثويستيس . لم تستطع پلوبيا أن تحتمل أكثر من ذلك . اختطفت السيف ، غرست نصله الحاد فى صدرها . ماتت على الفور .

انتزع ثويستيس السيف من صدر ابنته . قدمه إلى أيجيسثوس قائلاً : خذ هذا السيف الذى يقطر دماً . إذهب به إلى أتريوس . أخبره أنك قتلت ثويستيس . ثم عد إلىّ على الفور . هذا هو الأمر الثانى . نفذ أيجيسثوس أمر ثويستيس . إطمأن أتريوس. أحس بالسعادة والفرح . ثم عاد أيجيسثوس إلى ثويستيس مرة أخرى . عندئذ اعترف له ثويستيس بكل شىء . أخبره أنه ابنه الوحيد الذى أنجبته له پلوبيا . أخبره أنه ليس ابنا لأتريوس كما يظن الجميع . التآم شمل الأب والابن . عندئذ ، طلب منه أن يقتل

مكتبة المهتدين الإسلامية

أتريوس . هذا هو الأمر الثالث . ذهب أيجيسثوس على الفور إلى أتريوس . انقض عليه . قتله . وهكذا كتبت الآلهة نهاية قصة حياة أتريوس المخادع الذى عاش بالخديعة ومات بالخديعة (٢١) .

تلك هى أسطورة أتريوس ، ملك موكيناى ، الذى انحدر من أسرة لم تعرف الشرف أو الإخلاص أو الوفاء . أتريوس الذى ورث اللعنة عن والده پلوپس . الذى ورثها بدوره عن والده تانتالوس . أتريوس الذى أورث اللعنة هو أيضاً إلى ولده البطل الأسطورى المعروف أجاممنون (٢٢) .

* * *

(٢١) Hyginus, Loc. Cit.; Apollodorus, Op. Cit., II, 14.

(٢٢) تناولت عدة مصادر قديمة اللعنة التي أصابت أسرة پلوپس حتي أتت علي جميع أفرادها : أتريوس ، أجاممنون ، أورستيس ، الكترا ، إيفيجينيا . من أهم تلك المصادر :
Aeschylus, Agamemnon, Choephoroe, and Eumenides; Sophocles, Electra; Euripides, Orestes. Electra, Iphigenia in Aulis, Iphigenia Among the Taurians; Seneca. Thyestes. Agamemnon; Apollodorus, Epitome II, 3 sqq. Hyginus fabula 83 sqq.... etc.

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

آجَامِمْنون

.. تحرك موكب البطل ا ° فر أجاممنون . شق طريقه بين مظاهر التقدير والتبجيل . تهادى أجاممنون في خيلاء وزهو . تبختر وأكاليل النصر تزين جبينه . وصل موكب النصر إلى قصر البطل ا ° فر . هناك. كانت زوجته كلوتمنسترا في انتظاره . أمرت أتباعها أن يفرشوا بساطاً أرجوانياً على طول الطريق الموصل من البوابة الخارجية حتى مدخل القصر . رحبت الملكة بزوجها العائد . طلبت منه أن يمشي على البساط الأرجواني . تردد البطل الظافر . أعرب عن خوفه من غضب الآلهة . لايريد أن يقلد ملوك الشرق المغرمين بمظاهر الأبهة والبذخ . لايريد أن يتعالى أو يتغطرس . ألحت عليه . تردد مرة أخرى . اشتد إلحاحها . لم يكن أجاممنون يشك في نوايا زوجته . لذا ، تنازل عن رأيه . رضخ لإلحاحها . مشى على البساط الأرجواني . لم يكن يعلم البطل ،ا ° فر ، العائد من ميدان القتال ، أن البساط الأرجواني يوصل إلى عالم الموتى .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أجَامِمْنون

مات أتريوس غدراً . إستوى شقيقه ثويستيس على عرش موكيناى . ظن أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد . اعتقد أنه سوف ينعم بالسعادة والاستقرار . لكن الصراع بين الشقيقين لم يكن قد انتهى بعد . مازالت الآلهة تحمل فى جعبتها الكثير لأسرة پلوپس . مازالت اللعنة منتشرة بين أفراد الأسرة . قتل أيجيسثوس عمه أتريوس. قتله تحقيقاً لرغبة والده ثويستيس . فرّ ولدا أتريوس – أجاممنون ومنيلاووس– من موكيناى . ذهبا إلى سيكيون . قضيا بعض الوقت هناك . ثم ذهبا إلى كالودون فى أيتوليا . قضيا سنوات شبابهما المبكر فى كنف الملك أوينيوس . ثم رحلا بعد ذلك إلى اسبرطة . شملهم الملك تونداريوس بعطفه ورعايته . وعدهم باسترداد ملك والدهما أتريوس .

جهّز تونداريوس جيشاً ضخماً . سار بجيشه ضد موكيناى . حاصر المدينة . ضيق عليها الحصار . استولى الذعر على ثويستيس . لجأ إلى محراب الربة هيرا . طلب شروط الصلح . عرض عليه تونداريوس التنازل عن العرش . تنازل ثويستيس فى الحال . ولى تونداريوس أجاممنون ملكاً على موكيناى . خرج ثويستيس من موكيناى بلا رجعة . ذهب إلى كوثيرا . خشى أيجيسثوس انتقام أجاممنون . غادر هو أيضاً موكيناى . لجأ إلى ساحة الملك كولارابيس بن الملك الأرجوسى سثنلوس . أصبح أجاممنون بلا منازع (١) . استقرت الأمور فى موكيناى . انتشر الأمن والسلام فى جميع أرجاء المملكة ، حل الرخاء هنا وهناك . دانت ممالك كثيرة بالولاء لأجاممنون. تدفقت الأموال والثروة إلى خزائن الملك الشاب . دفع له الجزية ملوك كورنثا ، كليوماى ، أورنياى ، أراثوريا ، سيكيون ، هوبيريسيا ، جونويا ، بيلينى ، أيجيوم ، أيجيالوس ، هليكى ، وغيرها من الممالك والدويلات الإغريقية (٢) .

---

(١) Hyginus, fabula 88; Eusebius, Chronica, I, 175-6; Homer, Iliad, II, 107-8; Idem Odyssey, III, 263; Aeschylus, Agamemnon, 529; Pausanias, II, 18, 4; Tzetzes, Chiliades, I, 433- sqq.

(٢) Homer, Iliad, III, 569-80.

http://www.al-maktabeh.com

شن أجاممنون الحروب ضد جيرانه ، استسلم لسلطانه ملوك كثيرون . رضخ لحكمه كل الحكام . كانت أولى حروبه ضد مملكة بيزا ، حيث كان يحكم تانتالوس الثانى . كان تانتالوس الثانى ابن عم أجاممنون . وكان أجاممنون يكره عمه بروتياس كرهاً شديداً . كانت كراهيته له لاتقل عن كراهيته لابنه تانتالوس الثانى . هاجم أجاممنون مملكة بيزا . مات الملك دفاعاً عن شعبه وأرضه . خلف وراءه أرملة شابة رائعة الجمال . خلف وراءه أرملة تدعى كلوتمنسترا . أعجب أجاممنون بالأرملة الشابة . لم تبادله الأرملة الإعجاب . قابلت إعجابه بالرفض . لم يأبه برفضها . تزوجها رغم إرادتها . ثار شقيقاها . حاولا الهجوم على موكيناى . استنجد أجاممنون بمولاه الملك تونداريوس . لجأ إليه مستجيراً . وعده بالحماية . عفا عنه . بارك زواجه من كلوتمنسترا (٣) . كانت كلوتمنسترا شقيقة لأجمل فتيات الإغريق – هيلينى – أنجبتهما ليدا للملك تونداريوس . لذا كان من الطبيعى أن يلجأ أجاممنون إلى تونداريوس . كان من الطبيعى أيضاً أن يطلب منه العفو . عفا تونداريوس عن أجاممنون . بارك زواجه من كلوتمنسترا . بعد فترة قصيرة ، تزوجت هيلينى من شقيق أجاممنون – مينلاووس .

عاش أجاممنون سعيداً مع زوجته كلوتمنسترا . أنجبت له ثلاث بنات : الكترا ، إفيجينيا ، خروسوثميس . ثم أنجبت له ولداً واحد : أورستيس (٤) . عاش باقى حكام الممالك والدويلات الإغريقية فى سعادة وهناء . عاش الجميع فى أمن وسلام . فجأة ، حدث مالم يكن فى حسبان أحد . اختطف باريس – أوسم شباب طروادة – هيلينى أجمل نساء الإغريق . ثارت ثائرة زوجها مينلاووس . لجأ إلى شقيقه أجاممنون . هب أجاممنون يحث ملوك الإغريق . تكونت الحملة الإغريقية تحت قيادة ملك الملوك أخيليوس . قامت الحروب الطروادية الشهيرة . دامت عشر سنوات (٥) . غاب

(٣) Apollodorus, III, 106; Idem, Epitome, II, 16; Euripides, Iphigenia in Aulis, 1148 sqq.

(٤) قيل أيضاً إن إفيجينيا لم تكن ابنة كلوتمنسترا بل ابنة شقيقتها هيليني أنجبتها من البطل شسيوس ، ثم تبنتها كلوتمنسترا فيما بعد : Tzetzes, Lycophron, 183; Homer, Iliad, IX, 145; Apoollodorus, Epitome, II. 16.

(٥) أنظر قصة جرب طروادة ، الجزء الثاني ص ٢٠٩ وما بعدها .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أجاممنون عن زوجته كلوتمنسترا عشر سنوات كاملة . أبلى فى الحروب بلاءً حسناً . قام بدور بطولى جبار . أما أيجيسثوس فلم يشترك فى الحملة الإغريقية . فضَّل المكوث فى أرجوس . فقد وجد الفرصة سانحة للانتقام من ابن عمه أجاممنون واستعادة عرش والده ثويستيس (٦) .

* * *

كان بالاميديس واحداً من الأمراء المشتركين فى الحملة الإغريقية . نشأ خلاف بينه وبين أجاممنون والملوك الإغريق . حكم عليه بالإعدام . مات رميا بالحجارة . حزن من أجله والده ناوبليوس . صمم على الانتقام من القادة الإغريق . غادر طروادة . عاد إلى بلاد الإغريق . قرر الانتقام من قاتلى ولده . أخذ ينتقل من مملكة إلى أخرى . أغرى زوجات قادة الحملة الغائبين على الفسق والفساد . شجعهم على الزنا . انتهز فرصة غياب أزواجهن . نشر الرذيلة بينهن . دفعهن فى طريق الخيانة . أقنعهن الواحدة بعد الأخرى . أقنعهن بأن لهن الحق فى أن يتخذن عشاقاً أثناء غياب أزواجهن . كانت كلوتمنسترا أكثرهن استعداداً للاقتناع بفكرة ناوبليوس . علم أيجيسثوس بذلك . صمم أن يتخذها عشيقة له . إنه ابن عم زوجها ، والأقربون أولى . بل صمم على تنفيذ ماهو أكثر وأبعد من ذلك (٧) . قرر أن ينتهز فرصة كان ينتظرها منذ أمد بعيد ، أن ينتقم لوالده ثويستيس ، أن يستعيد عرش والده السليب . قرر أن يستعين بكلوتمنسترا فى قتل أجاممنون عند عودته من طروادة .

بدأ أيجيسثوس يلعب لعبته . طفق يضرب ضربته ، أخذ يتقرب إلى كلوتمنسترا. طارحها الحب . استجابت لحبه . تظاهر بعشقها . بادلته العشق . مارس معها كل ألوان الفساد والفسق . استعذبت معه الفسق والفساد . طلب منها مساعدته فى قتل أجاممنون عند عودته من طروادة . لم تتردد فى الموافقة . حدث كل ذلك بالرغم من تحذيرات أجاممنون لها . فلقد أرسل أجاممنون إليها من ميدان القتال يطلب منها أن تحذر من أيجيسثوس . حدث كل ذلك رغم أنف رجال القصر . كان أتباع أجاممنون يراقبون كل ذلك فى صمت . قابلت كلوتمنسترا معارضتهم ببرود تام .

(٦) Homer, Odyssey, III, 263.

(٧) Apollodorus, Op. Cit., VI, 8-9.

http://www.al-maktabeh.com

وقفت أمام تحدياتهم بقوة وثبات . حققت رغباتها على حساب كرامتهم وكرامة سيدهم أجاممنون.

كان كبير الآلهة زيوس يراقب من عليائه كل شيء . أرسل رسوله هرميس إلى أيجيسثوس . حذره . نصحه . هدده . توعده . إن قتل أجاممنون فسوف ينتقم له ولده أورستيس . لم يخف أيجسيثوس من تحذير زيوس . لم يعمل بنصائحه . لم يخش تهديده أو وعيده . كانت الربة أفروديتى تشد من أزره . كانت تمهد له طريق الرذيلة. كانت تكره أجاممنون الذى ذهب لمحاربة باريس . أفروديتى هى التى وعدت باريس بالحصول على هيلينى . هى التى ألقت بسهامها الدافئة فى صدر هيلينى . باريس هو الذى فضل أفروديتى على رفيقاتها الربات . هو الذى منحها التفاحة الذهبية . حذر زيوس أيجيسثوس . شجعته أفروديتى . لم يستطع زيوس أن يقنع أيجيسثوس بعدم قتل أجاممنون . لم تجد أفروديتى صعوبة فى إقناعه بضرورة تنفيذ مؤامرته (٨) .

طالت فترة الحروب الطروادية . طالت فترة غياب أجاممنون عن زوجته . ازدادت كلوتمنسترا اقتناعاً بعدم حبها لزوجها أجاممنون . ليس هناك دافع واحد يدفعها إلى التمسك بحبه أو الإخلاص له . هناك أكثر من دافع يدفعها إلى كراهيته والتآمر ضده . قتل أجاممنون زوجها الأول تانتالوس . قتل أمام عينيها رضيعها الذى أنجبته من ذلك الزوج . اتخذها لنفسه زوجة رغم إرادتها . هجر فراشها واشترك فى حرب لم يكن أحد يعرف متى تنتهى . تركها عشر سنوات ليحقق لنفسه مجداً عسكرياً. لم يتردد فى تقديم ابنتهما إيفيجينيا قرباناً للآلهة لإنجاح الحملة المشئومة(٩) . علمت أنه قد عشق أثناء غربته الأميرة كاساندرا ابنة الملك الطروادى برياموس . عرفت أنه أنجب منها طفلين . أكدت الأنباء أنه سوف يصطحبها معه عند عودته إلى موكيناى ، من أجل كل ذلك ، لم تتردد كلوتمنسترا فى أن تتآمر ضد زوجها أجاممنون (١٠) .

(٨) Homer, Op. Cit., I. 35 sqq. and III, 263-75.

(٩) راجع ص ٣٣٠ أدناه .

(١٠) Euripides, Iphigenia in Aulis, 1148 sqq.; Sophocles, Electra, 531; Hyginus, fabula 117.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لم تتردد كلوتمنسترا لحظة واحدة فى خيانة زوجها أجاممنون . وهبت قلبها وحبها وإخلاصها لابن عمه أيجيسثوس . إقترحت عليه أن تتسع دائرة المؤامرة . إتفقا على قتل كاساندرا أيضاً . بدأت تنفذ الاتفاق فى حذر وحرص . أرسلت إلى زوجها مكتوباً . طلبت منه أن يحدد لها موعد عودته من ساحة القتال . أجابها بأنه لايعرف موعد عودته بالتحديد . أوهمته أنها سوف تستقبله استقبال البطل الظافر . اقترحت عليه أن يضيء شعلة فوق قمة جبل إيدا فور سقوط طروادة . كان أجاممنون يثق فيها، ويطمئن إليها . وعدها بتنفيذ اقتراحها . على الفور ، أمرت كلوتمنسترا مجموعات من الحراس بالانتشار فوق القمم الواقعة على طول الطريق بين طروادة وموكيناى . طلبت من كل مجموعة أن تلاحظ القمة التى تقع بالقرب منها . طلبت من كل مجموعة أن تضيء شعلة فور مشاهدتها لشعلة مضيئة فوق تلك القمة القريبة . ثم أمرت واحداً من الحراس أن يجلس القرفصاء فوق سطح القصر ليلاحظ أقرب قمة إلى القصر ، أصدرت أوامر مشددة بألا يغادر هؤلاء الحراس مواقعهم . أصدرت أوامر مشددة أن يكون الجميع متيقظين على الدوام .

* * *

قضت كلوتمنسترا عاماً كاملاً تنتظر وصول أجاممنون ، ظلت عاماً كاملاً تتمنى أن تنتهى الحرب . قضى أيجيسثوس عاماً كاملاً فى قلق مستمر . ظل عاماً كاملاً يحلم بحلول ساعة الانتقام . ثم سقطت مدينة طروادة . انتصر الإغريق على الطرواديين . ذبحوا الأطفال والنسوة . أتوا على الأخضر واليابس . نشروا الخراب والدمار فى كل ركن من أركان المدينة . هلل القادة الإغريق . فرحوا بالنصر ونهاية الحرب . كان كل بطل يحلم بيوم العودة . لم يكن أجاممنون أقل شوقاً من أحد . لم يكن أجاممنون أقل بهجة من أحد . كان يحلم هو أيضاً بيوم عودته إلى أرض الوطن. كان متلهفاً مشتاقاً إلى لقاء زوجته كلوتمنسترا التى فارقها منذ عشر سنوات .

تذكر أجاممنون اقتراح كلوتمنسترا . تذكر الاستقبال الحافل الذى وعدته به فى مكتوبها . أمر على الفور واحداً من حراسه أن يعتلى قمة جبل إيدا . أمره أن يضيء شعلة ، ويلوح بها من فوق قمة الجبل . سرعان ما أضيئت الشعلات تباعاً على القمم المتعددة الواقعة على طول الطريق . أخيراً ، نهض الحارس الذى ظل عاماً كاملاً جالساً القرفصاء فوق سطح قصر أجاممنون .

http://www.al-maktabeh.com

هبط الحارس مسرعاً من فوق سطح القصر . كان الليل قد انتصف . كان جميع سكان القصر نياما . إتجه الحارس مباشرة نحو جناح الملكة كلوتمنسترا . استيقظت الملكة على صياحه . أخبرها بما رأى . امتقع وجه الملكة . بهتت . لم تبد حراكاً . لقد انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر . لكنها الآن تحس بجسامة ماهى مقدمة عليه . حضر أيجيسثوس على الفور . حاول أن يعيدها إلى صوابها . لم يستطع . لم يحتمل أن تضيع الفرصة التى ظل ينتظرها أعواماً بعد أعوام . أرسل على الفور واحداً من أتباعه المخلصين نحو شاطىء البحر . أمره بمراقبة السفن الآتية نحو الشاطىء . ثم بدأ يتحدث إلى كلوتمنسترا . بدأ يردد أحاديثه المعسولة . أخذ يذكّرها بعلاقاتها الماضية مع أجاممنون . عادت كلوتمنسترا إلى نفسها . تذكرت الاتفاق الذى تم بينها وبين عشيقها أيجيسثوس . تذكرت القرار الذى اتخذته . بدأت تستعد لتنفيذ المؤامرة .

سقطت طروادة . استعد القادة الإغريق للعودة إلى أوطانهم ، جمع كل قائد رجاله . حمّل أسطوله بالأسلاب والغنائم . بدأت الآلهة فى مضايقة القادة العائدين إلى أوطانهم . أخذت العواصف تدمر السفن العائدة . لقى بعض القادة مصرعهم أثناء العودة . جنحت سفن البعض الآخر نحو شواطىء غريبة . لكن الربة هيرا أنقذت أجاممنون . مهدت له طريق العودة . أمرت الرياح أن تكون أمناً وسلاماً على سفنه . دفعت بسفينته فى رقة إلى شاطىء ناوبليا ، رست السفينة فى سلام . إنحنى أجاممنون يقبل أرض الشاطىء . رفع يديه نحو السماء شاكراً (١١) . كان تابع أيجيسثوس يراقب كل ذلك . انطلق يعدو نحو سيده أيجيسثوس . أخبره بوصول أجاممنون . اختار أيجيسثوس عشرين من أشجع رجاله المسلحين . أمرهم أن ينصبوا كميناً داخل القصر . طلب منهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد . أمر أتباعاً آخرين أن يقيموا وليمة فخمة . ثم اعتلى عجلته الملكية ، وذهب لاستقبال البطل العائد أجاممنون.

* * *

(١١) Aeschylus, Agamemnon, 1 sqq. and 282 sqq.; Euripides, Electra, 1076 sqq.; Homer Op. Cit., IV, 524-37; Pausanias, II, 16,5; Hyginus, fabula 117.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تحرك موكب البطل الظافر أجاممنون . شق طريقه بين مظاهر التقدير والتبجيل . اصطف حرس الشرف على جانبي الطريق . تهادى أجاممنون فى خيلاء وزهو . تبختر وأكاليل النصر تزين جبينه . وصل موكب النصر إلى قصر البطل الظافر . هناك . كانت زوجته كلوتمنسترا فى انتظاره أمام القصر . تقدمت الملكة فى جلال ووقار . رحبت بزوجها العائد . طلبت منه أن يطأ بقدميه البساط الأرجوانى . تردد البطل الظافر . أعرب عن خوفه من غضب الآلهة . لايريد أن يتعالى أو يتغطرس . ألحت عليه زوجته . تردد مرة أخرى فى السير على البساط الأرجوانى . اشتد إلحاح الزوجة . لم يكن يشك فى نوايا زوجته . لم يكن يشك فى إخلاص أم أولاده . لم يكن يذكر أنه قدم لها أية إساءة . حقاً ، لقد قتل زوجها الأول . لكنه قتله أثناء القتال . والقتال عمل مشروع فى عرف الرجال . حقاً ، لقد قتل ابنها الرضيع . لكنه كان يخشى أن ينتقم الرضيع فيما بعد لقتل والده . حقاً ، لقد تزوجها رغم إرادتها. لكنه أحبها ، وعشقها ، وطلب العفو بعد ذلك من والدها . حقاً لقد قتل ابنتهما لإنجاح الحملة الإغريقية . لكن ذلك قد تم تحقيقاً لمشيئة الآلهة . حقاً ، لقد عشق كاساندرا وأنجب منها طفلين . لكنه لم يقصد بذلك أية إهانة لزوجته . فذلك العمل كان شائعاً بين الإغريق . لم يقدم أجاممنون ، إذن ، أية إساءة لزوجته كلوتمنسترا . لذا ، لم يكن يشك فى نواياها ، بل كان يحس فعلاً بالشوق نحوها . كان ، ينتظر بفارغ الصبر لحظة العودة إليها . إلى ابنتيه الشابتين ، إلى ابنه الصبى أورستيس ، إلى شعبه المخلص ، شعب موكيناى . لذا ، تنازل أجاممنون عن رأيه . رضخ لإلحاح زوجته كلوتمنسترا ، مشى على البساط الأرجوانى حتى دخل القصر الملكى . بقيت خارج القصر عشيقته كاساندرا . بقى فى الخارج أيضاً باقى أتباعه المخلصين . كان من الطبيعى أن يخلد الزوج العائد إلى زوجته . لم يكن يعلم البطل الظافر العائد إلى زوجته أن البساط الأرجوانى يوصل إلى عالم الموتى .

اختفى أجاممنون عن الأنظار داخل القصر . بقيت كاساندرا عند الباب . كاساندرا هى ابنة الملك الطروادى المسن برياموس . اصطفاها الإله أپوللون ، عالم الغيب . نفخ فيها من روحه المقدسة . أصبحت هى الأخرى قادرة على التنبؤ

http://www.al-maktabeh.com

بالغيب(١٢) . عندما سقطت طروادة أ . ` كاساندرا من نصيب أجاممنون . لم يجد أفضل منها بين السبايا ، عشقها . لم يكن يعرف مصيره . لم يكن يدرى أنها سوف تشاركه مصيره المحتوم . دخل أجاممنون القصر . بقيت كاساندرا خارج القصر . مكثت عند الباب . حلّت فيها روح أپوللون . إستولى عليها الهوس والشرود . أصابها التشنّج . إنها تشم رائحة دماء بشرية ، ترى لعنة ثويستيس وهى تحوم فوق قاعات القصر ، تشاهد شبح الموت يطوف بأرجائه . ظلت كاساندرا ترتعش ، تتأوه وتصرخ . كانت ترى بعينى أپوللون مايدور داخل القصر . كانت تعلم بإلهام من أپوللون مصير أجاممنون . كانت تعرف مصيرها أيضاً . قد يعرف المرء مصيره . لكنه لايستطيع الهروب منه ، قد يتنبأ المرء بما كتبته له الآلهة ، لكنه لايقدر أن يتحاشاه ، هكذا بقيت كاساندرا عند بوابة القصر ، بينما كانت الملكة كلوتمنسترا ترحب بزوجها العائد أجاممنون (١٣) .

رحبت الملكة كلوتمنسترا بزوجها البطل العائد أجاممنون ، أبْدت له كل مظاهر الحب والشوق . اصطحبته إلى حمام القصر . اغتسل أجاممنون . أزال غبار الرحلة الشاقة . وقفت كلوتمنسترا بجواره رهن إشارته . انتهى الزوج العائد من الاستحمام . همّ بمغادرة الحمام . تقدمت كلوتمنسترا نحوه فى رقة مصطنعة وحنان زائف . كانت تحمل فى يدها شيئاً يشبه المنشفة . ألقت بذلك الشيء فوق رأسه وكتفيه ، سلم أجاممنون إليها رأسه ، ظن أنها سوف ... الماء من فوق رأسه وكتفيه ، لكنه أحس على الفور أن حركته قد شلّت . أحس بيد قوية تكتم أنفاسه . لم يكن الشيء الذى رآه بين يدى زوجته سوى رداء ، بلا فتحة للأكمام ، بلا فتحة للرأس . كان أشبه بكيس من القماش السميك . أصبح أجاممنون مشلول الحركة مثل صيد حبيس . أصبح فريسة سهلة لكلوتمنسترا وعشيقها أيجيسثوس ، ظهر أيجيسثوس فجأة من مخبئه . طعن

(١٢) يذكر هوميروس كاساندرا دون أن يشير إلي قدرتها علي التنبؤ بالغيب . أول مصدر يذكرها قادرة علي ذلك هو پنداروس (Pindar, Pythian Odes, XI. 33) . اكتسبت كاساندرا هذه القدرة من الإله أپوللون . (Aeschylus, Agamemnon, 1202 sqq) . لكن أپوللون لم يكن راضياً عن كاساندرا ، لذلك جعلها قادرة علي التنبؤ بالغيب دون أن يصدقها أحد علي الإطلاق (Rose, Greek Myghology, p. 143).

(١٣) Hamilton, Mythology, pp. 240-44.

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (٢٠)

كلوتمنسترا تقف متحدية بعد قتل أجاممنون

http://www.al-maktabeh.com

غريمه بسيف حاد (١٤) . ثم طعنه طعنة ثانية . هوى أجاممنون على أرض الحمام جريحاً . عندئذ ذبحته كلوتمنسترا . فصلت رأسه عن جسده (١٥) . ثم أسرعت نحو الخارج . قتلت كاساندرا بنفس السيف (١٦) .

امتلأت أرجاء القصر بالصراخ والصياح . سمع رجال القصر صراخ أجاممنون، سمعوا صراخ كاساندرا . سمعوا عبارات الغضب التى كانت تطلقها كلوتمنسترا . ساد الهرج والمرج . نشب قتال عنيف بين أتباع الملك أجاممنون وأنصار الأمير أيجيسثوس . حاول أيجيسثوس القضاء على جميع ذرية أجاممنون . قتل ولديه الذين أنجبتهما كاساندرا . حاول أن يقتل الصبى أورستيس . لم يستطع . فشل فى العثور عليه . تخلص أيجيسثوس من أغلب معارضيه . فر الباقى خارج البلاد (١٧) . وقفت كلوتمنسترا فى كبرياء وخيلاء . لقد ا[illegible] من زوجها الخائن . اختارت لنفسها رجلاً يحبها . يدافع عنها ، يبعد عنها طمع الطامعين . اختارت أيجيسثوس من بين جميع الرجال . اختارت لنفسها الرجل الأفضل . لم تكن تدرى الواقع المرير : أن أيجيسثوس هو الذى اختارها . أيجيسثوس هو الذى تظاهر بحبها . هو الذى ادعى الدفاع عنها . إنه فى الواقع هو الذى أفقدها عرشها ، وزوجها ، وأنوثتها ، وشبابها ، وأسرتها . أيجيسثوس هو الذى نفذ لعنة الآلهة . هو الذى انتقم لوالده ثويستيس . لم يدفع عنها طمع الطامعين . بل كان هو نفسه على رأس الطامعين . لم تكن كلوتمنسترا تعلم شيئاً . لكن أيجيسثوس كان يعلم كل شىء . وعاشت كلوتمنسترا مع أيجيسثوس . عاشت هى بجهلها ، وعاش هو بعلمه ، وهكذا [illegible] لعنة الآلهة . [illegible] اللعنة التى أورثها تانتالوس لابنه پلوپس ، ثم أورثها پلوپس لابنه أتريوس ، ثم أورثها أتريوس لابنه أجاممنون .

* * * * *

(١٤) Aeschylus, Agamenon, 1220, 1391 sqq. 1521 sqq.; Idem, Eumenides, 631-5 ; Euripides, Electra. 157; Idem, Orestes, 62; Tzetzes, Lycophron, 1375; Homer, Odyssey, III, 193 sqq.; 303 sqq.; XI 529-537.

(١٥) Sophocles, Electra, 99; Aeschylus, Agamenon, 1372 sqq., 1535.

(١٦) Sophocles, Op. Cit., 445-6 .

(١٧) Homer, Odyssey, XI, 400-402; Vergil, Aeneid, VII, 723; Ovid, Ars Amatoria, III, 13, 31; Pausanias, II, 16.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إلكترا

.. هكذا عاشت الكترا . محرومة من عطف والدها . محرومة من رؤية شقيقها . محرومة من ثقة شقيقتها . محرومة من حنان والدتها . لكنها لم تكن أبداً تخضع أو تلين . كانت تبعث بالرسل إلى شقيقها أورستيس ، تبث فيه من بعيد السخط والكراهية نحو قتلة والدها ، تحثه على مواصلة التدريب والمران حتى يصبح قوى البنية موفور النشاط . تطلب منه سرعة العودة حتى يخلص وطنه من الظلم والاستبداد .

ومرت السنون ، وتوالت الأعوام . وازداد شقاء الكترا بمرور الزمان . وتوهج لهيب حقدها على كلوتمنسترا وأيجيسثوس . لكن أملها فى عودة أورستيس لم يتضاءل . ورغبتها فى الانتقام لم تضعف .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

إِلِكْتـرا

حلَّت اللعنة على القائد الإغريقى أجاممنون . لقى حتفه . مات ميتة كريهة . مات غدراً . قتلته زوجته كلوتمنسترا . أجهز عليه عشيقها أيجيسثوس . أصبح العشيق سيد القصر . أصبح حاكماً على موكيناى . ظل يحكم مدة ليست بالقصيرة . جلس على عرش أجاممنون . تجول فى أبهاء قصره الفخم . لبس ملابسه الفاخرة . نام فى سريره الملكى . احتوى بين أحضانه زوجته . اعتلى عجلته الحربية السريعة . وضع تاجه فوق رأسه . أمسك صولجانه فى يده . كل ماكان ملكاً لأجاممنون أصبح متاعاً لأيجيسثوس (١) .

لم يكن واحد من أهل موكيناى راضياً عن الغاصب القاتل . لم يكن واحد من شعب أجاممنون يستطيع أن يقف فى وجه الطاغية الآثم . حكم أيجيسثوس موكيناى بالحديد والنار . لكن ، بالرغم من كل هذه الأبهة وذلك الجاه ، لم يكن أيجيسثوس سوى عبد لكلوتمنسترا . يأتمر بأمرها ، يعمل بنصيحتها . ينفذ رغباتها . لم يكن يقدر على معارضتها . لم يكن يستطيع أن يعصى لها أمراً . كان قوياً متعالياً ، لكنه كان أمامها كسيراً ذليلاً . إذ كانت كلوتمنسترا قوية الشخصية . كانت فى مظهرها امرأة فاتنة رقيقة ، وفى جوهرها رجلاً فظاً غليظ القلب .

أحس أهل موكيناى بالكراهية نحوها . أحسوا بالضيق والحسرة أثناء حكمها . لكنهم لم يستطيعوا أن يجهروا بكراهيتهم أو يعبروا عن ضيقهم . لم تكن خروسوثميس– ابنة كلوتمنسترا من أجاممنون – تختلف فى مشاعرها عن بقية أهل موكيناى . لم تكن شقيقتها الكترا تختلف فى مشاعرها عن بقية شعب موكيناى . بل كانت الشقيقتان تشعران بكراهية أكبر وضيق أعظم . كانتا تريان فى والدتهما قاتل والدهما . كانتا تريان فى أيجيسثوس الخيانة ونكران الجميل . لم يكن سلوك خروسوثميس يختلف عن سلوك بقية أهل موكيناى . لكن سلوك الكترا كان يختلف تماماً عن سلوك شقيقتها وسلوك بقية المواطنين . كانت الكترا على النقيض من

(١) Homer, Odyssey, III, 305; Euripides, Electra, 320 sqq. and 931 sqq.; Sophocles, Electra, 267 sqq, and 651.

http://www.al-maktabeh.com

خروسوثميس . كانت ثائرة لاتهدأ ، إيجابية ذات عزم وبأس ، مخلصة لوالدها الراحل أشد الإخلاص ، حريصة على الانتقام ممن قتل والدها وأتى على كيان أسرتها ، متلهفة إلى حلول ساعة الخلاص .

كثيراً ما كانت الكترا تعبر عن سخطها وكراهيتها . كثيراً ماكان كل من أيجيسثوس وكلوتمنسترا يعنفانها على جرأتها ووقاحتها . كثيراً ماكانت تقف أمامهما شاردة ، ذاهلة . كثيراً ما كانا ينهرانها بسبب شرودها وذهولها . غالباً ماكان يدب الخلاف والشجار بين خروسوثميس وشقيقتها الكترا . كانت الأولى تفضل المعاناة فى صمت واحتمال الظلم فى هدوء . كانت الثانية تحتج وتتحدى . إن الكترا مازالت تذكر ذلك اليوم الرهيب ، يوم أن قتل والدها ، وامتلأت ردهات القصر وأبهاؤه بأنين الجرحى وجثث القتلى . فى ذلك اليوم أراد أيجيسثوس أن يقتل الطفل أورستيس بن أجاممنون . فى ذلك اليوم قاومت الكترا رغبة أيجيسثوس فى - وهدوء . أخذت شقيقها الصغير ، أبعدته عن أيجيسثوس . سلمته إلى يد أمينة . أرسلته خارج موكيناى. فى ذلك اليوم كان يحدوها أمل عظيم . كانت تريد للطفل أن يعيش . أن يكبر ويصبح رجلاً . أن يعود إلى وطنه شاباً يافعاً . أن ينتقم لوالده العظيم ، أن يصبح ملكاً على موكيناى (٢) .

عاشت الكترا تنتظر عودة أوريستيس . عاشت تنتظر ساعة الخلاص ، من أجل تحقيق ذلك الأمل احتملت الكترا ظلم أيجيسثوس وفظاظة كلوتمنسترا . لكن أيجيسثوس كان شديد الحرص بالغ الحذر . كان هو أيضاً ينتظر عودة أوريستيس . كان ينتظر عودة الابن لكى يقضى عليه كما قضى على والده من قبل . بل كان يفعل ماهو أقسى من ذلك وأفظع . كان يبث العيون حول الكترا ، يرصد حركاتها وسكناتها . يمنعها من الاختلاط برجال القصر . يرفض الموافقة على زواجها . لقد تقدم عدد كبير من الأمراء والملوك يطلبون يدها . لكنه كان يرفض بشدة . كان يخشى أن تنجب الكترا طفلاً ، ثم يتربى فى بلاط ملكى ، فيعود بعد ذلك إلى موكيناى لينتقم لأجاممنون . كان يعشقها عدد كبير من عظماء موكيناى ، لكنه كان يفرض عليها حراسة شديدة . ويمنع أى لقاء . كان يخشى نتائج تلك اللقاءات . كما كان يخشى نتائج زواجها .

(٢) Hamilton, Mythology, p. 244.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هكذا عاشت الكترا . محرومة من عطف والدها ، محرومة من رؤية شقيقها ، محرومة من ثقة شقيقتها ، محرومة من حنان والدتها . لكنها لم تكن أبداً تخضع أو تلين . كانت تبعث بالرسل إلى شقيقها أورستيس . تبث فيه من بعيد مشاعر السخط والكراهية نحو قتلة والدها . تحثه على مواصلة التدريب والمران حتى يصبح قوى البنية موفور النشاط ، تطلب منه سرعة العودة حتى يخلص وطنه من الظلم والاستبداد (٣) . فكرت كلوتمنسترا فى أمر ابنتها المتمردة . حاولت استمالتها إلى جانبها . فشلت . جاهدت من أجل إرضائها وإرغامها على قبول الأمر الواقع . فشلت أيضاً . عندئذ اتخذت قراراً ونفذته فى الحال . أحضرت فلاحاً بسيطاً . أجيراً من أجراء مزرعة القصر . أمرت أن يتم زواج الكترا فى الحال . زفت الأميرة المتمردة إلى ذلك الفلاح الأجير . اصطحبها معه إلى كوخه الحقير . بذلك أحست كلوتمنسترا بشيء من الراحة . قدمت إلى الكترا جميلاً . لم تتركها دون زواج . بل إنها قد تأكدت أيضاً من أن الكترا سوف تنكسر شوكتها . سوف تصبح مجرد زوجة لفلاح بسيط . سوف تنجب أطفالاً يصبحون عبيداً فى قصر كلوتمنسترا . بذلك سوف تأمن شرهم . سوف تضمن ولاءهم وخضوعهم . سوف لايكونون قادرين على الانتقام أو جديرين بتولى عرش موكيناى (٤) .

قبلت الكترا الزواج من ذلك الفلاح البسيط . لكنها لم تفقد الأمل فى عودة أورستيس . قبلت الزواج على مضض ، لم تكن تستطيع أن ترفضه . كان الفلاح البسيط دمث الخلق ، [illegible] النفس ، طاهر الروح ، كان يعرف قدر نفسه . كان يعلم سر زواجه من الكترا . كان يفوق فى شهامته ومرءوته سليل المجد والشرف أيجيستوس . بذل ذلك الفلاح البسيط كل الجهد لتوفير الراحة لزوجته الكترا . منحها حريتها كاملة ، وفر لها الوقت والجهد كى تفكر فى شقيقها أورستيس ، لم يمسها بسوء ، لم يقترب منها فى الفراش . كان حريصاً كل الحرص على سلامتها وأمنها . تظاهر أمام أهل موكيناى جميعاً بأنه يمارس حقوقه الزوجية كاملة .

ومرت السنون ، وتوالت الأعوام . ازداد شقاء الكترا بمرور الزمان . توهج

(٣) Hyginus, fabula 122; Photius, 479; Euripides Op. Cit., 60-64; Aeschylus, Choephoroe, 130 sqq.; Sophocles, Op. Cit., 341 sqq., 379 sqq. and 516 sqq.

(٤) Euripides, Op. Cit., 19 sqq. and 253 sqq. and 312.

http://www.al-maktabeh.com

لهيب حقدها على كلوتمنسترا وأيجيسثوس . لكن لم يتضاءل أملها فى عودة أورستيس، ولم [illegible] رغبتها فى الانتقام .

ذات ليلة ، جاء كلوتمنسترا المخاص . استلقت على ظهرها وحيدة . أنجبت أفعواناً أرقط . رأت كلوتمنسترا الأفعوان يبتعد عنها شيئاً فشيئاً . ثم رأته يقترب منها شيئاً فشيئاً . زحف الأفعوان فى هدوء حتى اعتلى صدر كلوتمنسترا الناهض . كان صدرها عارياً . كان ثدياها يترجرجان نحو اليمين ونحو الشمال . صدرها يرتفع إلى أعلى وإلى أسفل . جسدها اللدن الطرى يرتعش من الرعب والفزع . لم تكن قادرة على الحركة . استسلمت للأفعوان القاتل وهو يعبث فى ثدييها ناصعى البياض . فغر الأفعوان فاه . ظل يتجول بناظريه . وكأنه يبحث عن شىء فقده . فجأة . التقط حلمة الثدى فى فمه . طفق يرضع فى نهم وشراهة . لم تكن كلوتمنسترا قادرة على الحركة . شلت المفاجأة المذهلة تفكيرها . عقدت الدهشة لسانها . لم يكن ثديها يقطر لبناً خالصاً . بل كان يقطر لبناً مختلطاً بالدماء (٥) . بدت إمارات السعادة واضحة على ملامح الأفعوان وهو يرضع الدم المتدفق من ثدى كلوتمنسترا . فجأة صرخت كلوتمنسترا . دوت صرختها فى أبهاء القصر الضخم . ثم توالت صرخاتها مدوية فى جميع الأرجاء . [illegible] من نومها مذعورة . وجدت وصيفتها بجوارها . لم يكن ذلك سوى حلم رأته فى منامها . فى تلك الليلة ، لم تعرف كلوتمنسترا طعم النوم . ظلت ساهرة حتى الصباح .

عندما أرسلت الشمس أشعتها نحو الأرض . دعت الملكة كلوتمنسترا عرّاف القصر . روت عليه ما رأته فى المنام . طمأنها العراف . هدأ من روعها . إن الحلم يعنى أن روحاً من أرواح الموتى غاضبة . على الملكة أن تقدم القرابين ، وتبعث بالابتهالات . أصدرت كلوتمنسترا أوامرها على الفور . سوف تذهب جماعة من جوارى القصر إلى قبر أجاممنون . سوف يحملن القرابين السائلة والأضاحى . سوف تصاحبهن ابنتها الكترا . سوف يقمن بتقديم الأضاحى أرضاء لروح أجاممنون . سوف يسكبن القرابين السائلة على قبره . سوف يطلبن من روحه العفو والغفران . سوف تنوب الكترا عن والدتها . سوف تطلب من روح والدها أن تهدأ . وكان لكلوتمنسترا ما

---

(٥) يروي هذا الجزء من الأسطورة بالتفصيل الكاتب التراجيدي أيسخولوس في تراچيديا حاملات القرابين Choephoroe .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أرادت . وصلت النسوة إلى قبر أجاممنون . بدأن فى تنفيذ أوامر الملكة . لكن الكترا لم تكن راضية النفس . ما أن وصلت إلى القبر حتى طفقت فى البكاء . خاطبت روح والدها بالأصالة عن نفسها ، لا بالنيابة عن والدتها . بل طلبت من الروح أن تنتقم من كلوتمنسترا ، أن تقتص من القاتل . أن تعيد الأمن والسلام إلى أهل موكيناى . أن ترسل أورستيس إلى وطنه سالماً .

ظلت الكترا تبكى وهى تبتهل إلى روح والدها أجاممنون . فجأة ، توقفت عن البكاء . لفت نظرها وجود خصلة من الشعر فوق القبر . لم يكن ذلك شيئاً عادياً . لم يكن يجرؤ أحد على أن يقوم بمثل ذلك العمل . إن وجود تلك الخصلة يعنى أن شخصاً قد قدم الابتهالات لروح ساكن القبر . إن وجود تلك الخصلة يعنى أن فرداً من أفراد أسرة أجاممنون قد زار القبر . لم يكن أحد قط يجرؤ على القيام بمثل ذلك العمل . فجأة . طرأت فى خاطر الكترا فكرة . كانت تلك الفكرة بعيدة عن خاطرها قبل ذلك اليوم . ربما يكون أورستيس قد عاد . ربما يكون قد زار قبر والده أجاممنون . تقدمت الكترا نحو خصلة الشعر . أمسكت بها بين أناملها الدقيقة . أخذت تفحصها بدقة . لون شعيرات الخصلة يشبه لون شعر الكترا . نوع شعر الخصلة هو نفس نوع شعر الكترا . لم تعد الكترا قادرة على إبعاد الفكرة عن ذهنها . تقدمت نحو الأمام . تراجعت نحو الخلف . أخذت تفحص المنطقة المحيطة بالقبر . توقفت فجأة . لاحظت وجود آثار أقدام . فحصت تلك الآثار . ضاهت بين تلك الآثار وآثار أقدامها . تبدد الشك . ازداد الأمل . تأكدت الفكرة فى ذهنها . لابد أن أورستيس قد حضر إلى موكيناى . إرتفع صوتها ، مهللة سعيدة ، منفرجة الأسارير .

فجأة ، إندفع من بين الأحراش المحيطة بالقبر شاب يافع . إندفع خلفه شاب آخر . إتجه الشابان نحو الكترا . إستولى الذعر على النسوة من حولها . حاولن أن يصرخن . لم يستطعن من شدة الفزع . لكن الكترا وقفت رابطة الجأش ، ثابتة الجنان، اعترضت طريقهما فى شجاعة وجرأة . سألتهما مَنْ عساهما أن يكونا . إنهما أورستيس وصديقه المخلص پولاديس . لقد أمر الإله أپوللون أورستيس أن يعود إلى وطنه موكيناى ، أن يذهب مباشرة إلى قبر والده أجاممنون ، أن يصب قرابين سائلة بجوار القبر ، أن يترك فوق القبر خصلة من شعره . أمره أيضاً أن ينتقم لوالده ، أن

http://www.al-maktabeh.com

يقتل القتلة ، وأن يعيد الحق إلى نصابه (٦) . لم تصدق الكترا أذنيها . تسرب الشك إلى نفسها . طلبت من الشاب الغريب أن يقدم مزيداً من الأدلة . أشار إلى رداء فوق كتفه . إنه الرداء الذى نسجته الكترا بيدها . ذلك الرداء الذى لفَّت فيه الطفل أورستيس قبل أن ترسل به إلى خارج موكيناى . كان ذلك يوم أن قتل أجاممنون . هكذا قال له من تعهدوه بالرعاية . فحصت الكترا الرداء . إنه نفس الرداء الذى نسجته الكترا بيدها .

ذهبت شكوك الكترا . تعرفت على شقيقها أورستيس وعلى صديقه المخلص پولاديس . أصبح الحلم حقيقة . صار الخيال واقعاً . ارتمت الكترا بين ذراعى شقيقها العائد . إلتأم الشمل . [illegible] النسوة من حولهم . قصت على أورستيس ما رأته كلوتمنسترا أثناء نومها . قهقه أورستيس فى ثقة وثبات . ليس الأفعوان سوى أورستيس، الذى أنجبته كلوتمنسترا والذى سوف يجعل الدماء تسيل من جسد كلوتمنسترا الدنس . سوف يسلك سلوك الأفعوان . سوف يستخدم الخديعة والدهاء . سوف يستخدم عنصر المفاجأة والمباغته . هكذا كان يتحدث أورستيس وهو يقهقه فى ثقة وثبات . ثم بدأ الجميع فى وضع خطة لتنفيذ فكرة الانتقام . سوف تعود الكترا إلى قصر والدها . سوف تقابل والدتها كلوتمنسترا . سوف لاتقص عليها شيئاً مما حدث . سوف تحاول أن تعيد الطمأنينة إلى قلبها . سوف تخبرها أنها قد قدمت القرابين على قبر أجاممنون نيابة عنها . أما أورستيس فسوف يلحق بها . سوف يطرق باب القصر. سوف يدَّعى أنه غريب أتى إلى موكيناى يحمل أنباء هامة من أورستيس (٧) .

وصلت الكترا إلى القصر . فعلت كما أشار عليها أورستيس . بعد قليل وصل غريب إلى قصر الملك الراحل أجاممنون . لم يكن الغريب سوى أورستيس . طلب الغريب مقابلة سيد القصر أو سيدته . لم يكن أيجيسثوس فى القصر . قابلته كلوتمنسترا. لم تتعرف الملكة على ولدها الذى فقدته وهو طفل صغير . تظاهر الغريب بأنه مواطن أيتولى أتى من داوليس . إدَّعى أنه قابل فى الطريق شخصاً يدعى ستروفيوس . إدعى أيضاً أن ستروفيوس قد طلب منه أن يحمل إلى موكيناى أنباء غير سارة عن أورستيس بن أجاممنون . أخبره ستروفيوس أن أورستيس قد لقى حتفه ،

(٦) Sophocles, Op. Cit., 36-7 and 51-2; Euripides, Orestes, 268-70; Aeschylus, Choephoroe 1038.

(٧) Hamilton, Mythology, p. 245.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأن جثته قد أحرقت طبقاً للتقاليد المتبعة . إن ستروفيوس يحتفظ الآن برماد رفاته فى وعاء برونزى . إنه يريد أن يعرف هل يقوم بدفنها فى مدينة كريسا أم يحضرها إلى موكيناى .

استمعت كلوتمنسترا إلى الغريب وهو ينقل النبأ المثير . استولى عليها ذعر شديد . شعرت بالحزن والأسى . لم تكن فى تلك اللحظة سوى أم فقدت ولدها . لم تكن فى تلك اللحظة سوى امرأة ثكلى يائسة بائسة . مست كلمات الغريب شغاف قلبها . لكن سرعان ما بدأت تسيطر على مشاعرها . بدأت تشعر بهدوء نفسى وسعادة دفينة . تخيلت ماذا كان يحدث لو أن أورستيس قد عاد حياً . أدركت على الفور أن الغريب قد أراح بالها وطمأن قلبها . لكنها فضلت ألا تبوح بسعادتها أو تفصح عن راحة قلبها .

تظاهرت كلوتمنسترا بالحزن . أجهشت بالبكاء . أعربت عن رغبتها فى استدعاء زوجها أيجيسثوس . تظاهرت بأنها فى حاجة إلى من يواسيها ، إلى من يخفف عنها وطأة الحزن . لكنها فى الواقع أرادت أن تعيد الطمأنينة إلى قلبه . أرادت أن تبعد عنه القلق الذى ظل يؤرقه سنوات عديدة . أرادت أن يشاركها فرحتها وأن يرتشفا معاً كأس الانتصار . كلفت كلوتمنسترا مربيتها العجوز أن تستدعى أيجيسثوس . طلبت منها أن يعود بكامل عدته وعتاده . فلقد أرادت كلوتمنسترا أن ترى أيجيسثوس فى تلك اللحظة فارس الفرسان . أسرعت المربية نحو الخارج . وصلت على الفور إلى أيجيسثوس . فلقد كان موجوداً فى معبد قريب من القصر . نقلت المربية رسالة كلوتمنسترا إلى أيجيسثوس . لكنها حوّرت قليلاً فى تفاصيلها . إدّعت أن سيدتها تطلب منه أن يعود إلى القصر أعزل منفرداً . فلقد مات أورستيس ، ولم تعد هناك حاجة إلى استخدام السلاح أو الاحتماء بالحراس .

أسرع أيجيسثوس نحو القصر . وقف أمام كلوتمنسترا متسائلاً . وقف مشدوهاً حائراً . لم يكن يدرى ماذا يقول . وقف صامتاً . فضل الصمت على الكلام . انتظر حتى تبادره كلوتمنسترا بالحديث . لم يطل انتظاره . تحدثت كلوتمنسترا على الفور . مات أورستيس . لم يعد أورستيس على قيد الحياة بعد . هكذا يقول ذلك الغريب . كانت تشير نحو الغريب بيد مرتعشة . كانت تتحدث إلى أيجيسثوس بعبارات مقتضبة . لم ينطق أيجيسثوس بكلمة واحدة . أذهلته المفاجأة . ابتسم . وسرعان

http://www.al-maktabeh.com

ماتلاشت ابتسامته . قهقه ملء شدقيه . وسرعان ماكتم قهقهته . حاول أن يتحدث . وسرعان ما سكت عن الكلام . لم يكن يعرف ماذا يفعل .

فجأة ظهر غريب آخر . أفاق كل من أيجيسثوس وكلوتمنسترا . أتى الغريب الآخر يحمل بين يديه وعاء من البرونز . لقد أتى برفات أورستيس . لقد قرر ستروفيوس أن يرسل رفات أورستيس إلى موكيناى . مد الغريب الآخر ذراعيه نحو كلوتمنسترا وأيجيسثوس . أخبرها أنه يحمل بين يديه رفات أورستيس . إنفرجت أسارير كلوتمنسترا . إ[illegible] شكوك أيجيسثوس . تأكدت أنباء موت أورستيس . لم يعد هناك مجال للشك . لم يكن يعلم أيجيسثوس وكلوتمنسترا أن الغريب الآخر هو پولاديس . صديق أورستيس . لم يعرفا أن وصول پولاديس هو مرحلة من مراحل عملية الانتقام . لم يستطيعا أن يلاحظا ملامح السعادة على وجه الكترا ، التى كانت تقف فى صمت تراقب كل شيء . لقد أراد الإله أپوللون ذلك ، وكانت إرادته مصحوبة بمشيئة رب الأرباب زيوس .

مدَّ الغريب الآخر ذراعيه . قدم الوعاء البرونزى إلى كلوتمنسترا . قدم إليها رفات أورستيس . تراجعت كلوتمنسترا على الفور ومدَّ أيجيسثوس ذراعيه نحو الغريب الآخر . تناول الوعاء البرونزى . ضغط عليه بيديه . ضمه إلى صدره . فى لمح البصر جرد الغريب الأول سيفه . انقض على أيجيسثوس . ضربه ضربة قاضية . ترنح أيجيسثوس . هوى على الأرض . صرخ الغريب صرخة عالية . أعلن أن أيجيسثوس قد لقى حتفه على يد أورستيس . لفظ أيجيسثوس أنفاسه الأخيرة وهو ينظر فى حسرة إلى أورستيس ابن أجاممنون . فى تلك اللحظة . اكتشفت كلوتمنسترا حقيقة الغريب . اكتشفت أنه أورستيس . اكتشفت ذلك بعد فوات الأوان . حاولت الفرار . أحاط بها أورستيس وپولاديس والكترا من كل جانب . حاولت المقاومة . وجدت نفسها غير قادرة عليها . إستولى عليها ذعر شديد . تفككت أوصالها . توقفت الدماء فى عروقها . جف اللعاب فى فمها . وقفت الكلمات فى حلقها . زاغت عيناها . أ[illegible] غير قادرة على الحركة (٨) .

(٨) لقد حاولنا أن نتتبع في الصفحات السابقة ماجاء عند أيسخولوس في تراجيدية حاملات القرابين (راجع حاشية رقم ٥ أعلاه) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

تقدم أورستيس نحو والدته كلوتمنسترا [٩] . تقدم فى بطء شديد ، كان يخطو نحوها فى خطوات بطيئة . السيف فى يده يقطر دما ، الشر فى عينيه واضح جلى ، نظرت كلوتمنسترا فى عينى ولدها . رأت فيهما عينى والده أجاممنون . ظلت تدقق النظر فى وجهه . رأت فى وجهه وجه زوجها الراحل أجاممنون . ظلت تحملق فى قوامه الممشوق . رأت فى قوامه قوام أجاممنون . نفذت بنظراتها إلى أعماقه . أدركت كلوتمنسترا أنها هالكة لامحالة . توسلت إلى ولدها أورستيس . لم يستجب الابن لتوسلات أمه . ضربت صدرها براحتيها فى ذعر شديد . مزقت ثوبها بيديها فى عصبية ظاهرة . أخرجت ثديها الرجراج من بين طيات ثوبها الممزق . تقدمت فى استجداء نحو ولدها أورستيس وهى تمسك بيديها ثديها العارى . حاولت أن تثير فى نفسه عاطفة البنوة [١٠] .

«ولدى ، أنا التى أرضعتك ذات يوم من هذا الثدى . ولدى ، أنا التى أنجبتك من رحمى . ولدى ، أنا التى ربيتك وأنت طفل صغير . كيف تقتل من أنجبتك ، وأرضعتك ، وتعهدتك بالرعاية !» هكذا قالت كلوتمنسترا فى استجداء . إرتعشت يد أورستيس التى كانت تحمل السيف . لكن الكترا طفقت تشجعه على المضى فى عملية الانتقام ، وأيضاً پولاديس . عندئذ انقض الولد على والدته . طعنها طعنة مميتة . سقطت جثة هامدة بجوار جثة عشيقها [١١] .

انطلقت الكترا تعدو فى ردهات القصر تذيع النبأ الذى كان ينتظره الجميع منذ أعوام . انطلقت تبشر بعودة الأمن والسلام إلى ربوع موكيناى . تجمع أهل موكيناى . عادت إليهم البهجة من جديد . إنطلقوا بدورهم فى جميع أرجاء المملكة ينشرون

---

(٩) أنظر الشكل رقم ٢١ .

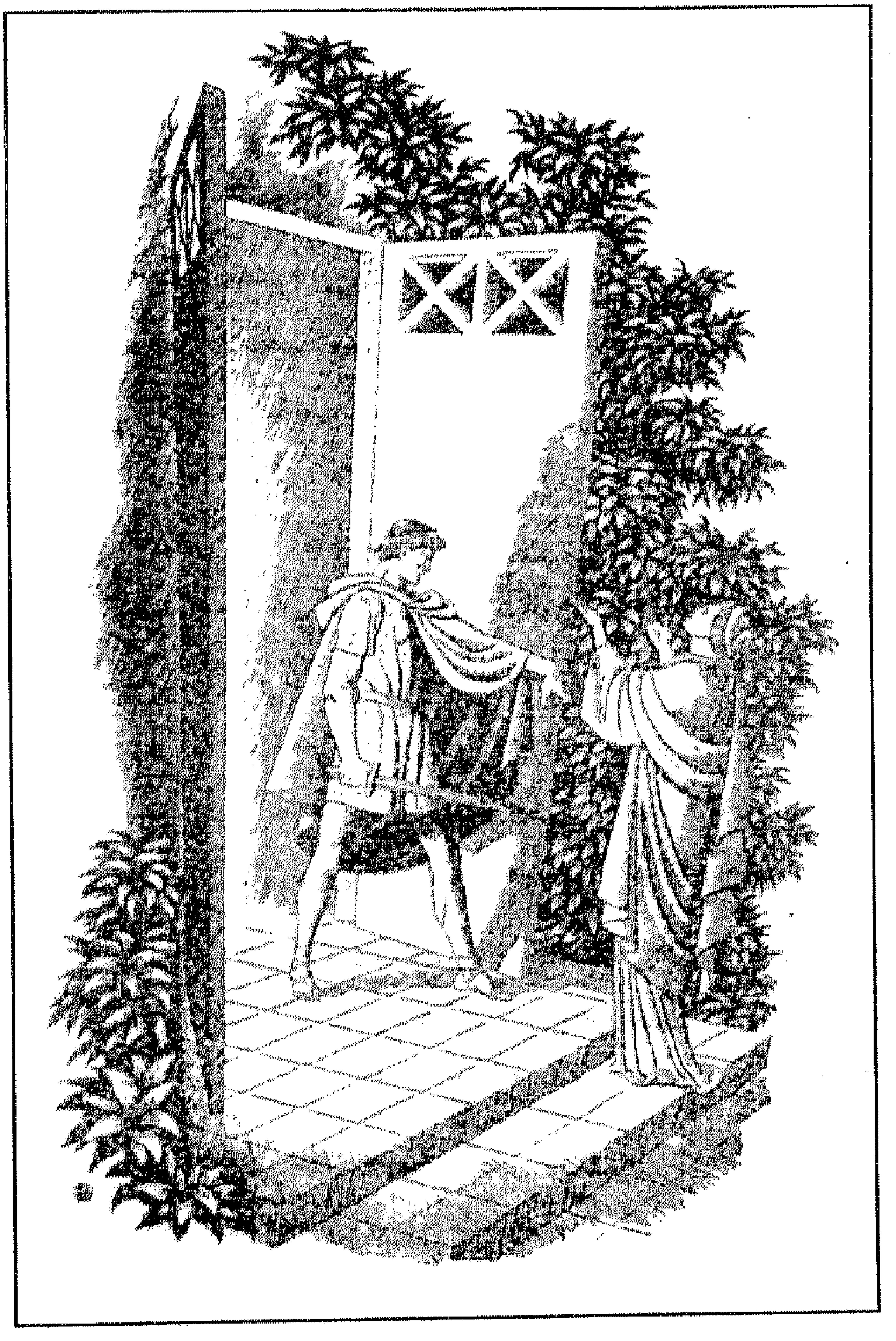
(١٠) يروي هذه التفاصيل الكاتب التراجيدي يوريبيديس (الكترا ، ١٢٠٦ ومابعده) .

(١١) Hyginus, fabula 119; Aeschylus, Eumenides, 592; Idem, Choephoroe, 973 sqq.

اختلفت الروايات حول طريقة قتل أورستيس لوالدته كلوتمنسترا وعشيقها أيجيسثوس ، راجع : Euripides, Electra, 770 sqq.; Sophoeles, Op. Cit., 417 sqq.

كما أن هناك مصادر أخري تروي أن أورستيس لم يقتل والدته بنفسه بل قدمها للمحاكمة ، راجع : Servius on Vergil's Aeneid, XI. 268.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٢١):

أورستيس يقتل والدته كلوتمنسترا .

مكتبة المهتدين الإسلامية

البهجة والسرور . إتجه الجميع نحو قصر الملك الراحل أجاممنون . إنطلقت الكترا من خلفهم . هتف الجميع باسم أورستيس . تجمعوا من حوله . فجأة ساد الذعر والرعب من جديد . لقد أصيب أورستيس بالذهول . ثم استولى عليه الجنون . ظل يهذي ويطلق عبارات غير مفهومة . إنفض الناس من حوله . لم يبق بجانبه سوى الكترا وصديقه پولاديس . لازمته الكترا ليلاً ونهاراً . تعهدته بالرعاية . حاولت أن تعيده إلى صوابه . لم تفارقه لحظة واحدة . لم تترك وسيلة لعلاجه إلا وجربتها .

حضر أشخاص عديدون إلى موكيناى . انتشر الشغب والفوضى . ثار أهل موكيناى ضد أورستيس . غضبت منه الآلهة . طاردته ربات العذاب فى صحوه ومنامه . اختل عقل الصبى القاتل . هام على وجهه فى كل مكان . ظلت ربات العذاب تطارده فى كل مكان يذهب إليه . بقيت الكترا وحيدة فى موكيناى . بقيت تنتظر عودة أورستيس من جديد . طال تجوال الفتى المسكين . ظلت الكترا تنتظره عاماً كاملاً . ثم عاد الفتى . وصدرت أوامر الآلهة . سوف يقدم أورستيس للمحاكمة . حاولت الكترا أن تجد وسيلة لإنقاذه . صدر الحكم مبدئياً ببراءته . لكن ، كان عليه أن يكفر عن جريمته : أن يذهب إلى أرض بعيدة ، وأن يحضر تمثالاً للربة أرتميس . رحل أورستيس . بقيت الكترا تنتظر من جديد عودة شقيقها . أخيراً عاد أورستيس وصديقه المخلص پولاديس . الذى لم يفارقه فى تجواله لحظة واحدة .

استقبلت الكترا أورستيس فى موكيناى . استقبلته بعد أن انتقم لوالده الذى هو والدها . استقبلته بعد أن انتقم من والدته التى هى والدتها . استقبلته بعد أن كفَّر عن جريمة فُرض عليه أن يرتكبها . استقبلته بعد طول انتظار . ظلت الكترا مخلصة لوالدها أجاممنون أثناء حياته ، مخلصة لروحه بعد مماته . ظلت وفية لشقيقتها خروسوثميس رغم اختلاف طباع كل منهما . ظلت باقية على عهدها مع شقيقها أورستيس . حافظت عليه فى طفولته ، وشبابه . أخلصت له أثناء مرضه وسلامته . قضت شبابها فى عناد تنتظر عودته . هاهو قد عاد إليها بطلاً . هاهو قد استعاد ملك والده . لقد أصبحت الكترا شقيقة لحاكم موكيناى بعد أن كانت أسيرة له .

عاشت الكترا فى سلام وأمان . تزوجت من الصديق المخلص پولاديس . أنجبت له ولدين ، ميدون ، وستروفيوس . منحتها الآلهة السعادة والهناء . عاشت فى موكيناى . ماتت فى موكيناى . ثم دفنت فى موكيناى .

http://www.al-maktabeh.com

تلك هى أسطورة الكترا ابنة أجاممنون وشقيقة أورستيس . الكترا التى أحبت شقيقـها حب العبادة . ضـحت من أجله بحياتـها وسعادتها وهنائها . منحته قلبها وعقلها. عاشت له ومن أجله . الكترا التى أساء بعض علماء النفس تفسير قصتها . لقد تخيل بعض العلماء الكترا عاشقة لأخيها أورستيس ، أو لوالدها أجاممنون فنشأت النظرية المعروفة فى علم النفس باسم «عقدة الكترا» (١٢) .

تلك هى أسطورة الكترا التى ذاعت شهرتها فى العالم القديم والحديث . تناولها معظم الكتاب والأدباء والشعراء . تعرضت الأسطورة لاضافات وتغييرات كثيرة ، لذلك ليس من السهل أن يتفق اثنان فى عرض تفاصيلها . فتفاصيل القصة مختلفة من كاتب إلى كاتب ، ومن أديب إلى أديب ، ومن فنان إلى فنان . لكن مهما اختلفت التفاصيل وتباينت الروايات . فإن أسطورة الكترا سوف تظل إلى الأبد ترمز إلى إخلاص الشقيقة إلى شقيقها ، إلى إخلاص الابنة لوالدها فى عالم أصبح فيه الإخلاص نادراً .

* * * * * *

(١٢) راجع نظرية التحليل السيكولوجي للأساطير الإغريقية في المقدمة ص٥٥ أعلاه .

مكتبة المهتدين الإسلامية

إيفيجينيا

.. كانت إيفيچينيا تراقب كل شيء حولها في صمت . كانت تفكر هي الأخرى . عليها أن تختار بين الحياة والموت . لكن حياتها في كفة ونجاح الحملة الإغريقية في الكفة الأخرى . ماذا يحدث لو أنها قدمت حياتها فداء لوطنها الكبير ! ! هبّت واقفة بين الجموع المتراصة. صاحت في نبرات متقطعة . سوف تقدم حياتها راضية فداء لوطنها الكبير . سوف تصعد مذبح الربة طائعة مختارة حتى ينجح الإغريق في الدفاع عن شرفهم وكرامتهم . أخذت تهدئ من روع والدتها . تواسي والدها أجاممنون ، تستعطف ملك الملوك أخيليوس ، تبث العزم والشجاعة في نفوس القادة الإغريق. تقدمت في شجاعة وثبات . طلبت من العرّاف أن يصطحبها إلى معبد الربة . سألت الكاهن أن يساعدها في الصعود فوق المذبح المقدس . ثم غابت إيفيجينيا عن الوعي – بعد أن ضربت مثالاً رائعاً في التضحية والفداء.

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

إيفيجينيا

نزل الأمير الوسيم باريس ضيفاً على الملك السعيد منيلاووس . أحب الضيف زوجة المضيف . بادلته الحب . اختطفها . اصطحبها إلى وطنه طروادة . لجأ منيلاووس إلى شقيقه أجاممنون . لجأ أجاممنون بدوره إلى ملك ملوك الإغريق أخيليوس . اجتمعت الجيوش الإغريقية من كل صوب . خرجت عن بكرة أبيها صوب طروادة . كان للإغريق هدف واحد ، إسترداد هيلينى . وصلت قوات الإغريق إلى ميناء أوْليس . طفقت تنظم صفوفها ، وتضع خطة الهجوم . ثم بدأت تستعد لمواصلة الرحلة إلى طروادة . فجأة ، هبت ريح الشمال العاصفة . هاج البحر وثار . ارتفعت الأمواج هادرة . إشتدت حركات المد والجزر . عصفت الرياح بالسفن الإغريقية . حطمت عدداً كبيراً منها . أغرقت عدداً آخر . أصبح الأسطول الإغريقى فى خطر عظيم .

استولى الذعر على قادة الحملة . تأجل موعد الرحيل . طالت فترة الانتظار فى الميناء . إزدادت الخسائر يوماً بعد يوم . لجأ قادة الإغريق إلى العرّاف كالخاس ، الذى كان يرافق الحملة . راقب كالخاس حركات الطيور فى السماء . لاحظ مواكب النجوم فى الفضاء . استخار الآلهة والربات . ثم عاد إلى قادة الإغريق يحمل معلومات خطيرة . السبب هو ربة عذراء ، العلاج هو التضحية بفتاة عذراء . الربة الغاضبة هى أرتميس ، الفتاة المطلوبة هى إيفيجينيا . غضبت الربة أرتميس من الإغريق. أرسلت تلك العواصف المدمرة . لن يهدأ غضب الربة إلا بعد أن يقدم القائد الإغريقى أجاممنون ابنته العذراء إيفيجينيا ضحية على مذبح الربة .

الربة الغاضبة هى أرتميس . الفتاة الضحية هى إيفيجينيا . إختلفت الروايات وتعددت الأقوال حول تعليل ذلك .

قيل إن أجاممنون خرج ذات يوم فى رحلة صيد . لمح على البعد أيْلا سمينا رائع المظهر . طفق يطارد الأيل . أطلق الأيل ساقيه الأماميتين للريح . ألهب أجاممنون ظهور خيوله بالسياط . انطلقت الخيول تسعى خلف الأيل . كان الأيل

http://www.al-maktabeh.com

أسرع من الخيول . اشتد غضب أجاممنون . صمم على اللحاق بالأيل . إزدادت المسافة بين أجاممنون والأيل . أطلق أجاممنون سهماً من بعيد . أصاب السهم الأيل المنطلق . أرداه قتيلاً . قفز من الفرح ، أفقدته نشوة النصر عقله واتزانه . طفق يصيح فى زهو وغرور . إن ربة الصيد أرتميس نفسها لاتستطيع أن تحقق ذلك النصر العظيم . سمعت الربة العذراء كلمات أجاممنون . [illegible] منه (١) .

قيل إن أجاممنون قد عصى أوامر أرتميس ، ذات مرة ، ذبح عنزاً مقدساً كان منذوراً لها . غضبت منه الربة .

قيل إن أجاممنون كان قد نذر إلى الربة أرتميس فى عام من الأعوام أجمل فتاة تولد فى ذلك العام . حدث أن ولدت ابنته إيفيچينيا فى ذلك العام . حدث أيضاً أنها أصبحت أجمل الفتيات اللائى ولدن فى نفس العام . ثم نسى أجاممنون أو تناسى ماكان قد نذر . لذا ، غضبت منه الربة أرتميس .

قيل أيضاً إن الربة أرتميس لم تكن غاضبة من أجاممنون نفسه . بل غضبت من والده أتريوس . كان أتريوس قد نذر للربة حملاً نادر الوجود (٢) . ثم نكث عهده ، وخدع الربة . لعنته الربة . ثم ورث أجاممنون اللعنة عن أبيه .

اختلفت الروايات ، تعددت الأقوال ، النتيجة واحدة . يجب أن يقدم أجاممنون ابنته العذراء إيفيچينيا قرباناً على مذبح الربة أرتميس . إستنكر أجاممنون ماقاله العرّاف كالخاس . رفض الاستجابة إلى مطلب الربة أرتميس . اشتدت قوة الرياح . إزدادت خسائر الإغريق . أصبحت الحملة الإغريقية مهددة بالفشل قبل أن تبدأ القتال . توسل القادة الإغريق إلى أجاممنون . لم يستمع إلى توسلاتهم . حاولوا أن يثنوه عن عزمه . لم تنجح محاولاتهم . هددوه بالانضمام إلى حلفاء آخرين وإبعاده عن الحملة . لم يخضع لتهديداتهم ، تدخل شقيقه منيلاووس ، توسل إليه أن ينقذ شرف أخيه وأن يعيد للأسرة كرامتها . استحلفه برأس والدهما أتريوس . إنضم إليه أودوسيوس الماكر . صور لأجاممنون المجد الذى ينتظره عند عودته ظافراً من طروادة . بدأ أجاممنون يشعر بالحيرة . هل يذبح ابنته بيده إرضاء للربة أرتميس ! !

(١) Hamilton, Mythology, p. 249.

(٢) راجع ص٢٩١ أعلاه .

مكتبة المهتدين الإسلامية

هل يذبح ابنته بيده دفاعاً عن شرف أخيه ؟ هل يذبح ابنته بيده ليحقق المجد لنفسه!! هل يذبح ابنته بيده من أجل تحقيق كل ذلك ! [٣] .

وافق أجاممنون على التضحية بابنته إيفيچينيا . لكنه لم يكن مقتنعاً اقتناعاً تاماً. أخذ يختلق المعاذير ويقيم العقبات . تقيم إيفيچينيا فى موكيناى. تعيش تحت رعاية والدتها كلوتمنسترا . سوف ترفض كلوتمنسترا إرسال ابنتهما إلى أوليس . سوف ترفض إيفيچينيا الذهاب للقاء حتفها . اقترح منيلاووس خطة . بدأ القادة الإغريق على الفور تنفيذها . أرسلوا الماكر أودوسيوس والشاب تالثوبيوس إلى موكيناى ، حمل الإثنان رسالة من أجاممنون . إدّعى أجاممنون – فى رسالته – أن ملك ملوك الإغريق أخيليوس قد طلب يد إيفيچينيا . تظاهر أجاممنون بالموافقة . طلب من زوجته كلوتمنسترا الحضور إلى أوليس . طلب منها إحضار إبنتها إيفيچينيا لاتمام الزواج . رحل أودوسيوس وتالثوبيوس إلى موكيناى . أحس أجاممنون على الفور بأنه قد ارتكب إثما . أرسل على الفور رسالة أخرى إلى زوجته كلوتمنسترا . كشف لزوجته عن حقيقة الأمر . طلب منها عدم الحضور إلى أوليس . إنطلق رسول أجاممنون فى طريقه إلى موكيناى . أحس الوالد المسكين بشيء من الراحة . لم يكن يعلم أن الآلهة تقف له بالمرصاد . لم يكن يعلم أن قادة الإغريق كانوا يلاحظون تردده ويراقبون حركاته . لم يكن يعلم أن رسوله قد وقع فى يد منيلاووس .

وصلت الرسالة الكاذبة إلى موكيناى . استولت الفرحة على كلوتمنسترا . زينت ابنتها إيفيچينيا . جهزت لها أفخر الثياب . اصطحبتها إلى أوليس . فوجيء أجاممنون بوصول زوجته وابنته . علم فى الوقت نفسه أن رسوله الثانى قد وقع فى يد منيلاووس وأن رسالته الثانية قد انكشف أمرها . وقع أجاممنون فى حيرة شديدة . وجد نفسه وجهاً لوجه أمام زوجته وابنته . أحس بالسرور يغمرهما . شعر بالفرحة تملأ قلبيهما . رأى السعادة بادية على وجهيهما . حاول أن يصارح زوجته بالحقيقة . لكن القادة الإغريق لم يتركوا له الفرصة . تظاهر الجميع بالسعادة . تظاهروا بإعداد العروس للزفاف . لم تكن تعلم إيفيچينيا أنهم يعدونها لتكون ضحية للربة أرتميس ، لكن فجأة حدث مالم يكن فى حسبان الجميع . علم أخيليوس بوصول كلوتمنسترا وإيفيچينيا . شاءت الأقدار أن يلتقى بهما . اكتشف الحقيقة كاملة . إكتشف الحقيقة

---

(٣) Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 161.

http://www.al-maktabeh.com

التى لم يكن يعرفها . إكتشف أن القادة الإغريق قد أساءوا استغلال اسمه اللامع . غضب أخيليوس غضباً شديداً . لم يرض أن يكون اسمه طعماً يصطاد به القادة الإغريق تلك الفتاة البريئة إيفيچينيا . لم يسمح لشخصه أن يكون أداة فى أيدى الإغريق تساعدهم على إيقاع إيفيچينيا فى شباك الغدر والخيانة .

غضب ملك الملوك أخيليوس . ثار قائد الجيوش أخيليوس . هدد وتوعد . هدد بالانسحاب من الحملة . توعد القادة الإغريق . رفض تماماً أن تساق عذراء بريئة إلى المذبح . استنكر الخدعة الدنيئة التى ابتكرها القادة الإغريق من أجل إنجاح الحملة. علمت كلوتمنسترا بالحقيقة . ثارت هى الأخرى . اكتشفت إيفيچينيا حقيقة مايدور حولها . انهارت . رفضت رفضاً تاماً أن تكون كبش فداء . وقع الجميع فى حيرة وارتباك . ازداد غضب الربة آرتميس . اشتدت سرعة الرياح فى ميناء أوليس . إزداد عدد السفن الإغريقية المحطمة . ازدادت أعداد القتلى والغرقى بين جنود الإغريق . أصبحت الحملة الإغريقية مهددة بالفشل . أصبح النصر شيئاً بعيد المنال . تعقدت الأمور . لم يستطع أحد أن يجد طريقاً للخلاص .

كانت إيفيچينيا تراقب كل شىء حولها فى صمت . كانت تفكر هى الأخرى . إنها تحب والدها حباً يفوق الحد . وتحب والدتها حباً جماً . تخلص لوطنها الكبير أشد الإخلاص . تشفق على القادة الإغريق الذين لايجدون طريقاً للخلاص . وظلت إيفيچينيا تفكر . عليها أن تختار بين الحياة والموت . ولكن حياتها فى كفة ونجاح الحملة الإغريقية فى الكفة الأخرى . ماذا يحدث لو أنها قدمت حياتها فداء لوطنها الكبير ! ! بدأت تقتنع بجمال الفكرة شيئاً فشيئاً . على تنفيذها . هبت واقفة بين الجموع المتراصة . صاحت فى نبرات متقطعة . سوف تقدم حياتها راضية فداء لوطنها الكبير . سوف تصعد مذبح الربة طائعة مختارة حتى ينجح الإغريق فى الدفاع عن شرفهم وكرامتهم . أخذت تهدىء من روع والدتها كلوتمنسترا . تواسى والدها أجاممنون . تستعطف ملك الملوك أخيليوس ، تبث العزم والشجاعة فى نفوس القادة الإغريق . ثم تقدمت فى شجاعة . طلبت من العراف كالخاس أن يصطحبها إلى معبد الربة . سألت الكاهن أن يساعدها فى الصعود فوق المذبح المقدس . ثم غابت إيفيچينيا عن الوعى ، بعد أن ضربت مثالاً رائعاً فى التضحية والفداء .

على الفور هدأت ثورة الربة أرتميس ، ذهب غضب الربة العذراء . على الفور هدأت ثورة الرياح فى الميناء . ذهب هياج البحر وسكنت الأمواج . جمع الإغريق

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (٢٢):

التضحية بإيفيجينيا .

http://www.al-maktabeh.com

شتات أسطولهم . أعادوا تنظيم صفوفهم . إستعدوا للرحيل من ميناء أوليس . صدرت الأوامر إلى الجنود بالاقلاع . عندئذ ، خرج الأسطول الإغريقي لينثر الدمار في كل مكان . زحف الجنود الإغريق لينثروا الرعب أينما ساروا . إستعد القادة الإغريق ليشعلوا حرباً شعواءً شاملة تحدثت عنها الشعوب والأمم على مدى الأجيال [٤] .

لم تنس الشعوب الإغريقية العذراء إيفيچينيا . ولم يتجاهل الرواة والمنشدون تضحيتها . تعددت الروايات حول مصيرها . هناك رواية سادت منذ أقدم العصور – : ذبحت العذراء إيفيچينيا على مذبح الربة أرتميس . ظلت هذه الرواية سائدة حتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . حينئذ ، كان الإغريق قد هجروا فكرة تقديم الأضاحي البشرية. أصبح الإغريق حينئذ يستنكرون ذبح إيفيچينيا . استهجنوا تلك العادة الوحشية . ظهرت روايات أخرى . رفضت تلك الروايات فكرة ذبح إيفيچينيا[٥].

قيل إن الآلهة أرسلت عاصفة رعدية فوق رأس إيفيچينيا . نشر الرعد الرعب بين جميع الموجودين حول المذبح . تدخل ملك الملوك أخيليوس . حاول إنقاذ العذراء البريئة . فعل ذلك استجابة لتوسلات الأم كلوتمنسترا . وتنفيذاً لأوامر الربة أرتميس . نجح أخيليوس في إنقاذ إيفيچينيا . بعث بها إلى أرض بعيدة ، إلى صحراء سكوثيا . قيل أيضاً إنه تزوجها ، ثم أنجب منها ولده الذى عرف باسم نيوپتوليموس .

قيل في رواية أخرى إن الربة أرتميس نفسها هي التي أنقذت العذراء إيفيچينيا. إختطفتها من فوق المذبح المقدس . وضعت مكانها ضحية أخرى ، غزالة ، أو أيلة ، أو أنثى دب ، أو امرأة عجوز . بل هناك من الرواة من يؤكد أن أرتميس قد نقلت العذراء إيفيچينيا إلى أرض التاوريين ، وأن ذلك قد تم دون علم أفراد أسرتها .

إنتشرت رواية طريفة تحكي تفاصيل ماحدث للعذراء إيفيچينيا أثناء وجودها بين التاوريين . . - هذه الرواية في الربط بين ماحدث للعذراء إيفيچينيا بعد أن نجت من الموت وماحدث لشقيقها أورستيس بعد أن قتل والدته .

كان هناك ملك يدعى ثوآس . عُرف بالملك سريع القدمين . كان ثوآس ابنا للإله ديونوسوس من الآدمية أريادني . كان ملكاً على منطقة الخرسونيس . عرف

(٤) Rose, Greek Mythology, pp. 119-20.

(٥) Hamilton, Op. Cit., p. 249.

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (٢٣):

الإله ديونوسوس والد الملك ثوآس .

http://www.al-maktabeh.com

شعب هذه المنطقة باسم التاوريين . إنحدر التاوريون من أصل سكوثى (٦) . عـاش التاوريون على قدر ضئيل من الزراعة . إعتمدوا إعتماداً كبيراً على السلب والنهب . كانوا مغرمين بسفك دماء الأجانب والغرباء . إذا أسر محارب تاورى أجنبياً أثناء القتال ، قَطع رأسه ، وعلقه فوق منزله . اعتقد التاوريون أن رأس الأسير المعلق فوق سطح المنزل يحمى أهل المنزل جميعاً من غضب الآلهة وحقد البشر . إذا جنحت سفينة أجنبية على شاطىء مملكة التاوريين ، قبضوا على بحارتها . كان الموت مصير كل بحار أجنبى يصل إلى شواطئهم . كانوا يقدمونه – فى احتفال شعبى – ضحية للربة أرتميس . يجلدونه حتى الموت . ثم يعلقون رأسه فى المعبد ويدفنون جثته ، أو يقذفون بها فى البحر . وإن كان الأجنبى نبيلاً أو أميراً عاملوه معاملة خاصة . يستخدمون السيف فى ذبحه على مذبح الربة أرتميس . تتولى ذبحه وتقديمه كاهنة عذراء – كاهنة الربة نفسها . تلقى بجثته فى النار المقدسة ، التى تستمد لهيبها من نار تارتاروس ، والتى تشتعل أبداً حول المحراب المقدس (٧) .

تلك هى عادة التاوريين الذين كانوا يعبدون الربة أرتميس . كان لها معبد فخم يحتوى على تمثال عتيق للربة مصنوع من الخشب . قيل إن ذلك التمثال قد هبط من السماء ، وإنه كان الوحيد من نوعه فى العالم القديم . كان معبد الربة ضخماً فخماً يشغل مساحة شاسعة من الأرض . كان مقاماً فوق أعمدة ضخمة شاهقة (٨) . كـان يصعد إليه بواسطة أربعين درجة من الحجر الصلب . كان مذبحه ، المصنوع من المرمر ، ملوثاً بدماء الضحايا . أما صاحبة المعبد ، الربة أرتميس ، فكانت تعبد تحت ألقاب متعددة : أرتميس تاوروپولوس ، تاوروپولى ، ديكتونا ، أوريثيا ، ثوانتيا ، أو هيكاتى (٩) .

(٦) Euripides, Iphigenia In Aulis, 32; Scholiast on Apollonius Rhodius, III, 997; Eustathius, on Dionysius, 306; Apollodorus, Epitome, VI, 26.

(٧) Graves, Greek Myths, Vol. II, pp. 73-79.

(٨) Herodotus, IV, 103; Ovid, Epistulae Ex Ponto, III, 2; 45 sqq.; Apollodorus, Loc, Cit.; Euripides. Iphigenia Among The Taurians, 40 sqq., 88 sqq.

(٩) Diodorus Siculus, IV 44, 7; Sophocles, Ajax, 172; Pausanias, I, 23, 9 ; Servius on Vergil's Aeneid II. 116 ; Valerius Flaccus, VIII, 208; Ovid, Ibis, 384; Idem, Epistulae Ex Ponto, III, 2, 71.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إختطفت الربة العذراء إيفيچينيا من فوق المذبح فى معبد أوليس . وضعت مكانها ضحية أخرى . إعتقد القادة الإغريق أن إيفيچينيا قد ماتت . حزنت كلوتمنسترا على ابنتها حزناً شديداً . صعدت الربة أرتميس فى الفضاء . لفّت إيفيچينيا بسحابة داكنة . أسرعت تشق الفضاء على متن تلك السحابة . وصلت إلى أرض التاوريين . هبطت الربة بمصاحبة إيفيچينيا . هلل التاوريون . أحاطوا إيفيچينيا بهالة من التكريم والتقديس . عينوها كبيرة الكاهنات فى الدولة . عهدو إليها – دون غيرها– برعاية التمثال العتيق المقدس والتفانى فى خدمته . أصبحت مسئولة عن تقديم الأجانب والغرباء ضحايا على مذبح الربة . لم تكن إيفيچينيا راضية عن قتل هؤلاء الضحايا ، لكنها كانت تفعل ذلك على مضض ، تنفيذاً لمشيئة الربة أرتميس(١٠).

* * * * *

بعد أن قتل أورستيس والدته كلوتمنسترا ، ظلت ربات الانتقام تطاردنه من مكان إلى مكان . أصابته نوبات من الجنون . وعندما لجأ إلى معبد الإله أپوللون فى دلفى ، نصحته كاهنة المعبد أن يقوم برحلة طويلة . عليه أن يعبر مضيق البسفور ، ثم يبحر شمالاً عبرالبحر الأسود ، ثم يصل أخيراً إلى منطقة الخرسونيس التاورية . عليه أيضاً أن يبحث عن معبد الربة أرتميس . ثم يحمل تمثالها الخشبى المقدس ويحضره إلى أثينا . لو استطاع أورستيس أن يفعل ذلك ، فسوف تنتهى متاعبه ، وتصفح عنه الآلهة ، أطاع الصبى أورستيس أوامر الإله أپوللون . أعد له صديقه المخلص پولاديس سفينة ذات خمسين مجدافاً . أبحر الجميع نحو أرض التاوريين . لم يكن يعلم أحد بوجود إيفيچينيا بين التاوريين . إعتقد الجميع أنها ذبحت فوق مذبح الربة أرتميس فى أوليس .

اقتربت سفينة أورستيس من شاطىء التاوريين ، نزل أورستيس وپولاديس إلى الشاطىء فى حماية بعض من رجالها (١١) تاركاً بقية الرجال يحرسون السفينة . لجأ إلى كهف على شاطىء البحر . إختفيا داخل الكهف . قررا البقاء حتى يرخى الليل

(١٠) Euripides, Iphigenia Among the Taurians, 784, 1045; Ovid, Epistulae Ex Ponto, II, 2; 45 sqq. ; Herodotus, IV, 103; Pausanias, I, 34; Ammianus Marcellinus, XXII, 8, 34.

(١١) Hamilton, Op. Cit., pp. 250-53.

http://www.al-maktabeh.com

أستاره فيبحثان عن معبد الربة دون أن يرهما أحد . فجأة سمعا ضوضاء وضجيجاً . تقدم نحو الكهف مجموعة من الرعاة . سجدوا . قدموا الصلوات والتوسلات . لقد اعتقد هؤلاء الرعاة أن ساكنى الكهف ليس إلا إلهين هبطا من السماء . فجأة ، أصابت نوبة من الجنون عقل أورستيس . خار مثلما يخور الثور . نبح مثلما ينبح الكلب . إستل سيفه وخرج من الكهف . هاجم قطيعاً من الثيران . حسبها ربات الانتقام اللائى تطاردنه من مكان إلى مكان . أفاق الرعاة من غفوتهم . أدركوا أنهم كانوا مخدوعين. اكتشفوا أنهم أمام اثنين من البشر الغرباء . أبلغوا الأمر إلى الملك ثوآس . أمر الملك بإرسالهم إلى معبد الربة أرتميس . سوف يقدم الغريبان قرباناً للربة العذراء. سوف تشرف على ذلك الاحتفال الدينى الكاهنة الكبرى العذراء إيفيچينيا (١٢) .

وقف أورستيس وجهاً لوجه أمام شقيقته إيفيچينيا ، كان أورستيس يعلم أن شقيقته الكبرى إيفيچينيا قد ماتت فى أوليس . كانت إيفيچينيا تعلم أن لها شقيقاً أصغر تركته طفلاً رضيعاً فى موكيناى قبل أن تذهب والدتها كلوتمنسترا إلى أوليس . لكن ، لم يكن يخطر ببال كل منهما أنه يقف أمام شقيقه . لم يكن أورستيس - الضحية - يعلم أنه يقف أمام شقيقته إيفيچينيا . لم تكن الكاهنة الكبرى - إيفيچينيا - تعلم أنها سوف تذبح شقيقها أورستيس . لم يتعرف كل منهما على الآخر . وبدأت مراسم التضحية . بدأ خدم المعبد يزينون رأسى أورستيس وصاحبه پولاديس بالأكاليل . ثم بدأت إيفيچينيا تتلو فى هدوء الصلوات والدعوات وهى تمسك السيف المسلول فى يدها. أخفى أورستيس وجهه . استعد للموت . رفعت إيفيچينيا السيف إلى أعلى وبدأت تهوى به على رقبة الضحية .. أثناء اللحظات القليلة الباقية ، كان على الكاهنة أن تسأل الغريب بعض الأسئلة . سألته والسيف يتجه فى بطء نحو رقبته . أجابها على أسئلتها فى نبرات مرتعشة . فجأة ، تجمدت أطراف إيفيچينيا . توقفت حركة السيف . وصلت إلى أذنىّ إيفيچينيا كلمات إغريقية . لقد نطق الغريب بلغة الإغريق . إنه - إذن - إغريقى .

أحست إيفيچينيا بحنين شديد نحو وطنها . سألت الغريب عن اسمه . اكتشفت الحقيقة التى لم تكن تعرفها منذ لحظات . أخذ كل منهما يذكر الآخر بما يعرفه عنه . فجأة صاحت الكاهنة الكبرى . أمرت جميع الحاضرين أن يغادروا الساحة المقدسة .

(١٢) Hyginus, fabula 120; Apollodorus, Op. Cit., VI, 27.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أطاع الجميع أوامرها . لم يكن أحد منهم يفهم اللغة الإغريقية . أخبر أورستيس شقيقته بسبب حضوره إلى أرض التاوريين . شرحت إيفيچينيا لشقيقها كيف وصلت إلى هذا المركز العظيم . حملت التمثال الخشبى المقدس . همت بإعطائه إلى أورستيس ، وهى تشير عليه بالرحيل . فى تلك اللحظة دخل الملك ثوآس . لم ترتبك إيفيچينيا . بل تظاهرت بأنها تقدم الصلوات إلى تمثال الربة أرتميس . أخبرت الملك ثوآس أن الربة أرتميس غاضبة غضباً شديداً . لقد اتضح أن الضحية الأولى شاب قتل والدته والثانية شاب عاونه على ذلك . كلاهما نجس لاتقبله الربة قرباناً على مذبحها . يجب أن يتطهر كل منهما من الرجس الذى أتاه . يجب أيضاً أن يطهر التمثال المقدس الذى دنس بواسطة نظرات هذين الشابين النجسين . عليها أن تذهب الآن إلى شاطىء البحر من أجل تطهير الشابين والتمثال . على الملك ثوآس أن يبقى فى المعبد بعد رحيلها إلى شاطىء البحر . عليه أن يطهّر المعبد بألسنة اللهب حتى يذهب عنه ذلك الرجس العظيم . على أفراد المدينة أن يدخلوا مساكنهم وأن يغضوا أبصارهم وأن يفسحوا الطريق أمام هذين النجسين حتى لاينتقل الرجس إلى أفراد الشعب .

كان ثوآس يثق فى إيفيچينيا ثقة تامة . لم يكن أحد من التاوريين يشك فى نوايا الكاهنة الكبرى . فعل الجميع كما أمرتهم إيفيچينيا . إتجهت نحو الشاطىء حيث تنتظر السفينة ذات الخمسين مجدافاً . حملت معها التمثال الخشبى المقدس . إصطحبت معها الغريبين أورستيس وپولاديس . لم يكن يرافقها سوى عدد ضئيل من خدم المعبد . وصل الموكب إلى الشاطىء . إتجهت إيفيچينيا مباشرة نحو السفينة . إعتلى أورستيس وإيفيچينيا وپولاديس ظهر السفينة ومعهم التمثال المقدس ، اكتشف خدم المعبد الحيلة . حاولوا منعهم من الرحيل . تغلب رجال أورستيس على خدم المعبد. فر بعضهم نحو المعبد . وصلت أنباء الخيانة إلى الملك ثوآس . جمع رجاله ومحاربيه . إتجه نحو الشاطىء . إستولى عليه الغضب وهو ينظر إلى السفينة التى كانت تبتعد فى سرعة هائلة عن الشاطىء . أمر رجاله بإعداد أسطول ضخم من السفن السريعة ليلحق بسفينة الغريب . ثم وقف على الشاطىء ينتظر تنفيذ أوامره .

كان البحر هادئاً ، والرياح مواتية ، وسفينة الغريب تشق الماء فى خفة ورشاقة. فجأة ، هبت رياح عاصفة معاكسة ، علت الأمواج هادرة مزمجرة . هاج البحر واشتد هياجه . تهادت السفينة فى مشيتها . أخذت الأمواج تقذف بها نحو الشاطىء . ظلت السفينة تقترب شيئاً فشيئاً نحو رمال الشاطىء . هلل الملك ثوآس . أمر رجاله

http://www.al-maktabeh.com

بالاستعداد للقبض على الغريب المغامر . وقع أورستيس مرة أخرى فى قبضة رجال الملك ثوآس . أصدر الملك أوامره . يجب أن يقبض على الكاهنة الخائنة . أن يذوق الجميع الموت جزاء جرأتهم وخيانتهم . أصبح الجميع قريبين من الموت قاب قوسين أو أدنى . أصبحت ذرية أجاممنون بن أتريوس على وشك الزوال .

لم تستطع الآلهة أن تترك أورستيس ليقع فريسة سهلة فى قبضة الملك ثوآس . لم ترض أن تواجه إيفيچينيا ذلك المصير المؤلم بعد أن ضربت مثلاً رائعاً للتضحية والفداء فى أوليس . تدخلت الربة أثينة . تجلت فى هيئتها الربانية إلى الملك ثوآس . طلبت منه أن يسمح لإيفيچينيا بالرحيل . أمرته أن يتركها وشأنها . سوف تحمل إيفيچينيا التمثال الخشبى المقدس . إنه تعويذة . سوف تعيد السعادة والخير إلى ذرية أجاممنون بن أتريوس . سوف يصبح أورستيس وپولاديس أحراراً . سوف يرافق الشقيق شقيقته بعد فراق دام سنوات طويلة . سوف يلتئم شمل الأسرة . سوف يعود ثوآس إلى المعبد ليبحث عن كاهنة أخرى تقدم الضحايا البشرية على مذبح الربة العذراء . سوف يتم كل ذلك تنفيذاً لأوامر الربة أثينة (١٣) .

إستمع ثوآس إلى الربة أثينة فى خشوع وخضوع . خضع على الفور لرغبتها ، نفذ مشيئتها ، زوّد سفينة أورستيس بالزاد والعتاد . صاحبه وشقيقته وصديقه حتى اعتلوا ظهر السفينة . سمح لوصيفات إيفيچينيا الإغريقيات أن يرحلن أيضاً . ساعد إله البحر پوسيدون السفينة على السير وسط البحر . وصلت فى سلام إلى ميناء براورون . هبطت إيفيچينيا هناك ، أودعت التمثال الخشبى المقدس فى مكان آمن . أقيم معبد الربة أرتميس فوق ذلك المكان . انتقلت بعد ذلك مع شقيقها أورستيس إلى دلفى . هناك ، قابلت شقيقتها الكترا . ثم عاد الجميع إلى أثينا .

تلك هى أسطورة إيفيچينيا ، العذراء التى ضربت مثالاً رائعاً فى التضحية والفداء . تناول الأسطورة جميع الكتاب القدامى والمحدثين والمعاصرين . إنتشرت قصتها فى كل عصر وكل أوان . اختلفت تفاصيل الأسطورة اختلافاً كبيراً من كاتب إلى كاتب . تعددت الروايات واختلفت الأقوال . وليس من السهل ترجيح رواية على أخرى . حتى نسب إيفيچينيا أيضاً يكتنفه الغموض . تقول بعض الروايات إنها لم تكن

(١٣) Ovid, Loc Cit.; Hyginus, fabula 120 and 121; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 1037 sqq., 1435 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ابنة أجاممنون وكلوتمنسترا ، بل كانت ابنة الفاتنة هيلينى أنجبتها من البطل ثسيوس[١٤] . فلم تكن إيفيجينيا بالنسبة إلى كلوتمنسترا سوى ابنة متبناة . قيل أيضاً إن هيلينى ومنيلاووس ذهبا إلى أرض التاوريين [١٥] ، وقابلا إيفيجينيا هناك . وقيل أيضاً إن الملك ثوآس لقى حتفه فى جزيرة سمنثوس بعد قتال مرير دار بينه وبين أورستيس الذى دافع عنه حاكم الجزيرة . قيل أيضاً إن إيفيجينيا ليست سوى الربة أرتميس نفسها[١٦] .

تعددت الروايات ، إختلفت الأقوال . لكن إيفيجينيا مازالت حتى الآن رمزاً للتضحية والفداء . مازالت إيفيجينيا رمزاً للمواطن الصالح الذى يهب حياته طائعاً مختاراً فداء للوطن الكبير . مازالت إيفيجينيا رمزاً للثواب العادل الذى يلقاه كل مواطن مخلص لوطنه . بالإضافة إلى ذلك ، فإن قصة نجاة إيفيجينيا واستبدالها بضحية غير بشرية لافتة للنظر ولاتحتاج إلى تعليق .

تلك هى أسطورة إيفيجينيا ابنة أجاممنون ، شقيقة أورستيس . إيفيجينيا التى ولدت عذراء ، وقضت حياتها عذراء ، وتفانت فى خدمة ربة عذراء ، ثم فارقت الحياة ولم تزل عذراء .

* * * * * *

(١٤) راجع حاشية رقم ٤ أعلاه .

(١٥) Photius, 479.

(١٦) Graves, Op. Cit., Vol. II, pp. 75-6.

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أُرِسْتِيس

.. تقابلت الشقيقتان في معبد الإله أپوللون بدلفى . لم تكن تعلم إيفيچينيا بما يدور في خلد الكترا . كانت الكترا حاقدة ، ساخطة، ثائرة ، مزمجرة . أسرعت نحو من اعتقدت أنها قد قتلت أخاها . أمسكت بشعلة متوهجة . ظلت تطوح بها في وجه إيفيچينيا . أخذت تقرب اللهب من وجه الشقيقة العائدة . اقتربت ألسنة اللهب من عينيها . أصبحت إيفيچينيا على وشك أن تفقد بصرها . أذهلتها المفاجأة . لم تستطع الدفاع عن نفسها . عندئذ دخل أورستيس المعبد . هاله ذلك المشهد العجيب . أذهله لقاء الشقيقتين . صاح أورستيس في الكترا محذراً . احتضن إيفيچينيا بين ذراعيه . تراجعت الكترا في الحال ، علمت الكترا بالحقيقة المذهلة . اجتمع شمل الإخوة بعد طول فراق ، أحسوا بالراحة والسعادة بعد طول عذاب وشقاء .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أُورِسْـتِيـس

أورستيس ابن القائد الظافر أجاممنون ، شقيق الوفية المخلصة الكترا ، شقيق العذراء البريئة إيفيچينيا . نشأ أورستيس فى كنف جده لوالدته تونداريوس وجدته ليدا . كانا يحبانه حباً منقطع النظير . كانت والدته كلوتمنسترا تحبه أيضاً . لاتطيق فراقه ، ولاتحتمل البعد عنه . اصطحبته معها إلى أوليس [١] . كانت تعتقد أن ابنتها إيفيچينيا سوف تتزوج من ملك الملوك أخيليوس [٢] . لم تستطع أن تترك ولدها الصغير فى أرجوس . شاءت أن لاتفوته رؤية شقيقته وهى فى ثوب الزفاف .

عادت كلوتمنسترا من أوليس تحمل أورستيس . عادت بعد أن فقدت ابنتها إيفيچينيا . عادت فى الوقت الذى غادر فيه زوجها أجاممنون أوليس متجهاً إلى طروادة . ظلت كلوتمنسترا عشر سنوات تنتظر عودة زوجها أجاممنون . ثم عاد . ثم لقى حتفه على يد زوجته بمساعدة عشيقها أيجيستوس [٣] . مات أجاممنون . لكن شاءت الأقدار أن يحيا ولده أورستيس . اختلفت الروايات حول كيفية إنقاذه .

قيل إن كلوتمنسترا أبعدت ولدها أورستيس عن أرجوس قبل عودة أجاممنون ، أرسلته إلى فوكيس . أرادت له الحياة بينما أرادت لوالده الموت .

قيل إن أورستيس كان قد بلغ العاشرة من عمره عندما عاد أجاممنون . أنقذته مربيته الطيبة الرحيمة . أنقذته ليلة مقتل والده . وضعت ولدها الصغير فى مهد أورستيس . حسبه أيجيستوس ضالته المنشودة . قضى عليه ظناً منه أنه قد قضى على أورستيس . اختلفت الروايات حول تسمية هذه المربية المخلصة . قيل إن اسمها أريسينوى ، لاؤداميا ، أو جيليسا [٤] .

(١) Euripides. Orestes, 462; Idem, Iphigenia In Aulis, 622.

(٢) راجع ص٣٣١ – ٣٣٢ أعلاه .

(٣) راجع ص٣١٠ أعلاه .

(٤) Aeschylus, Agamemnon, 877 sqq.; Idem, Choephoroe, 732; Euripides, Electra, 14 sqq.; Pindar; Pythian Odes, XI, 17 with Scholiast.

http://www.al-maktabeh.com

قيل إن الكترا هى التى أنقذت شقيقها أورستيس . أنقذته ليلة مصرع والده أجاممنون . ساعدها فى ذلك المربى العجوز الذى ربى والدها أجاممنون . لفه فى رداء مطرز عليه منظر حيوانات مفترسة . طرزته الكترا بيدها . حمله خلسة إلى خارج أرجوس (٥) . ظل المربى العجوز مختبئاً وسط المراعى . قضى فترة من الزمن يرعى الطفل أورستيس فى المنطقة الواقعة على ضفاف نهر تانوس . يفصل مجرى ذلك النهر بين منطقة أرجوليس ولاكونيا . شق المربى العجوز طريقه عبر نهر تانوس. وصل إلى بلاط الملك ستروفيوس (٦) . كان ستروفيوس حاكماً على مملكة كريسا الواقعة عند سفح جبل بارناسوس . كان ستروفيوس حليفاً صديقاً لأسرة أتريوس. كان زوجاً لشقيقة أجاممنون . قضى أورستيس سنوات صباه وشبابه فى مملكة كريسا . قضاها فى كنف ستروفيوس . هناك قابل شاباً مغامراً يصغره بقليل . قابل بولاديس ابن ستروفيوس . نشأت صداقة وطيدة بينهما . أصبحت صداقتهما مضرب الأمثال (٧) .

قضى أورستيس سنوات صباه وشبابه صديقاً لبولاديس . قضاها فى كنف ستروفيوس . نشأ فى رعاية المربى العجوز . شرح له المربى كيف قتل والده أجاممنون غدراً . وصف له كيف ألقى جسد والده خارج القصر . كيف دفن جثمانه دون مراسم الجنازة التى تليق به . كيف منع أهل موكيناى من المشاركة فى دفن الجثمان (٨) . كيف عاش – وما زال يعيش – أهل موكيناى فى رعب وفزع تحت وطأة الظالم أيجيسثوس ، كيف تتحدى كلوتمنسترا رغبات أهل القصر الملكى (٩) . رضع أورستيس – منذ طفولته – الكراهية نحو والدته كلوتمنسترا . تشبعت روحه بالبغض نحو قاتل والده . إزداد مع مرور السنوات تصميمه على الانتقام . ثم عاد

---

(٥) Apollodorus, Epitome, VI, 24; Euripides, Op. Cit., 15 sqq. and 542 sqq; Aeschylus, Choephoroe, 232.

(٦) Euripides, Op. Cit., 409-12; Sophocles, Electra, 11 sqq; Pindar, Phythian Odes, XI, 34-6.

(٧) Hyginus, fabula 117; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 921; Apollodorus, Epitome, VI, 24; Ovid, Epistulae Ex Ponto, III, 2, 95-8.

(٨) Euripides, Op. Cit., 289 and 323-5; Aeschylus, Choephoroe, 431.

(٩) Graves, Op. Cit., Vol. II, pp. 56-7.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أخيراً إلى وطنه موكيناى (١٠) . عاد ليلتقى بشقيقته الكترا ، التى ظلت تنتظر عودته عاماً بعد عام . عاد لينتقم لوالده من والدته وعشيقها . وكان له ما أراد . قتل والدته كلوتمنسترا . وقتل عشيقها أيجيسثوس . ساعدته فى ذلك شقيقته الكترا وصديقه المخلص پولاديس . شجعته مشيئة كبير الآلهة زيوس ووعود الإله أپوللون (١١) .

لم يرض أهل موكيناى بدفن كلوتمنسترا وأيجسثوس داخل نطاق المدينة . صمموا على أن يكون قبرهما خارج الأسوار (١٢) . رضخ أورستيس لمطلب أهل مملكته . قضى الليل ساهراً بجوار جثتى كلوتمنسترا وأيجيسثوس . خشى أن يسرقها شخص ما . قضى أورستيس الليل بجوار شقيقته الوفية الكترا وصديقه المخلص پولاديس . رفض كل منهما أن يتخلى عن أورستيس فى محنته . أرخى الليل أستاره . ساد الكون صمت رهيب . بقيت عيون الجميع ساهرة لاتذوق طعم النوم . فجأة ظهرت أمام عينى أورستيس مخلوقات رهيبة . ظهرت أمام عينيه الإيرينيات . الإيرينيات مخلوقات ذوات منظر مخيف . شعورهن حيات سامة . رءوسهن رؤوس كلاب . أجنحتهن أجنحة وطاويط . ظهرت الإيرينيات أمام عينيه يلوحن بسياطهن اللاسعة . إنهن ربات العقاب . أتين لمعاقبة أورستيس لما ارتكبه من جريمة شنعاء . حاول أورستيس الدفاع عن نفسه . كان الإله أپوللون قد منحه قوساً مصنوعاً من قرن حيوان . أخبره الإله أن ذلك القوس قادر على صد عدوان الإيرينيات . إستخدم أورستيس القوس . إرتدت الإيرينيات نحو الخلف . لكنهن سرعان ماتقدمن نحوه فى شراسة ووحشية . طفق يستخدم القوس من جديد . اكتشف أن القوس غير قادر على صد هجومهن . ألقى القوس من يده . استسلم لشراستهن ووحشيتهن .

وقع أورستيس فريسة للإيرينيات . أصابته نوبة من الصرع والجنون . أصبح طريح الفراش . ظل يهذى مثلما يهذى المجانين . ينبح مثلما تنبح الكلاب . يعوى مثلما تعوى الذئاب . ظل ستة أيام طريح الفراش . يغطى وجهه لايرى أحداً . لايذوق الطعام . لايقرب الماء . رفض پولاديس المخلص أن يفارقه لحظة واحدة . ظلت الكترا الوفية تلازمه طول الوقت .

(١٠) Hamilton, Op. Cit., p. 244.

(١١) راجع ص ٣٢٠ وما بعدها .

(١٢) Pausanias, II, 16, 5.

http://www.al-maktabeh.com

وصل من أسبرطة تونداريوس العجوز . أقام دعوى ضد أورستيس . اتهمه بقتل والدته . جمع وجهاء موكيناى ونبلاءها . استعدت موكيناى بأكملها لمحاكمة أورستيس . ظل أورستيس فترة طويلة ينتظر موعد المحاكمة . أثناء فترة الانتظار قاسى أورستيس والكترا العذاب المرير . منع الاثنان من أن يتحدث إليهما أحد ، أو أن يقدم أحد لهما المأوى أو الماء أو الطعام . كان كل شيء ممنوعاً بالنسبة لهما . لم يكن يستطيع أحد منهما حتى أن يغسل يديه . هكذا ظل أورستيس حائراً لايلوى على شيء . ظلت يداه ملطختين بدماء والدته . ظل مهدداً بالقتل . محروماً من أن ينظر إلى أحد أو أن يتحدث إليه أحد (١٣) .

عاد من طروادة شقيق أجاممنون منيلاووس . وصلت إلى علمه أنباء مقتل كلوتمنسترا، زوجة أخيه أجاممنون وشقيقة زوجته هيلينى . أرسل زوجته هيلينى لتتأكد من صحة الأنباء . ذهبت هيلينى فى الخفاء خوفاً من ثورة أهل موكيناى . كانت تخشى أقرباء الإغريق الذين لقوا حتفهم أثناء الحرب الطروادية . فقد كانت هيلينى سبب تلك الحرب الطاحنة . أرادت هيلينى أن تزور قبر كلوتمنسترا وأن تقدم القرابين إرضاء لروحها . خشيت عاقبة تلك المغامرة . طلبت من الكترا أن تقوم بالمهمة نيابة عنها . رفضت الكترا . فضلت البقاء بجوار شقيقها فى محنته . أرسلت هيلينى ابنتها هرميونى بدلاً منها (١٤) .

وصل منيلاووس إلى قصر أجاممنون . هناك قابل تونداريوس المسن . لم يحاول منيلاووس أن يثنى تونداريوس عن عزمه . لم يدافع عن أورستيس ابن شقيقه أجاممنون . لم يدافع عن أورستيس الذى انتقم لوالده . لم يكن والد أورستيس سوى شقيق منيلاووس . مع ذلك رضخ منيلاووس لرغبة تونداريوس . لم يقف بجانب أورستيس . اجتمع وجهاء موكيناى ونبلاؤها . اجتمعوا فى هيئة قضاة لمحاكمة أورستيس وشقيقته الكترا . صدر الحكم ضدهما بالإعدام . استمات أورستيس فى الدفاع عن نفسه . حاول جاهداً من أجل تبرير فعلته (١٥) . تحدث بلباقة وطلاقة . كان على وشك التأثير على هيئة التحكيم . لكن تونداريوس العجوز المهاب كان أكثر تأثيراً على

(١٣) Euripides, Orestes, 36 sqq. and many other sources.

(١٤) Homer, Odyssey, III, 306 sqq.; Apollodorus, Epitome, III, 3; Euripides, Op. Cit., 780 sqq.

(١٥) Graves. Op. Cit., Vol. II, pp. 64-66.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هيئة التحكيم من الفتى أورستيس . فى النهاية ، اختارت هيئة التحكيم أسهل طريقة للإعدام . سوف يزهق كل من أورستيس والكترا روحه بيده . سوف ينتحر كل منهما . بذلك يكون الموت نصيبهما ، وهيئة التحكيم بريئة من دمهما . ثار پولاديس . إحتج . إصطدمت ثورته واحتجاجه باصرار أعضاء هيئة التحكيم . قرر أن يربط مصيره بمصير أورستيس والكترا . قرر أن ينتحر [١٦] .

غادر أورستيس وپولاديس والكترا قاعة المحكمة . ساروا فى طريقهم خارج المدينة . استعد كل منهم ليزهق روحه بيده . فجأة طرأت فكرة جريئة فى خاطر پولاديس . قرر أن يعاقب منيلاووس على جبنه ونذالته . قرر أن يقتل زوجته هيلينى، سبب كل الكوارث التى حلت ببلاد الإغريق . بدأ الثلاثة فى تنفيذ الخطة الجريئة على الفور . إختبأت الكترا خارج أسوار موكيناى . انتظرت عودة هرميونى من قبر كلوتمنسترا . كانت تنوى احتجازها رهينة كى تأمن جانب مينلاووس . دخل أورستيس وپولاديس إلى قصر الملك الراحل أجاممنون . لجآ إلى المحراب المقدس . تظاهرا بأنهما لاجئين يريدان الحماية . كانا يخفيان سيفيهما تحت ملابسهما . اقتربت هيلينى منهما . حاولت أن تواسيهما . هاجمها أورستيس . بينما هاجم پولاديس حراسها المسلحين . كان أورستيس على وشك أن يجهز عليها . تدخل الإله أپوللون فى اللحظة الأخيرة . لفها فى سحابة داكنة ، صعد بها إلى السماء حيث اختفت عن الأنظار .

فشل أورستيس فى إنجاز مهمته . [illegible] الكترا . لم يستطع أورستيس القضاء على هيلينى . إستطاعت الكترا القبض على هرميونى . قادتها إلى داخل القصر . أغلقت أبواب القصر بالمزاليج أ[illegible] هرميونى تحت رحمة أورستيس . هدد بقتلها، بإشعال النار فى القصر ، ثم بالانتحار فى آخر المطاف . تدخل الإله أپوللون فى اللحظة الأخيرة ، إنتزع الشعلة المتوهجة من يد أورستيس . أصدر أوامره إلى رجال منيلاووس بالكف عن القتال . ثم وزع الإله أوامره يميناً ويساراً . على منيلاووس أن يبحث عن زوجة أخرى بدلاً من هيلينى . عليه أن يزوج ابنته هرميونى إلى أورستيس . عليه أن يعود إلى أسبرطة حاكماً كما كان من قبل . عليه أن لايهتم بمقتل كلوتمنسترا . ولسوف تتولى الآلهة الحكم فى هذا الموضوع .

---

(١٦) Euripides, Op. Cit., 810 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

إستعاد أورستيس هدوءه . شعر بشيء من الطمأنينة . وضع أكاليل الغار حول رقبته . أحاط صدغيه بالأغصان والزهور . غادر موكيناى . إتجه نحو دلفى . وصل إلى معبد الإله أپوللون . لجأ إلى محرابه المقدس . سجد ضارعاً مستجيراً . طلب الحماية من الإله . ظلت الإيرينيات تطاردنه حيثما حل وأينما سار . إستولى الذعر على كاهنة أپوللون . لم تر قبل ذلك مستجيراً ، ضارعاً ، ملطخة يداه بالدماء ، مطارداً من الإيرينيات . لم تر قبل ذلك منظراً مروعاً مثل منظر أورستيس . حاولت الكاهنة أن تصرف أورستيس . أرادت أن تبعده عن المحراب المقدس . تدخل الإله أپوللون . أكد رغبته فى الدفاع عن أورستيس . كشف عن مستقبله وأيامه المقبلة . على أورستيس أن يتحمل الأيام الصعبة التى سوف يمر بها . عليه أن يقاوم العقبات التى سوف تقابله . عليه أن يقضى فترة وجيزة فى المنفى . ثم عليه أن يذهب إلى أثينا . هناك عليه أن يحتضن تمثال الربة أثينة العتيق . ولسوف تحميه الربة أثينة . وتبعد عنه الشرور . ولسوف تنتهى اللعنة التى توارثها أورستيس عن أجداده جيلاً بعد جيل (١٧) .

هدأت الإيرينيات . أدركهن التعب من جراء مطاردتهن لأورستيس . إستولى عليهن النعاس . أغمضن عيونهن . رحن فى سبات عميق . عاد الهدوء من جديد إلى نفس أورستيس . بدأ يواصل السير فى طريقه المرسوم . بدأ رحلته إلى مدينة أثينا تحت قيادة رسول الآلهة هرميس . ترك وراءه الإيرينيات وقد استولى عليهن النعاس . لكن شبح كلوتمنسترا لم يكن يهدأ أو يحس بالراحة . كان يطالب بالانتقام من أورستيس . هب شبح كلوتمنسترا . صاح فى الإيرينيات النائمات مزمجراً . ذكرهن بواجبهن . إن واجبهن هو الانتقام والعقاب . كم قدمت إليهن كلوتمنسترا القرابين السائلة وأقامت الولائم تكريماً لهن ، عليهن الآن أن يطاردن أورستيس المجرم . هكذا صاح شبح كلوتمنسترا فى آذان الإيرينيات . عندئذ ، الإيرينيات من النوم . هبت ربات الانتقام مذعورات . طفقن يطاردن الفتى أورستيس من جديد غير آبهات بتهديدات الإله أپوللون (١٨) .

(١٧) Hyginus, fabula 120; Aeschylus, Choephoroe, 1034 sqq; Idem, Eumenides, 34 sqq., 64 sqq., 166-7; Euripides, Electra, 1254-7.

(١٨) Aeschylus, Eumenides, 94 sqq., 106-9, 179 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

استمر تجوال الفتى أورستيس عاماً كاملاً . ظل يتجول من مكان إلى مكان . يضرب على غير هدى فى جميع الاتجاهات . يصعد الجبال ويهبط الوديان . يركب البحار ويعبر الأنهار . لم تفارقه الإيرينيات لحظة واحدة . فى كل مكان ذهب إليه كان أورستيس يتطهر بدماء الخنازير والمياه الجارية . فى كل بقعة وصل إليها كان يقدم القرابين ويسأل الآلهة أن تحميه وترعاه . كان رسول الآلهة هرميس يصاحبه فى تجواله . لم يتركه لحظة واحدة . كان أپوللون يرعاه فى كل تحركاته . لم يتخل عنه أو يتجاهل متاعبه (١٩) . ذهب أورستيس إلى ترويزين ، إلى جزيرة كواناى ، إلى ريجيوم ، إلى أورونتيس . إلى ميجالو بوليس . إلى ميسينى . ثم ذهب أيضاً إلى بلاد الأزانيس والأركاديين حيث قضى فترة من الزمان . وربما ذهب أيضاً إلى إبيروس(٢٠) .

إنتهى عام كامل . قضاه أورستيس طريداً شريداً . فى نهاية العام وصل الفتى الطريد إلى مدينة أثينا . كان يحكمها فى ذلك الوقت أحد أقربائه يدعى پانديون . إتجه أورستيس مباشرة نحو معبد الربة أثينة فوق قمة الأكروپوليس . جلس أورستيس بالقرب من المحراب المقدس . احتضن تمثال الربة العتيق . نظر حوله . لم يجد الإيرينيات . عاد إليه الهدوء من جديد . سجد ضارعاً مستجيراً . طلب العفو من الربة العذراء ، قابله الأثينيون بجفاء . لم يرحبوا به . لم يتحدث إليه أحد . أغلقوا الأبواب فى وجهه . نظروا إليه نظرتهم إلى طريد العدالة . إلى شخص مكروه لدى الآلهة . أثينيون قليلون أشفقوا عليه ، دعوه إلى منازلهم . قدموا له الطعام والشراب . لكنهم كانوا يعدون له مائدة خاصة به لايشاركونه إياها ، ويخصصون له كأساً يشرب فيه النبيذ وحده دون أن يلمسوا إياها (٢١) .

لم ينفد صبر الفتى الطريد أورستيس . لم يتسرب اليأس إلى نفسه الشابة . ظل

(١٩) Scholiast on Euripides' Orestes, 1645; Aeschylus, Eumenides, 235 sqq., 445 sqq.; Pausanias, II, 31, 7 and 11.

(٢٠) Euripides. Orestes, 1645-7; Idem, Electra, 1254 sqq.; Pausanias, VIII, 3, 1; Strabo, VII, 7, 3.

(٢١) Scholiast On Aristophanes' Equites, 95; Aristophanes, Acharnae, 960; Tzetzes, Lycophron, 1374; Aeschylus, Op. Cit., 235 sqq.; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 947 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

يتعلق بالأمل . فجأة ، أحس بفحيح الأفاعى يصم أذنيه من جديد . اكتشف أن الإيرينيات قد أدركنه فى أثينا . لقد استطاع أن يفلت من مطاردتهن عندما كان يعبر مضيق الإسثموس . لكنهن أسرعن من خلفه . أتين إليه لاهثات . طفقن يحرضن الأثينيين ضده . إنضم إليهن الشيخ تونداريوس . الذى حضر لتوه إلى أثينا . اصطحب معه حفيدته إريجونى – ابنة أيجيسثوس من كلوتمنسترا . ازدادت متاعب أورستيس . أظلمت الدنيا فى وجهه . لكن الربة أثينة لم تتركه وحده . دافعت عنه[٢٢] . أصدرت أوامرها إلى أعضاء الأريوپاجوس . إنعقد المجلس . عرضت عليه الربة أثينة قضية الفتى أورستيس . مثلت أكبر الإيرينيات سنا جانب الاتهام . مثل الإله أپوللون جانب الدفاع [٢٣] . وجه الاتهام إلى أورستيس تهمة قتل والدته ، إعتبرها جريمة تستحق العقاب . إستمات الدفاع محاولاً تبرئة المتهم . ألقى الإله أپوللون خطاباً رائعاً. ليست الأم سوى التربة التى يبذر فيها الزارع البذرة . الزارع هو صاحب الأرض .. الزارع هو الذى يختار التربة . الزارع هو صاحب المحصول ، الزارع هو الأب . الأب هو الذى يمنح اسمه للابن . قتل الأب – إذن – جريمة شنعاء . لكن قتل الأم عمل عادى .

انقسم مجلس الأريوپاجوس على نفسه . وقف بعض الأعضاء فى صف أورستيس . وقف البعض الآخر ضده . طالبت الربة أثينة بأخذ الأصوات . تساوى عدد الأصوات فى كل من الجانبين . عندئذ ، و[illegible] أثينة حداً لمتاعب أورستيس . وقفت بجانبه ، رجحت كفة أورستيس . حكم المجلس ببراءته . عاد الهدوء إلى نفس أورستيس . رجع إلى أرجوليس فرحاً مسروراً . صاحت الإيرينيات فى احتجاج . ذهب احتجاجهن مع الرياح . إنتحرت إريجونى ابنة كلوتمنسترا . لم تعرها الآلهة أى اهتمام[٢٤] .

بدأ أورستيس رحلة العودة إلى وطنه موكيناى . ظن أن متاعبه قد انتهت . حسب أن الربة أثينة قد و[illegible] حداً قاطعاً لعذابه . إعتقد أن الإيرينيات قد ذهبن

(٢٢) Apollodorus, Epitome, VI, 25; Pausanias, VIII, 34, 2; Aeschylus, Eumenides, 397, 470 sqq; 681 sqq.

(٢٣) Hamilton, Op. Cit., p. 248.

(٢٤) Euripides, Op. Cit., 961 sqq.; Aeschylus, Op. Cit., 574 sqq., 734 sqq., 778 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بلا رجعة . لكنه كان واهماً . لم يكن يعرف أن الإيرينيات مازلن مصممات على أداء واجبهن . هددت الإيرينيات بتخريب مدينة أثينا . سوف تجعلن أرضها بوراً . سوف تهلكن محاصيلها . سوف تدمرن كل ينابيعها . سوف تنشرن الخراب والدمار فى مدينة أثينا، المدينة المفضلة لدى الربة أثينة . حاولت الربة أثينة إفساد خطة الإيرينيات . وعدتهن بتقدير الآثينين لهن . ساومتهن لقاء الكف عن مطاردة الفتى أورستيس (٢٥)، اقتنعت ثلاث منهن فقط . تحولن من ربات الانتقام إلى ربات الرحمة. أما بقية الإيرينيات فقد حاولن اللحاق بالفتى أورستيس (٢٦) .

وقع أورستيس من جديد فريسة للإيرينيات . استبد به اليأس فى هذه المرة . أسرع إلى نبوءة الإله أبوللون فى دلفى . ألقى بنفسه على أرض المعبد . دعا الإله أن يخلصه من ذلك الرعب القاتل ، أو يخلصه من الحياة ، إستجاب الإله لدعائه ، نصحه بالذهاب إلى أرض التاوريين (٢٧) ، طلب منه أن يحضر تمثال الربة أرتميس العتيق(٢٨) . أسرع أورستيس إلى أرض التاوريين . هناك قابل شقيقته إيفيچينيا ، هناك كاد أورستيس أن يلقى مصرعه على يد شقيقته إيفيچينيا (٢٩) . نجح أورستيس فى الحصول على التمثال العتيق . أسرع عائداً إلى مدينة أثينا . عندئذ ، توقفت الإيرينيات عن مطاردته . كفر أورستيس عما ارتكبه من إثم . رضيت عنه الآلهة ، رحب به البشر فى كل مكان .

واصل أورستيس رحلة العودة . وصل إلى دلفى بمصاحبة شقيقته إيفيچينيا وصديقه المخلص پولاديس . هناك اكتشف حقيقة لم يكن يعرفها من قبل . اكتشف أن اسمه فى سجل الأموات . نشر بعض المغرضين فى موكيناى إشاعة مؤداها أن أورستيس وپولاديس قد لقيا حتفهما على مذبح الربة أرتمس الخرسونية . كانت الكترا

(٢٥) Pausanias, I. 28, 5-6; Euripides, Electra, 1272; Aeschylus, Op. Cit., 778-1047; Aristophanes, Equites, 1312.

(٢٦) Graves, Op. Cit., pp. 70-72.

(٢٧) Hamilton, Op. Cit., p. 250.

(٢٨) Apollodorus, Epitome, VI, 26; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 77, 970 sqq.; Hyginus, fabula 120.

(٢٩) راجع ص ٣٢٨ أعلاه .

http://www.al-maktabeh.com

تنتظر فى موكيناى عودة شقيقها أورستيس . هناك وصلتها الأنباء الزائفة عن موت أورستيس . استولى عليها الذعر والفزع . ساد الهرج والمرج جميع أنحاء موكيناى . انتهز أليتيس ابن أيجيسثوس من كلوتمنسترا الفرصة . استولى على العرش . أسرعت الكترا إلى دلفى تسأل عن مصير أورستيس . أراد المغرضون تأكيد صحة الأنباء الخاصة بموت أورستيس . انتهزوا فرصة وصول إيفيچينيا إلى دلفى . أشاعوا أنها هى التى قتلت أورستيس على مذبح الربة أرتميس فى الخرسونيس . لم تكن ألكترا قادرة على التعرف على شقيقتها إيفيچينيا . فلقد افترقت كل منهما عن الأخرى منذ نعومة أظفارها . لم يكن يخطر ببالها أن شقيقتها مازالت على قيد الحياة . فلقد كانت تعرف جيداً أنها قد لقيت حتفها منذ طفولتها على مذبح الربة أرتميس فى أوليس .

تقابلت الشقيقتان فى معبد الإله أپوللون بدلفى . لم تكن إيفيچينيا تعلم بما يدور فى خلد الكترا . أسرعت نحو من اعتقدت أنها قتلت أخاها .. أمسكت بشعلة متوهجة . ظلت تطوح بها فى وجه إيفيچينيا . أخذت تقرب اللهب من وجه الشقيقة العائدة . إقتربت ألسنة اللهب من عينيها . أصبحت إيفيچينيا على وشك أن تفقد بصرها . أذهلتها المفاجأة . لم تستطع الدفاع عن نفسها . عندئذ دخل أورستيس المعبد . هناك هاله ذلك المشهد العجيب . أذهله لقاء الشقيقتين . لم يكن يتوقع مثل ذلك اللقاء الرهيب . صاح أورستيس فى الكترا محذراً . احتضن إيفيچينيا بين ذراعيه . تراجعت الكترا فى الحال . علمت الكترا بالحقيقة المذهلة . اجتمع شمل الإخوة بعد طول فراق . أحسوا بالراحة والسعادة بعد طول عذاب وشقاء . إتجه الجميع نحو موكيناى . قضى أورستيس على الغاصب أليتيس . إستعاد عرش والده أجاممنون . إنتهى الصراع بين أسرة أتريوس وأسرة ثويستيس (٣٠) .

عاش أورستيس فى سعادة وهناء . تزوج من ابنة عمه هرميونى . أنجب منها ولداً أسماه ثيساميئوس . - - - موكيناى فى عهده بالطمأنينة والرخاء ، إتسعت رقعة البلاد . إمتد سلطانه ونفوذه إلى بعض البلدان المجاورة . ضم إليه جزءاً كبيراً من منطقة أركاديا . أصبح يحكم كل منطقة أرجوس . أخضع أيضاً منطقة أخايا . ثم مات عمه منيلاووس الذى كان يحكم اسبرطة . إختاره الاسبرطيون ملكاً عليهم .. واصل أورستيس فتوحاته . استمر فى إصلاحاته . كان مثالاً للحاكم الصالح ، نزح فى

(٣٠) Hyginus, fabula 122.

مكتبة المهتدين الإسلامية

سنوات عمره الأخيرة إلى أركاديا . هناك أدركه الموت وهو فى السبعين من عمره . دفن فى مدينة تيجيا . ثم نقلت رفاته بعد ذلك إلى أسبرطة (٣١) .

تلك هى أسطورة أورستيس . أورستيس الذى كتب عليه أن يرتكب جريمة رغم أنفه . لعنت الآلهة جده الأكبر تانتالوس . ثم ورث اللعنة عنه ولده پلوپس . ثم أورثها پلوپس بدوره إلى ولده أتريوس . ثم ورثها عن أتريوس ولده أجاممنون . ثم أورثها أجاممنون بدوره إلى ولده أورستيس (٣٢) .

تلك هى أسطورة أورستيس . الذى ذاق العذاب والشقاء منذ نعومة أظفاره . أورستيس الذى ولد حائراً بين حبه لوالدته وإخلاصه لوالده . أورستيس الذى ظل رمزاً لفكرة الثأر فى أبشع صورها . هل يستطيع المرء أن يثأر من أمه لأبيه ؟؟؟

* * * * * *

(٣١) Graves, Op. Cit., pp. 80-81.

(٣٢) راجـع : (Rose, Greek Mythology, p. 274) حيث يتتبع المؤلف أسرة أتريوس بالترتيب وفي إيجاز شديد ، ويعدد أغلب أفرادها حسب الترتيب الزمني .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أ د ي .

.. عاشت يوكاستى وأوديب عيشة الأزواج . عاشت الأم زوجة لابنها . عاش الابن زوجاً لأمه . هكذا شاءت الأقدار . لم يكن كل منهما يعلم حقيقة أمره . لكن الآلهة كانت تعلم . ـ كل منهما . عاشر أوديب الملك زوجته الملكة يوكاستى . استعذبا الحية معاً . أنجب أوديب من زوجته يوكاستى أربعة أطفال . هكذا شاءت الأقدار : أن يكون الأطفال إخوة لأبيهم ، أن يكون الأب أخاً لأطفاله . أحب أوديب أطفاله ، أحب الأطفال والدهم . الأسرة بالسعادة والهناء . لكن الآلهة كانت لهم جميعاً بالمرصاد .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أوديب

طيبة ، واحدة من المدن الإغريقية المتعددة ، ذات تاريخ حافل ، ذات شهرة واسعة ، أسسها كادموس ، الملك العجوز المهاب [١] . انحدرت من كادموس عائلات كثيرة ، أشهرها عائلة لبداكوس . أنجب لبداكوس طفلاً أسمه لايوس . عاش لايوس منفياً ، بعيداً عن وطنه ، فترة طويلة . نشأت صداقة بينه وبين پلوپس فى المنفى . لكن لايوس لم يرع حرمة الصداقة ، لم يحافظ على كرامة صديقه [٢] . غضبت منه الآلهة ، لعنته لعنة أبدية ظهرت آثارها فيما بعد . عاد لايوس إلى وطنه طيبة . تقلد أمور حكمها . أصبح ملكها ، وقائدها ، وحاميها . تزوج يوكاستى [٣] ، فتاة جميلة رائعة ، ساقتها الأقدار القاسية لتشاركه قدره اللعين . استمر زواج لايوس ويوكاستى أعواماً عدة [٤] .

أحب لايوس زوجته حباً شديداً . أخلصت له زوجته إخلاصاً منقطع النظير . قضى الإثنان حياة هادئة سعيدة . كان من الطبيعى أن ينتظر الملك ولياً لعهده ، أن ينجب طفلاً يتوج به سعادته . كان من الطبيعى أن تنتظر الملكة حادثاً سعيداً ، أن تضع مولوداً يبرهن على أنوثتها . ظل الملك ينتظر . ظلت الملكة تنتظر . طال

---

(١) أسس كادموس Cadmus مدينة كادميا Cadmea بناء علي نصيحة من نبوءة أپوللون . أنظر تفاصيل هذه الرواية في الجزء الثاني ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) قيل إن لايوس اغتصب الصبي خريسيپوس Chrisippos ابن صديقه پلوپس Pelops : Apollodorus. III. 44; Argument to Sophocles' Oedipus Tyrannus .

(٣) أو إپيكاستي Epikaste كما يسميها هوميروس (Odyssey, XI, 271) .

(٤) أشهر مصدر من المصادر الإغريقية التي تناولت أسطورة أوديب هو الكاتب التراجيدي سوفوكليس ، الذي وصلتنا من أعماله تراچيديتان تعالجان أسطورة أوديب وهما : أوديب ملكاً Oedipus Tyrannus وأوديب في كولونوس Oedipus Coloneus . كما تناول نفس الأسطورة بشيء من التفصيل أيضاً الكاتب السكندري أپوللودوروس (Apoollodorus, III, 48 sqq.) . ثم توالت بعد ذلك المصادر التي تناولت الأسطورة بالتفصيل ، ونخص بالذكر الفيلسوف والكاتب التراچيدي الروماني سنيكا Seneca في مسرحيته المعروفة باسم أوديب . Oedipus .

http://www.al-maktabeh.com

انتظارهما . كتمت الزوجة قلقها . دفنت رغبتها فى صدرها . أخفى الزوج شوقه الحارق ، كتم همومه وأحزانه . لم يشأ كل منهما أن يفصح للآخر عن مكنون صدره . تذرّع كل منهما بالصبر . بات كل منهما يفكر وحده وفى صمت . حاول كل منهما أن يعوض الآخر عن عقمه الذى طال . ازداد حب كل منهما للآخر . كانا يقضيان الليالى يتسامران ، يتبادلان عبارات الغزل الرقيق . وجدت يوكاستى فى غزل لايوس ماينسيها عقمها . لكن لايوس لم يستطع مع زوجته صبراً .

ذات يوم ، غادر لايوس طيبة ، ذهب إلى دلفى . لم تعلم يوكاستى إلى أين ذهب لايوس . ذهب إلى معبد أپوللون ليستطلع رأى نبوءة الإله . صلى لايوس فى المعبد . قدم القرابين ، بعث بالدعوات ، تقدم نحو المحراب المقدس . قدم شكواه إلى الإله . لقد مرت على زواجه أعوام عدة ، لكن الآلهة لم ترزقه بذرية حتى الآن . قهقه الإله من خلف المحراب المقدس . إرتعد لايوس . تفككت مفاصله ، سرت قشعريرة فى جسده . أصبح كله أذاناً صاغية . وصلت إلى سمعه عبارات ربانية . لايجب أن يستولى القلق على لايوس . بل عليه أن يقنع بعقمه . إن الآلهة تقف له بالمرصاد . إنها تريد أن تنتقم منه . من الأفضل أن يظل بلا ذرية . لكن ، سوف يأتى اليوم الذى سينجب فيه لايوس طفلاً ذكراً . ولسوف يقتل أباه (٥) . ثم يتزوج أمه .

إستولى على لايوس ذعر شديد . غادر المعبد وهو لايلوى على شيء (٦) . حمد الأقدار التى جعلته بلا ذرية ، ظل يفكر أثناء عودته إلى طيبة . كيف يتحاشى قدره المكتوب ! كيف يهرب من مصيره المحتوم ؟ كيف يظل بلا أطفال إلى الأبد ؟ فكر فى أن يطلق زوجته يوكاستى ، لكنه يحبها ويعشقها . صمم على أن يبعدها عن القصر . لكنه لايستطيع الحياة بعيداً عنها . لم يكن أمامه سوى أن يهجرها فى الفراش(٧) . لكنه خشى أن يخدش بذلك كرامتها كأنثى . عاد لايوس إلى وطنه طيبة والحيرة تأكل قلبه . قابلته زوجته الحبيبة بالترحاب . سألته عن سبب غيابه . تلعثم ، بدا عليه الارتباك . لم تشأ أن تثقل عليه بالسؤال ، تركته وشأنه . لاحظت يوكاستى

(٥) Aristophanes, Ranae, 1184-5.

(٦) Warner, Men and Gods, pp. 149-154.

(٧) Apollodorus, III, 5, 7.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أن زوجها يتحاشى الانفراد بها . لاحظت أنه لم يعد مقبلاً عليها كما كان من قبل . تأكدت من أنه لايقترب منها فى الفراش . طالت فترة الهجر . تصاعدت موجات الشك فى صدر يوكاستى .

ذات ليلة ، أرادت يوكاستى أن تضع حداً لشكوكها . ابتكرت سبباً لدعوة لايوس إلى مخدعها . عرضت عليه الشراب . رفض بشدة . ألحت . تردد فى القبول. مالت عليه فى دلال . مد يده فى خضوع ، شرب ثم شرب ، ثم شرب ، شرب حتى الثمالة (٨) . مالت عليه فى دلال . دفنت رأسها فى صدره . سيطرت عليه النشوة . صاحبها دون مقاومة إلى الفراش . مكثا فى الفراش حتى الصباح . عاد لايوس إلى صوابه . ندم على مافعل ، نهرها بشدة . أمرها أن لاتفعل ذلك مرة أخرى . لكن الآلهة ... ما شاءت . أحست يوكاستى بشيء يعبث فى أحشائها . أسرعت تزف إلى زوجها البشرى . سوف تضع مولوداً طال انتظارهما له . تمالك لايوس نفسه . تذرع بالصبر . انتظر حتى وضعت زوجته مولودها . انتزعه منها فى عصبية واضحة . أراد أن يقتله . دهشت الزوجة . شرح لها ماكان يخفيه عنها . حاولت أن تشككه فى أقوال النبوءة (٩) . توسلت إليه أن يحفظ حياة ولدهما ، أخيراً . قرر أن لايقتله ، لكنه صمم على أن يتخلص منه (١٠) . جاء بالرضيع وهو يبكى . أمر بربط قدميه ربطاً محكماً وإلقائه فى العراء . كان واثقاً أن الطفل سوف يلقى حتفه بعيداً عن أنظار والديه. أمر واحداً من أتباعه أن يحمل الرضيع إلى خارج البلاد . وأن يلقيه بين الأحراش . ثم عاش الملك لايوس بلا أطفال ، سعيداً ، هادئاً ، نسى بمرور الزمان أنه أنجب طفلاً وتخلص منه .

حمل تابع الملك لايوس الطفل موثوق القدمين بين يديه . وصل إلى قمة جبل كيثيرون . الذى يقع على حدود طيبة وكورنثا . ألقى نظرة على الأحراش والمراعى الواسعة . كان البرد قارصاً . والجو رطباً ، والسماء ملبدة بالغيوم . همّ بإلقاء الطفل

(٨) Graves, Greek Myths. Vol, II, pp. 9 sqq.

(٩) تروي بعض المصادر (Aeschylus, Seven Against Thebes, 842; Sophocles, Oedipus Tyrannus, 711 sqq.) أن لايوس لم يعر اهتماماً لما قالته نبوءة أبوللون بشأن الطفل الذي سوف يقتل والده لايوس .

(١٠) Hamilton, Mythology, pp. 256 sqq.

http://www.al-maktabeh.com

موثوق القدمين من فوق الربوة حيث كان واقفاً ، لكنه لمح راعياً من كورنثا يسرع الخطى نحوه . أعاد تابع الملك الطفل نحو صدره . سأله الراعى الكورنثى . شرح له تابع الملك الأمر . أشفق الراعى على الطفل موثوق القدمين . عرض عليه تابع الملك أن يسلمه إليه . تردد التابع . لكنه وافق فى النهاية . حمل الراعى الطفل إلى سيده . ثم حمل السيد بدوره الطفل إلى الملكة بريبويا [11] زوجة بوليبوس ملك كورنثا . فرحت الملكة بالطفل اللقيط . كانت عاقراً تنتظر طفلاً بلا جدوى . حملت الطفل إلى زوجها ملك كورنثا . فرح به الملك فرحاً شديداً . فكّ وثاق قدميه . أصدر أوامره بالعناية بالطفل . نما الطفل فى كنف ملك كورنثا وملكتها . كان طفلاً جميلاً وسيماً . لم يكن فيه سوى عيب جثماني واحد . كان متورم القدمين ، نتيجة وثاقه المحكم الذى أوثق به وهو طفل رضيع . أسماه والده أوديبوس – أوديب – أى متورم القدمين [12] .

هناك رواية أخرى . أوثق لايوس قدمى الطفل . وضعه فى صندوق مغلق . ألقى بالصندوق فى مياه البحر . حملت أمواج البحر الصندوق ، ثم ألقت به على شاطىء سيكيون . هناك كانت الملكة بريبويا تشرف على وصيفاتها اللاتى كن يغسلن ملابس الملكة . فتحت الملكة الصندوق . وجدت طفلاً حديث الولادة موثوق القدمين. لاحظت أن وصيفاتها مشغولات عنها بالغسيل . تظاهرت الملكة بأنها قد و[illegible] الطفل على الشاطىء . طلبت منهن المعونة . أوصلنها إلى القصر . هناك صارحت زوجها بوليبوس بحقيقة الأمر [13] .

اختلفت الروايات حول بعض التفاصيل . لكن النتيجة جاءت واحدة . قضى أوديب أعوامه الأولى ينعم بالسعادة والرفاهية . أحبه بوليبوس وزوجته . أخفيا عنه حقيقة مولده . لم يخطر بباله قط أنه ابن لقيط . كان يشعر بالفخر والزهو وهو بين أصدقائه ومعارفه . كان يزهو بانتمائه إلى بوليبوس الملك . أثار بسلوكه أصدقاءه ومعارفه . ذات يوم أراد أحد أصدقائه أن يداعبه . أبدى ملاحظة ، أساء أوديب

(١١) اختلفت الروايات حول تسمية زوجة الملك الكورنثي بوليبوس Polybus : هل هي بريبويا Periboia أو بوليبيا Polybia أو ميروبي Merope .

(١٢) Οιδιπους أي متورم أو منتفخ القدمين :

Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 246-8; cf. Rose, Op. Cit., p. 221 n. 23.

(١٣) Graves, Op. Cit., Vol. II, p. 9.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فهمها. أخبره ذلك الصديق أنه لايشبه والده بوليبوس تمام الشبه . انطوى أوديب على نفسه . ابتعد عن أصدقائه . هجر المجتمع . لم يصارح أحداً من أسرته بشكوكه . فجأة ، غادر كورنثا دون أن يشعر به أحد . ذهب إلى معبد أبوللون ليستطلع نبوءة الإله . لم يعرف أحد أين ذهب أوديب . قدم أوديب القرابين ، بعث بالصلوات . طلب من الإله أن يتحدث إليه . أجاب الإله مطلبه . تحدث إليه حديثاً مقتضباً . انطلقت كلمات الإله مدوية فى أذنى أوديب : أيها الشاب اليافع ، ليس لدى ما أقوله لك سوى هذه الكلمات : سوف تقتل أباك ، ثم تتزوج أمك (١٤) .

أصابت كلمات الإله أوديب بذعر شديد . خرج من المعبد مهرولاً لايلوى على شىء . لم يعد إلى كورنثا . انطلق يعدو بعيداً عنها . إنه يحب والده بوليبوس حباً جماً. إنه يحب والدته بريبويا حباً منقطع النظير . لن يعود إلى كورنثا مرة أخرى . لن يقع نظره على من ربياه . لن يسمح لنبوءة الإله أن تتحقق . فالمرء يستطيع أن يصنع قدره بنفسه . ظل أوديب يعدو مهرولاً وهو لايلوى على شىء . لم يكن يفكر سوى فى الابتعاد عن كورنثا . كان فى عدوه يقترب شيئاً فشيئاً إلى مدينة طيبة . دون أن يدرى . عند مفترق ثلاثة طرق تقابل أوديب مع شيخ مسن. كان شيخاً تبدو عليه الهيبة والجلال . يستقل عجلة تجرها مجموعة من الجياد . يسير أمام عجلته اثنان من الأتباع . قام شجار بين أوديب وراكب العجلة . هكذا رتبت الأقدار ذلك الشجار . هجم أوديب على راكب العجلة وتابعيه . قامت بين الجميع معركة مشئومة . انتهت المعركة بقتل جميع المتعاركين ماعدا أوديب وتابع من أتباع الشيخ المسن (١٥). حاول أوديب أن يلحق بالتابع . لكن الأخير فرَّ واختفى عن الأنظار .

واصل أوديب سيره بعيداً عن كورنثا (١٦) . كان بذلك يقترب شيئاً فشيئاً نحو مدينة طيبة دون أن يدرى . اقترب أوديب من مدخل المدينة . هناك ، استوقفه وحش

(١٤) Rose, Op. Cit., pp. 187.

(١٥) Hyginus, fabula 66; Pausanias, X, 5, 2; Apollodorus, III, 5,7; scholiast to Euripides Phoenissae, 13 and 26.

(١٦) Guerber, Op. Cit., pp. 248-252.

http://www.al-maktabeh.com

مـهول ، مسخ هائل . أنثى مروعة يعرفها الإغريق باسم سفنكس (١٧) . يعـرفـهـا الناطقـون بـالضـاد باسم الهـولة أو أبو الهـول . كـانت الهـولة ابنة التنين توفـون من إخـيـدنى(١٨) . أو – فى رواية أخرى – ابنة الكلب أورثروس من المسخ خـيمـا يرا . جاءت الهولة من أعماق أثيوبيا . استقرت فوق قمة جبل فيكيوم . الذى يشرف من علٍ على السهل الرئيسى فى مدينة طيبة . هيرا ، زوجة كبير الآلهة زيوس ، هى التى أرسلتها ، انتقاماً من مدينة طيبة بأكملها . اعتلت الهولة قمة جبل فيكيوم . بعثت الرعب فى نفوس الرائح والغادى . منظرها بشع ، مخيف ، مروع ، أشاع الذعر بين الجميع . رأسها رأس أنثى ، ذات وجه حلو الملامح. صدرها صدر أنثى ، بارز ، ناهض . جسدها جسد لبؤة ، مكسو بشعر غزير . ذيلها ذيل أفعى رقطاء سامة . لها جناحان مثل جناحى الصقر الضارى . ربضت الهولة المخيفة فوق قمة جبل فيكيوم . أطلت برأسها على السهل الفسيح . استوقفت الرائح والغادى . كانت تلقى عليه أُحجية ثم تطلب منه أن يجد حلاً لها . فإذا مافشل فى إيجاد الحل الصحيح . خنقته . والتهمته فى التو واللحظة . فشل كل رائح . فشل كل غاد . لقى كل رائح مصرعه ، لقى كل غاد مصرعه . لم يفلت من قبضتها طيبى واحد . لذا ، ترك الملك لايوس طيبة . ذهب إلى نبوءة دلفى ليستطلع رأى الإله ، عسى أن يرشده إلى طريقة للخلاص من شرور تلك الهولة المخيفة . لكن لايوس لم يعد إلى طيبة أبداً . لقى مصرعه قبل أن يصل إلى معبد الإله ، وظلت الهولة تنشر الموت يميناً ويساراً(١٩) .

استوقفت الهولة أوديب . ألقت عليه الأحجية ، التى لقّنَتهُ إياها الموسيات . استمع أوديب إلى الهولة بانتباه شديد . سمعها تقول :

(١٧) سـفنكس Σφιγξ وتعني الذي يخنق ، بينما يسميها هيسيودوس (Theogony, 326) φιξ فيكس .

(١٨) يروي هيسيودوس (Op. Cit., 326-7) أن سفنكس هي ابنة أورثوس Orthus من إخيدني Echidne ؛ راجع الروايات الأخري في :

Apollodorrus, III, 5, 8; Sophocles, Oedipus Tyrannus, 391; Scholiast on Aristophanes, Ranae, 1287.

(١٩) Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 128.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مَنْ هو المخلوق ، ذو الصوت الواحد ، الذى يكون له قدمان أحياناً وثلاث أقدام أحياناً أخرى . وأربع أقدام أحياناً أخرى ، وكلما زاد عدد أقدامه ضعفت قوته الجثمانية ؟ (٢٠) .

تمالك أوديب نفسه . لم يترك الفزع يستولى عليه . أجاب فى ثبات :

إنه الإنسان ، الذى يحبو على أربع وهو طفل ضعيف البنية . ثم يسير على اثنتين وهو رجل كامل النمو مكتمل القوة ، ثم يتكىء على عصاه فيسير على ثلاث منهوك القوى . لكنه يكون فى شيخوخته أقوى من طفولته .

نجح أوديب . قهر كبرياء الهولة . ألقت بنفسها من فوق قمة جبل فيكيوم .. هوت فى السهل الواسع جثة هامدة . تجمع حولها أهل طيبة . زال عنهم الفزع . تحرروا من الذعر . أحسوا بالطمأنينة والراحة . ذاعت بشرى الخلاص ، وانتشرت . أقام أهل طيبة الأفراح والاحتفالات . أثناء ذلك ، وصل أحد أتباع الملك لايوس . أعلن نبأ مصرع الملك أثناء ذهابه إلى معبد الإله أبوللون فى دلفى . لم يأبه أهل طيبة بما أعلنه التابع . لم يشعروا بفداحة الكارثة . ماذا يضيرهم إن مات الملك لايوس وتحررت مدينة طيبة من الفزع ! ! ماذا ينفعهم لو عاد الملك لايوس وظلت الهولة تنشر الموت يميناً ويساراً ؟ لقد أخذ الموت لايوس من أهل طيبة . لكن الحياة وهبتهم أوديب . وهبتهم شاباً يافعاً خلص مملكتهم من الشر والدمار . مات لايوس . لكن أوديب مازال يعيش .

أصبح أوديب محط أنظار أهل طيبة . تمتع باحترامهم وتقديرهم . عرضوا عليه عرش مدينتهم . لم يتردد أوديب . ذلك أفضل من أن يعيش طريداً ، شريداً ، لاوطن له ، ولامنزل . قبل أوديب عرش طيبة ، آلت إليه كل ممتلكات الملك لايوس . آلت إليه كل سلطات الملك . دانت له جوارى الملك وأتباعه بالولاء . لم تجد زوجة الملك الراحل يوكاستى مبرراً لعدم قبولها الزواج من أوديب .

* * * * *

(٢٠) أنظر نص الأحجية وإجابة أوديب في : Argument to Sophocles Oedipus Tyrannus.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٢٤) :

أوديب والهولة .

مكتبة المهتدين الإسلامية

عاشت يوكاستى وأوديب عيشة الأزواج – عاشت الأم زوجة لابنها (٢١) . عاش الابن زوجاً لأمه . هكذا شاءت الأقدار ، لم يكن أى منهما يعلم بحقيقة أمره . لكن الآلهة كانت تعلم بحقيقة أمر كل منهما . عاشر أوديب زوجته الملكة يوكاستى . استعذبا الحياة معاً . كانا يقضيان الليالى يتبادلان كؤوس الحب والهوى والغرام . وجدت يوكاستى الرجل الذى كانت لاتشعر بوجوده أثناء حياة لايوس . وجد أوديب الراحة التى لم يكن يتمتع بها أثناء وجوده فى كورنثا . لكن روعة الحب لم تشغل الملك عن مباشرة أمور الحكم . فالحب يضيف حسنة إلى محاسن شخصية الإنسان . أحب أوديب الملك زوجته يوكاستى حباً شديداً . أحب مستشاريه . أحب أتباعه . أحب كل فرد من أفراد الرعية . حكم طيبة بالعدل . لم يكن يعرف الظلم أو الطغيان .

استمر حكم أوديب لمدينة طيبة أعواماً طويلة . نسى أهل طيبة الملك لايوس ، نسوا همومهم ومتاعبهم . تمتعوا بالحرية والرفاهية فى ظل الملك أوديب . أنجب أوديب من زوجته يوكاستى أربعة أطفال (٢٢) . أنتيجونى ، إيسمينى ، پولونيكيس ، إتيوكليس . هكذا شاءت الأقدار . أن يكون الأطفال إخوة لأبيهم ، أن يكون الأب أخاً لأطفاله . أحب الأطفال والدهم . تمتعت الأسرة بالسعادة والهناء . لكن الآلهة كانت لهم جميعاً بالمرصاد .

أرسلت الآلهة وباءاً شاملاً . طوى الوباء مدينة طيبة ، من شرقها إلى غربها . داهم جميع أهل طيبة ، شبابها وشيوخها . أتى على الزرع والضرع ، أتى على الأخضر واليابس ، عادت طيبة إلى ماكانت عليه قبل حكم أوديب . انتشر الذعر والخوف . ساد الدمار والخراب . ذهب شيوخ المدينة وشبابها إلى قصر أوديب . طلبوا مقابلته .. طلبوا منه أن يجد لهم طريقاً للخلاص . لم يستطع أوديب الملك أن يقود

(٢١) يشير هوميروس بإيجاز (Odyssey. XI, 271 sqq.) إلي يوكاستي (= إبيكاستي ، راجع حاشية رقم ٣ أعلاه) وعلاقتها بابنها أوديب بينما يتحدث عن رحلة البطل أوديسيوس إلي عالم الموتي حيث يذكرها ضمن من يقابلهم البطل هناك .

(٢٢) يروي پاوسانياس (Pausanias, IX, 5, 10-11) أن أوديب لم ينجب أطفاله الأربعة من والدته يوكاستي ، بل من زوجة اسمها يوروجانيا Euruganeia إبنة هوپرفاس Hyperphas . ويستشهد پاوسانياس بقصيدة مجهولة المؤلف تعرف بملحمة أوديب .Oidipodea كما يصف أحد المعلقين القدامي (Scholiast to Homer's Iliad, IV, 376) أن زوجة أوديب الثانية كانت تدعي أستوميدوسا Astymedusa .

http://www.al-maktabeh.com

سفينة الوطن إلى بر الأمان . لجأ إلى الإله أپوللون ، القادر على التكهن بما كان وماسوف يكون .

بعث أوديب بعراف المدينة تيرسياس إلى دلفى ليستطلع رأى الإله . ظل الملك ينتظر عودة العراف الضرير . ظل يناقش الأمر مع شقيق يوكاستي ، كريون . عاد العراف تيرسياس . سأله الملك فى لهفة . تلعثم العراف فى ريبة . ألح عليه أوديب فى السؤال . أجابه تيرسياس إجابة مختصرة : سبب البلاء هو وجود قاتل لايوس فى طيبة. انطلقت الكلمات هادرة من فم أوديب الملك العادل : لقد حكمنا على قاتل لايوس بالنفى من البلاد . وحكمنا على مَنْ يأوى قاتل لايوس بالنفى من البلاد . ثم توجه أوديب مرة ثانية إلى تيرسياس . سأله عن قاتل لايوس . تلعثم تيرسياس . بدا عليه الارتباك . أجاب إجابة أثارت شكوك أوديب . إن الإله لم يفصح عن اسم قاتل لايوس. تلاطمت أمواج الشك فى صدر أوديب . اتهم العراف الضرير بالإهمال . اتهمه بالجهل . اتهمه بالتهاون فى حق الوطن . كان عليه أن يسأل نبوءة الإله عن اسم القاتل . أثارت اتهامات الملك غضب العراف الضرير . حاول أن يدافع عن نفسه. ضيق الملك أوديب عليه الخناق . انطلقت مِن فم العراف كلمات أثارت شكوك أوديب. لقد قال الإله إن أوديب يستطيع أن يحدد مَنْ هو القاتل . بل عليه أن يبدأ بنفسه .

استولى الغضب على أوديب الملك . كيف يسمح العراف لنفسه أن يوجه الاتهامات إلى ملك البلاد . لعلها مؤامرة دبرها كريون ، شقيق يوكاستى . لعل كريون يريد أن يعزل أوديب عن الحكم . لعله طامع فى أن يتولى عرش طيبة . ثارت ثائرة أوديب . وجه الاتهامات إلى كريون . اتهم تيرسياس بالتواطؤ مع كريون . حاول كريون أن يدفع عن نفسه اتهامات الملك . حاول تيرسياس أن يهدىء من ثورة أوديب . حاولت يوكاستى أن تهدىء من غضب كل الأطراف . فشل الجميع فى ضبط نفوسهم . هكذا شاءت الأقدار . انطلق تيرسياس يطلق الكلمات هادرة من بين شفتيه . انطلق يعنف الملك لأول مرة . انطلق يتهمه بالجهل والعمى . إن قاتل لايوس هو الذى يبحث الآن عن قاتل لايوس ، عندئذ بدأ أوديب يجرى تحقيقاً شاملاً . ظل يسأل يوكاستى . يستدعى أتباع لايوس ، واحداً بعد واحد . وجاء دور واحد من الأتباع. إنه نفس الشخص الذى كان الملك لايوس قد أمره أن يتخلص من الطفل موثوق القدمين . أصر الملك على استدعائه . أرسلت يوكاستى فى طلبه . ظل ينتظر الجميع حضوره فى شوق ولهفة .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أثناء فترة الانتظار ، وصل رسول من كورنثا . مثل الرسول بين يدى الملك أوديب . نقل الرسول إلى الملك الثائر نبأ زاد من انزعاجه . لقد مات الملك پوليبوس. والآن جاء دور أوديب ليتولى حكم كورنثا . عندئذ ، قهقه أوديب قهقهة عالية . أعلن عن سخريته من الآلهة . أفصح عن ماكان يخفيه فى صدره أعواماً طويلة . لقد أخبرته الآلهة أنه سوف يقتل أباه ويتزوج أمه . وهاهو أبوه قد مات أثناء غياب ولده أوديب . لقد فشلت الآلهة فى تحقيق النصف الأول من النبوءة . لذا ، سوف لايذهب أوديب إلى كورنثا ، حتى لاتتاح له الفرصة للقاء أمه . وبالتالى تكون الآلهة قد فشلت فى تحقيق النصف الآخر من النبوءة . لكن الرسول الكورنثى يعلن فى هدوء أن أوديب ليس ابنا للملك پوليبوس ، ولاخوف من عودته إلى كورنثا . إذ أن پريبويا ليست أمه .

أصابت كلمات الرسول الكورنثى أوديب بالفزع . سأله الملك مَنْ يكون إذن . أخبره الرسول بحقيقة أمره . لقد أخذه من راع طيبى رآه ذات يوم فوق جبل كيثيرون . يدخل فى هذه اللحظة التابع الذى كان أوديب قد أمر باستدعائه . هكذا شاءت الأقدار. يرى التابع الطيبى نفسه وجهاً لوجه أمام الرسول الكورنثى . يتعرف كل منهما على الآخر . ثم يعترف كل منهما بما فعل . لقد أعطى التابع الطيبى الطفل موثوق القدمين إلى الرسول الكورنثى . عندئذ يؤكد الرسول الكورنثى أن الطفل موثوق القدمين ليس إلا أوديبِ الملك . لكن الأقدار لاتقف عند هذا الحد . فمازال تابع آخر يقبع فى الريف منذ أن قَتل الملك لايوس . إنه أحد التابعين المرافقين للملك لايوس أثناء رحلته المشئومة ، إن يوكاستى تجتر الذكريات الآن . لقد لجأ إليها ذلك التابع – فور عودته – يرجوها أن تتركه يعيش فى الريف بعيداً عن القصر الذى يعيش فيه أوديب . يأتى ذلك التابع . ثم يتعرف على أوديب . إنه هو الذى قتل الشيخ المسن فى مفترق الطرق . ولم يكن الشيخ المسن سوى الملك لايوس ! ! ![٢٣] .

قهقهت الآلهة طويلاً وهى تسمع صرخات البشر المساكين . تخلص لايوس من ولده كى لايقتله فيما بعد . لكن لايوس بسلوكه قد حافظ على ولده كى يصبح قادراً على قتله فيما بعد . هجر أوديب كورنثا كى لايقتل أباه ويتزوج أمه . لكنه بسلوكه ذهب إلى طيبة ليقتل أباه ويتزوج أمه . لقد أراد البشر شيئاً . وأرادت الآلهة

(٢٣) Graves, Op. Cit., pp. 11-12.

http://www.al-maktabeh.com

أشياء . لم تستطع يوكاستى أن تتحمل أكثر من ذلك . لم تعد تقدر على الحياة . انتحرت . لم يستطع أوديب أن يتحمل أكثر من ذلك . لكنه صمم على أن يكفر عن خطيئته . فضل أن يعيش . لكنه لم يستطع رؤية ابتسامات السخرية على أفواه من حوله . فقأ عينيه (٢٤) .

تلك هى أسطورة أوديب الخالدة . تناقلتها الأجيال الماضية . ولسوف تتناقلها الأجيال التالية . تناولتها أغلب المصادر الأدبية والتاريخية والفلسفية فى العصور القديمة والحديثة والمعاصرة . ذكرها أغلب الكتاب منذ عصر هوميروس إلى ازدهار التراچيديا الإغريقية ، ومنذ فجر الأدب الرومانى حتى عصر اضمحلال الامبراطورية الرومانية . ثم تناقلها كتاب أوربا على مدى العصور المتتالية منذ كتاب الكلاسيكية الجديدة فى فرنسا إلى كتاب المسرح المعاصر فى بريطانيا وإيطاليا .

وإن كان لابد من الإشارة إلى بعض الأعمال الأدبية التى تناولت قصة أوديب ونالت شهرة واسعة ، فلا بأس من الإشارة إلى هذه الأعمال – على سبيل المثال – لا الحصر . أوديب الملك للكاتب الإغريقى سوفوكليس ؛ ملحمة طيبة التى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادى (٢٥) ؛ أوديب OEdipe كورنى Corneille (١٦٥٩م) ؛ أوديب Oedipe ڤولتير Voltaire (١٧١٨م) ؛ أوديب OEdipe أندريه چيد André Gid (١٩٣١م) ؛ أنتجونى Antigone ، الآلة الجهنمية La Machine infernale ، كوكتو Cocteau (١٩٣٤) ؛ أنتيجونى چان أنوى Jean Anouilh (١٩٤٦م) (٢٦) .

(٢٤) أو في رواية أخرى (Euripides, frag. 541 Nauck) إن أتباع الملك لايوس هم الذين فقأوا عيني أوديب . راجع أيضاً Graves, Op. Cit., p. 14 حيث يعتقد أن عملية فقء عيني أوديب ليست جزءاً من الأسطورة الحقيقية بل هي ابتكار مسرحي ليس إلا .

(٢٥) ملحمة طيبة The Romance of Thebes وتتكون من عشرة آلاف بيت يقول مؤلفها المجهول إنه نقل موضوعه عن ملحمة طيبة Thebaid للشاعر الروماني ستاتيوس Statius (٤٥–٩٦م) Highet, Classical Tradition, p. 56..

(٢٦) لم تؤثر قصة أوديب في الأدباء فقط بل أثرت أيضاً في الفنانين ؛ فقد ألف الشاعر الروسي ستراڤنسكي Stravinsky (ولد عام ١٨٨٢ هاجر من روسيا عام ١٩١٤ ، عاش في فرنسا حتي عام ١٩٣٩ ، ثم استقر في الولايات المتحدة الأمريكية منذ ذلك العام) أوبرا بعنوان أوديب ملكاً Oedipus Rex والتي عرضت في فرنسا عام ١٩٢٧ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

هذا بالإضافة إلى كثير من الأعمال التى تأثر كتابها بالأسطورة مثل ، ألفييرى Alfieri الذى كتب مسرحية ميرا Mirra (١٧٨٦م) ، وهى قصة فتاة وقعت فى حب أبيها . كما لايفوتنا الإشارة إلى العالم النفسى المعروف سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩م) الذى فسر أسطورة أوديب ويوكاستى ، وخرج بنظريته المعروفة فى علم النفس بعقدة أوديب (٢٧) .

كما يمكن أن [illegible] بعض الأعمال الأدبية العربية مثل أوديب لتوفيق الحكيم وعودة الغائب لفوزى فهمي وغيرهما .

******

(٢٧) سبق مناقشة نظرية التفسير السيكولوجي للأساطير الإغريقية (أنظر المقدمة ص ٥٥ ومابعدها) يعارض جريفز (Graves, Op. Cit., p. 13) نظرية فرويد بشأن عقدة أوديب : يقول بلوتارخوس (De Iside et Osiride, 32) إن فرس «النهر قتل والده واغتصب زوجته» فهل يعني بلوتارخوس بذلك أن كل رجل مصاب بعقدة فرس النهر .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أنْتِيجُوني

.. إستوى كريون على عرش طيبة للمرة الثانية . بدأ يصدر أوامره الملكية من جديد . كان أول أوامره سهماً في صدر أنتيجوني . أصدر كريون أوامر مشددة بأن تترك جثة پولونيكيس في العراء . دون دفن . دون قبر . دون جنازة . أمر أن تظل جثة پولونيكيس لقمةً سائغة للضواري والكلاب . لم ينسَ كريون أن يذيِّل أوامره بالتهديد والوعيد . وعد كل من يعصي أوامره بالموت . لم يجد كريون في قراره ظلماً للبشر أو عقوقاً للآلهة . لكن أنتيجوني رأت فيه الظلم والعقوق بعينهما .

http://www.al-maktabeh.com

أنتيجوني

ماتت يوكاستى . رحلت إلى مملكة هاديس . لم تستطع أن تواجه المستقبل . فضلت أن ترحل إلى عالم الموتى . تركت وراءها زوجها وابنها أوديب . تركته يقاسى وحده المستقبل المجهول . كان أوديب أكثر شجاعة من يوكاستى . فضل الحياة على الموت . فضل أن يواجه المستقبل المجهول . أن يتحمل وزر خطيئته . لكنه لم يستطع أن يرى ابتسامات السخرية على شفاه الناس . فقأ عينيه . إنطوى على نفسه . قاطع العالم الخارجى . أصبح بلا حول . بلا قوة . بلا عرش . بلا سلطان . لم يكن هناك من ذريته من يستطيع أن يتولى عرش طيبة من بعده . تولاه شقيق زوجته كريون . أحب الحاكم الجديد أطفال أوديب . اعتبر نفسه وصياً عليهم . أحسن تربية الطفلين پولونيكيس وإتيوكليس . اهتم بالطفلتين أنتيجونى وإيسمينى . أغدق عليهم جميعاً الهدايا . غفر لأوديب خطيئته . سمح له أن يواصل حياته فى طيبة . لكن أوديب صمم على الوفاء بعهده . لقد وعد شعب طيبة بطرد قاتل لايوس من البلاد . ثم مالبث أن اكتشف أن قاتل لايوس ليس إلا أوديب . لذا . عزم على الرحيل من طيبة . حاول كريون أن يثنيه عن عزمه ، لم يستطع . أراد ولداه أن يرغماه على عدم الرحيل . فشلا . تضرعت إليه ابنتاه كى يعدل عن قراره . لم يستجب لضراعتهما . قرر الرحيل (١) .

ضربت ابنته الكبرى أنتيجونى مثالاً رائعاً للحب والتضحية ، قررت أن تشاركه مصيره ، صممت على مصاحبته (٢) . أرادت أن تكون بمثابة عينيه اللتين أصبحتا لاتريان النور . قررت أن تكون بمثابة عصاه التى يتوكأ عليها . صممت أن تظل معه، تشد من أزره . ترشده إلى سواء السبيل . رضخ أوديب لرغبة ابنته أنتيجونى . رحل أوديب عن طيبة . ظل يجوب البقاع ، وينتقل من بلدة إلى بلدة .. وهو يضرب الأرض بعصاه . قابله البشر فى كل بلد بجفاء . أشاروا إليه فى ازدراء . أبعدوه عن بلادهم . ظلت خطاياه تطارده فى كل مكان . فلقد قتل والده . وتزوج والدته . لم

(١) Warner, Men And Gods, p. 154.

(٢) Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 252.

http://www.al-maktabeh.com

تتركه ابنته وشقيقته أنتيجونى لحظة واحدة . ظلت تقوده من مكان إلى مكان ، حتى استقر بهما المقام فى كولونوس . قرية قريبة من أثينا . الواقعة فى وسط إقليم أتيكا . ظلت إيسمينى على اتصال دائم بهما . كانت تنقل أخبار طيبة إليهما فى كولونوس . وتنقل أخبار كولونوس إلى المقيمين فى طيبة .

قضى أوديب فى كولونوس أيامه الأخيرة يكفّر عن خطاياه السابقة . ذاق صنوف العذاب . قاسى الأهوال والكوارث . لكنه لم يكفر بقدره . لم يشكّ فى مصيره . كان مؤمناً بأن الإنسان هو الذى يصنع قدره بنفسه . وهاهو قد صنع قدره . فلا جدوى – إذن – من الشكوى . طال بقاؤه فى كولونوس . طالت فترة شقائه وعذابه . ثم جاءت نبوءة الإله أپوللون . جاءت ترد له اعتباره ، وتعوضه العذاب الذى قاساه . قالت نبوءة الإله أپوللون إن أوديب قد كفر الآن عن خطاياه . أصبح طاهراً بعد أن كان مدنساً . أصبح عفيفاً بعد أن كان زانياً . أصبح روحاً محلقة فى سماء الفضيلة بعد أن كان جسداً منغمساً فى قاع الرذيلة . قالت النبوءة : مباركة تلك الأرض التى سوف تحوى رفات أوديب . هكذا قالت النبوءة ، لم يكن أمام الإغريق إلا أن يصدقوها . إنتقلت أقوال النبوءة إلى كل مكان . تسابق الملوك فى دعوة أوديب إلى ممالكهم . ذهب كريون بنفسه إلى كولونوس ، ظل يستعطف أوديب ، ظل يتوسل إليه . طلب منه العودة إلى طيبة . رفض أوديب رفضاً قاطعاً . أصرّ على البقاء فى كولونوس . أصرت أنتيجونى على البقاء بجواره . رحب ملك أثينا ثسيوس بأوديب ، شجعه على البقاء . قدم له كل التسهيلات . مهّد له جميع سبل الراحة .

ذات يوم ، كان أوديب يجلس فى أجمة ربات الرحمة ، فى قرية كولونوس . كانت أنتيجونى تجلس بجواره . سمع أوديب صوتاً ربانياً يناديه من السماء . لم تسمع أنتيجونى شيئاً . رأى أوديب أطيافاً مباركة تفتح له أذرعتها . لم تر أنتيجونى شيئاً . أحس أوديب بقوة تدفعه من خلفه . لم تحس أنتيجونى بشىء . لاحظ أنه يرتفع شيئاً فشيئاً نحو السماء . لم تلحظ أنتيجونى شيئاً . إختفى أوديب عن الأنظار . وجدت أنتيجونى نفسها وحيدة فى الأجمة . قيل إن ربات الرحمة قد رفعت أوديب إلى السماء[٣] لتعوضه عن العذاب الذى قاساه على وجه الأرض . قيل – فى رواية

(٣) هذه الرواية يرويها سوفوكليس في تراجيديته الشهيرة أوديب في كولونوس .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أخرى– إن ربات الانتقام قد أنزلن أوديب إلى العالم السفلى لتعاقبنه على خطاياه التى ارتكبها على وجه الأرض (٤) . اختلفت الروايات ، تضاربت الآراء (٥) ، المهم هو أن أنتيجونى وجدت نفسها وحيدة فى كولونوس. فاضطرت إلى العودة إلى وطنها طيبة.

عادت أنتيجونى إلى طيبة (٦) ، ظنت أنها سوف تعيش فى أمان وسلام . لكن وجدت نفسها تعيش فى دوامة قاسية . اعتادت أنتيجونى أن تشارك الآخرين مشاكلهم. كانت لاتعيش بقلبها ، بل بقلوب من حولها . لم تستطع أن تنتزع نفسها من معمعة الصراع الذى كان يدور فى أسرتها . عادت أنتيجونى إلى طيبة . وجدت شقيقيها پولونيكيس وإتيوكليس قد بلغا سن الرشد ، وجدتهما يطالبان بعرش والدهما . وعدهما كريون بالتنازل عن العرش . طلب منهما أن يصلا إلى اتفاق فيما بينهما بشأن مَنْ يتولى عرش طيبة . تصارع الأخوان . إختلفا فيما بينهما . إدعى كل منهما أحقيته فى تولى الحكم . تدخلت أنتيجونى وآخرون لفض النزاع . أخيراً اتفق الأخوان . سوف يتولى كل منهما حكم طيبة عاماً كاملاً . سوف يكون حكمهما بالتوالى . ثم اختلفا مرة أخرى : مَنْ منهما سوف يحكم أولاً ؟ ! تدخلت أنتيجونى وآخرون مرة أخرى لفض النزاع . سوف يحكم أكبرهما سناً . تولى إتيوكليس حكم طيبة (٧) .

استمر حكم إتيوكليس لمدينة طيبة عاماً واحداً . حاول فيه أن يعيد الطمأنينة إلى قلوب المواطنين . حاول أن ينفرد بالحكم . لذا ، أصدر أوامره إلى شقيقه پولونيكيس بمغادرة البلاد . نفذ الشقيق الأصغر أوامر شقيقه الأكبر . رحل عن طيبة منفياً . وصل إلى مملكة أرجوس . ظل هناك ينتظر موعد عودته إلى وطنه . عاشت

---

(٤) راجع الروايات المختلفة حول موت أوديب والتفسيرات المختلفة التي نشأت حول كل رواية وعلاقة كل تفسير بالعبادة المحلية في كل منطقة من مناطق بلاد الإغريق في :

Farnell, Hero-Cults, p. 332 sqq.

(٥) يذكر هوميروس (Iliad, XXIII, 679) نهاية مختلفة لحياة أوديب : أنه قتل في معركة (أو انتهت حياته بالعنف) ودفن جثمانه وتليت عليه المراسم الجنائزية العادية . راجع :

Evelyn - White, Hesiod, p. 173, 217, 219.

(٦) Guerber, Op. Cit., pp. 252; Graves, Greek Myths, Vol. II, p. 12.

(٧) Warner, Op. Cit., pp. 155-6.

http://www.al-maktabeh.com

أنتيجونى فى طيبة . كانت تفكر دائماً فى شقيقها المنفى . كانت تتابع أخباره أولاً بأول .

* * *

كان يحكم أرجوس الملك أدراستوس . كانت له ابنتان : أرجيا وديبولا (٨) . تقدم لخطبة كل منهما أمراء أقوياء من مختلف البقاع . لكن أدراستوس كان يخشى أن يرفض واحداً منهم . كان لايريد أن يجعل من أحد عدواً لمملكة أرجوس . ذهب أدراستوس ليستطلع رأى الإله . نطقت نبوءة الإله بكلمات أصابت الملك أدراستوس بالحيرة والارتباك . نصحته أن يربط بعربته ذات العجلتين الخنزير والأسد اللذين يتصارعان الآن فى قصره (٩) . عاد أدراستوس إلى قصره والحيرة تسيطر عليه . وجد القصر يعج بالخطّاب . لفت نظره اثنان منهم . كان كل منهما يفخر بوطنه . كان يتحدى كل منهما الآخر . وقف أدراستوس يرقب من بعيد مايدور بينهما من نقاش . تطور النقاش ، تحول إلى نزاع مسلح . امتشق كل منهما سلاحه ، حمل كل منهما درعه . إلتحم الاثنان فى مبارزة ضارية كادت تودى بحياة كل منهما . مازال أدراستوس يرقب البطلين وهما يتصارعان . تذكر نبوءة الإله . أحد المتصارعين هو پولونيكيس . جاء منفياً من طيبة . ينتظر اليوم الذى يعود فيه منتصراً إلى وطنه . الأسد هو شعار مملكة طيبة . إن پولونيكيس يحمل درعاً مرسوماً عليه ذلك الشعار . أما المتصارع الثانى فهو تيديوس . جاء منفياً من كالودونيا . اتهمه أهل كالودونيا بقتل شقيقه ميلانيوس . الخنزير هو شعار مملكة كالودونيا ، إن تيديوس يحمل درعاً مرسوماً عليه ذلك الشعار . رأى أدراستوس بعينى رأسه الأسد والخنزير يتصارعان فى قصره . أدرك ماتقصده نبوءة الإله . أسرع نحو المتصارعين . فض الاشتباك . وعدهما بتزويجهما لابنتيه . تزوج پولونيكيس أرجيا ابنة أدراستوس . تزوج تيديوس ابنته الأخرى ديبولا . ولما كان كل منهما منفياً من وطنه ، فقد وعدهما أدراستوس

(٨) وردت التفاصيل الخاصة بهذا الجزء من الأسطورة في مصادر متعددة نذكر منها :
Apollodorus, III, 57 sqq.; Aeschylus, Seven Against Thebes, Passim; Statius, Thebais; Hyginus, fabula 70 sqq.

(٩) Graves, Op. Cit., Vol. II, pp. 15-6.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بمساعدتهما فى استعادة عرشيهما [١٠] . لكنه وعد پولونيكيس أولاً، لأن طيبة أقرب إلى أرجوس من كالودونيا [١١] .

تابعت أنتيجونى فى لهفة ما كان يدور فى كل من طيبة وأرجوس . مضى عـام على حكم إتيوكليس لطيبة . جاء دور پولونيكيس فى تولى الحكم . ذهب إلى طيبة . رفض إتيوكليس التنازل عن العرش . طرد شقيقه الأصغر ، هدده ، توعده . عاد پولونيكيس إلى أرجوس ثائراً . قابله والد زوجته أدراستوس . صمم الأخير على إعادة زوج ابنته إلى طيبة بالقوة . جمع أدراستوس قادة جيوشه وحلفائه ، شرح لهم الأمر ، أقنعهم بدخول الحرب . قائد واحد هو الذى رفض الاشتراك فى الحرب . ذلك القائد هو أمفياراوس ، زوج شقيقة أدراستوس . كان أمفياراوس عرافاً . كان قادراً على التنبؤ بالغيب . تنبأ بموت جميع القادة ماعدا أدراستوس . لذا رفض أن يشترك فى الحرب . لكن الحرب كانت مسألة وجود أو عدم بالنسبة لأكثر من قائد واحد . ربط أدراستوس نفسه بوعد أمام پولونيكيس . وعده بالمساعدة ، فكان عليه أن يفى بوعده . كان تيديوس متحمساً للاشتراك فى الحرب ، لأنه كان يأمل أن يأتى دوره هو الآخر لاسترداد عرشه فى كالودونيا . كان پولونيكيس يجاهد من أجل استعادة عرشه ، حتى لايعيش عالة على والد زوجته أدراستوس . كذلك أيضاً كان باقى القادة متحمسين للاشتراك فى الحرب . لكن أمفياراوس وحده هو الذى كان رافضاً لقرار الحرب .

لم يشأ أدراستوس أن يرغم أمفياراوس على الاشتراك فى الحرب . ولم يشأ أيضاً أن يتجاهله . تذكر تيديوس رواية كان يرويها أهل أرجوس . ذات مرة ، نشأ نزاع بين أدراستوس وزوج شقيقته أمفياراوس ، اشتد النزاع بينهما ، تحول إلى مبارزة ضارية . كاد كل منهما أن يقتل الآخر . أدركتهما إريفولى فى آخر لحظة . ألقت بنفسها بينهما . توقف كل منهما عن القتال. وقفت إريفولى وسيفاهما متقابلان فوق رأسها . طلبت منهما أن يتصالحا . طلبت منهما أن يأخذا على نفسيهما عهداً : ألا

(١٠) Hyginus, fabula 69; Euripides, Phoenissae, 408 sqq. (with Scholiast on 409); Idem. Supplices, 132 sqq. Apllodorus, III, 6, 1.

(١١) يروي پاوسانياس (Pausanias, IX, 5, 12) أن پولونيكيس رحل من طيبة ليتفادي لعنة والده (راجع حاشية رقم ١٨ أدناه) ، وذهب إلي أرجوس حيث تزوج أرجيا Argeia ثم عاد إلي طيبة حيث دب النزاع بينه وبين شقيقه إتيوكليس ، فعاد مرة أخري إلي أرجوس ..

http://www.al-maktabeh.com

يتخذ أحدهما قراراً إلا بعد أن يأخذ رأيها . كانت إريفولى شقيقة أدراستوس ، وكانت أيضاً زوجة أمفياراوس . كان أدراستوس يحب شقيقته حباً شديداً . كان أمفياراوس أيضاً يحبها حباً منقطع النظير . لذا قطع كل منهما على نفسه عهداً : أن يلتزم برأى إريفولى ، مهما كان رأيها مخالفاً لرأيه .

***

تذكر تيديوس تلك الرواية . أسرع إلى پولونيكيس . أشار عليه أن يلجأ إلى إريفولى . ذهب پولونيكيس على الفور إلى إريفولى . قدم لها هدية رائعة . قدم لها قلادة من الذهب الخالص . كانت أفروديتى قد منحتها إلى هارمونيا بمناسبة زواجها من جده الأكبر كادموس . فرحت إريفولى بالهدية فرحاً شديداً . أسرعت إلى أمفياراوس . أقنعته بضرورة الاشتراك فى الحملة العسكرية ضد طيبة . وافق على الفور (١٢) .

تم إعداد الحملة . خرجت الحملة من مدينة طيبة (١٣) . كان على رأسها سبعة من أعظم قادة الإغريق : أدراستوس ملك أرجوس ، أمفياراوس ، زوج شقيقة أدراستوس ، پارثنوپايوس ، الأمير الأركادى الذى أنجبه ملياجروس من أتالانتا ، تيديوس ، ابن الملك أوينيوس ، الأمير الذى نفى من وطنه كالودونيا ، كاپانيوس ، هيپوميدون ، وأخيراً پولونيكيس (١٤) . مرت الحملة بمملكة نيميا حيث كان يحكم الملك لوكورجوس . طلبوا من الملك أن يسمح لهم بقضاء فترة للراحة . وافق الملك . طلبوا منه أن يمدهم بالماء (١٥) . أمر الملك جاريته هوپسيپولى أن ترشدهم إلى أقرب ينبوع

---

(١٢) راجع Euripides' Hypsipyle (Fragmenta Tragica Papyracea, Oxford) . وشذرات أخرى لنفس الشاعر Tragicorum Graecorum Fragmenta, p. 379 sqq. راجع أيضاً تفاصيل هذا الجزء من الأسطورة في : Apollodorus, III, 60-61; Hyginus, fabula 73. وغيرهم من المصادر المتعددة .

(١٣) Warner, Op. Cit., pp. 156-58.

(١٤) هناك اختلاف بسيط حول أسماء الأبطال السبعة حسب الروايات المختلفة : راجع : Graves, Op. Cit., Vol. II, p. 16 with nn. 2 and 3; Rose, Greek Mythology, p. 190.

(١٥) Euripides, Hypsipyle (Col. IV, 29 Hunt); Cf. Statius, Thebais, IV, 652 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عذب . كانت هوبسيبولى تحمل على صدرها الطفل أوفلتيس ، ابن الملك لوكورجوس. تركت الجارية الطفل على الأرض الخضراء ، أرشدت الرجال إلى مكان الينبوع . عادت إلى حيث تركت الطفل أوفلتيس ، وجدته قد فارق الحياة . ظلت تستغيث ، خف إلى نجدتها أدراستوس وصحبه ، عرفوا سبب الاستغاثة . لدغت حية سامة ابن مضيفهم ، لم يستطيعوا تقديم أى معونة للجارية . قتلوا الحية السامة . لم يفعلوا أكثر من ذلك . أعلن العراف أمفياراوس أن ماحدث للطفل أوفلتيس إنما هو فأل سيء . رأى فيما حدث نذيراً مشئوماً تنبأ بفشل الحملة . أقام أفراد الحملة ألعاباً واحتفالات . أطلقوا الدعوات والصلوات للآلهة . ثم واصلوا رحلتهم إلى طيبة (١٦) .

وصلت الحملة إلى جبل كيثيرون . أسرع إتيوكليس الملك يجمع صفوف أهل طيبة . كانت أنتيجونى تشعر بفزع شديد . كانت تخشى النتائج المترتبة على ذلك الصراع العسكرى المشئوم . أرسل أدراستوس رسولاً إلى إتيوكليس ملك طيبة . طالب بتسليم أمور الحكم إلى پولونيكيس . رفض الملك الطيبى مطلب أدراستوس . أمر الملك الطيبى بالاستعداد للدفاع عن المدينة . حاصرت جيوش أدراستوس المدينة من جميع الجهات . تفوق الغزاة . تقدموا نحو بوابات المدينة السبع . شددوا الحصار . جاء العراف تيرسياس ينشر رأى نبوءة الإله ، لابد من التضحية بصبى من الأسرة المالكة . لابد من أن يقدم صبى من الأسرة المالكة نفسه طائعاً مختاراً فداء لوطنه . كان مينويكوس ابناً للملك السابق كريون . كان مازال صبياً فى مقتبل العمر . سمع الصبى ماقاله العراف تيريسياس . غافل والده كريون . قتل نفسه أمام بوابة طيبة . هوى جثة هامدة وسط القوات المتحاربة . ر.. - كفة الجيوش الطيبية . انطلقوا يضربون بشراسة ، قتلوا أعداداً لاحصر لها من جنود الغزاة . لقى أربعة قادة مصرعهم . لم يبق على قيد الحياة سوى أمفياراوس وپولونيكيس وأدراستوس . عندئذ أراد پولونيكيس أن ـ ... من وطأة القتال وأن يحقن الدماء . طلب أن ينازل شقيقه إتيوكليس . وافق إتيوكليس على الفور . استعد الأخوان للنزال (١٧) .

(١٦) وهكذا نشأت الألعاب النيمية التي اعتاد الإغريق إقامتها كل أربع سنوات :
Apollodorus, I. 9, 17 and III, 6, 4; Hyginus, fabula 74 and 273; Scholiast on the Argument of Pindar's Nemean Odes.

(١٧) Graves, Op. Cit., Vol. II, pp. 17-18.

http://www.al-maktabeh.com

ازداد فزع أنتيجونى . حاولت أن تثنى كلاً من شقيقيها عن عزمه . باءت محاولتها بالفشل . تقابل الأخوان . قتل كل منهما الآخر . لقى كل منهما مصرعه على يد الآخر (١٨) . فرّ الغزاة مهزومين . خرج أهل طيبة يجمعون جثث قتلاهم ، تولى كريون الحكم للمرة الثانية . خرجت أنتيجونى تبحث عن ذويها . ازداد فزعها كلما تجولت فى ساحة القتال . عاشت بعواطفها مع كل جريح . أحست باللوعة من أجل كل قتيل . لم تكن قادرة على النوم فى الليل . لم تذق طعم الراحة فى النهار .

* * *

استولى كريون على عرش طيبة للمرة الثانية . بدأ يصدر أوامره الملكية من جديد . كان أول أوامره سهماً فى صدر أنتيجونى . أصدر كريون أوامره بأن تدفن جثة إتيوكليس فى احتفال رسمى مهيب . أمر أن ينعم إتيوكليس بعد موته بالحفاوة والتكريم ، أن يقام له قبر فخم ضخم يحج إليه كل أهل طيبة . فلقد مات وهو يدافع عن وطنه . من ناحية أخرى ، أصدر كريون أوامر مشددة بأن تترك جثة پولونيكيس فى العراء ، دون دفن ، دون جنازة ، دون قبر . أمر أن تظل جثة پولونيكيس لقمة سائغة للضوارى والكلاب . فلقد ماتِ وهو يهاجم بلاده ، لم ينس كريون أن يذيّل أوامره بالتهديد والوعيد . وعد كل منْ يعصى أوامره بالموت . لم يجد كريون فى قراره ظلماً للبشر أو عقوقاً للآلهة . لكن أنتيجونى رأت فيه الظلم والعقوق بعينهما (١٩).

(١٨) تروي معظم المصادر أن الصراع الذي نشأ بين الشقيقين كان نتيجة لعنة والدهما أوديب . لكن اختلفت معظم المصادر حول السبب الذي من أجله استنزل أوديب اللعنة علي ولديه . قيل إن أوديب لم يغادر طيبة بعد اكتشافه لحقيقةعلاقته بيوكاستي ، بل عاش حبيس القصر الملكي في طيبة . يروي مؤلف مجهول (ملحمة طيبة Thebais, frag. 2 and Allen) أن ولدي أوديب قدما له بعض أواني الطعام التي كان يستخدمها الملك لايوس والتي كان أوديب قد طلب منهما عدم تقديمها له ، كما يروي نفس المؤلف أن ولدي أوديب قدما لوالدهما طعاماً يحتوي علي لحم غير جيد . لهذين السببين استنزل أوديب اللعنة علي ولديه . هناك معلق مجهول آخر (Scholiast on Homer's Iliad, IV, 376) يري أن سبب هذه اللعنة هو كما يلي : تزوج أوديب مرة ثانية من امرأة تدعي إستوموسا . إدعت هذه الزوجة أن ولدي أوديب حاولا اغتصابها . علم أوديب ، فاستنزل عليهما اللعنة . راجع أيضاً : Rose, Op. Cit., pp. 189 sqq. With n. 26 on p. 221.

(١٩) Warner, Op. Cit., pp. 159-162.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أحاط الإغريق موتاهم بالحب والتقدير [٢٠] . كان للإغريق معتقدهم الخاص بعالم الموتى . كان من الواجب تأدية مراسم جنائزية معينة . يموت الإغريقى . تخرج النسوة والرجال يحتفلون بموته . ينوحون من أجله . يعبرون عن حزنهم لوفاته. يذكرون محاسنه أثناء حياته . يمتدحون أعماله ومآثره . يقدمون على روحه القرابين والصلوات . ثم يوارون جثته التراب [٢١] . عندئذ ، كانت الروح تنتقل عبر نهر خارون ، الذى يفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى ، ثم تصل الروح إلى عالم الأموات . هناك ، تحيا الروح كما كانت تحيا على ظهر الأرض من قبل . وإذا لم تدفن جثة الميت ظلت روحه حائرة بين عالم الأحياء وعالم الموتى . لايقبلها الأحياء فى عالمهم ، فلم يعد صاحبها حياً بعد . لايقبلها الموتى فى عالمهم ، فلم يصبح صاحبها ضمن الأموات بعد . هكذا اعتقد الإغريق . هكذا نص القانون الإلهى . وغالباً ما عوقب أفراد عاديون وقادة وملوك لأنهم لم يقوموا بدفن ذويهم أو جنودهم أو مواطنيهم الموتى حتى لو كان ذلك لأسباب خارجة عن إرادتهم .

فكرت أنتيجونى جيداً [٢٢] ، إنها تحب شقيقها پولونيكيس ، إنها تخشى الآلهة أيضاً . إن ترك جثة پولونيكيس فى العراء عمل لايرضى الآلهة أو البشر . فيه نكران لأواصر الأخوة ، فيه تمرد على قوانين الآلهة. قررت أن تدفن جثة أخيها پولونيكيس، باحت بقرارها إلى شقيقتها إيسمينى ، ترددت إيسمينى ، بدت عليها علامات الخوف والفزع . صممت أنتيجونى على تنفيذ قرارها بمفردها . تسللت خلسة. غافلت الحراس، بدأت فى دفن الجثة سراً . كانت على وشك الانتهاء من مهمتها الصعبة ، تنبه الحراس فى آخر لحظة . قبضوا عليها . قاموا بتسليمها إلى كريون الملك . لم يكن يتوقع كريون شيئاً مما حدث . أصابته المفاجأة بذهول . سيطر عليه الغضب ، ثارت ثورته . تمنى أن تدافع أنتيجونى عن نفسها أمام رجال الدولة . اعترفت أنتيجونى اعترافاً صريحاً . ظن أنها سوف تستعطفه ، تعتذر له ، تطلب منه العفو . وقفت أمامه متحدية . لم تعتذر ، لم تطلب العفو ، وقفت تجادله بالحجج والبراهين . وقفت تدافع

(٢٠) أنظر كتابنا المأساة اليونانية ص٢٥ والمراجع المشار إليها في الحواشي رقم ١ ، ٢ ، ٣ هناك.

(٢١) إن من أفضل تصرفات البطل هيراكليس هو أنه كان يسمح لأعدائه بدفن موتاهم : راجع Plutarch, Theseus, 11 and 29.

(٢٢) تناول سوفوكليس هذا الجزء من الأسطورة بالتفصيل في تراچيديته الخالدة أنتيجوني Antigone.

http://www.al-maktabeh.com

عن القانون الإلهى . وقفت تهاجم القرار وصانع القرار . أخذت تبيِّن مافى القرار من ظلم وعقوق . وصفته بأنه قانون وضعى لايرقى إلى مستوى القانون الإلهى .

* * *

وقع كريون فى مأزق صعب . أحس ذلك فى الحال . إنه حاكم جديد . هذا هو قراره الأول الذى أصدره فى بداية حكمه . تحدى قراره أقرب أقاربه . ماذا يفعل : هل يعفو ويتسامح ، فيبدو أمام مواطنيه حاكماً متهاوناً متسامحاً . ولاشك فى أن ذلك سوف يشجع آخرين على عدم إطاعة أوامره فى المستقبل . هل يقسو ويشتد ، فيقضى على ابنة شقيقته بأول قرار يصدره فى بداية حكمه ، حاول كريون أن يتراجع ، لم يقو على التراجع . أصر على تنفيذ قراره . ثم حدث مازاد من صعوبة المأزق .

اقتحم قاعة العرش هايمون . مثل أمام كريون ، قدم فروض الطاعة والولاء . ثم حاول الدفاع عن أنتيجونى . لم يقبل كريون دفاعه . كرر المحاولة مرة بعد أخرى. فشلت كل محاولاته . بدأ يهدد ويتوعد . هايمون هو خطيب أنتيجونى ، وهو أيضاً ابن كريون (٢٣) . هدد هايمون بالانتحار . أخبر والده بقراره الأخير . سوف يشارك أنتيجونى مصيرها مهما كان . وقع كريون تحت ضغط نفسى وعاطفى من جميع الجوانب . لقد رضى أن تكون ابنة شقيقته ضحية لأول قرار يصدره . لكن من الصعب عليه أن يرضى بأن يكون ابنه ، فلذة كبده ، ضحية أخرى لنفس القرار . حاول كريون أن يثنى ولده هايمون عن عزمه . أصر هايمون على تنفيذ تهديده . اندفع هايمون نحو الخارج مهدداً . وقف كريون بلا حراك . توقف تفكيره من هول المأزق الصعب .

لم يدرك كريون كمْ من الوقت قضى فى وقفته . عاد إلى صوابه . ثاب إلى رشده . أحس بأنه كان قاسياً فى معاملته لابنة شقيقته . أدرك أنه لم يكن عادلاً فى معاملته لابنه . حاول أن يتراجع فى قراره . تردد قبل أن يتراجع . ظل يقلب الأمور

(٢٣) يري المؤلف المجهول الذي تنسب إليه ملحمة طيبة Oidipodea أن هايمون كان أحد الضحايا الذين قضت عليهم الهولة (راجع ص ٣٦٤ أعلاه) ، ويتفق معه في ذلك أبوللودوروس Apollodorus, III, 54, Scholiast on Euripides' Phoenissae 1750, frag. 3, p. 482; Evelyn - White, Op. Cit., p. xi . إن هذه الرواية تختلف اختلافاً كبيراً عن ماجاء في جميع المصادر القديمة لأسطورة أسرة لابداكوس .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ويتدبر الموقف . أخيراً ، قرر أن يتراجع ، تأكد أن القانون الوضعي لايرقى إلى مستوى القانون الإلهى . لقد أمر كريون أن تسجن أنتيجونى فى مكان مغلق ، وأن تترك هناك حتى تموت . لكنه الآن يأمر رجاله بالإسراع إلى ذلك المكان . يأمرهم أن يفكوا قيد أنتيجونى ، وأن يعيدوها إلى الحياة . أسرع رجال كريون نحو الخارج . وقف كريون فى انتظار عودة الرجال .

طالت فترة انتظار كريون . كانت اللحظات تمر متثاقلة بطيئة . حاول أثناء تلك اللحظات أن يعود بتفكيره إلى الوراء . كان قاسياً فى معاملته لابنة شقيقته . لكنه الآن يحس براحة . سوف يعود إليه ولده سالماً . سوف يشكره ، سوف يعتذر له . سوف تعود إليه ابنة شقيقته سالمة . سوف تعتذر له ، سوف تعبر عن ندمها ، وتطلب منه العفو . ظهرت الابتسامة لأول مرة على شفتى كريون ، لكنها سرعان ما اختفت فجأة عندما دخل واحد من رجاله .

لاحظ كريون أن الرجل عابس ، مقطب الجبين ، سأله عن هايمون . سأله عن أنتيجونى ، روى له الرجل القصة باختصار شديد . ترك هايمون والده يائساً . أسرع نحو المكان الذى سجنت فيه خطيبته أنتيجونى . أحدث فجوة ضيقة فى الجدار ، قفز من الفجوة . لم يستطع أحد أن يمنعه . كان غاضباً ثائراً . كانت أنتيجونى راقدة على الأرض فى إعياء شديد ، عانقها هايمون ، أحاط عنقها بذراعيه ، ضغط على عنقها بشدة . ظل يناديها . ظل يردد عبارات الندم واليأس . ثم ، أبعد ذراعيه عن عنقها . تحدث إليها ، لم تجبه . ظن أنها فى غيبوبة . حاول أن يعيدها إلى وعيها . إكتشف إنها قد فارقت الحياة . بكى بكاءاً مراً . أخرج خنجره من غمده ، رشق الخنجر فى صدره . انبثقت الدماء من صدره ، هوى بجوار خطيبته جثة هامدة . وصلت أنباء موته إلى والدته ، زوجة الملك كريون . انتحرت .

لم ينطق كريون بكلمة واحدة . لقد تراجع فى قراره . لكن الآلهة لاتتراجع أبداً. لقد عفا عن المذنب ، لكن الآلهة لاتعفو ، لقد أرادت الآلهة أن يعيش كريون . وعاش كريون ملكاً ، مهاباً ، مرهوب الجانب . لكنه عاش فى نفس الوقت كسير القلب، حزين الفؤاد .

تلك هى قصة أنتيجونى ، شهيدة الواجب والإخلاص . ذاعت شهرة أنتيجونى على مدى الأجيال . وردت القصة عند أغلب كتاب الإغريق والرومان ، تناولها

http://www.al-maktabeh.com

شعراء التراچيديا الإغريقية الثلاثة : أيسخولوس ، سوفوكليس ، يوريبيديس . تناولها الأدباء المحدثون والمعاصرون (٢٤) .

اتخذها الأدباء والفنانون نمطاً للإنسان الذى يعيش حائراً فى المجتمع المحيط به . إن أنتيجونى تصور الإنسان الحائر بين القانون الإلهى والقانون الوضعى . اختلف بعض الكتاب حول تفاصيل قصة أنتيجونى . لكن عملاق التراچيديا الثالث ، يوريبيديس ، قد ضرب مثلاً صارخاً فى هذا المجال . أحدث يوريبيديس اختلافين هامين . جعل يوكاستى على قيد الحياة أثناء المبارزة التى انتهت بقتل كل من ولديها پولونيكيس وإتيوكليس . جعل هايمون يتزوج من أنتيجونى سراً وينجب منها طفلاً ، ثم يكتشف كريون وجود ذلك الابن أثناء أحد الاحتفالات فيقتله ، ثم يقتل هايمون أنتيجونى وينتحر بجوارها . لكن اختلاف التفاصيل لايقلل من روعة الأسطورة ، ولايضعف من جلال الموقف الإنساني – موقف الإنسان الذى يجد نفسه حائراً بين تنفيذ قانون وضعى أو معارضة قانون إلهى .

* * * * * *

(٢٤) أول تراچيديا إنجليزية عرضت في عام ١٥٦٢ في المعبد كتبها ساكفيل Sackvill ونورتون Norton بعنوان Gorboduc (أو Ferrex and Porrex) كان موضوعها الصراع بين ولدي أوديب پولونيكيس وإتيوكليس . هناك أيضاً – علي سبيل المثال – تراچيديا أنتيجوني Antigone للكاتب الفرنسي چان أنوي Jean Annouilh التي عرضت عام ١٩٤١ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

هِيراكْليس

أخذت الربتان تتجولان في الحقول المجاورة لأسوار مدينة طيبة . توقفت الربة أثينة فجأة حيث يوجد الطفل ألْكيديس . تظاهرت بالدهشة وهي تشير إليه . عبّرت عن سخطها على والدة الطفل التي تركته في العراء . أثارت الربة أثينة بكلماتها ... الربة هيرا . كشفت هيرا على الفور عن صدرها الناصع . أخرجت من بين طيات ثيابها ثديها اللدّن . حملت بين يديها الطفل الرضيع . على الفور ، التقط الطفل بفمه حلمة الثدى . امتص في شراهة وعنف اللبن من ثديها . شعرت هيرا بألم شديد لم تشعر بمثله قط عندما كانت ترضع أطفالها . ألقت بالطفل بعيداً . أدركت على الفور الحيلة التي دبرها زيوس . لكنها قد منحته الخلود . لم يعد الطفل ألكيديس بشراً بعد . أصبح خالداً . أنجبه زيوس كبير الآلهة . أرضعته هيرا زوجة كبير الآلهة . منذ ذلك الحين ، عرف الطفل باسم هيراكليس أى «مجد هيرا» .

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

هِـيراكْلـيس

(١) مولده وشبابه

نشأ خلاف بين الكْتـريون ملك موكِيناى وبتْـريلاؤس ملك التليبويِّين . اشتد الخلاف بينهما ، تحول إلى قتال عنيف . قتل أثناء القتال جميع أبناء الكتريون ماعدا ليكومْنيوس . قتل أيضاً جميع أبناء بتريلاؤس ، ماعدا يوآريس . لم يكن ليكومْنيوس قد جاوز سن الطفولة بعد . لذا سلم الكتـريون أمور الحكم إلى أمـفتـريون زوج ابنتـه ألكمينى. بعد ذلك لقى الكتريون مصرعه على يد أمفتريون (١) . هكذا شاءت الأقدار . وهكذا كان على أمفتريون أن يلقى جزاءه ، خشى أمفتريون عاقبة جرمه . هرب إلى طيبة ، إصطحب زوجته ألكمينى (٢) .

(١) Apollodorus, II, 4, 5-6; Hesiod, Shield of Heracles, 11 sqq.

(٢) روي أسطورة هيراكليس مصادر إغريقية ورومانية متعددة . رواها أوفيديوس ، لكنه – علي غير عادته – لم يتناولها بالتفصيل إذا ماقورن عند تناوله للأساطير الأخري الإغريقية . لم يكن يهتم أوفيديوس بالأعمال البطولية بقدر اهتمامه بالأحداث المثيرة للشفقة . ومما يلفت النظر أن أوفيديوس قد مر مرور الكرام علي حادثة قتل هيراكليس لأطفاله (ص٤٠٣ أدناه) وحادثة إنقاذ ألكستيس من براثن الموت (ص ٤١٦ أدناه) . ولعلنا نجد سبباً لذلك ، وهو أن أوفيديوس لم يكن يروي بإسهاب ماسبق أن رواه كتاب التراجيديا الإغريق . فلقد تناول الحادثين الشاعر التراجيدي يوريبيديس ، الأولي (قتل الأطفال) في تراجيديا جنون هيراكليس والثانية (إنقاذ ألكستيس) في تراجيديا ألكستيس . كما تناول سوفوكليس أيضاً قصة موت هيراكليس في تراجيديا نساء تراخيس . أما قصة الحيتين اللتين قتلهما هيراكليس في مهده (ص ٣٩٦ أدناه) فقد رواها بالتفصيل كل من پنداروس وثيوكريتوس ، أما أپولودوروس فقد تناول أسطورة هيراكليس كاملة وبالتفصيل . ولعلنا نشير أيضاً إلي التراجيديتين اللتين نظمهما الفيلسوف والكاتب التراجيدي الروماني سينيكا بعنوان هيراكليس المجنون وهيراكليس فوق أويتا ، وإن كانتا لاتقدمان مادة أسطورية يمكن الاعتماد عليها . بالإضافة إلي كل تلك المصادر ، فقد تناول الأسطورة عدد لاحصر له من المصادر الأخري كما يظهر بوضوح في الحواشي التالية . راجع أيضاً: Hamilton, Mythology, p. 159.

http://www.al-maktabeh.com

كانت ألكمينى تحب أمفتريون (٣) . كانت تعشقه . لم تكن تطيق البعد عنه . لم تقو على خصام زوجها بسبب قتله لوالدها . لكنها طلبت منه أن يكفر عن جريمته بطريقة غير مباشرة . طلبت منه أن ينتقم لأشقائها الثمانية الذين قتلوا أثناء الحرب بين والدها والملك بتريلاوس . هددته . لن تعاشره إلا إذا نفذ مطلبها . وعدها أمفتريون بتلبية مطلبها . طلب من كريون ملك طيبة أن يجهز له جيشاً لمهاجمة التليبويين . وافق كريون . كان له شرط واحد . على أمفتريون أن يقوم أولاً بعمل من أجل مدينة طيبة . كان هناك ثعلب برى متوحش يثير الرعب والفزع بين أهل طيبة . بذل الجميع محاولات شاقة من أجل القضاء على ذلك الثعلب المروع . إجتمع الصيادون من كل صوب . فشلوا فى اصطياده . طلب كريون من أمفتريون أن يخلص البلاد من خطر ذلك الثعلب . إن نجح أمفتريون فى ذلك جهز له كريون جيشاً لمهاجمة التليبويين .

طفق أمفتريون على الفور يعدو هنا وهناك . جمع متطوعين من كل مكان . إختار أمهر الصيادين . إستخدم أبرع كلاب الصيد . وعدهم جميعاً بنصيب من الأسلاب والغنائم التى سوف يستولى عليها بعد أن يهزم التليبويين . كان من بين هؤلاء الصيادين شاب يدعى كفالوس . جاء من أثينا . كان يمتلك كلباً من كلاب الصيد يدعى لايْلابس . كان لايلابس فريداً في نوعه . منحه الملك مينوس لزوجة كفالوس . كان قادراً على اللحاق بأى حيوان يطلب منه أن يلاحقه . بدأ أمفتريون ورفاقه رحلة الصيد . أطلق كفالوس الكلب لايلابس خلف الثعلب المروع . لاحق الكلب الثعلب .. راوغ الثعلب الكلب . لحق الكلب بالثعلب . تدخل كبير الآلهة زيوس . حوَّل كلاً من الثعلب والكلب إلى صنم من الحجر . فقد كفالوس كلبه الفريد . لكن طيبة تخلصت من شرور الثعلب الشرير . هلل أهل طيبة . أوفى كريون بوعده . جهز لأمفتريون جيشاً ضخماً . خرج أمفتريون على رأس ذلك الجيش لمحاربة التليبويين والانتقام لأشقاء زوجته الحبيبة ألكمينى . إنتهى أمفتريون من مهمته . هزم التليبويين وحلفاءهم التافاييين . وزع أراضيهم على أصدقائه وحلفائه . ثم بدأ رحلة العودة إلى طيبة وملاقاة زوجته الحبيبة .

كان كبير الآلهة زيوس معجباً بزوجة أمفتريون ألكمينى ، كان يهيم بها عشقاً .

(٣) Rose, Greek Mythology, pp. 205-6.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لكنه كان يكنّ لها كل تقدير واحترام . لم يكن ينظر إليها نظرته إلى بقية نساء البشر اللاتى عشقهن وضاجعهن سراً دون علم زوجته الشرعية هيرا . كان دائم التودد إليها. كانت دائماً تصده فى عفة وكبرياء . كان راغباً فيها ، كانت راغبة عنه . فكر فى اغتصابها ، لم يجد القدرة على ذلك . لم يكن اليأس بقادر على التسرب إلى نفس كبير الآلهة . لم يكن الأمل بقادر على أن يغيب عنه . لم تكن الحيلة تنقصه . كان يراقب حركاتها وسكناتها . كان يتتبع زوجها فى غدواته وروحاته . رآه يستعد للعودة إلى زوجته ظافراً . قرر أن يسبقه إلى هناك . صمم أن ينتهز الفرصة وأن يفوز بمعشوقته ألكمينى .

زيوس كبير الآلهة . قادر على كل شيء . يستطيع أن يفعل مايشاء . تقمص شخصية أمفتريون [٤] . إتخذ هيئته . لبس ملابس تشبه ملابسه تماماً . سلك سلوكه. تحدث فى نبراته . طرق باب ألكمينى . دخل عليها مرفوع الرأس . مكللاً بأكاليل النصر . لم تستطع ألكمينى أن تكتشف حيلته . حسبته زوجها أمفتريون . رحبت به . فردت له ذراعيها . احتضنته فى شوق وهيام . طفق يقص عليها روايات تفوق الخيال . شرح لها كيف انتقم لأشقائها الثمانية . ثمانية أشقاء فقدتهم ألكمينى . إنتقم أمفتريون لهم جميعاً . كبّد العدو خسائر جسيمة . استولى على أراضيهم . حطم كمائنهم . دمر قلاعهم . سبا نساءهم . يتّم أطفالهم . ذبح رجالهم . وزع الأسلاب والغنائم على حلفائه ورفاقه . جاء إليها لاهثاً ، يطلب منها الرضا والحب . ليس له مطلب فى الدنيا سوى رضاها . ليس له رغبة فى شيء سوى وفائها وإخلاصها . يكفيه أن يقضى الليل بين أحضانها . لم يكذب كبير الآلهة زيوس . روى كل الصدق. روى كل ماقام به أمفتريون . فلقد كان يراقبه ويلاحظ حركاته وسكناته . كذبة واحدة كذبها زيوس . نسب كل شيء قام به أمفتريون إلى نفسه .

أتقن زيوس دوره تماماً . لم تستطع ألكمينى أن تكشف حيلته . قضت تلك الليلة فى أحضانه . استمتعت بأحضانه الدافئة . منحته الحب واللذة . أطفأت ظمأه . قضت بين أحضانه ليلة طويلة ، نعم . كانت ليلة طويلة . لم تكن ليلة عادية مثل كل الليالى .. زيوس هو الذى جعلها ليلة طويلة . ولم لا ! ! أليس زيوس قادراً على كل شيء ! ألا يستطيع أن يطيل الليل ويؤجل طلوع الفجر ! لقد فعل ذلك حقاً . إن الليلة

(٤) Hamilton, Op. Cit., p. 161.

http://www.al-maktabeh.com

العادية طولها اثنتا عشرة ساعة . أما تلك الليلة فقد جعل زيوس طولها ستا وثلاثين ساعة . جعلها ثلاث ليال متصلة (٥) . فعل ذلك كى يستمتع بمعشوقته لأطول فترة ممكنة . لم تشعر ألكمينى بالملل . استمتعت هى الأخرى بكل لحظة من لحظات تلك الليلة . إنقضت الليلة الطويلة وكأنها ساعة واحدة (٦) .

كيف استطاع زيوس أن يطيل تلك الليلة ! أصدر كبير الآلهة أوامره إلى رسول الآلهة هرميس . ذهب هرميس إلى مقر إله الشمس هيليوس . أمره – باسم زيوس – أن يخمد ألسنة اللهب الشمسى . أصدر إله الشمس هيليوس بدوره أوامره إلى ربات الساعات – هوراى – أن ترفع النير عن أعناق الخيول التى تجر عربة هيليوس الذهبية . سحبت ربات الساعات الخيول إلى حظائرها . تركتها تقضى اليوم التالى داخل الحظيرة . أمر هرميس – باسم زيوس – ربة القمر أن تسير ببطء شديد فى الأفق . أمر أيضاً إله النوم أن يسيطر على جميع أفراد البشر حتى لايلاحظ أحد بطء القمر أو تأخر طلوع الشمس . سخر هرميس – باسم زيوس – كل الظواهر الطبيعية كى يؤجل انتهاء الليل وحلول الفجر (٧) . حدث كل ذلك دون أن تدرى ألكمينى . كانت غارقة فى أحضان زوجها العائد . لم يكن يخطر ببالها قط أنها تضاجع كبير الآلهة زيوس . لم يكن يخطر ببالها قط أن زوجها الحبيب أمفتريون يقضى تلك الليلة الطويلة فى العراء فى طريق العودة إليها .

إ[illegible] الليلة الطويلة . إختفى القمر بعد أن قطع الأفق فى بطء شديد . طلعت الشمس بعد طول غياب . غادر زيوس ألكمينى وهو يضحك من الأعماق . استأذنها فى مغادرة القصر ليباشر أمور حياته . إنفردت ألكمينى بنفسها تجتر ذكريات الليلة الماضية . تاهت فى غياهب الخيال . فجأة ، عادت إلى الحقيقة المؤلمة . عاد إليها أمفتريون . إرتمى فى أحضانها . طفق يشرح لها كيف انتقم لأشقائها الثمانية . فجأة توقف عن الحديث . طفق يحملق فى وجه ألكمينى . لاحظ أنها لاترحب به الترحيب اللائق . لاتحس نحوه بالشوق الذى تحسه زوجة مخلصة نحو زوجها العائد من ميدان القتال . ليست متلهفة لمعرفة كيف انتقم زوجها لأشقائها الثمانية . أراد أن يناقشها فى

(٥) Hesiod, Shield of Heracles, 1-56; Apollodorus, II, 4, 7-8; Hyginus, fabula 28; Pindar, Isthmian Odes, VII, 5.

(٦) Graves, Greek Myths, Vol. II. p. 85 sqq.

(٧) Lucian, Dialogues of the Gods, X.

مكتبة المهتدين الإسلامية

كل ذلك . تردد . لم يعرف كيف يبدأ . أراحته من التفكير . قطعت عليه تردده . بادرته . أخبرته أنها قد استقبلته بالأمس الاستقبال اللائق . قضت في أحضانه ليلة كاملة . علمت منه كيف انتقم لأشقائها الثمانية . إنه اليوم يكرر مافعله بالأمس . إنها تنتظر منه ألايكرر نفسه اليوم .

لم يفهم أمفتريون كلمات ألكمينى . بالطبع ، لم يكن من المتوقع أن يفهمها ، لم يكن يخطر بباله قط أن شيئاً من ذلك قد يحدث . خرج أمفتريون لايلوى على شيء . إتجه مباشرة إلى المعبد . قصد العراف الضرير تيريسياس . سأله تفسيراً لما سمعه من كلمات زوجته . أخبره العراف الضرير بالحقيقة المروعة . لم يكن أمام أمفتريون سوى أن يقبل الأمر الواقع . لم يكن في مقدوره أن يتحدى كبير الآلهة زيوس . لم يكن أمام ألكمينى سوى أن تقبل الأمر الواقع . لم يكن في مقدورها أن تتحدى كبير الآلهة زيوس . لم يكن أمام كليهما سوى أن يقبلا الأمر الواقع . لم يرتكب أحد منهما خطيئة يعاقب عليها . لم يكن أمامهما سوى أن يتناسيا ماحدث [٨] .

مرت الليالى . توالت الشهور . مازال زيوس يعيش فى ذكرى تلك الليلة الطويلة . ظل يعدّ الليالى ليلة بعد ليلة . ظل يحسب الشهور شهراً بعد شهر . لم يبق سوى ليلة واحدة ثم يكتمل الشهر التاسع . فى تلك الليلة وقف زيوس فوق جبل الأولومبوس . قهقه فى كبرياء وخيلاء . أعلن نبأ هاماً اهتزت له أركان مملكة الأولومبوس . فى تلك الليلة سوف يولد طفل من أسرة پِرْسيوس . سوف يسود كل الشعوب . سوف يصبح العاهل الأكبر لسلالة پرسيوس . لم يكن يخفى شيء على هيرا . فلقد كانت زوجة زيوس الشرعية . ورفيقة حياته . كانت تعرف كل شيء عن سلوك زوجها . كانت تراقبه بوسائلها الخاصة . لكنها كانت تلوذ دائماً بالصمت . كانت تعرف كل شيء عن تلك الليلة الطويلة . كانت تعرف أن ألكمينى هى ابنة الكتريون . وأن الكتريون هو ابن پرسيوس . كانت تعلم أن زوجها زيوس ينتظر فى هذه الليلة مولوداً غير شرعى . لكنها لم تكن تتوقع أنه سوف يجعله العاهل الأكبر لأسرة پرسيوس . أعلن زيوس النبأ الهام . اكتمل حقد هيرا وغضبها . لكنها كانت

(٨) Hesiod, Loc. Cit.; Tzetzes, Lycophron, 33 and 932; Hyginus, fabula 29; Pindar, Loc., Cit.

http://www.al-maktabeh.com

معروفة بهدوئها ورزانتها . كانت تعالج الأمور في هدوء واتزان . تقدمت إلى زيوس في هدوء ، طلبت منه أن يؤكد النبأ الهام . سألته أن يأخذ على نفسه عهداً بما يقول . سوف يولد في هذه الليلة طفل من أسرة پرسيوس . سوف يصبح هذا الطفل العاهل الأكبر لسلالة پرسيوس . هكذا تحدث زيوس . ثم أخذ على نفسه عهداً بتنفيذ ماقال .

انطلقت هيرا مسرعة نحو عالم البشر . ظلت تحلق هنا وهناك . ظلت تتجول فوق ديار أسرة پرسيوس ، اكتشفت أن امرأة تدعى مينيبي تحمل بين أحشائها جنيناً منذ سبعة أشهر . مينيبي هي زوجة سثنلوس . وسثنلوس هو ابن پرسيوس . لو أنجبت مينيبي في هذه الليلة لأصبح ولدها العاهل الأكبر لأسرة پرسيوس . ذلك هو الافتراض الذى افترضته هيرا . والآلهة قادرة دائماً على تحويل الفرض إلى واقع . أسرعت هيرا نحو قصر سثنلوس . مارست مهام وظيفتها التي كانت تتقنها جيداً . فلقد كانت هيرا ربة الزواج والإنجاب . ساعدت مينيبي زوجة سثنلوس على أن تضع مولودها في تلك الليلة . أنجبت مينيبي مولوداً ذكراً أسمته يوروسثيوس . تأكدت هيرا أن يوروسثيوس سوف يصبح العاهل الأكبر لأسرة پرسيوس (٩) .

لم ينتــه الأمـر عند هذا الحـد . قـررت هيـرا أن تؤجل وضع ألكمـيني ابنة الكتـريون(١٠) . أرسلت جنّية من جنياتها – تدعى إيليثيا – إلى قصر أمفتريون . جلست الجنية إيليثيا على عتبة القصر في وضعٍ غير عادى . يداها متشابكتان ! ! ساقاها متقاطعتان، ثيابها مربوطة على شكل عقد متفرقة حول جسدها . جلست في ذلك الوضع سبع ليال وسبعة أيام . كانت هذه هي الطريقة التي يتبعها السحرة لمنع وقوع أي حدث . ظلت ألكميني تعاني آلام الوضع سبع ليال وسبعة أيام . كانت تقوم بخدمتها مربية ذكية تدعى جالانتيس. لاحظت جالانتيس أن سيدتها ألكميني واقعة تحت تأثير السحر . حاولت أن تصل إلى مصدر السحر . خرجت تتجول في ساحات القصر ، في أبهائه ، في حجراته ، فوق السطح . لمحت الجنية إيليثيا في وضعها

(٩) Homer, Iliad, XIX, 95 sqq.

(١٠) Pausanias, IX. 11, 1-2; Ovid Metamorphoses, IX, 285 sqq.; Aelian, De Natura Animalium XII, 5; Antoninus Liberalis, Metamorphoses, 29.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الغريب . اكتشفت المربية حقيقة الأمر . لم تكن تستطيع المربية جالانتيس أن تعترض طريق الجنية إيليثيا . لم تكن تستطيع أن تفشى السر الخطير إلى أهل المنزل . لم تحتمل أن تترك سيدتها تعانى آلام الوضع إلى مالا نهاية . فجأة طرأت فى ذهنها فكرة رائعة . تجاهلت المربية جالانتيس وجود الجنية إيليثيا . دخلت جالانتيس إلى القصر . ثم خرجت فجأة وهى تصيح فى صوت عال . خرجت تعلن – كذباً – أن سيدتها ألكمينى قد انتهت من آلام الوضع . خرجت تطلب من أهل المدينة أن يقدموا التهانى إلى سيدتها ألكمينى . لقد وضعت طفلها . أذهل النبأ الجنية إيليثيا . نهضت واقفة . رفعت يديها من فرط الدهشة . فى تلك اللحظة ذهب تأثير السحر . فى تلك اللحظة وضعت ألكمينى . اكتشفت الجنية إيليثيا حيلة المربية جالانتيس الذكية – لكن بعد فوات الأوان .

وصلت الأنباء إلى الربة هيرا . لقد وضعت ألكمينى مولوداً ذكراً . ثم وضعت مولوداً آخر بعد ساعة من الزمن . المولود الأول سمى ألكيديس – نسبة إلى جده لوالده ألكايوس [١١] . الطفل الثانى سمى إفيكْليس . قيل إن الطفل الأول هو ابن كبير الآلهة زيوس . أما الطفل الثانى فهو ابن القائد أمفتريون . إذ أن زيوس قد ضاجع ألكمينى فى تلك الليلة الطويلة بينما ضاجعها أمفتريون فى الليلة التالية – هكذا وُلد ألكيدس بعد فوات الأوان . ولد بعد مولد يوروسثيوس . فشل كبير الآلهة زيوس فى أن يجعل ألكيديس العاهل الأكبر لسلالة پرسيوس . تغلبت مشيئة هيرا على مشيئة زوجها زيوس. استطاعت المرأة برقتها وهدوئها أن تقهر الرجل بجبروته وسلطانه .

لم تشعر هيرا أن غليلها قد شفى بعد . كانت تعلم أن زيوس يكن لألكيديس حباً يفوق حبه لباقى أبنائه . كانت تخشى أن يصبح ألكيديس خطراً عظيماً يهدد ذرية هيرا . بدأت تدبر المكائد للقضاء على الطفل الرضيع ألكيديس . ذات ليلة جلست ألكمينى تغسل جسدى الطفلين الرضيعين التوأم ألكيديس وإيفيكليس . نظفتّهما جيداً . ألبستهما ملابس نظيفة . أرضعتهما حتى شبعا . وضعتهما فى مهديهما المتجاورين . أطفأت نور الحجرة . ثم ذهبت إلى مخدعها لتنام كعادتها . فى تلك الليلة أرسلت هيرا

(١١) يشير هيرودوتوس (Herodotus, II, 43) إلي هيراكليس بعبارة ابن أمفتريون ويلقب ألكيدس نسبة إلي جده ألكايوس .

http://www.al-maktabeh.com

حيتين ضخمتين إلى حجرة ألكيديس وشقيقه إيفيكليس [١٢] . زحفت الحيتان فى هدوء نحو مهديهما . أحس الطفلان بحركة بطيئة بالقرب منهما .

سمعا فحيح الحيتين . هب إيفيكليس من نومه مذعوراً . صرخ صراخاً عالياً. شاهد الحيتين تتجهان نحو مهد شقيقه ألكيديس . اشتد ذعر إيفيكليس . علا صراخه . لكن الرضيع ألكيديس احتفظ بهدوئه وثباته [١٣] . مد يديه نحو الحيتين. قبض بكل من يديه على حية من الحيتين . اشتدت قبضته. حاولت الحيتان أن تلتفا حول جسده الضئيل . ضرب الطفل الرضيع الأرض بالحيتين . ظل يقبض عليهما بالقرب من رأسيهما . كتم أنفاسهما . ظل إيفيكليس يصرخ مذعوراً وهو يشاهد ذلك المشهد المروع. صحت ألكمينى من نومها مذعورة . صحا أمفتريون من نومه مذعوراً . خف الجميع نحو الطفل إيفيكليس . رأى الجميع مشهداً مذهلاً. رأوا الطفل الرضيع ألكيديس يجلس فى مهده وهو يقبض على حيتين ضخمتين[١٤] . رأوه هادئاً قرير العين يضحك من أعماقه وهو يمسك بالحيتين وقد أصبحتا جثتين هامدتين . تفككت أوصال الجميع . أصبحوا غير قادرين على الحركة . مدّ الطفل الرضيع يديه نحو والده أمفتريون . ناوله الحيتين الميتتين فى هدوء شديد [١٥] .

فى تلك الليلة ، لم ينم أهل المنزل . ظل الجميع يفكرون فيما فعله الطفل الرضيع ألكيديس . حاولوا أن يجدوا تفسيراً لذلك . فى الصباح ذهبت ألكمينى إلى العراف الضرير تيريسياس . سألته الرأى والمشورة . أبدى تيريسياس إعجابه الشديد بالطفل الرضيع . سوف يكون مجيداً فى حياته المستقبلة . سوف تنتشر شهرته فى كل بقاع العالم . سوف يأتى من الأعمال مالا يستطيع أحد غيره أن يأتيه . سوف يحتل

(١٢) Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 188.

(١٣) Hamilton, Op. Cit., pp. 161-2.

(١٤) اختلفت المصادر الإغريقية حول عمر هيراكليس في ذلك الوقت : تروي بعض المصادر – مثل أبولودوروس – أنه كان قد بلغ الشهر الثامن ، بينما تروي مصادر أخري – مثل بلاوتوس في كوميديا أمفتريون – أن ذلك قد حدث فور ولادته .

(١٥) Apollodorus, II, 4,8; Theocritus, Idylls, XXIV; scholiast on Pindar's Nemean Odes, I, 43.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مركزاً ممتازاً بين الآلهة والبشر . سوف يتحدث العالم بأسره عنه وعن المرأة العظيمة التي أنجبته (١٦) .

أحست ألكمينى بقلق شديد من أجل رضيعها . خشيت عليه من مكائد هيرا . تركته خارج أسوار طيبة فى حقل من الحقول . تركته لوالده كبير الآلهة زيوس ليرعاه بقدرته وسلطانه . عندئذ أسرعت الربة أثينة إلى هيرا زوجة كبير الآلهة زيوس. طلبت منها – بتحريض من زيوس – أن ترافقها فى جولة بين المزارع . وافقت هيرا على الفور . لم تكن هيرا تعرف حقيقة مقصد الربة أثينة . أخذت الربتان تتجولان فى الحقول المجاورة لأسوار مدينة طيبة . توقفت الربة أثينة فجأة حيث يوجد الطفل ألكيديس . تظاهرت بالدهشة وهى تشير إليه . أبدت الشفقة نحوه . أخذت تفحص الطفل البائس المنبوذ . أعربت عن إعجابها بصحة الطفل وجماله . عبرت عن سخطها على والدة الطفل التى تركته فى العراء دون رعاية أو عناية . طلبت من هيرا أن تصنع معروفاً فى ذلك الطفل البرىء . أن ترضعه ، أثارت الربة أثينة بكلماتها شفقة الربة هيرا . كشفت على الفور عن صدرها الناصع . أخرجت من بين طيات ثوبها ثديها اللدن الطرى . حملت بين يديها الطفل الرضيع . على الفور التقط الطفل بفمه حلمة الثدى . إمتص فى شراهة وعنف اللبن من ثديها . شعرت هيرا بألم شديد لم تشعر بمثله قط عندما كانت ترضع أطفالها . إرتفع عامود من اللبن حتى وصل إلى عنان السماء . قيل إن ذلك العامود مازال حتى الآن يظهر فى السماء ، وهو مايعرف فى علم الفلك الآن باسم الطريق اللبنية أو درب اللبانة (١٧) .

---

(١٦) Servius on Vergil's Aeneid, VIII, 288; Theocritus, Loc. Cit.; Pindar, Op. Cit., 35 sqq.; Apollodorus, II, 4. 8 . بالإضافة إلي هذه الرواية ، هناك رواية أخري (Apollodorus, II, 62; scholiast on Pindar's Nemean Odes, I, 65) تقول إن أمفتريون هو الذي وضع الحيتين في حجرة هيراكليس وشقيقه إيفيكليس لكي يعرف من هو ابنه ومن هو ابن زيوس .

(١٧) هناك رواية أخري تروي أن هرميس هو الذي حمل الطفل إلي أولومپوس ، وأن زيوس وضع الطفل علي صدر هيرا أثناء نومها ، وأنها صحت من نومها مذعورة بعد أن امتلأ فم الرضيع هيراكيس باللبن . راجع علي سبيل المثال :

Eratosthenes, Catasterismoi, 44; Hyginus, Poetica Astronomica, II. 43; Photius, 477; Diodorus Siculus, IV, 10.

http://www.al-maktabeh.com

ألقت هيرا بالطفل بعيداً عنها . أدركت على الفور الحيلة التى دبرها زيوس . لكنها كانت قد منحت الطفل الخلود . لم يعد الطفل ألكيديس بشراً بعد . أصبح خالداً . أنجبه زيوس كبير الآلهة . أرضعته هيرا زوجة كبير الآلهة . حملت الربة أثينة الطفل إلى والدته ألكمينى . طلبت منها أن تسهر عليه وأن تهتم بتربيته ورعايته . منذ ذلك الحين عرف الطفل باسم هيراكليس[١٨] ، أى مجد هيرا . منذ ذلك الحين . عرف المكان الذى وجد فيه الطفل باسم سهل هيراكليس [١٩] .

تلقى هيراكليس منذ نعومة أظفاره جميع أنواع الفنون . علمه والده أمفتريون كيف يقود عجلة السباق . وكيف يسير فى المنحنيات دون أن يبطىء من سرعته . دربه كاستور على المبارزة . علمه استخدام جميع أنواع الأسلحة . دربه على ركوب الخيل والقيام بالمناورات وعمليات الكر والفر . لقنه أوتولوكوس ابن رسول الآلهة هرميس دروساً فى الملاكمة والمصارعة . علمه يوروتوس الرماية – إن لم يكن الإله أبولون نفسه هو الذى علمه ذلك [٢٠] . لكن هيراكليس فاق معلميه جميعاً فى كل تلك الفنون . قيل إن شخصاً يدعى ألكون هاجمته حية رقطاء . إلتفت الحية حول جسده فى لفات متشابكة . لم يستطع أحد الاقتراب منه أو إنقاذه . أدركه هيراكليس فى اللحظات الأخيرة . أطلق سهامه السامة نحوه . أصابت سهامه جسد الحية . لم يلمس سهم واحد جسد ألكون [٢١] . أما الموسيقى والغناء فقد تعلمهما هيراكليس على يد

(١٨) يذكر ديودوروس الصقلي (Diodorus Siculus, III, 73) ثلاث شخصيات أسطورية باسم هيراكليس : الأول مصري والثاني كريتي والثالث هو ابن ألكميني . كما يذكر الخطيب والفيلسوف الروماني شيشرون (Cicero, De Natura Deorum, III, 16) ست شخصيات بنفس الاسم . أما فارو (Servius on Vergil's Aeneid, VIII, 564) فيذكر أربعا وأربعين شخصية . ويروي هيرودوتوس (Herodotus. II, 42) أن المصريين قالوا إن موطن هيراكليس الأصلي فينيقيا . أما عن العصر الذي عاش فيه هيراكليس فإن ديودوروس الصقلي (Diodourus Siculus, I, 17 and 24, III, 73) يقول إنه عاش – تحت لقب مختلف – قبل الحرب الطروادية بعشرة آلاف عام ، وإن أعماله ومآثره قد نسبت بعد ذلك إلي البطل هيراكليس الإغريقي .

(١٩) Diodorus Siculus, IV, 9; Tzetzes, Lycophron, 1327; Pausanias, IX, 25, 2.

(٢٠) Theocritus, Idylls XXIV; Apollodorus II, 4, 9; Tzetzes, Lycophron, 56; Diodorus Siculus, IV, 14.

(٢١) Servius on Vergil's Eclogues, V, 11; Valerius Flaccus, I, 399 sqq.; Apollonius Rhodius, I. 97; Hyginus, Fabula 14.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الموسيقى البارع يومولپوس . بينما ساعده الإله لينوس على تذوق الأدب والشعر . قيل إن يومولپوس اعتذر مرة عن عدم الحضور لتدريب هيراكليس على العزف على القيثارة . أناب عنه لينوس . ثار هيراكليس (٢٢) . رفض أن يمسك القيثارة . عندما أصر لينوس على تدريبه ، تناول هيراكليس القيثارة ثم ضرب بها لينوس ضربة واحدة قتلته على الفور (٢٣) . خشى عليه والده أمفتريون من ارتكاب جرائم أخرى . أرسله خارج طيبة (٢٤) حيث قضى وقتاً طويلاً فى مزرعة لتربية المواشى . ظل هناك حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره .

فى الثامنة عشرة من عمره عاد هيراكليس من المزرعة إلى طيبة . عاد لينقذ وطنه من خطر جسيم كان يهدد المواطنين . كان يعيش فوق جبل كيثيرون فى طيبة أسد هصور (٢٥) . اعتاد ذلك الأسد أن يهاجم قطعان الماشية والأغنام . نشر الأسد الذعر والرعب بين رعاة طيبة (٢٦) . كبدهم خسائر فادحة فى الأرواح . كان لذلك الأسد عرين آخر فوق جبل هيليكون حيث تقع عند سفحة مدينة تعرف باسم مدينة ثسبياى – نسبة إلى ملكها ثسبيوس . امتد نشاط ذلك الأسد حتى شمل أيضاً مدينة ثسبياى ، انتشر الفزع والرعب على طول الطريق بين جبل كيثيرون وجبل هيليكون .

استبد اليأس بالرعاة هنا وهناك . خف هيراكليس لنجدتهم . طفق يطارد الأسد على طول الطريق بين جبل هيليكون وكيثيرون . قضى فى مدينة ثسبياى خمسين يوماً وليلة . كان يخرج فى الصباح ليصعد إلى الجبل بحثاً عن الأسد المروع . ثم يعود فى المساء ليقضى الليل فى مدينة ثسبياى .

كان أهل ثسبياى يعبدون إله الحب إروس . كان هناك تمثال للإله عند سفح جبل هيليكون . اعتاد أهل ثسبياى إقامة احتفالات صاخبة ماجنة تكريماً لربات الفنون– الموسيات – فوق قمة جبل هيليكون . اعتادوا أيضاً أن يمارسوا المجون

(٢٢) Hamilton, Op. Cit., p. 162.

(٢٣) Pausanias, IX, 29; Theocritus, Loc. Cit.; Apollodorus, II, 49; Diodorus Siculus, III. 67.

(٢٤) Rose, Op. Cit., p. 207.

(٢٥) Apollodorus, II, 4, 8-9; Pausanias, IX, 26, 4, 27, 1 and 31. 1; scholiast on Theocritus' Idylls, XIII, 6.

(٢٦) Rose, Op. Cit., pp. 207-8.

http://www.al-maktabeh.com

والفسق عند سفح الجبل حول تمثال الإله إروس . كانت تلك الاحتفالات الماجنة الصاخبة احتفالات دينية . كان الملك ثسبيوس أبا لخمسين فتاة (٢٧) ، أنجبتهن له زوجته ميجاميدى إبنة أرنيوس . كانت بناته الخمسون تشاركن فى تلك الاحتفالات الدينية . أعجب الملك ثسبيوس بشجاعة الشاب هيراكليس .. خشى على بناته الخمسين من الفتنة . تمنى أن يكون له حفيد من سلالة هيراكليس . لكل هذه الأسباب، أو لأحدها، قرر أن يقدم بناته بنفسه إلى ذلك الشاب القوى اليافع . رحب الملك ثسبيوس بقدوم هيراكليس إلى المدينة . طلب منه أن يتخلص من الإحساس بالغربة . منحه حق معاشرة بناته . قدم إليه فى الليلة الأولى كبرى تلك الفتيات . قضى هيراكليس الليلة الأولى بين أحضان ابنة الملك الكبرى . ثم كانت تزوره ابنة أخرى فى كل ليلة (٢٨) . قضى هيراكليس خمسين ليلة فى مدينة ثسبياى . كان يصعد فى الصباح إلى قمة جبل هيليكون بحثاً عن الأسد الهصور . ثم يهبط فى المساء إلى سفح الجبل يقضى الليل مع واحدة من بنات الملك ثسبيوس فى المدينة (٢٩) .

قضى هيراكليس خمسين يوماً يطارد الأسد فوق جبل هيليكون . أخيراً ، اكتشف عرينه . لم يكن لدى هيراكليس سلاح أثناء وجوده فوق الجبل . ظهر الأسد أمامه فجأة . كشر الأسد عن أنيابه ، استعد هيراكليس للقائه . بحث عن شيء يضربه به . لم يجد حوله سوى شجرة زيتون باسقة . مد يده نحو ساق الشجرة . انتزعها من جذورها دون جهد أو مشقة . استخدمها كهراوة . تقدم نحو الأسد الهائج . ضربه ضربة واحدة فوق رأسه ، سقط الأسد جثة هامدة . تقدم هيراكليس نحو جثة الأسد . اجتمع الرعاة حول هيراكليس . أمسك هيراكليس بالجثة . سلخها .. [illegible] جلد الأسد . خلع الشاب المغامر قميصه القصير من فوق جسده . وضع جلد الأسد فوق كتفيه .

(٢٧) تذكر بعض المصادر (Hyginus, fabula, 162) أن ثسبيوس كان أباً لاثنتي عشر فتاة فقط .

(٢٨) قيل إن هيراكليس التقي ببنات ثسبيوس الخمسين علي مدي خمسين ليلة ، في كل ليلة واحدة من البنات (Apollodorus, II, 66; Diodorus Siculus, IV, 29, 3 sqq.) . قيل أيضاً إنه التقي بهن جميعاً في سبع ليال متوالية (Athenaeus, XIII, 556 F) ، قيل أيضاً إنه قد التقي بهن جميعاً في ليلة واحدة (Pausanias, IX, 27, 7) .

(٢٩) قيل أيضاً إن هيراكليس أنجب من بنات ثسبيوس واحداً وخمسين ابناً :

Apollodorus, II, 4, 10 and 7, 8; Pausanias, IX, 27, 5, Diodorus Siculus, IV, 29; scholiast on Hesiod's Theogony, 56.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تدلى الجلد حتى غطى أغلب أجزاء جسده . أمسك بفكّى الأسد . وضعها فوق رأسه . أصبح هيراكليس منذ تلك اللحظة لايضع على جسمه إلا جلد أسد ، ولايغطى رأسه إلا بفكى أسد . أصبح ينشر الرعب أينما حل وحيثما سار ، أصبح يزأر فيهتز العالم لزئيره .

عاد هيراكليس من مدينة ثسبياى الواقعة عند سفح جبل هيليكون (٣٠) . عاد إلى وطنه طيبة . هناك قابل مجموعة من الأجانب الأشداء . لاحظ – من أول وهلة– أن هؤلاء الأجانب يتحدثون إلى أهل وطنه فى عنف وشراسة . لاحظ أن كريون يستقبلهم فى ذلة ومسكنة . لم يكن يرضى هيراكليس الهوان لوطنه طيبة . كان غيوراً على كرامة أهل وطنه . سأل هيراكليس عن سبب مجىء هؤلاء الأجانب .

منذ بضع سنوات كان أهل طيبة يحتفون بعيد الإله پوسيدون فى مدينة أونْخيستوس . أثناء الاحتفال قذف بريريس بحجر أصاب كلومنوس إصابة مميتة ، بريريس هو سائق عربة مينويكيوس والد ملك طيبة كريون . كلومنوس هو حاكم مدينة أرْخومينوس . وهو ملك المينيين . نقل الملك كلومنوس إلى أرخومينوس وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . استقبله أكبر أبنائه أرجينوس . أوصاه كلومنوس أن ينتقم له من أهل طيبة (٣١) . ثم فارق الحياة متأثراً بجراحه . على الفور جهز أرجينوس جيشاً ضخماً . غزا مدينة طيبة . هزم جيشها . أخضع أهلها . عرض عليهم شروطه . على أهل طيبة أن لايفكروا فى غزو أرخومينوس . عليهم أن يدفعوا جزية سنوية إلى ملك أرخومينوس لمدة عشرين عاماً . قيمة الجزية السنوية هى مائة رأس من الماشية . قبل أهل طيبة شروط أرجينوس (٣٢) . مازالوا يدفعون الجزية سنوياً . واليوم ، جاء هؤلاء الرسل الأجلاف من قبل الملك أرجينوس . جاءوا يذكّرون كريون ملك طيبة بحلول موعد دفع الجزية . جاءوا يهددون أهل طيبة . إذا لم تدفع الجزية فسوف يقطع الملك أرجينوس آذان وأنوف وأيادى أهل طيبة ، ويحصل عليها بدلاً من الجزية (٣٣) .

(٣٠) Graves, Op. Cit., Vol. II, pp. 97-99.

(٣١) Rose, Op. Cit., p. 208.

(٣٢) Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 101-2.

(٣٣) Apollodorus, II, 4, 11; Pausanias, IX, 37, 1-2; Eustathius on Homer, 1078; scholiast on Apollonius Rhodius. I, 185.

http://www.al-maktabeh.com

توجه هيراكليس إلى رسل الملك أرجينوس . سألهم عما يريدون . أجابوه في صلافة وخشونة . كرروا تهديدات الملك أرجينوس . ثارت ثائرة هيراكليس . غلت الدماء في عروقه . لم يستطع أن يتمالك نفسه من شدة الغضب . قطع آذان الرسل وأنوفهم وأياديهم . ربط الآذان والأنوف والأيادي المقطوعة وعلقها في رقاب الرسل. ثم أعادهم إلى الملك أرجينوس (٣٤) .

عاد الرسل إلى الملك أرجينوس ، أنوفهم وآذانهم وأياديهم معلقة في رقابهم ، وهي تقطر دماً . غضب الملك أرجينوس غضباً شديداً . طلب من الملك كريون أن يسلّمه من قام بذلك العمل المروع . استسلم الملك كريون لأوامر الملك أرجينوس . لم يكن يستطيع الرفض . فلقد قضى ملك المينيين نهائياً على جيش طيبة . ولقد أخل أهل طيبة بواجب الضيافة واعتدوا على الرسل . لم يكن ملك طيبة يأمل في مساعدة أحد من جيرانه . لكن هيراكليس لم يشعر باليأس . لم يفكر في الاستسلام . أثار زملاءه الشبان . حرضهم على التمرد . اقتحم وزملاؤه المعابد . استولوا على مافيها من دروع وخوذات وسيوف وحراب وحلل عسكرية . استولوا على كل الأسلحة التي اعتاد الإغريق أن يودعوها في المعابد . اعتاد الإغريق أن ينذروا الأسلحة التي يسلبونها من العدو للآلهة ، ويحتفظوا بها في المعابد كذكرى لانتصاراتهم . استولى هيراكليس وزملاؤه على تلك الأسلحة . شحذوها . أعدوها للقتال . أعجبت الربة أثينة بجرأة هيراكليس . باركت ثورته المسلحة . وزع هيراكليس الأسلحة على أهل طيبة . دربهم على استخدامها . جمع صفوفهم . كون منهم جيشاً ضخماً . تولى بنفسه قيادة ذلك الجيش الشعبي . وقف أهل طيبة على أهبة الاستعداد (٣٥) .

هاجم جيش المينيين طيبة . أعد لهم هيراكليس الكمائن . حاصرهم في ممر ضيق . فرق صفوفهم . قتل أعداداً كبيرة منهم . صرع ملكهم وقائدهم أرجينوس(٣٦) . صرع أيضاً عدداً كبيراً من قادتهم . واصل هيراكليس انتصاراته . تقدم نحو أرض المينيين . حاصر مدينتهم . دمر قلاعهم . اقتحم بوابات المدينة . استولى على القصر الملكي . واصل غزوه حتى وصل إلى المناطق الجبلية . قضى على فرسان المينيين .

(٣٤) Diodorus Siculus, IV, 10.

(٣٥) Diodorus Siculus, Loc. Cit., Apollodorus Loc. Cit.; Pausanias IX, 17, 1.

(٣٦) تروي بعض المصادر أن أرجينوس ظل حياً ، واشترك في رحلة السفينة أرجو ، Pausanias, IX, 37, 2-3 and 25, 4; Eustathius on Homer 272.

مكتبة المهتدين الإسلامية

دان له شعب أرخومينوس بالولاء . فرض عليهم جزية سنوية . بلغت الجزية ضعف الجزية التى كان يدفعها أهل طيبة إلى الملك أرجينوس (٣٧) .

عاد هيراكليس إلى طيبة مكللاً بأكاليل النصر . فقد والده الذى رباه – أمفتريون – أثناء القتال . كسب رضاء الملك كريون . أصبح ساعده الأيمن . زوجه كريون ابنته الكبرى ميجارا . زوج ابنته الصغرى لشقيقه التوأم إيفيكليس . قيل إن هيراكليس أنجب من ميجارا طفلين . وقيل ثلاثة . وقيل أربعة . قيل أيضاً إنه أنجب منها ثمانية أطفال (٣٨) . كان للملك أرجينوس حليف يدعى الملك بورايخموس . كان يحكم اليوبويين . أراد بورايخموس أن ينتقم لحليفه أرجينوس . جمع جيشاً ضخماً . هاجم مدينة طيبة . تصدى له البطل هيراكليس . هزمه شر هزيمة ، أوقعه فى الأسر. قتله بطريقة وحشية . شق جسده نصفين حياً . ترك جثته فى العراء دون دفن . انتشر الرعب بين ملوك الإغريق . أصبح الجميع يخشون هيراكليس . ذاعت شهرته . توالت انتصاراته (٣٩) .

(٢) أعماله

كانت الربة هيرا تراقب من عليائها مايحرزه هيراكليس من انتصارات . كانت تتابع مايلاقيه من نجاح . غبطت عليه نجاحه وانتصاره . اشتد حقدها عليه . طفقت تدبر المكائد للنيل منه والقضاء عليه . سلطت عليه ربة الجنون (٤٠) . لاحقته بنوبات الهذيان . أعمت بصيرته . أفقدته صوابه (٤١) . جعلته يهاجم فى شراسة الشاب يولايوس ، ابن شقيقه إيفيكليس . جعلته يقتل ستة من أطفاله ويلقى جثثهم فى النيران(٤٢) . لقد هيىء له أنه يقتل أعداءه . لكنه كان فى الواقع يقتل أطفاله . صرع

(٣٧) Euripides, Heracles, 220; Diodorus Siculus, Loc., Cit.; Strabo, IX, 11, 40.

(٣٨) راجع هذه الروايات المختلفة في : Scholiast on Pindar's Isthmian Odes, IV, 114 and 61; Apollodorus II, 4, 11; Hyginus, fabula 31; Tzetzes, Lycophron 38.

(٣٩) Plutarch, Vitae Parallelae, 7.

(٤٠) Euripides, Op. Cit., 462 sqq; Apollodorus, II, 4, 12; Diodorus Siculus, IV, 11.

(٤١) Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 190-191.

(٤٢) تروي بعض الروايات أن هيراكليس قتل زوجته ميجارا أيضاً أثناء جنونه (Rose, Op. Cit., p. 209). كما تروي مصادر أخري أنه قد منحها إلي يولايوس ابن شقيقه إيفيكليس (Graves, Op. Cit., p. 158).

http://www.al-maktabeh.com

اثنين آخرين من أبناء شقيقه إيفيكليس . ثم وقف يتباهى بأنه قتل أعداءه (٤٣) .

عاد هيراكليس إلى صوابه . تنبه إلى مافعله من أعمال جنونية . اكتشف أنه قتل أطفاله وأطفال شقيقه . أحس بالحسرة والكآبة . عض بنان الندم . حبس نفسه فى حجرة مظلمة بضعة أيام . رفض مقابلة أى إنسان . أراد أن يكفر عما ارتكبه من جرائم مروعة . أخيراً حضر إليه الملك تسبيوس . قام ببعض الطقوس الدينية . طهر روحه من الآثام التى ارتكبها . نصحه بالذهاب إلى نبوءة الإله أبوللون . أسرع هيراكليس إلى هناك . قابلته كاهنة المعبد . تقول بعض الروايات إن النبوءة نادته لأول مرة حينئذ باسم هيراكليس . نصحته بأن يلجأ إلى مدينة تيرونس . طلبت منه أن يسلم نفسه إلى الملك يوروسثيوس . سوف يظل فى خدمة يوروسثيوس مدة اثنتى عشر سنة (٤٤) . عليه أن يقوم بالأعمال التى يأمره بالقيام بها الملك يوروسثيوس . لم يكن هيراكليس يملك الرفض . كان عليه أن يطيع أوامر كاهنة ا لإله أبوللون (٤٥) .

وصل هيراكليس إلى ساحة الملك يوروسثيوس . هناك قابلة الملك . وضع هيراكليس نفسه تحت تصرف ذلك الملك العنيد الجبان . لقد نصحته الكاهنة أن يطيع أوامره . أخبرته أنه سوف ينال الخلود إذا استطاع أن ينجز كل مطالب يوروسثيوس . لكن كبير الآلهة زيوس لم ينس ولده هيراكليس . كما أن بقية الآلهة كانت تقف بجانبه . أغدقت الآلهة العطايا على هيراكليس . أمدته بكل أنواع الأسلحة كى يستطيع أن ينفذ مطالب يوروسثيوس . أعطاه هرميس سيفاً حاداً . أعطاه أبوللونَ قوساً ومجموعة من السهام السريعة المزودة برياش الصقور . منحه هيفايستوس إليه الحديد

(٤٣) تستنكر بعض المصادر أن يكون هيراكليس هو الذي قتل كل هؤلاء الضحايا الذين كان يحبهم حباً شديداً ، وتروي هذه المصادر أن من قام بعملية القتل هم ضيوف هيراكليس مثل لوكوس Lycus أو أوجياس Augeias راجع : (Graves, Op. Cit., p. 101) .

(٤٤) تروي بعض المصادر أن هيراكليس أصيب بالجنون بعد أن أنجز الأعمال الخارقة الإثني عشرة، أن هيراكليس كان يحب يوروسثيوس حباً عنيفاً وأنه قام بالأعمال الإثني عشرة من أجل إرضاء محبوبه ، أن هيراكليس قام بالأعمال الاثني عشرة بشرط أن يلغي يوروسثيوس الحكم الذي أصدره ضد أمفتريون والذي كان يقضي بنفيه :

Euripides, Heracles, 15 sqq. and 1000 sqq.; Tzetzes Lycophron 38 and 662-3; Athenaeus XIII, 8.

(٤٥) Diodorus Siculus, IV, 10-11; Apollodorus, II, 4, 12.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والنار درعاً للصدر مصنوعاً من الذهب [٤٦] . وهبته الربة أثينة رداءً فخماً [٤٧] . أعطاه پوسيدون طاقماً من الخيول السريعة القوية . وهبه زيوس درعاً فولاذياً رائعاً متيناً . لكن هيراكليس لم يكن مغرماً باستخدام كل تلك الأسلحة . لم يكن فى حاجة إليها . كانت قوته لاتقهر . شجاعته ليس لها مثيل ، بطشه شديد . ضربته لاتخيب . لم يكن يستخدم فى معظم أعماله الخارقة سوى الهراوة والقوس [٤٨] .

بدأ هيراكليس أعماله الرائعة [٤٩] . بدأ أعماله التى عُرفت فيما بعد باسم الأعمال الخارقة الاثنى عشرة [٥٠] .

أمر الملك يوروسثيوس البطل هيراكليس أن ينجز العمل الخارق الأول [٥١] . أمره أن يقتل أسد نيميا وأن يسلخ جلده . لم يكن ذلك الأسد أسداً عادياً مثل بقية الأسود . كان أسداً ضخماً ، شرساً ، ذا فروة غزيرة ، جلده لايتأثر بالحديد أو الصلب أو الحجر [٥٢] . قيل إن ربة القمر سيلينى قد خلقته من زبد بحرى كان يلتصق بجدار سفينة ضخمة . ثم ربطته ربة الوقيعة إيريس بحزامها ، وحملته إلى الغابات القريبة من مدينة نيميا . قيل إن ذلك تمّ بناء على رغبة الربة هيرا زوجة كبير الآلهة زيوس.

(٤٦) Apollodorus, II, 4, 11; Hesiod, Sheild of Heracles, 122 sqq, 1411 sqq., 161 sqq. and 318-19; Pausanias, V, 8, 1.

(٤٧) تروي بعض المصادر أن الربة أثينة كانت تساعده دائماً أثناء إنجازه لأعماله الخارقة .
Homer, Iliad, VIII, 362; XV, 369.

(٤٨) Euripides, Heracles 159 sqq.; Apollonius Rhodius, I, 1196; Diodorus Siculus, IV, 14; Theocritus, Idylls, XXV.

(٤٩) راجع هذه الأعمال الاثني عشرة موجزة ومبسطة في Warner, Men And Gods, pp. 95-105; Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 102-113.

(٥٠) تقسم بعض المصادر القديمة أعمال هيراكليس إلي ثلاث مجموعات :
(١) الأعمال الخارقة الاثني عشر ἆθλοι .
(٢) الأعمال الرئيسية πράξεις
(٣) الأعمال الثانوية πάρεργα
راجع الفرق بين هذه المجموعات الثلاث في : Rose, Op. Cit., pp. 210-11.

(٥١) Graves, Op. Cit., Vol. II, pp. 103-7; Guerber, Op. Cit., p. 191; Hamilton, Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., pp, 211-12.

(٥٢) Apollodorus, II, 5, 1; Valerius Flaccus, 1, 34, Diodorus Siculus, IV, 11.

http://www.al-maktabeh.com

سكن ذلك الأسد في كهف ذى مدخلين . ظل ذلك الأسد الجبار يفترس رعاة المناطق المجـاورة (٥٣) . بدأ هيراكليس رحلته المميتة . وصل إلى مدينة كليوناى الواقعة بين كورنثا وأرجوس . نزل ضيفاً على مزارع أجير أو راع يدعى مولورخوس . أقام فى منزله المتواضع . كان الأسد قد قتل ابن مضيف هيراكليس . استعد هيراكليس للخروج بحثاً عن الأسد . عندئذ ، همَّ مولورخوس بذبح حمل وتقديمه قرباناً للربة هيرا . استوقفه هيراكليس . طلب منه أن يؤجل تقديم قربانه ثلاثين يوماً . سوف يخرج هيراكليس لملاقاة الأسد . إن عاد هيراكليس سالماً ، فسوف يقدم مولورخوس القربان تقرباً للإله زيوس المنقذ . أذعن مولورخوس لمطلب هيراكليس .

فى الصباح غادر هيراكليس مدينة كليوناى . وصل مدينة نيميا فى الظهيرة . لم يجد فى طريقه شخصاً واحداً يرشده إلى مكان الأسد . كان الأسد قد نشر الذعر فى كل مكان . فهجر السكان جميع المناطق المجاورة . مرَّ هيراكليس بجبل أبيساس . ثم جبل تريتوس . هناك لمح من بعيد الأسد عائداً إلى عرينه . رآه يلعق بلسانه الدماء المتجلطة حول فمه . دماء الضحايا التى افترسها فى ذلك اليوم . صوب هيراكليس سهماً سامأ نحو الأسد . ارتطم سن السهم المدبب بجلده . سقط السهم على الأرض دون أن يترك أثراً . واصل الأسد سيره متثائباً وكأن شيئاً لم يحدث . استل هيراكليس سيفه الفولاذى . تقدم نحو الأسد . دفع السيف بقوة فى جنبه . إنثنى السيف الفولاذى ولم يترك أثراً فى جلده . رفع هيراكليس هراوته الضخمة الثقيلة . هوى بها بقوة بالغة فوق وجه الأسد . ضربه ضربة قوية فوق أنفه وفكيه الناتئين . تحطمت الهراوة الغليظة . انتفض الأسد ، هز رأسه . لم يفعل ذلك من الألم . لكن لأنه كان يتوجه نحو عرينه . دخل الأسد فى هدوء بالغ عرينه ذا المدخلين . اشتد غضب هيراكليس . لم يتطرق اليأس إلى نفسه .

ألقى هيراكليس بأسلحته العديدة . جاء بشبكة متينة سد بها أحد مدخلى الكهف. ثم دخل الكهف عن طريق المدخل الآخر . تقدم هيراكليس نحو الأسد فى

(٥٣) قيل أيضاً إن ذلك الأسد قد أنجبه المسخ توفون Typhon أو المسخ خيمايرا Chimaera من الكلب أورثروس Orthrus . أنظر :

Hesiod, Theogony, 320 sqq.; Aelian, De Natura Animalium, XII, 7; Plutarch, De facie in orbe lunae, 24; Hyginus, fabula 30; Theocritus, Idylls, XXV; Pausanias, II, 15, 2-3.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثبات وشجاعة . إعتمد على قوته الجثمانية اعتماداً كلياً . كان أعزل لايحمل سلاحاً . هجم على الأسد المفترس ، صارعه ، أخذ كل منهما يلف حول غريمه . حاول كل منهما أن يمسك بالآخر . أنشب الأسد أنيابه فى يد هيراكليس . عض أصبعه . لم يتألم هيراكليس ، لم يتراجع . إنقض على الأسد . أخذ رأسه بين ذراعيه . أحتضنه من الخلف . ظل يضغط على رقبة الأسد بذراعيه القويتين . إرتجت أركان الكهف من صدى زئيره ، ضرب الأرض بأرجله . هبت سحب داكنة من الرمال داخل الكهف . لم يترك هيراكليس الأسد إلا بعد أن أصبح جثة هامدة (٥٤) .

حمل هيراكليس جثة الأسد فوق كتفيه . بدأ طريق العودة . عاد إلى مدينة كليوناى بعد أن غاب عنها ثلاثين يوماً . وجد مولورخوس على وشك أن يقدم القربان تكريماً لروح هيراكليس البطل . إشترك الاثنان فى تقديم القربان تكريماً لزيوس المنقذ. حمل هيراكليس جثة الأسد فوق كتفيه مرة أخرى . وصل إلى موكيناى حيث يقيم الملك يوروستيوس . نشر هيراكليس الرعب والفزع بين أهل موكيناى . أصيب يوروستيوس بذعر شديد . زجر هيراكليس ، نهره بشدة . أمره أن لايدخل المدينة مرة أخرى عند عودته من أعماله التالية (٥٥) . أذعن هيراكليس لأوامر يوروستيوس . منذ ذلك الحين لم يجرؤ هيراكليس على الدخول إلى المدينة بعد إنجازه لكل عمل يكلفه به الملك يورستيوس . حاول هيراكليس أن يسلخ جلد الأسد ، فشل فى القيام بهذه المهمة . لم يكن من السهل ذلك . لم يكن جلد الأسد يقطعه سكين أو سيف أو أى نوع من أنواع الأسلحة . أخيراً اهتدى هيراكليس إلى وسيلة ناجحة . توصل إليها بإلهام من الآلهة . استخدم أظافر الأسد فى عملية السلخ . إذ كانت الأظافر تفوق فى حدتها كل أنواع الأسلحة ، نجح هيراكليس فى سلخ الأسد الضخم . إتخذ من جلده رداء يستر به جسده . إتخذ من رأسه وأنيابه غطاء لرأسه .

بعد ذلك لم يجرؤ يوروستيوس على مواجهة البطل هيراكليس . أصدر يوروستيوس أوامره إلى كل الحدادين فى البلاد . أمرهم أن يصنعوا صندوقاً ضخماً من الفولاذ (٥٦) . أمرهم أن يدفنوا ذلك الصندوق تحت الأرض . أمر بأن يعد

(٥٤) Bacchylides, XIII, 53; Photius, 474; Euripides, Heracles, 153.

(٥٥) Apollodorus, II, 5.

(٥٦) Idem, II, 76.

http://www.al-maktabeh.com

الصندوق ليصبح ملائماً لإقامة يوروسثيوس . ذهب الملك الجبان وأقام فى ذلك الصندوق . أصبح منذ ذلك الوقت يصدر أوامره إلى هيراكليس عن طريق رسول يدعى كوبْرِيوس . منذ ذلك الحين لم يتقابل هيراكليس ويوروسثيوس وجهاً لوجه . عندما يعلم يوروسثيوس بعودة هيراكليس يهرع على الفور نحو مكان الصندوق الفولاذى ويقيم فيه ، ثم يصدر الأوامر ويتلقى الأنباء عن طريق كوبريوس (٥٧) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثانى (٥٨) . أمره أن يقضى على أفعوان ليرنا ، هيدرا . أنجب التيتن توفون من التيتنة إخِيدْنى المسخ هيدْرا . تعهدت الربة هيرا هيدرا بالرعاية خصيصاً لتهدد به هيراكَليس (٥٩) . نشأ هيدرا على هيئة أفعوان بحرى . إتخذ لنفسه مقراً يقع على بعد بضعة أميال من أرجوس . أقام بالقرب من منبع أموموني تحت شجرة من أشجار الدُّلْب . نشر الذعر بين سكان السهلِ الواقع بين نهرىْ بونتينوس وأموموني . ظل يصول ويجول فى مستنقع ليرنا الذى لايسبر غوره . ينشر الذعر بشكله البشع . له جسم يشبه جسم الكلب . له رءوس تشبه رءوس الأفاعى . رأس منها خالد ، لاتفارقه الحياة أبداً . كل رأس من الرءوس الأخرى ينبت غيرها فور قطعها . قيل إن لذلك المسخ ثمانية أو تسعة رؤوس ، خمسين أو مائة رأس ، قيل إن له عشرة آلاف رأس ، كل رأس من رءوسه مليء بالسم الزعاف . دماؤه التى تجرى فى عروقه سمّ زعاف . أنفاسه سامة ، رائحته قاتلة (٦٠) .

أحست الربة أثينة بالقلق من أجل هيراكليس . خشيت عليه من خطر ذلك الأفعوان . انتظرته بالقرب من جحر الأفعوان . وصل هيراكليس بعربته السريعة التى يقودها يولايوس ابن شقيقه إيفيكليس . أرشدته الربة أثينة إلى مكان الأفعوان ، أرشدته إلى طريقة يخرج بها هيدرا من جحره . نصحته بأن يقذف الجحر بالسهام المشتعلة .

(٥٧) Theocritus, Idylls, XXV, 272 sqq.; Diodorus Siculus, IV, 11; Euripides, Op. Cit., 359 sqq.

(٥٨) Graves, Op. Cit., pp. 107-10; Guerber, Op. Cit., pp. 191-92; Hamilton, Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., p. 212; Hesiod, Theogony, 313 sqq.

(٥٩) Hesiod, ibid.

(٦٠) Euripides, Op. Cit., 419-20; Zenobius, Proverbs, VI, 26; Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Hyginus, fabula 30.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أشارت عليه أن يمسك أنفاسه عند رؤية المسخ . خرج المسخ من جحره . هجم على هيراكليس . إنثنى حول قدميه . حاول أن يطرحه أرضاً . إحتفظ البطل هيراكليس بتوازنه . رفع هراوته التى أعدها من ساق شجرة زيتون ضخمة . هوى بها فوق رؤوس الأفعوان . كلما هشم رأساً واحداً نبت بدلاً منه ثلاثة رؤوس أخرى (٦١) .

خرج سرطان بحرى من المستنقع . خف لنجدة الأفعوان . عض قدم هيراكليس . داس هيراكليس بقدمه فى عنف على السرطان البحرى . شعر بألم شديد. صاح يطلب العون من يولايوس . أشعل يولايس النار فى أشجار الدغل المجاور . طفق يكوى بالنار مكان كل رأس يقطعها هيراكليس من رؤوس الأفعوان . استطاع بذلك أن يوقف تدفق دماء الأفعوان . استطاع أيضاً أن يمنع رؤوساً جديدة من الظهور(٦٢) . أخيراً استطاع هيراكليس أن يبتر الرأس الخالد بسيفه . حفر حفرة عميقة. دفن الرأس المقطوع ومازال فحيحه يملأ جو الدغل . إنتزع أحشاء المسخ بسيفه الحاد . غمس سهامه فى الدماء المتدفقة . أصبحت سهاماً سامة قاتلة . كافأت الربة هيرا السرطان الذى خف لنجدة الأفعوان البحرى . جعلته واحداً من الأبراج السماوية ، هو برج السرطان . عاد هيراكليس إلى يوروسثيوس سالماً (٦٣) . رفض يوروسثيوس أن يحتسب ذلك العمل ضمن الأعمال الخارقة الاثنى عشر بحجة أن يولايوس قد ساعد هيراكليس(٦٤) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثالث (٦٥) . أمره أن يحضر إليه أيلة كيرونيا حية دون جروح .كانت الربة أرتميس لم تزل طفلة بعد . كانت تتجول كعادتها فى الغابات . رأت خمس أيلات ترعى فى الغابة . أسرعت ربة الصيد أرتميس . طفقت تطارد

---

(٦١) Hesiod, Loc. Cit.; Hyginus, Loc. Cit., Apollodorus, II, 5-2.

(٦٢) Apollodorus, Loc. Cit., Hyginus, Loc Cit., Idem, Poctica Astronomica, II, 23; Diodorus Siculus, Loc. Cit.

(٦٣) Rose, Op. Cit., pp. 209-10.

(٦٤) Euripides, Ion, 192; Photius, 475.

(٦٥) Graves, Op. Cit., pp. 110-12; Guerber, Op. Cit., p. 192; Rose, Op. Cit., pp. 212-13; Hamilton, Op. Cit.; p. 164.

http://www.al-maktabeh.com

الأيلات الخـمس (٦٦) . إصطادت بيديهـا المدربتين على القنص أربعا فقط . ربطت الصيد فى عربتها الربانية . فرت الخامسة . عبرت نهر كلادون . وصلت إلى تل كيرونيا . ساعدتها على ذلك الربة هيرا . حافظت عليها . تعهدتها بالرعاية . دربتها على العدو والمراوغة . فعلت ذلك خصيصاً للانتقام من هيراكليس . كان على هيراكليس أن يصطاد تلك الأيلة الفريدة من نوعها . كان عليه أن يحضرها إلى يوروسثيوس حية دون جروح .

وصل هيراكليس إلى تل كيرونيا . اختبأ وسط الغابة . ظل فى مخبئه حتى رأى الأيلة وهى تتجول هنا وهناك . كانت الأيلة مخلوقاً غريباً ، سريعاً ، أرقش ، له حوافز من البرونز تشبه حوافر الأيلة . له قرون من الذهب تشبه قرون الأيلة . لذا أطلقوا عليه اسم الأيلة (٦٧) . كان على هيراكليس أن يقتنص تلك الأيلة . لم يكن مسموحاً له أن يقتلها ، أو حتى يصيبها بجرح . ظل هيراكليس يراقب الأيلة فى تجوالها . يطاردها تارة ، يقيم لها الكمائن تارة أخرى . ينصب لها الشباك مرة ، يحاول أن يقبض عليها بيديه مرة أخرى . جرب جميع الوسائل . ظل عاماً طويلاً يطاردها فى صبر وأناة . ظل عاماً كاملاً يتجول من أقصى بلاد الإغريق إلى أدناها . أدرك التعب الأيلة . لم يشعر هيراكليس بالتعب . أخيراً وصلت الأيلة منهوكة القوى إلى جبل أرتميسيوم . ثم هبطت إلى وادى لادون . هناك وقفت لتسترد أنفاسها . أطلق هيراكليس سهماً من سهامه نحو ساقيها الأماميتين . نفذ السهم فى خفة بين عظمة الساق اليمنى ووترها . ثم نفذ بين عظمة الساق اليسرى ووترها . ربط السهم بين ساقيها دون أن تقطر نقطة دم واحدة ودون أن يؤثر السهم المسموم فيها . تقدم

(٦٦) Callimachus, Hymn to Delos, 103; Idem, Hymn to Artemis, 100 sqq.; Pausanias, II, 25, 3.

(٦٧) Diodorus Siculus, IV, 13; Euripides, Heracles, 375. sqq.; Vergil, Aeneid, VI, 802; Hyginus, fabula 30.

هناك رواية أخري تقول إن هذه الأيلة قد نذرتها واحدة من البيلياديس Pleiades. – تدعى تايجيتي Tygete – للربة أرتميس . قيل إن هذه الأيلة كانت فتاة أراد زيوس اغتصابها ، لكنها خدعته وتحولت إلي صورة أيلة . راجع :

Pindar, Olympian Odes, III; Apollodorus, II, 10. 1.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هيراكليس فى هدوء نحوها ، حملها فى خفة فوق كتفيه ، حية دون جرح . عاد بها إلى يوروسثيوس (٦٨) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الرابع (٦٩) . أمره أن يحضر إليه خنزير أرومانثوس دون جروح . كان خنزير أرومانثوس خنزيراً برياً ، كاسراً ، متوحشاً ، بشعاً ، مروعاً ، ينشر الفزع والرعب فوق مرتفعات جبل أرومانثوس المغطاة بأشجار السرو وأحراش جبل لاميا فى أركاديا والمنطقة المحيطة بمقاطعة پسوفيس (٧٠) . مرَّ هيراكليس بمنطقة فولوى حيث نزل فى ضيافة المسخ فولوس . هناك قامت معركة حامية بين هيراكليس ومجموعة من المسوخ . استخدم المسوخ فى تلك المعركة الصخور الضخمة وسيقان أشجار الزان والمشاعل الملتهبة والفؤوس المشحوذة . أبلى هيراكليس فى تلك المعركة بلاء حسناء . قهر جماعة المسوخ . فرق شملهم . شتتهم . قتل البعض وأرغم البعض الآخر على الفرار . أتى بأعمال فائقة أخرى أكدت بطولته ، أعلت من شأنه ، زادته شهرة على شهرته(٧١) .

انتهى هيراكليس من صراعه ضد المسوخ . واصل رحلته لمطاردة الخنزير البرى الكاسر . اتخذ طريقه بحذاء نهر أرومانثوس . لم يكن من السهل على هيراكليس أن يحصل على مثل ذلك الوحش الكاسر حياً . اقترب هيراكليس من مأوى الخنزير . ابتكر طريقة لاخراجه من بين الأحراش . صرخ هيراكليس صرخات متوالية . دوت صرخاته فى الأفق البعيد . اهتزت الأحراش فى عنف . خرج الخنزير من مكمنه . تقدم هيراكليس نحوه . فر الخنزير أمامه مذعوراً . استدرجه هيراكليس حتى وصل إلى منطقة منخفضة مغطاة بالجليد . فجأة قفز فى خفة ورشاقة فوق ظهر الوحش الكاسر . كبله بالسلاسل . حمله حياً فوق كتفيه . عاد مسرعاً إلى موكيناى . هناك علم أن أبطال السفينة أرجو يستعدون للذهاب إلى كولخيس . عندئذ ألقى بالخنزير من

(٦٨) Apollodorus, II, 3; Pindar, Op. Cit., III, 26-7.

(٦٩) Graves, Op. Cit., pp. 113-16; Guerber, Op. Cit., pp. 192-3; Hamiltion, Op. Cit., p. 164; Rose. Op. Cit., p. 212.

(٧٠) Ovid, Heroides, IX, 87; Apollonius Rhodius, 1, 127; Diodorus Siculus, IV, 12; Apollodorus, II, 5, 4.

(٧١) Pausanias, VI, 21, 5; Tzetzes, Lycophron, 670.

http://www.al-maktabeh.com

فوق كتفيه . أسرع مع البطل هولاس ليشارك الأبطال رحلتهم المليئة بالمغامرات . لم ينتظر هيراكليس حتى تصل أنباء عودته إلى يوروسثيوس . لم ينتظر حتى تصله الأوامر من عند الملك يوروسثيوس كى ينجز العمل التالى (٧٢) .

ليس من السهل فى هذه المرة معرفة كيف وجه يوروسثيوس أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الخامس (٧٣) . أمره أن ينظف حظائر أوجْياس . كان أوجياس ملكاً على إليس . قيل إنه كان ابنا للملك هيليوس . قيل أيضاً إنه كان ابنا للإله پوسيدون . كان يملك ثروة طائلة من الماشية . قطعانه محصنة ضد الأمراض . ترعاها قوة ربانية وتبعد عنها العدوى . الإناث كثيرات الإنجاب ، غير قابلات للإجهاض ، كان لدى أوجياس مائتان من الثيران السوداء ذوى الأرجل البيضاء ومائتان من الثيران الحمراء . جميعهم كانوا ثيراناً للاستيلاد . كان لديه أيضاً اثنا عشر ثوراً فضية اللون موقوفة لوالده هيليوس . كانت مهمة الثيران الاثنى عشر الدفاع عن باقى القطعان ضد حيوانات الغابة المفترسة (٧٤) . لم تكن حظائر أوجياس تجد من ينظفها منذ بضع سنوات . لذا كان روث الماشية يتراكم فوق أرضية الحظائر بصورة مقززة . كانت رائحة الروث تنتشر فى جميع أنحاء شبه جزيرة الپلوپونيس . لم تكن صحة الماشية تتأثر بوجود تلك القاذورات . لكن سكان شبه الجزيرة ضاقوا بها وأصبحوا مهددين بالإصابة بالأمراض . كما أن روث الماشية كان يتراكم فوق السهل بأكمله حتى أصبح من الصعب زراعته (٧٥) . قهقه يوروسثيوس وهو يصدر أوامره إلى هيراكليس . تخيل ماسوف يقاسيه البطل هيراكليس من عذاب وتعب . تخيل كيف سيتقزز هيراكليس وهو يجمع الروث فى سلال يحملها فوق كتفيه .

فى الصباح وصل هيراكليس إلى ساحة أوجياس . إتجه على الفور نحو حظائر الماشية . ألقى عليها نظرة سريعة . تحدث إلى الملك أوجياس فى ثقة تامة . وعده أن ينتهى من تنظيف الحظائر قبل حلول المساء . ليس له سوى مطلب واحد . أن يعطيه أوجياس عشر ماشيته . قهقه أوجياس استخفافاً بهيراكليس . شك فى قدرة هيراكليس

(٧٢) Pausanias, VIII, 24, 2; Apollonius Rhodius, 1, 122 sqq.

(٧٣) Graves, Op. Cit., pp. 116-19; Guerber, Op. Cit., p. 193; Hamilton, Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., p. 213.

(٧٤) Apollodorus, II, 5, 5 and 7, 2; Diodorus Siculus, IV, 13; Hyginus, fabula 14.

(٧٥) Pausanias, V, 1, 7; Servius on Vergil's Aeneid, VIII, 300.

مكتبة المهتدين الإسلامية

على الوفاء بوعده . نادى أوجياس على ولده فوليوس ليكون شاهداً . طلب فوليوس من هيراكليس أن يقسم بالآلهة . أقسم هيراكليس . أشهد الآلهة على ماقال . هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أقسم فيها هيراكليس وأشهد الآلهة على ماقال . عندئذ . أقسم أوجياس أيضاً أن يفي بوعده . أن يمنح عشر ماشيته لهيراكليس لو انتهى من تنظيف الحظائر قبل حلول المساء .

بدأ هيراكليس يستعد للعمل . فجأة ، هجم قائد الثيران الاثنى عشر على هيراكليس . ظن الثور القائد أن هيراكليس أسد جاء ليفترس الماشية . أمسك هيراكليس بيد واحدة القرن الأيسر للثور المهاجم . دفع رأسه حتى مست أرض الحظيرة . ثم بدأ في تنظيف الحظائر وكأن شيئاً لم يحدث (٧٦) . أحدث فجوتين في جدران الحظائر . ذهب إلى نهر ألفيوس وبنيوس . حول مجراهما . إندفعت المياه بشدة من خلال إحدى الفجوتين . إكتسحت القاذورات والروث المتراكم أمامها . خرجت من الفجوة الأخرى. اندفعت بشدة فوق السهل الواسع . ثم عادت المياه أخيراً إلى مجرى النهرين بعد أن حملت القاذورات والروث المتراكم . حدث كل ذلك قبل حلول المساء .

استطاع البطل هيراكليس تنظيف الحظائر والسهل وتطهيرها دون جهد أو مشقة . إستولت الدهشة على الملك أوجياس . بر هيراكليس بوعده . لكن أوجياس لم يبر بوعده . رفض أن يمنح هيراكليس عشر الماشية بحجة أن هيراكليس كان من الواجب عليه أن يفعل ذلك دون مقابل تنفيذاً لأوامر يوروسثيوس . رفع هيراكليس الأمر إلى القضاء . وقف القضاة في صف هيراكليس . أمر أوجياس بنفي القضاة . عاد هيراكليس إلى ساحة يوروسثيوس بخفيّ حنين . لم ينته الأمر عند هذا الحد . أراد يوروسثيوس أن لايحتسب تنظيف حظائر أوجياس ضمن الأعمال الخارقة الإثنى عشر . بحجة أن هيراكليس كان ينتظر أجراً من أوجياس نظير ماقام به من عمل .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذي أوامره إلى هيراكليس . أمره بأن ينجز العمل الخارق السادس (٧٧) . أمره أن يطارد طيور ستومفالوس . كانت هناك مجموعة من الطيور لاحصر لها . مناقيرها من البرونز . مخالبها من البرونز ،

(٧٦) Theocritus, Idylls, XXV, 115 sqq.; Plutarch, Quaestiones Romanae, 28.

(٧٧) Graves, Op. Cit., pp. 119-121; Guerber, Op. Cit., pp. 195-96; Hamilton. Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., p. 213.

http://www.al-maktabeh.com

أجنحتها من البرونز ، غذاؤها لحوم الحيوانات والبشر ، موقوفة لإله الحرب آريس (٧٨) . وصلت هذه الطيور المروعة واستقرت فى أحراش مستنقع ستومفالوس . بنت أعشاشها فى الأحراش الواقعة على ضفتى نهر ستومفالوس . غالباً ماكانت هذه الطيور المروعة تخرج فى جماعات ضخمة لتهاجم السهل . تقتل الإنسان والحيوان . تمطرهم بوابل من الرياش البرونزية فتقضى عليهم فى الحال . تفسد المحاصيل الزراعية . تقذف المزارع بفضلاتها السامة فتصيب المحاصيل الزراعية بالآفات . وصل البطل هيراكليس إلى مستنقع ستومفالوس . كان المستنقع محاطاً بأحراش كثيفة . فكر أول الأمر أن يطارد الطيور بسهامه السامة .

اكتشف أن أعدادها هائلة ، وليس من السهل القضاء عليها بسهامه . حاول أن يصل إلى داخل المستنقع . اكتشف أن سطح المستنقع ليس متماسكاً لدرجة تسمح بأن يمشى رجل فوقه . اكتشف أيضاً أن سطح المستنقع ليس سائلاً لدرجة تسمح بأن يخترقه قارب ويطفو فوقه .

أدركت الربة أثينة هيراكليس . أعطته خشخيشة ضخمة ذات خشخشة مجلجلة . صعد هيراكليس فوق إحدى قمم جبل كالليني التى تطل على المستنقع . هزّ هيراكليس الخشخيشة بقوة هزات رتيبة . دوت فى الفضاء خشخشات مجلجلة أثارت الذعر والفزع بين جماعات الطيور . انطلقت تحلق فى الفضاء فى فزع . حجبت قبة السماء عن الأنظار لكثرة أعدادها . أطلق هيراكليس سهامه نحوها ، أصاب أعداداً كبيرة منها ، فر الباقى إلى جزيرة آريس الواقعة وسط البحر الأسود . عاد هيراكليس إلى ساحة الملك يوروسثيوس (٧٩) .

وجه الملك يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق السابع (٨٠) . أمره أن يقبض على الثور الكريتى . كان يعيش فى جزيرة كريت ثور هائج جبار . يصول ويجول فى أنحاء الجزيرة ، وخاصة المنطقة التى يرويها نهر تثريس . يهاجم المزارع والحقول ، فيقتلع

(٧٨) Pausanias, VIII, 22, 4-6; Apollodorus, II, 5; 6.

(٧٩) Apollonius Rhodius, II, 1037-53 with scholiast; Diodorus Siculus, IV, 13; Hyginus, fabula 30.

(٨٠) Graves, Op. Cit., pp. 121-22; Guerber, Op. Cit., p. 139; Hamilton, Op. Cit., pp. 164-5; Rose, Op. Cit., p. 213.

مكتبة المهتدين الإسلامية

النباتات ويأتى على المحاصيل . يقتحم الحدائق والبساتين ، فيدمر الأسوار ويقتلع الأشجار (٨١) . كان ثوراً ضخماً ، جباراً ، قوياً . يزفر ألسنة اللهب الحارق . لم يكن يستطيع أحد من أهل كريت أن يقف فى طريقه . أبحر هيراكليس إلى كريت . قابله مينوس ملك الجزيرة . عرض عليه أن يقدم إليه كل مساعدة ممكنة . رفض هيراكليس فى أدب جم . بدأ يقتفى أثر الثور . تقدم نحوه وهو أعزل . حاول كل منهما أن يتغلب على الآخر . اشتد الصراع بينهما . فى النهاية تغلب هيراكليس على الثور الجبار . قاده إلى موكيناى . أعجب يوروسثيوس بالثور . أطلق سراحه . نذره للربة هيرا . استنكفت الربة هيرا أن تقبل هدية تذكرها بعظمة هيراكليس وجبروته . طاردته حتى وصل إلى اسبرطة ، ثم إلى أركاديا ، ثم إلى ماراثون . ظل هناك حتى قاده ثسيوس فيما بعد إلى مدينة أثينا حيث قدمه قرباناً للربة أثينة (٨٢) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثامن (٨٣) . أمره أن يروض خيول ديوميديس . كان ديوميديس ملكاً على ثراقيا . كان لديه أربعة خيول من نوع نادر . كانت هذه الخيول فحولاً متوحشة . أطلق عليها أسماء بودارْجوس ، لامْيون ، كسانْثوس ، دينوس . كان ديوميديس يعقلها بسلاسل من الحديد . يقدم لها الطعام فى مزاود من البرونز . يطعمها لحم البشر (٨٤) . أصدر أوامره بالقبض على كل أجنبى يدخل ثراقيا . فإذا كان الأجنبى نحيلا تعهده رجال ديوميديس بالعناية حتى يصبح بدينا ، ثم يقطعون لحمه ، ويقدمونه طعاماً للخيول فى مزاودها البرونزية . هكذا كانت خيول ديوميديس تتناول لحوماً بشرية طازجاً على الدوام . لذا ، نشأت الخيول شرسة ، مفترسة ، ليس من السهل ترويضها .

أبحر هيراكليس قاصداً ثراقيا . مر فى طريقه بمدينة فيراى ، حيث يحكم صديقه الملك أدميتوس . هناك علم بموت ألكستيس زوجة صديقه الملك . هبط

(٨١) Apollodorus, II, 5, 7; Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Pausanias, I, 27, 9.

(٨٢) Servius on Vergil's Aeneid, VII, 294.

(٨٣) Graves, Op. Cit., pp. 122-24; Guerber, Op. Cit., p. 194; Hamilton, Op. Cit., 165; Rose, Op. Cit., pp. 213-4.

(٨٤) Apollodorus, II, 5, 8; Hyginus, fabulae 250 and 30; Plinius. Naturalis Historia, IV, 18; Diodorus Siculus. IV, 15.

http://www.al-maktabeh.com

هيراكليس إلى العالم السفلى . دخل فى صراع مع إله الموت ، تغلب عليه . أنقذ ألكستيس . أعادها إلى عالم البشر (٨٥) . ثم واصل رحلته حتى وصل إلى مدينة تيريدا فى ثراقيا . هناك تغلب على سائسى الخيول وقهرهم . طارد الخيول فى حرص شديد حتى شاطىء البحر ، تركها هناك فى حراسة تابعة أبديروس . ثم عاد ليقهر شعب الملك ديوميديس الذى ظل يطارده . قهر هيراكليس الجميع ، بالرغم من كثرة عددهم. أرغمهم على التقهقر . إقتفى أثرهم . ضرب بهراوته الغليظة ملكهم ديوميديس على رأسه . فقد الملك وعيه . سحب هيراكليس جثته . إتجه نحو شاطىء البحر حيث ترك الخيول فى حراسة أبديروس . وجد أن شعب ديوميديس قد قدم لحم أبديروس – منذ لحظات – طعاماً للخيول المفترسة . غضب هيراكليس غضباً شديداً . ألقى بجثة ديوميديس فى مزاود الخيول . إلتهمته الخيول فى الحال . أحست الخيول بالشبع . روضها هيراكليس دون مشقة كبيرة . قادها إلى موكيناى . هناك أطلق يوروسثيوس سراحها ونذرها للربة هيرا . عاشت الخيول فترة من الزمن فوق جبل أولومبوس ، ثم التهمتها الحيوانات الضارية .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق التاسع (٨٦) . أمره أن يحضر إليه حزام هيپولوتى ملكة الأمازونيات . كان الأمازونيون أبناء وبنات لإله الحرب آريس ، أنجبهم من حورية البحر هارمونيا (٨٧) . كفر تانايْسى الأمازونى بالربة أفروديتى . قاوم الحب ورفض الزواج . أرادت الربة أفروديتى أن تعاقبه . أمطرت قلبه بوابل من سهام الحب نحو والدته الملكة لوسيپىّ . ظل تانايس يقاوم تأثير أفروديتى . لم يستطع المقاومة حتى النهاية . إستولى عليه اليأس . فضل الانتحار على الارتباط بوالدته ارتباطاً شائناً . ألقى بنفسه فى النهر . ظل شبحه يطارد والدته لوسيپى . جمعت لوسيپى بناتها

(٨٥) Euripides, Alcestis, 483 sqq.

(٨٦) Graves, Op. Cit., pp. 124-132; Guerber, Op. Cit., pp. 194-5; Hamilton, Op. Cit., p. 165; Rose, Op. Cit., p. 214.

(٨٧) يروي أيضاً أن والدتهم كانت الربة أفروديتي أو أوتريري Otrere ابنة إله الحرب آريس
Apollonius Rhodius, II, 990-92; Cicero, Pro Flacco, 15; scholiast on Homer's Iliad, I, 189; Hyginus, fabula 30; scholiast on Apollonius Rodius, II, 1033.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأبناءها ، هجرت وطنها الواقع على شواطىء البحر الأسود . إستقرت فى سهل نهر ثرمودون . منذ ذلك الحين ، لم يقم شعب الأمازون وزنا للأبوة (٨٨) . أصبحت مملكة الأمازون مملكة نسائية . قررت الملكة لوسيپىّ أن يقوم الرجال بالأعمال المنزلية ، وأن تمارس النساء شئون الحكم والقتال . كانت كل أم تشوه ذراعى وقدمى كل مولود حتى ينشأ غير قادر على الحرب أو الترحال . لم تعرف النساء الأمازونيات العدالة أو حسن المعاملة . نشأن محاربات لايعرفن سوى العنف . كن أول من استخدمن الخيول فى القتال (٨٩) . أستخدمن الرماح والدروع المعدنية . لبسن خوذات وثياب وأحزمة مصنوعة من جلد الحيوان (٩٠) غزا جيش الأمازونيات القبائل المجاورة . إتسعت رقعة حكم الأمازونيات . أنشأن امبراطورية واسعة امتدت من سهل نهر تانايس غرباً حتى ثراقيا ، وعبر نهر ثرمودون حتى فروجيا . إمتد حكمهن حتى شمل بعض أجزاء من آسيا الصغرى . توالت ملكات الأمازونيات على عرش مملكة الأمازون . تولت العرش امرأة تدعى هيپولوتى . كانت هيپولوتى تتمنطق بحزام أهداه إليها جدها الأكبر إله الحرب آريس . أمر يوروسثيوس البطل هيراكليس أن يذهب إلى مملكة الأمازون ، أن يحصل على حزام آريس الذى تتمنطق به الملكة هيپولوتى ، وأن يقدمه هدية إلى أدميتى ابنة الملك يوروسثيوس .

بدأ هيراكليس رحلته إلى مملكة الأمازونيات . مر بجزيرة فاروس . هناك لقى اثنان من بحارة هيراكليس مصرعهم . اضطر البطل إلى الاشتباك مع أهل الجزيرة . حاصرها ولم يفك الحصار إلا بعد أن رضى أهلها بالشروط التى فرضها عليهم . واصل هيراكليس رحلته البحرية عبر مضيق البوسفور والدردنيل حتى وصل إلى مملكة بافلاجونيا (٩١) . هناك نشأت صداقة بينه وبين الملك لوكوس . فاضطر إلى مساندته فى حروبه ضد الببروكيين . أبلى هيراكليس فى تلك الحروب بلاء حسناً .

(٨٨) Servius on Vergil's Aeneid, XI. 659; Apollonius Rhodius, II, 976-1000.

(٨٩) Arrian, frag. 58; Diodorus Siculus, II, 45; Herodotus, IV, 110; Tzetzes, Lycophron, 1332.

(٩٠) Pindar, Nemean Odes, III, 38; Servius on Vergil's Aeneid, I, 494; Strabo, XI, 5, 1.

(٩١) Diodorus Siculus, V, 79; Herodotus, VII, 72; scholiast on Apollonius Rhodius, II, 754.

http://www.al-maktabeh.com

استعاد كثيراً من الأراضى التى كان قد فقدها الملك لوكوس . بعد أن استقرت الأمور فى المملكة ، ترك هيراكليس صديقه لوكوس واتجه نحو مصب نهر ثرمودون . علمت الملكة هيپولوتى بقدومه . زارته فى مدينة ثمسكورا . أعجبت بقوامه الممشوق ، بعضلاته المفتولة ، بحيويته المتدفقة . برجولته النادرة . نسيت طبيعتها الأمازونية الخشنة . عاد إليها الإحساس بالأنوثة . أحبته . قدمت له دليلاً قاطعاً على حبها له . أهدته حزامها الذى منحه إليها الإله آريس .

لم ترض الربة هيرا عن ذلك النصر الذى أحرزه هيراكليس دون مشقة . تنكرت فى زى إحدى الأمازونيات . روجت إشاعة مؤداها أن هيراكليس قد دبر خطة لاختطاف هيپو لوتى . ثارت ثورة الأمازونيات . نظمن صفوفهن ، هاجمن سفينة هيراكليس . ظن البطل أن هيپولوتى هى التى دبرت له هذه المكيدة . ظن أنها استدرجته إلى ذلك المأزق . غضب هيراكليس . هاجم فلول الأمازونيات . قتل قائداتهن . صرع أعداداً غفيرة منهن . قتل الملكة هيپولوتى . إستولى على حزامها وأسلحتها (٩٢) . بدأ رحلة العودة . قام بمعارك ضارية فى أغلب المناطق التى مر بها . عاد أخيراً إلى موكيناى . سلم حزام هيپولوتى إلى يوروسثيوس ، الذى سلمه بدوره إلى ابنته أدميتى (٩٣) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق العاشر (٩٤) . أمره أن يحصل على قطيع جريون دون أن يستأذن صاحبه أو يدفع له ثمناً . كان جريون ملكاً على تارتسوس الواقعة فى أسبانيا . عرف جريون بقوته وجبروته . كان مسخاً ضارياً شديد البأس . كانت له ثلاثة رؤوس، وست أذرع ، وثلاثة أجساد تتفرع من عند الوسط . أما نصفه الأسفل فكان لايختلف عن باقى أجساد البشر . كان جريون يملك قطيعاً فريداً من نوعه . كان قطيعاً أحمر اللون ، متثاقل الحركة . جميل المنظر . كان يحتفظ بالقطيع فى جزيرة

(٩٢) Diodorus Siculus, IV, 16; Apollodorus II. 5, 9; Plutarch, Quaestiones Graecae, 45. هناك تفاصيل أخرى لهذا الجزء من الأسطورة تجدها في: Apollonius Rhodius, II, 966-69 with scholiast; Tzetzes, Lycophron, 1329; Diodorus Siculus, Loc Cit.

(٩٣) Euripides, Heracles, 418; Idem, Ion, 1145; Tzetzes, Lycophron, 1327.

(٩٤) Graves, Op. Cit., pp. 132-44; Guerber, Op. Cit., p. 196; Hamilton, Op. Cit., p. 165; Rose, Op. Cit., pp. 214-15.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إروثيا . كان يرعى القطيع واحد من أبناء الإله آريس يدعى يوروتيون . وكان يحرسه المسخ أورثوروس الذى أنجبه التيتن توفون من التيتنة إخيدنى . كان أورثوروس مفترساً، شرساً ، على هيئة كلب ضخم ذى رأسين (٩٥) . كان على هيراكليس أن يستولى على القطيع دون أن يستأذن صاحبه جريون أو يدفع له ثمناً .

بدأ هيراكليس رحلته إلى أسبانيا ماراً بوسط قارة أوروبا . صرع أثناء رحلته عدداً لاحصر له من الحيوانات الضارية . ثم وصل إلى مدينة تارتسوس فى أسبانيا . هناك أقام هيراكليس عمودين ضخمين متقابلين ، أحدهما على الشاطىء الأسبانى والاخر على الشاطىء الأفريقى (٩٦) . عرف هذان العمودان فيما بعد باسم «أعمدة هيراكليس (٩٧) . بدأ هيراكليس فى الإبحار إلى جزيرة إروثيا . أحس بحرارة الشمس الحارقة . استولى عليه الغضب . طفق يؤنب إله الشمس هيليوس ويعنفه . سحب سهماً من جعبته . شدَّ وتر قوسه فى غضب . كان على وشك أن يصيب إله الشمس هيليوس بسهمه المسموم . صاح فيه إله الشمس . عاد هيراكليس إلى هدوئه . اعتذر لهيليوس . عفا هيليوس عنه . أهداه كأساً ذهبية ضخمة تشبه فى شكلها زهرة زنبق الماء . قفز هيراكليس داخل تلك الكأس الذهبية الضخمة . ظل يجدف كما لو كان فوق ظهر قارب . أحس هيراكليس بأمواج المحيط تتماوج بشدة من حوله . استولى عليه الغضب مرة أخرى . وجه سهماً من سهامه نحو إله المحيط أوكيانوس . استولى الرعب على أوكيانوس . أمر أمواج المحيط أن تهدأ . عاد هيراكليس إلى هدوئه مرة أخرى . ظلت الكأس الذهبية تشق ماء المحيط حتى وصل هيراكليس إلى جزيرة إروثيا (٩٨) .

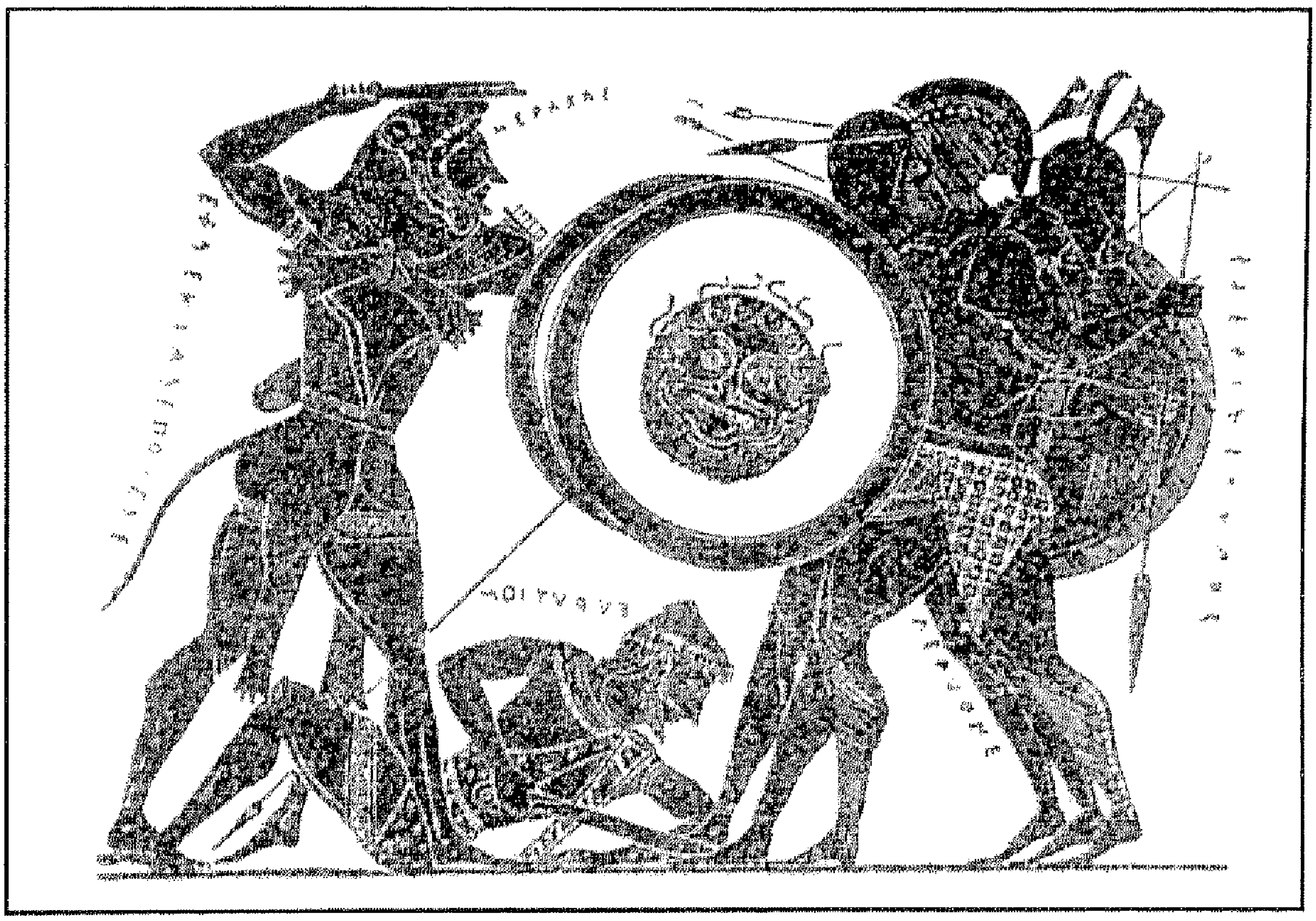
(٩٥) Pausanias, IV, 36; 6; Apollodorus, II. 5, 10; Hesiod, Theogony, 287 sqq. and 981; Servius on Vergil's Aeined. VI, 289 and VIII, 300; livy, I. 7.

(٩٦) Diodorus Siculus, IV, 18; Apollodorus, II, 5, 10.

(٩٧) اختلفت الروايات حول أعمدة هيراكليس : من أقامها ، وأين ، ومتي ، ولماذا ؟ راجع كل هذه الروايات المختلفة في : Plinius, Naturalis Historia, III. Proem and 3; Strabo, III 1,7 and 5, 5; Scholiast on Pindar's Nemean Odes, III, 37; Aelian, Varia Historia, V, 3; Erasmos, Chiliades, 1,7; Aeschylus, Prometheus Bound, 349 and 428; Tacitus, Germania, 34; see further : Graves, Op. Cit., pp. 134-5.

(٩٨) Athenaeus, XI, 39; Serevius on Vergil's Aeneid. VII. 662 and VIII. 300.

http://www.al-maktabeh.com



شكل (٢٥) :

هيراكليس يصارع جريون .

مكتبة المهتدين الإسلامية

صعد هيراكليس جبل أباس . هناك قابله الكلب أورثوروس . إندفع نحوه فى وحشية . ظل ينبح نباحاً مدوياً . لم يتراجع هيراكليس . تقدم نحو الكلب الشرس فى جرأة وثبات . رفع ذراعيه إلى أعلى ، ثم هوى بهراوته الغليظة فوق رأس الكلب . ثم رفع ذراعيه مرة أخرى ، وهوى بهراوته الغليظة فوق رأسه الآخر . سقط الكلب أورثوروس فاقد الحياة على الفور . سمع الحارس يوروتيون نباح أورثوروس . أسرع نحوه يستطلع الأمر . هاجمه هيراكليس فى خفة وبراعة . صرعه بهراوته الغليظة فى الحال . بدأ هيراكليس فى مطاردة القطيع الهائل . عندئذ ، كان جريون قد علم بما حدث . أسرع جريون إلى حيث يوجد هيراكليس . حاول أن ينقض عليه . لم يمهله هيراكليس أطلق ثلاثة سهام متتالية فى سرعة هائلة . أصابت السهام السامة الثلاثة أبدان جريون الثلاثة . خرّ جريون صريعاً . إستولى الغضب على الربة هيرا ، التى كانت تراقب كل شيء من بعيد . خفت لنجدة جريون . أطلق هيراكليس نحوها سهماً أصابها إصابة غير خطيرة . لاذت الربة هيرا بالفرار . إستولى هيراكليس على القطيع دون أن يستأذن صاحبه أو يدفع له ثمناً . حمل القطيع فى الكأس الذهبية الضخمة . شقت الكأس المحيط حتى وصلت إلى مدينة تارتسوس (٩٩) . أعاد هيراكليس الكأس إلى إله الشمس هيليوس (١٠٠) . ثم واصل رحلته حتى عاد إلى الملك يوروستيوس ومعه قطيع جريون (١٠١) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الحادى عشر (١٠٢) . أمره أن يحصل على تفاحات

(٩٩) Hyginus, fabula 30; Euripides, Heracles, 423; Pausanias, X, 17, 4.

(١٠٠) هناك رواية أخري تختلف تفاصيلها اختلافاً جوهرياً – يذكرها المصدر التالي Diodorus Siculus, III, 55 and IV, 17-19.

(١٠١) اختلفت الروايات حول الطريق الذي سلكه هيراكليس أثناء العودة وعن الطريقة التي نقل بها قطيع جريون حتي وصل إلي ساحة الملك يوروسثيوس . من ناحية أخري ، تتفق جميع الروايات بصفة عامة في أن هيراكليس قد قام بأعمال خارقة ومغامرات جريئة وتعرض لصعاب لاحصر لها أثناء العودة . راجع علي سبيل المثال العرض السريع لهذه النقاط في : Graves, Op. Cit., pp. 135-140.

(١٠٢) Graves, Op. Cit., pp. 145-52; Guerber, Op. Cit., pp. 196-99; Hamilton, Op. Cit., p. 165; Rose, Op. Cit., p. 216.

http://www.al-maktabeh.com

الهسْپيريديَّات . أهدت الربة الأرض – الأم الكبرى – إلى الربة هيرا بمناسبة زواجها شجرة تفاح تثمر ثمرات من ذهب . فرحت الربة هيرا بالهدية . حافظت على الشجرة النادرة . غرستها في حديقتها الربانية الخاصة . وضعتها تحت رعاية بنات المارد أطلس – الهسْپيريديات . فوَّضت أمر حراستها إلى المسخ لادون (١٠٣) . خـــرج هيراكليس يبحث عن مكان التفاحات الذهبية النادرة . إخترق منطقة إللوْريا حتى وصل إلى حوض نهر الپو . أثناء رحلته اضطر لقتال المارد الجبار كوكنْوس – ابن إله الحرب آريس . وقف آريس فى صف كوكنوس . اضطر كبير الآلهة زيوس إلى إنهاء القتال . عندما وصل هيراكليس إلى نهر الپو وجد عجوز البحر نريوس نائماً . سأله الرأى فى كيفية الحصول على التفاحات الذهبية . حاول نريوس أن يراوغه . أرغمه هيراكليس على الكلام (١٠٤) . نصحه نريوس أن لايقطف التفاحات بنفسه . أشار عليه أن يطلب ذلك من المارد أطلس ، الذى يحمل قبة السماء فوق كتفيه . والذى يتخذ لنفسه مقراً بالقرب من حديقة هيرا الربانية .

طفق هيراكليس يسعى حتى وصل إلى الطرف الأقصى من العالم . هناك قابل المارد أطلس . وجده – كالعادة – يحمل قبة السماء فوق كتفيه . شرح له الأمر . توسل إليه أن يحضر إليه بعض التفاحات الذهبية . أبدى أطلس استعداده لتلبية طلب هيراكليس . لكنه أعرب عن خوفه من المسخ لادون . إتجه هيراكليس نحو الحديقة . صعد فوق السور المرتفع . أرسل سهماً قاتلاً نحو المسخ لادون . أرداه قتيلاً فى الحال. عاد هيراكليس إلى أطلس . طلب منه أطلس أن يحمل قبة السماء بدلاً منه . وافق هيراكليس على الفور . حمل فوق كتفيه قبة السماء . ذهب هيراكليس إلى حديقة هيرا الربانية . قطف ثلاث تفاحات ذهبية بمساعدة بناته الهيسپيريديات . أحس أطلس بطعم الحرية والراحة أثناء عودته إلى هيراكليس . رفض أن يستعيد قبة السماء فوق كتفيه . سوف يوصل التفاحات الذهبية الثلاث بنفسه إلى الملك يوروسثيوس ، ثم يعود ليحمل قبة السماء فوق كتفيه . سوف يستريح من ذلك العبء القاتل فترة من الزمن .

(١٠٣) Apollodorus, II, 5, 11; Euripides, Heracles, 396; Eratosthenes, Catasterismoi, III; Hyginus, Poetica Astronomica, II. 3.

راجع أيضاً ص ١٢٨ أعلاه لمعرفة بعض معلومات أخري عن المسخ لادون .

(١٠٤) تروي بعض المصادر أن هيراكليس لجأ إلي پروميثيوس الذي أرشده إلي مكان التفاحات

Apollodorus, II, 5; Herodotus, VIII. 124-7; Hyginus, Poetica Astronomica, II. 15.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تظاهر هيراكليس بالموافقة . لكنه استأذن أطلس لحظة واحدة . إن جلد كتفيه يؤلمه . سوف يبحث عن وسادة يضعها فوق كتفيه . صدَّقه أطلس . وضع التفاحات الذهبية الثلاث على الأرض بين قدميه . تناول قبة السماء من فوق كتفي هيراكليس . حملها فوق كتفيه كما كان يفعل من قبل . طلب منه أن يسرع في البحث عن وسادة . إنحنى هيراكليس نحو الأرض في خفة ورشاقة . إلتقط التفاحات الثلاث من بين قدمي أطلس .. قهقه في سخرية بالغة . فر هارباً . لم ينس أن يشكر أطلس على ماقدمه له من معونة .

حصل هيراكليس على تفاحات الهيسبيريديات . بدأ طريق العودة إلى موكيناى . مرَّ بليبيا . هناك اضطر لمقابلة الملك أنتايوس . أنتايوس هو أحد أبناء الأرض ، قوى البنية ، شديد البأس . يتحدى كل غريب يمر بمملكته . يصرعه . تراكمت جماجم ضحاياه . أراد أن يقيم بها قاعة في معبد پوسيدون (١٠٥) . لم يتردد هيراكليس . قاتل أنتايوس . أشبعه ركلاً ولكماً ، أنهك قواه ، طرحه أرضاً ، هب أنتايوس على الفور وقد استعاد قوته . أعاد هيراكليس الكرَّة بعد الكرة . كان أنتايوس يستعيد قواه المنهوكة كلما طرحه هيراكليس أرضاً . لاحظ هيراكليس أن أنتايوس يتعمد أن يلمس الأرض . إكتشف السر الخطير بعد صراع مرير . إكتشف أن أنتايوس قد أنجبته الأم الأرض . إكتشف أنه يستمد قوته بملامسة أمه الأرض . عندئذ ، رفعه بيديه واحتضنه ، حطم ضلوعه ، كسر عظامه ، كتم أنفاسه . فعل ذلك دون أن يتيح له الفرصة ليلمس الأرض (١٠٦) . بعد ذلك اتجه هيراكليس نحو نبوءة الإله آمون . هناك طلب من والده زيوس أن يطل عليه بوجهه الرباني . رفض زيوس في بادىء الأمر . أخيراً أطل عليه بعد أن أخفى وجهه خلف رأس حمل مذبوح (١٠٧) . بعد ذلك اتجه هيراكليس نحو الجنوب . مر بمصر ، حيث أراد المصريون أن يقدموه قرباناً للآلهة ، لكنه كسر قيده . وقهر أعداءه ، وقتل الملك وولي عهده . ثم فر هارباً (١٠٨) . وصل هيراكليس إلى آسيا . هناك حرر پروميثيوس من سجنه الأبدي (١٠٩) . ثم واصل

(١٠٥) Apollodorus, Loc. Cit.; Hyginus, fabula 31; Diodorus Siculus, IV, 17.

(١٠٦) Pindar, Isthmian Odes, IV, 52-55; Lucanus, IV, 589-655.

(١٠٧) Hesodotus, II, 42; Strabo, XVII, 1, 43.

(١٠٨) Herodotus; II, 5, 11; Hyginus; fabula 31 and 56; Ovid, Ars Amatoria, I, 649.

(١٠٩) Aeschylus, Prometheus Bound, 1025; Idem, frag. 195; Plinius, Naturalis Historia; XXXIII, 4 and XXXVII, 1.

http://www.al-maktabeh.com

طريقه حتى وصل إلى موكيناى . هناك سلم التفاحات الذهبية إلى الملك يوروسثيوس.

وجه الملك يوروسثيوس من خلف جدران صندوقه الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثانى عشر (١١٠) . أمره أن يحضر الكلب كربيروس من عالم الموتى – تارتاروس . لم يكن من السهل الهبوط إلى عالم الموتى. لذا بحث هيراكليس عن منفذ يهبط منه إلى أعماق الأرض . ساعدته فى ذلك الربة أثينة والإله هرمـيس (١١١) . كان عليه أن يعبر نهر ستوكس الذى يفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى . لم يكن يسمح بعبوره إلا للموتى . كان هناك المعدّاوى خارون الذى يحمل فى قاربه العتيق الموتى فقط . وصل هيراكليس إلى شاطىء نهر ستوكس. إستولى الفزع على المعداوى عند رؤيته لهيراكليس . لم يجرؤ على منعه من العبور . حمله فى قاربه العتيق . أوصله إلى عالم الموتى . نزل هيراكليس إلى الشاطىء . استولى الذعر والفزع على جميع الموتى . فرّ الجميع من شدة الفزع . اقترب هيراكليس من بوابة الجحيم ، هناك قام بأعمال عديدة شهدت له بالقوة . حرر ثسيوس من عذابه الأبدى . أنقذ أسكالوفوس من العذاب الذى فرضته عليه الربة ديميتر . اضطر لقتال راعى ماشية الإله هاديس وكان على وشك أن يقضى عليه(١١٢).

استقبل إله العالم السفلى هاديس وزوجته هيراكليس بالترحاب . طلب البطل من الإله هاديس أن يسمح له باصطحاب الكلب كربيروس . تظاهر الإله هاديس بالموافقة. سوف يكون كربيروس ملك يدى هيراكليس لو أنه استطاع أن يخضعه ويرغمه على أن يتبعه . هكذا أخبره هاديس ثم فرض عليه شرطاً واحداً : أن لايستخدم هراوته الضخمة أو سهامه القاتلة . وافق هيراكليس دون تردد . تقدم فى ثبات نحو كربيروس. لم يكن كربيروس كلباً عادياً مثل جميع الكلاب . كان له جسم كلب ، يتفرع من رقبته ثلاثة رؤس مزودة بالحيات السامة ، له ذيل ملىء بالأشواك .

(١١٠) Graves; Op. Cit., pp. 152-58; Guerber Op. Cit., p. 200; Hamilton; Op. Cit., pp. 165-67; Rose, Op. Cit; pp. 215-16.

(١١١) Apollodorus, II, 5, 12; Xenophon, Anabasis, VI. 2, 2; Homer, Odyssey, XI 626; Idem, Iliad, VIII 362 sqq.

(١١٢) Apollodorus, II, 5,12; Becchylides, Epinicia V, 71 sqq. and 165 sqq.; Tzetezs, Chiliades, II, 396 sqq.

مكتبة المهتدين الإسلامية



شكل (٢٦) :

هيراكليس يحمل كربيروس .

http://www.al-maktabeh.com

ضرباته تشبه ضربات السوط . كانت مهمة كربيروس حراسة بوابة الجحيم . منظره بشع يثير الذعر فى نفوس الناظرين . تقدم هيراكليس نحو المسخ المخيف فى حرص وثبات . إنقض بقبضته القوية على عنق المسخ . هب المسخ المخيف واقفاً . ظل يطوح بذيله الرهيب فى كل اتجاه ، يحرك رءوسه الثلاثة فى وحشية ، يحاول التخلص من قبضة منافسه والانقضاض عليه . لم يستطع كربيروس مقاومة قبضة هيراكليس القوية . لم تتراخ عضلات هيراكليس لحظة واحدة . أخيراً استسلم المسخ المخيف لإرادة البطل هيراكليس (١١٣) . وعاد هيراكليس يجر وراءه الكلب كربيروس حتى وصل إلى ساحة الملك يوروسثيوس .

(٣) تأليهه

أنجز هيراكليس الأعمال الخارقة الاثنى عشر التى كلفه بها الملك يوروسثيوس . أصبح البطل حراً طليقاً . قضى فترة من الزمن فى مدينة فينيوس الواقعة فى شبه جزيرة البلوبونيس . ثم رحل إلى أيتوليا . هناك التقى بفتاة جذابة تدعى ديانيرا . عشقها ، أراد أن يتزوجها . إكتشف أن هناك من ينافسه فى الزواج بها . تغلب البطل على كل منافسيه (١١٤) . أ[illegible] ديانيرا زوجة له (١١٥) . بعد فترة وجيزة رحل هيراكليس مع ديانيرا إلى تراخيس . استمر زواج هيراكليس وديانيرا . أنجبت له أربعة أبناء – هولّوس وكتسيپّوس وجلينوس وهوديتيس – وابنة واحدة تدعى ماكاريا (١١٦).

لم يهدأ البطل هيراكليس قط . ظلت حياته مليئة بالمغامرات . ظل ينتقل من مكان إلى مكان ، يشن الحروب هنا وهناك . ينصر المظلوم ، ويقهر الظالم . يقف فى

---

(١١٣) Apollodorus; Loc. Cit.

(١١٤) Diodorus Siculus, IV, 34-35; Apollonius Rhodius, I, 8, 1 and II, 7, 5; Bacchylides, Epinicia, V, 165. sqq.; Ovid, Metamorphoses, IX, 1-100; Sophocles, Trachiniae, 1 sqq. Hyginus, fabula 31.

(١١٥) Guerber, Op. Cit., pp. 201-3; Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 114-15.

(١١٦) Apollodorus, II, 7, 8; Diodorus Siculus, IV, 37; Pausanias, I. 32. 5.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وجه الطغاة ، ويتحالف مع المدافعين عن وطنهم وكرامتهم (١١٧) . يسعى وراء الأعمال الخارقة الجريئة ، ويبحث عن المتاعب والمبارزات الفردية المثيرة(١١٨) . يجمع الجيوش الضخمة ، ويغشى المعارك الحامية . في كل مرة كان يعود إلى زوجته وأطفاله سالماً غانماً(١١٩) . ذات مرة جمع جيشاً ضخماً . سار نحو مدينة أويْخاليا . أراد الانتقام من الملك يوروتوس . ترك زوجته ديانيرا في تراخيس كعادته . حاصر مدينة أويخاليا . شدد الحصار حولها . إقتحمها . دمرها . أتى على مبانيها ومعابدها . خرب حقولها ومزارعها ، قتل ملكها . كسر شوكة قادتها وزعمائها ، سلب المدينة ونهبها ، سبا نساءها . احتفظ لنفسه بجارية فاتنة . لم تكن تلك الجارية سوى الأميرة إيولي ابنة الملك يوروتوس (١٢٠) . لم تستسلم إيولي في سهولة لهيراكليس . قتل أمام عينيها جميع أفراد أسرتها . تركته يفعل ذلك دون أن تستسلم له . ثم غافلته وقفزت من فوق أسوار المدينة ، لكن الآلهة أرادت لها الحياة . أرسلت الرياح لتنقذها . امتلأ ثوبها بالهواء ، فتحول إلى مايشبه المظلة . عندئذ هبطت إيولي على الأرض سالمة . أرسلها هيراكليس مع بقية السبايا إلى زوجته ديانيرا في تراخيس . (١٢١) . طلب من زوجته أن ترسل إليه ثياباً خاصة كان يرتديها أثناء صلاة الشكر التي يقيمها بعد كل انتصار (١٢٢) .

استقبلت ديانيرا الأسيرة إيولي . بهر الملكة جمال الأسيرة الأخاذ . شعرت بالغيرة الشديدة . لقد اعتاد هيراكليس أن يعود إليها بعد كل غزوة بأسيرة فاتنة . لكن

(١١٧) راجع Hamilton, Op. Cit., pp. 167-171 حيث يوجد عرض سريع موجز لمجموعة الأعمال التي قام بها هيراكليس قبل – أو أثناء أو بعد – أن يقوم بالأعمال الخارقة الإثني عشر.

(١١٨) راجع مجموعة من هذه الأعمال في Rose, Op. Cit., pp. 216-19.

(١١٩) تمتلي المصادر القديمة والحديثة بعدد لاحصر له من الأعمال الجريئة والمغامرات والمعجزات التي حققها هيراكليس ، والتي لايتسع المجال لذكرها بالتفصيل . يمكن الرجوع إليها في : Graves, Op. Cit., pp. 135-199.

(١٢٠) Athenaeus, XI, 461; Apollodorus, II, 7.7.

(١٢١) Sophocles, Trachiniae, 283 sqq; Hyginus, fabula 35; Plutarch, Vitae Parallelae, 13.

(١٢٢) Sophocles, Op. Cit., 298 and 752-4; Apollodorus, II, 7, 7; Diodorus Siculus, IV, 38.

http://www.al-maktabeh.com

ديانيرا شعرت فى هذه المرة بمرارة لم تشعر بها من قبل . لكنها كانت تحب هيراكليس حباً يفوق الحد . لم تشأ أن تسيء استقبال إيولى حتى لا [illegible] . زوجها هيراكليس . لم تشعر بالحقد نحو زوجها لأنها كانت تحبه وتعشقه . شعرت برغبة شديدة فى انتزاع حب هيراكليس . عندئذ ، تذكرت ديانيرا حادثة مرت بها منذ فترة طويلة (١٢٣) . ذات مرة أراد الوحش نيسّوس اغتصابها . لكن هيراكليس خفَّ لنجدتها. أطلق سهماً قاتلاً نحو الوحش أرداه قتيلاً . أسرَّ الوحْش نيسوس - وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة - إلى ديانيرا أن تحتفظ بدمائه التى سالت على الأرض . أخبرها أن قلب هيراكليس قد يتحول عنها في يوم من الأيام . نصحها أن تستخدم دماءه دواء لاستعادة حب هيراكليس . عملت ديانيرا بنصيحة الوحش نيسوس . احتفظت بكمية من دمائه . لم تبح بشيء إلى زوجها هيراكليس (١٢٤) .

تذكرت ديانيرا تلك الحادثة عندما أتى الرسول ليخاس يطلب ثيابا لهيراكليس(١٢٥) بحثت عن كمية الدماء التى مازالت تحتفظ بها . أحضرت الثوب المطلوب . لطخته بدماء الوحش ، طلبت من الرسول ليخاس أن يسلمه إلى هيراكليس ويطلب منه أن يعود إليها فى أسرع وقت . لم يعلم أحد بما فعلته ديانيرا (١٢٦) . غادر الرسول ليخاس تراخيس يحمل الثياب إلى هيراكليس . خرجت ديانيرا إلى أهل تراخيس تنقل إليهم البشرى . سوف يعود هيراكليس فى التو واللحظة . سوف يعود إليها عاشقاً ولهاناً . سوف ينسى كل عشيقاته . سوف يرتمى بين أحضانها . فلقد لطخت الثياب التى أرسلتها إليه بدماء الوحش نيسوس . لكن فجأة ، يتحول أملها يأساً، ويصبح فرحها حزناً ، وينقلب ابتهاجها إلى همٍّ وقلق . تكتشف أن دماء الوحش نيسوس ليس إلا سماً زعافاً . تكتشف أن الوحش نيسوس أراد أن ينتقم من هيراكليس ، أراد أن يجعل منها أداة لانتقامه (١٢٧) . أرسلت ديانيرا رسولاً آخر ، عسى أن يلحق بالرسول ليخاس قبل أن يسلم الثوب القاتل إلى هيراكليس . لكنها تعلم أن أمر الآلهة قد

(١٢٣) Guerber, Op. Cit., pp. 203-205; Genest, Op. Cit., pp. 116-119.

(١٢٤) Apollodorus, II, 7, 6; Sophocles, Op. Cit., 555-61; Ovid, Metamorphoses, IX, 101 sqq.; Diodorus Siculus, IV, 46.

(١٢٥) Warner, Men And Gods, pp. 171-2.

(١٢٦) Hamilton, Op. Cit., pp. 106-111.

(١٢٧) Sophocles, Op. Cit., pp. 460-751; Hyginus, fabula 36.

مكتبة المهتدين الإسلامية

نفذ . فتفارق الحياة بيدها – لا بيد شخص آخر .

وصل ليخاس إلى هيراكليس . سلمه الثوب القاتل (١٢٨) . على الفور ارتدى هيراكليس الثوب . بدأ في إقامة الصلاة . أحس البطل بحرارة تسرى في جسده . أخذت تزداد شيئاً فشيئاً . أحس بالثوب يحرق جلده . في تلك اللحظة وصل رسول ديانيرا . طلب من هيراكليس أن يخلع الثوب القاتل . حاول هيراكليس أن يخلع الثوب. لم يستطع . التصق الثوب بجلده . انتزع الثوب انتزاعاً . انفصل عن جسده بصعوبة هائلة . لكن جلده كان مازال ملتصقاً بالثوب . ظهرت عظام هيراكليس بعد أن انتزع الجلد واللحم من حولها . أخذت الدماء تتدفق في كل أطراف جسده . بدأ السم القاتل ينخر في عظامه . أحس بنخاع عظامه يذوب من شدة الحرارة (١٢٩) . لكن البطل هيراكليس لم يئن ، ولم يصرخ . تذكر نبوءتين سمعهما ولم يعرهما اهتماماً من قبل . النبوءة الأولى : سوف تفارق ديانيرا مدة إثنى عشر شهراً ، ثم تعود إليها فتلقى مصيرك المحتوم . النبوءة الثانية : سوف يقتلك أحد أعدائك – لكن بعد موته .

أدرك هيراكليس أنه ميت لامحالة . استدعى ولده هولاس . طلب منه أن يصطحبه إلى زوجته ديانيرا في تراخيس . وصل موكب البطل هيراكليس إلى تراخيس . أمر ولده أن يضعه في محرقة . طلب منه أن يشعل النار (١٣٠) . تردد هولاس . رفض في أدب جم أن يلبي طلب والده . اشتدت آلام هيراكليس . توسل إلى كل من حوله أن يشعل النار في المحرقة . لم يجد الحاضرون مخرجاً ، لم يقدروا على أن يخيبوا رجاء هيراكليس . أشعل البطل فيلوكتيتيس النار في المحرقة (١٣١) . بدأت النار تسرى في الأخشاب التي يرقد فوقها هيراكليس . أوصى ولده أن يتزوج من الأميرة إيولي . بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة . لكن كبير الآلهة زيوس أراد لابنه هيركليس الخلود . أخذ يتوسل إلى زوجته الشرعية هيرا أن ترضى عنه . رضيت عنه هيرا ، قبلت أن يصبح هيراكليس ابناً لها . عندئذ ، صعدت روح هيراكليس إلى جبل أولومبوس . أصبح إلهاً خالداً بين آلهة الإغريق الخالدين . لم يحترق سوى جسده الفاني .

(١٢٨) Guerber, Op. Cit., pp. 206-7.

(١٢٩) Sophocles Op. Cit., 756 sqq.; Tzetzes, Lycophron, 50-51.

(١٣٠) Sophocles, Op. Cit., 912 sqq.; Apollodorus, II, 7, 7.

(١٣١) Graves, Op. Cit., pp. 200-206.

http://www.al-maktabeh.com

تلك هى أسطورة هيراكليس ، قصة البطل الشجاع ، القوى ، المغامر ، القاهر ، الظافر ، طيب القلب ، طاهر الروح . نظيف الذيل . قصة البطل الذى صمد أمام أقداره الغادرة ، الذى لم تزده العواصف إلا قوة فوق قوته . لم تمنحه الشدائد إلا صلابة فوق صلابته . تلك هى أسطورة هيراكليس الذى تحول – من خلال مالاقاه من متاعب – من بشر فانٍ إلى إله خالد (١٣٢) . تلك هى أسطورة هيراكليس الذى أصبح «مجد هيرا» بعد أن كان محط حقدها وغضبها .

* * *

(١٣٢) اختلفت المصادر القديمة – كما اختلفت الآراء الحديثة والمعاصرة أيضاً – حول وضع هيراكليس في الأساطير الإغريقية : يري البعض أنه شخصية حقيقية (تاريخية) ، ملكاً أو أميراً كان يحكم تيرنس Tiryns ، بينما يري البعض الآخر أنه كان بطلاً أسطورياً . ولقد انقسم البعض الآخر إلي فريقين : فريق يري أنه ظل بطلاً والدليل علي ذلك أنه قد لقي حتفه وذاق الموت ، أما الفريق الآخر فيري أنه قد تحول إلي إله من الآلهة الأولومبية . راجع :
Farnell, Hero - Cults, pp. 95 sqq.; Rose, Op. Cit., p. 205.

مكتبة المهتدين الإسلامية

قائمة المراجع

(١) المراجع الأجنبية

Albert (Michael von),

"L'épisode d'Io chez Ovide et chez Valérius Flaccus", Latomus, 39 (1980), pp. 46-57 .

Apuleius (Lucius).

The Transformations of Lucius, Otherwise is Known as the Golden Ass, (translated by Robert Graves). Harmondsworth, Middlesex 1950.

Bacon (H.),

Barbarians In Greek Tragedy, New York, 1961.

Baldry (H. C.),

Ancient Culture And Society (The Greek Tragic Theatre), London 1971.

Ancient Greek Literature in Its Living Context, London 1968.

Banier (Abbé),

La Mythologie et les fables expliquées par l' histoire, Paris 1938.

Bernal (M.),

Black Athena (2 vols), New Jersy, 1987 - 1991.

Bonner (G.),

"A Study of The Danaid Myth", Harvard Studies In Classical philology, 13 (1902), pp. 129 - 173.

http://www.al-maktabeh.com

Bopp (Franz),

Comparative Gra er, (translated from German by Eastwick), London 1862.

Bowra (C.M.),

The Greek Experience, Mentor Books 1959.

Landmarks In Greek Literature, London 1966.

Bryant (E),

A New System, or an analysis of Ancient Mythology, London 1774.

Burkert (W.),

Greek Religion (translated by John Raffan), Oxford 1985.

Butler (Samuel),

The Authoress of The Odyssey, University of Chicago Press, 1967.

Camus (Albert),

Le Mythe de Sisyphe, essai sur l'absurde, Paris 1942.

Carpenter (R.),

"Argeiphontes : a suggestion", American Journal of Archaeology, 54 (1950), pp. 177 - 183.

Cary (M.) (editor),

The Oxford Classical Dictionary, Oxford 1949.

Comes (Natalis),

Du Culte de dieux fetiches, ou parallile de l'ancienne religion de l'Egypte avec la religion actuelle de Nigritie, Paris 1760.

مكتبة المهتدين الإسلامية

Cook (A.B.),

Zeus, A study In Ancient Religion, Cambridge Vol. I (1914), Vol. II. (1925), Vol. III (1940).

Cornish (F.W.),

Catullus, Heinemann 1913.

Cotterell (A.),

A Dictionary of World Mythology, London 1979.

Cox (Sir George William),

An Introduction to Mythology and Fotklore, London 1881.

The Mythology of the Aryan Nations, London 1870.

Creuzer ( ),

Symbolik und Mythologie, Leipzig 1810-1812.

Dowden (K.),

The Uses of Greek Mythology, Routledge London & New York 1992.

Earp (F.R.).

The Way of The Greeks, Oxford 1929.

Emeljanow (V.),

"Ovidian Mannerism, An Analysis of The Venus and Adonis episode in Met., x, 503 - 738.," Mnemosyne, Series (IV) vol. 22 (1969), pp. 67 - 76.

Evelyn - White (Hugh G.),

Hesiod, The Homeric Hymns And Homerica, Heinemann 1959.

http://www.al-maktabeh.com

Farnell (Lewis Richard).

The Cults of the Greek States (5 Vols.), Oxford 1896-1909.

Frazer (Sir James George),

The Belief in I ortality and the worship of the Dead, London Vol. I (1913), Vol. 3 (1924).

Folk -Lore in the Old Testament (Studies in Comparative Religion, Legend and Law), 3 vols., London 1919.

The Golden Bough (one-Volume abridged edition) New York 1940.

The Golden Bough (a Study in Magic and Religion) 12 Vols., London 1911-1915.

Totemism and Exogamy (a treatise on certain early forms of Superstition and society) 4 vols, London 1909.

The Worship of Nature, London 1926.

Greek Hero-cults and Ideas of Immortality, Oxford 1921.

Freud (Sigmund),

A General Introduction to Psychoanalysis, (translated into English by J. Riviere), New York 1943.

Grimal (P.),

Dictionnaire de la Mytologie Grecque et Romaine, Paris 1979.

Genest (Emile),

Myths of Ancient Greece And Rome, London (Burke Books) 1963.

مكتبة المهتدين الإسلامية

Godley (A. D.),

Herodotus, Vol. I. Heinemann 1946.

Graves (Robert),

The Greek Myths, 2 vols. Penguin Books 1955.

Guerber (H. A.),

The Myths of Greece And Rome, (their stories signification and origin) London 1931.

Guthrie (W. K. C.),

Orpheus And Greek Religion, Cambridge 1935.

The Greeks And Their Gods, Methuen 1950.

Hamilton (Edith),

Mythology, Timeless Tales of Gods and Heroes, New York 1959.

Harrison (Jane E).

Epilegomena To the Study of Greek Religion Cambirdge 1921.

Prolegomena To The Study of Greek Religion, Cambridge, 1921.

Themis, A Study of the Social Origins of Greek Religion, Cambridge 1912.

Hastings (J.),

Encyclopaedia of Religion and Ethics, New York 1921.

Havelock (E. A.),

Lyric Genius of Catullus, London. 1939.

http://www.al-maktabeh.com

Highet (Gilbert),

The Classical Tradition (Greek and Roman I uences on Western Literature) Oxford 1949.

Hortblower (S.) and Spawforth (A.), (edited by),

The Oxford Classical Dictionary, Oxford 2000.

Jevons (F. B.),

Introduction to the History of Religion, London, 1916.

Johnson (W. R.),

"Vertu us in Love", Classical Plilology, 92 (1997), pp. 367 - 374.

Jung (C. G.),

Integration of the Personality (The English translation), New York, 1950.

Psychology and Religion. New York 1945.

Psychology and the Unconscious, New York 1948.

Κακιδης (Ι .Θ),

"Ελληνικ'η **Μυθολογια** (4 vols), Ekdotike Athenon, Athens 1986.

Kitto (H. D. F.),

Greeak Tragedy, A Literary Study, Methuen 1973.

The Greeks, Penguin Books, London 1952.

Knox (Peter),

"Phaeton In Ovid And Nonnus", Classical Quarterly, 38 (1988), pp. 536 - 551.

مكتبة المهتدين الإسلامية

Kupfer (Grace H.),

Legends of Greece And Rome, London 1929.

Laestrin (G.).

Des Rathsel der Sphinx, Berlin 1889.

Nebelsagen, Berlin 1879.

Lang (Andrew),

Custom and Myth. London 1884.

The Making of Religion, London 1898.

Modern Mythology, London 1897.

Myth, Ritual and Religion, 2 vols., London 1887.

Lesky (Albin),

Greek Tragedy, London 1965.

A History of Greek Literature (translated into English by James Willis and Cornelis de Heer), Methuen 1966.

Lyne (R. O. A. M.),

"Love and Death : Laodamia and Protesilaus in Catullus, Propertius and Others", Classical Ouarterly, 48 (1998), pp. 200 - 212.

Mannhardt (A.),

Antike Wald-und Feldkulte, Berlin 1877.

Marret (R.R.),

The Threshold of Religion, London 1909.

Müller (Max).

German Myths (English translation), London 1858.

Lectures upon Language, London 1895.

http://www.al-maktabeh.com

Müller (O. K.),

Prolegomena Zu einen Wissenschaftlichen Mythologie (The English translation by Leitch, London 1844), Leipzig 1820.

Selected Essays (English translation,) London 1886.

Murray (Gilbert),

The Literature of Ancient Greece, University of Chicago Press 1956.

The Rise of Greek Epic. Oxford 1967.

Nethercut (William R.),

"Daphne and Apollo. A Dynamic Encounter", Classical Ouarterly, 74 (1979), pp. 333 - 347.

New Larousse Encyclopedia of Mythology (translated by Richard Aldington and Delamo Ames), New York 1989.

Nilsson (M. P.),

Cults, Myths, Oracls and Politics in Ancient Greece, Göteborg 1986.

A History of Greek Religion (translated by F. J. Fielden), Oxford 1949.

Reinach (Salomon),

Cults, Myths, et Religions (translated into English London 1912), Paris 1905.

Orpheus, Paris 1909.

Rose (H. J.),

Handbook of Greek Literature (from Homer to the Age of Lucian), Methuen 1950.

مكتبة المهتدين الإسلامية

Handbook of Greek Mythology (including its extension to Rome), Methuen 1953.

Handbook of Latin Literature, (From the earliest times to the death of St. Augustin), Methuen 1954.

Ancient Greek Religion, New York 1946.

Gods and Heroes of The Greeks, Methuen 1957.

Sale (William),

"Callisto and the Virginity of Artemis", Reinisches Museum Für Philologie, 108. Band, Heft 1. (1965), pp. 11 - 35.

Sandys (J. E.),

Dictionary of Classical Antiquities, New York 1962.

The Odes of Pindar (including the principal fragments). Heinemann 1957.

Selincourt (Auberey De),

Herodotus, The Histories, Penguin Classics 1954.

Sinclair (T. A.),

A History of Classical Greek Literature. (from Homer to Aristotle), London 1939.

Smith (William Robertson),

Religion of the Semites, London 1893.

Spence (Lewis),

A Dictionary of Mythology, London 1919.

An Introduction To Mythology, London 1931.

The Myths and Legends of Ancient Egypt, London 1910.

The Myths of Mexico and Peru, London 1912.

http://www.al-maktabeh.com

The Myths of the North American Indians, London 1918.

Spencer (Herbert),

Principles of Sociology, London 1898.

Stanford (W. B.),

Aristophanes, The Frogs, Macmillan 1963.

Stirrup (Barbara E.),

"Techniques of Rape: Variety of Wit in Ovid's Metamorphoses", Greece & Pome, 24 (1977), pp. 170- 183.

Sutton (Dana),

"The Greek Origins of The Cacus Myth", Classical Quarterly, 27 (1977), pp. 391- 393.

Taylor (A. E.),

Plato, The Man And His Work, Methuen 1960.

Taylor (E. B.),

Primitive Culture, London 1871.

Researches into the Early History of Manlaind. London 1865.

Thomson (G.),

Aeschylus And Athens, A Study in The Social origins of Drama, London 1980.

Tiele (Carnelius Petrus),

Revue de l'Histoire de Religions (The English translation), London 1878.

مكتبة المهتدين الإسلامية

Toynbee (Arnold J.),

Greek Historical Thought, Mentor Book 1964.

Wardman (A. E.),

"The Rape of The Sabines", Classical Quarterly, 59 (1965), pp. 101 - 103.

Warner (Rex).

Men And Gods, London 1967.

Zimmerman (J. E.),

Dictionary of Classical Mythology, Bantam Book 1965.

(ب) المراجع العربية

- أحمد كمال زكى ، الأساطير ، دراسة حضارية مقارنة ، القاهرة ١٩٨٢ .

أوفيديوس، فن الهوى ، ترجمة د. ثروت عكاشة ، دار الشروق ، بيروت القاهرة بدون تاريخ .

- مسخ الكائنات ، ترجمة د. ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ .

- عبدالمعطى شعراوى (دكتور) . المأساة اليونانية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٦٣ (طبعة ثانية ١٩٨٦) .

- النص الكامل لتراجيديا الفرس (ترجمة وتقديم) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٨ .

- (وآخرون) ، ڤرجيليوس ، الإنيادة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة، الجزء الأول ١٩٧١ ، الجزء الثانى ١٩٧٧ .

http://www.al-maktabeh.com

- «قصة الحمار الذهبى» ، مجلة المجلة ، العدد ١٥١ (يوليو ١٩٦٩) ص ص٥٢-٦٤ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة .
- «كيوبيد وسايكى» ، مجلة الجديد ، العدد رقم ١٥ (أغسطس ١٩٧٢) ص ص٨-١١ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة .
- هوميروس ، شاعر الإلياذة والأوديسيا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ (طبعة ثانية ١٩٨٥) .
- محمد صقر خفاجة (دكتور) وعبداللطيف أحمد على (دكتور) ، أساطير اليونان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- وهيب كامل (دكتور) ، هيرودوت فى مصر (القرن الخامس قبل الميلاد) ، ترجمة وتقديم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

* * * * *

مكتبة المهتدين الإسلامية

كشّاف

(أ)

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

(ب)

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

(ن)

(هـ)

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

فهرست الصور

http://www.al-maktabeh.com

* * * * *

مكتبة المهتدين الإسلامية

المحتويات

صفحة

http://www.al-maktabeh.com

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

1 /1 1 /.   :ت 3/. /2   :

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com